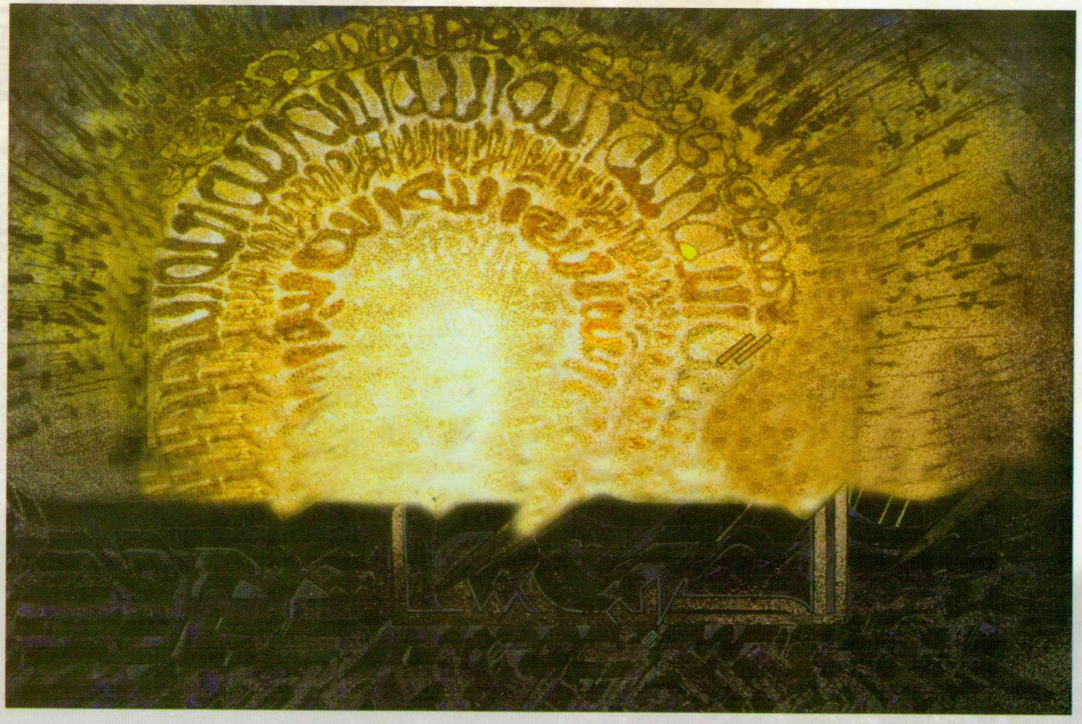
مرتضى فرج

محاضرات في الدِّين المسيحي



مؤسسة الانتشار العربي

مرتضى فرج

محاضرات في الدِّين المسيحي



مؤسسة الانتشار العربي

محاضرات في الدِّين المسيحي

مرتضى فرج

الانتشار العربي
ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
@Alintishar Alarabi @Alintishar Alarabi
بيروت ـ لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150
ISBN 978-9953-93-281-1
الطبعة الأولى 2019

المحتويات

مقدِّمة 9

البابُ الأول: المسيحيَّة بنظرةٍ پانوراميَّة

الفصل الأوَّلُ: الأناجيلُ والرَّسائلُ المُلْحقة بها 15

الإنجيلُ أو الأناجيل 15

الوحي النَّبوي والكِتابي 15

العهد الجديد 16

الإنجيلُ الأوَّل: إنجيلُ متَّى (= ماثيو) The Gospel According to Matthew 21

الإنجيلُ الثَّاني: إنجيلُ مِرْقس (= مارك) The Gospel According to Mark 26

الإنجيلُ الثَّالث: إنجيلُ لُوقا (= لوك) The Gospel According to Luke 29

الإنجيلُ الرَّابع: إنجيلُ يوحنَّا (= جون) The Gospel According to John 33

الإنجيل Q (أو: ق) 38

الإنجيلُ بنظرٍ للقرآن 41

قانونيةُ العهدِ الجديد 51

مخطوطات نجْع حمَّادي 56

نبذةٌ عن الغنوصيَّة 58

الفصل الثاني: تاريخُ المسيح 63

كلمةُ «المسيح» 63

يسوع التَّاريخي 65

ولادَتُهُ 75

تاريخُ الولادة 81

نسَبُ يسوع 82

طفولتُهُ وصِباهُ 91

هل ليسوع أُخوة؟ 93
المعموديةُ من يوحنَّا والتَّجربةُ من الشَّيطان 95
فاجعةُ يوحنَّا المَعْمَدان 99
تفاقُم العَدَاء ليسوع 103
إلقاءُ القبْضِ عليه ومحاكمتُهُ وصلْبُهُ 107
الفصل الثالث: المسيحيَّةُ المُبكِّرة 111
صراعٌ بين مدرستين 111
بولُس Paul 115
الشَّخصيَّة المُغيَّبة: يعقوبُ الصدِّيق 119
لماذا اختلفت المدْرستان؟ 124
الكنيسة 132
الآبيونيُّون 134
المرْقيونيَّة (المارسيونيَّة) 135
القدِّيس جاسْتِن الشَّهيد Justin Martyr: (بذور المسيحيَّة المعاصرة) 138
ميليتو أُسْقُف سارْدِس :Melito of Sardis 142
كليمِنْت الإسْكندري Clement Dalexandrie 145
تِرْتوليانوس Tertulianus 146
أوريجانوس Origene 147
المسيحيَّةُ والإمبراطوريَّةُ الرُّومانيَّة 149
قسْطَنْطين وكنيسةُ القسْطَنْطينة 152
روما والقسْطَنْطينية 153
هل امتزجَتْ المسيحيَّةُ بالوثنيَّةِ؟ 155
آريوس والآريوسيَّة 164
الفصل الرَّابع: أهمُّ اعتقادات المسيحيِّين 173
أولاً: تأليه المسيح 173
ثانياً: التَّثْليث 179
ثالثاً: عقيدةُ الفِداء 184
رابعاً: المجيءُ الثَّاني للمسيح 186
خامساً: المعاد 191

الفصل الخامس: أهمُّ الشَّعائرِ والأحكام عند المسيحيِّين 193
أولاً: المعموديَّة 194
ثانياً: الأحد 196
ثالثاً: سرُّ التوبةِ والاعتراف 197
رابعاً: صلاةُ الشُّكر أو سرُّ الإفخارِسْتِيَّا 198
خامساً: نظامُ الرَّهْبَنة 199
الفصل السَّادس: الفِرَق المسيحيَّة 204
تمهيد 204
أولاً: الكاثوليك 205
ثالثاً: البروتستانت (المُحتَجُّون) 209
خامساً: فرْقةُ شُهُود يَهْوَه 212
سادساً: فرْقة المُورْمُون 214

البابُ الثاني: المسيحيَّة بنظرةٍ فاحصة

الفصل السَّابع: مسيحيَّةُ بولُس 223
بولُس في سِفْرِ أعمال الرُّسُل 226
بولُس يتحدَّث (في رسائلِهِ) عن نفسِهِ 233
اعتقاداتُ بولُس وآراؤُهُ 237
الفصل الثَّامن: الصِّراع اليهوديّ/ المسيحيّ 261
خدْمةٌ قدَّمَها القرآن 262
أين المشكلةُ بالتَّحديد؟ 262
الحادثة حقَّقت نبوءات الأنبياء 269
الصَّلْبُ عند الرُّومان 270
محطاتٌ في صراعِ اليهود والمسيحيِّين 273
موقفُ اليهود 277
موقفُ القرآن من مصيرِ المسيح 279
الفصل التَّاسع: قتْلُ المسيحِ أو صلْبُهُ 281
تمهيد 281
خلفيةُ المشْهد 288
مراحلُ محاكمة يسوع 295

عند اليهود، هل قُتِل أمْ صُلِب؟ 296
لماذا حرَّض اليهودُ على قتْلِ يسوع؟ 297
فرضيَّاتٌ متعدِّدة 304
الظهورُ المُتعدِّد ليسوع 306
أفضَلُ تفسيرٍ للحدِّ الأدْنى من الحقائق 307
التَّفسيرُ الأقربُ للمعقوليَّة 309
توهُّمُ صلْب يسوع وإشاعةُ قيامتِهِ (الجانب الإدراكي للشُّهود) 318
ملاحظات إضافيَّة (تتعلَّق بما جرى على الأناجيل لاحقاً) 319
مفارقات الأناجيل في آلامِ يسوع 322
محاولاتُ التَّقليل من مسؤوليَّةِ بيلاطُس 352
الفصل العاشر: البِشارةُ بماذا؟ 354
تمهيد 354
البشارةُ بـ «الباراقليط» 356
صعوباتٌ لا بدَّ من تذليلِها 360
المُلْك والملكوت في الأناجيلِ والقرآنِ 361
يسوع هل كان ملِكاً لليهود؟ 365
ملكوتُ اللهِ سيُنزَع منكم 369
الخبرُ السَّارُّ عند رايت 371
تلخيص ونتائج 376
الملكوت والولاية في القرآن 377
ملحق: حرْبُ الأيقونات 381
تمهيد 381
الموجة الأولى من حرب الأيقونات 384
الموجة الثَّانية من حرب الأيقونات 389
أهم المصادر 393

مقدِّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرْسلين، سيِّدِنا وحبيبِنا محمَّدٍ (ص)، وعلى آلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ، وصحبِهِ المنتجبين.

هدف البحث:

هذه المحاضرتُ استهدفَت السَّيرَ خطوةً، في طريقِ التعرُّفِ على صدْقِ نبوَّةِ محمَّد (ص)، من خلالِ التعرُّفِ على أدْيانِ ومذاهبِ أهلِ الكتاب.

فالقرآنُ يدَّعي أنَّ ما يحمِلهُ أهلُ الكتاب، في زمنِ بعثةِ النَّبيِّ محمَّد (ص)، من معلوماتٍ مُسْبقةٍ وثقافةٍ عامة، كان يُؤهِّلهُم لمعرفةِ أنَّه نبيٌّ صادقٌ، كما يعرِفُ كلُّ واحدٍ منهم أبنائَهُ، وأنَّ بعضَهُم كان يكتُمُ الحقَّ عن عِلْم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] بل بعضُهُم كان يتحرَّكُ في حياتِهِ اليوميَّةِ وكأنَّ كتاباً لم ينْزِل، ونبيّاً لم يُبعَث، وكأنَّ محمَّداً (ص) يتحدَّثُ عن شيءٍ لا يعلَمُ عنه شيئاً: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

لذا كان لا بدَّ من الحفْرِ في أدْيانِ ومذاهبِ أهلِ الكتاب، لنتعرَّفَ على الرُّؤيةِ الكونيَّةِ والمعارفِ العامةِ التي يحمِلُونَها، ولو بنحوٍ موجزٍ ومضْغوط.

هذا الكتاب:

مسوَّداتُ هذا الكتاب كُتِبَت كمُذكَّراتٍ منفصلةٍ ليستعينَ بها المُشارك في سلسلةِ دورات قدَّمتُها بين 2017/ 2018م في الوحي والنُّبوَّة. سببُ كتابتي لها أنِّي انتهيتُ في تلك

---

(1) سورة البقرة، الآية 146.

(2) سورة البقرة، الآية 101.

السِّلْسلةِ إلى نقطةٍ بالغةِ الأهميَّة: أنَّ من المداخلِ المهمَّةِ للتعرُّفِ على صدْقِ نبوَّة نبيِّ الإسلام محمَّد (ص) والقرآن، تقييمُ حزْمة المعارف التي جاءَ بها على ضوءِ حزْمةِ المعارف التي ورَدَت في التَّوراةِ والإنجيل، وعلى ضوءِ الثَّقافةِ المشتركة التي حملَها اليهودُ والنَّصارى آنذاك، بقطْعِ النَّظَر عن الفُرُوقِ التَّفصيليَّةِ بينهم. فمن خلالِ المقايسة بين تلك الحِزْمتينِ من المعارف، يمكنُ الوصول إلى قناعةٍ وإيمانٍ بأنَّها صادرةٌ من ينْبوعٍ واحد.

خريطة الكتاب:

البحثُ في هذا الكتابِ ينقسِمُ إلى بابين، في البابِ الأول أستعرِضُ المسيحيةَ بنظرةٍ عامةٍ، من حيثُ التاريخ، وأهمّ الاعتقادات والشَّعائر والفِرَق. وفي البابِ الثاني أدْرُسُ المسيحيةَ بنحوٍ أعمقَ قليلاً، فأذهبُ إلى الجذورِ والمرتكزاتِ الأساسيةِ التي انطلقتْ منها المسيحيةُ، فأتحدَّثُ عن مسيحيةِ بولس، والصِّراعِ مع اليهود، وحادثةِ الصَّلْب، ومضمونِ البشارة (الإنجيل) الذي جاءَ بها المسيح. على هذا الأساس، خريطةُ الكتابِ تقعُ في العناوين التالية:

البابُ الأوَّل: المسيحيَّة بنظرةٍ پانوراميَّة

وينقسِمُ بدورِهِ إلى ستَّةِ فصول:

الفصلُ الأوَّلُ: الأناجيلُ والرَّسائلُ المُلْحقة بها.

الفصلُ الثاني: تاريخُ المسيح.

الفصلُ الثالثُ: المسيحيَّةُ المُبكِّرة.

الفصلُ الرَّابعُ: أهمُّ اعتقادات المسيحيِّين.

الفصلُ الخامسُ: أهمُّ الشَّعائرِ والأحكامِ عند المسيحيِّين.

الفصلُ السَّادسُ: الفِرَق المسيحيَّة.

البابُ الثاني: المسيحيَّة بنظرةٍ فاحصة

وينقسِمُ بدورِهِ إلى أربعةِ فصول:

الفصل السابع: مسيحيَّةُ بولُس.

الفصل الثامن: الصِّراعُ اليهودي/ المسيحي.

الفصل التَّاسع: قتْلُ المسيحِ أو صَلْبُهُ.

الفصل العاشر: البِشارةُ بماذا؟

في الفصولِ الستَّة الأولى (الباب الأول)، أُقدِّمُ مدْخلاً موجزاً للدِّينِ المسيحي. وفي الفصولِ الأربعة الأخيرة (الباب الثاني)، أُقرِّبُ العدَسَةَ لأتوغَّلَ أكثر في بعضِ التَّفاصيل المُهمَّة، حتى نفهَمَ الدِّين المسيحي بقدْرٍ من العُمْق.

ولديَّ في هذه المقدِّمة ملاحظتان:

الملاحظةُ الأولى: أنِّي لم أتردَّد في استخدامِ كلمة «نصارى» أو «مسيحيُّون» على نحو الترادُف، وسأتجاوزُ بذلك الحساسية التي يُبديها بعضُ المسيحيِّين المعاصرين من لفْظِ «نصارى»، التي لا أرى لها مبرِّراً. لا لاستخدامِ القرآن لفْظ «نصارى» فحسْب، بل أيضاً لِما جاءَ عن يسوع في إنجيلِ متَّى: «وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيّاً»»[1].

وجاءَ في تفسيرِ هذه الفقرة، للقُمَّص تادرُس يعقوب: «كلمةُ «ناصرة»، منها اشتُقَّت «نصارى» لقَبُ المسيحيِّين؛ وهي بالعبريّةِ Natzar». وجاءَ في تفسيرِها، للقسِّ أنطونيوس فكري: «نشأَ المسيحُ في النَّاصرة ليحمِلَ اسْماً مُشْتقّاً من المكانِ الذي نشأَ فيه، وصارَ اسمُهُ «النَّاصري»، ومنها اشتُقَّ اسْمُ «نصارى»، وهو لقَبُ المسيحيِّين. وذلك لأنَّ ناصرة بالعبريةِ هي(NATZAR)».

وروى الصَّدوق في العِلَلِ والعيون في روايةٍ معتبرةٍ عن عليِّ بنِ الحسنِ بنِ فضَّال عن أبيهِ قال: قُلْتُ للرِّضا ﷺ: لِمَ سُمِّيَ النَّصارى نصارى؟ قال: لأنَّهُم من قريةٍ اسْمُها «ناصِرَة» من بلادِ الشَّام، نزلَتْها مريمُ وعيسى بعدَ رجوعِهِما من مِصْرَ[2].

الملاحظةُ الثانية: أنَّ القارئَ سيلْمَسُ بنفسِهِ أنَّ دينَ المسيحيَّةِ لا يمكنُ أنْ يُفهَمَ بعُمْقٍ ما لم يُفهَم دينُ اليهود؛ فالمسيحيَّةُ خرَجَت من رحِمِ الدِّين اليهودي، ثمَّ انفصلَت عنه، فهي عهدٌ جديدٌ لعهدٍ قديم. أو قُلْ إنَّ اليهوديَّةَ (بكتابِها المُقدَّس العِبْري) كانت تسيرُ في درْبٍ واحد،

---

(1) إنجيل متى 2: 23.

(2) الصدوق، علل الشرائع، باب العلة التي من أجلها سمي الحواريون حواريين والعلة التي من أجلها سميت النصارى نصارى. الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج1، ص85.

ثمَّ انقسمت إلى طريقينِ مختلفين؛ قسْمٌ آثَرَ أنْ يُبلوِرَ مسارَهُ القديم، فطوَّر نفسَهُ بكتابةِ التلْمود (بوصفِهِ توراة شفويَّة)، وقسْمٌ بلوَرَ مساراً جديداً، فكتَبَ الأناجيلَ أو آمنَ بها (بوصفِها عهداً جديداً لعهدٍ قديم). فلا بدَّ أنْ يضَعَ دارِسُ دين المسيحيَّة هذه الملاحظةَ نُصْبَ عينيه دائماً، حتى يعي بعُمْق الأفكارَ وتطوُّرَها، والطُّقُوس ونشأَتَها.

مرتضى فرج

الكويت

يناير 2019م/ ربيع الآخر 1440 هـ

البابُ الأول:

المسيحيَّة بنظرةٍ پانوراميَّة

الفصل الأوَّل:

الأناجيلُ والرَّسائلُ المُلْحقة بها

الإنجيلُ أو الأناجيل:

«الإنجيلُ»، «Gospel»، كلمةٌ تعني البشارة أو الخبَرُ السَّارُّ، وهي ترجمةٌ للَّفظِ اليوناني Euangelion. والأناجيلُ المُدوَّنةُ هي سيرٌ تاريخيَّةٌ لحياةِ وتعاليمِ ومصيرِ يسوع. وقد كُتِبَت باللُّغةِ اليونانيَّةِ الدَّارجة. والمسيحيُّون يؤمنون عموماً بأنَّ هذه الأناجيلُ هي بمعنى من المعاني وحيٌ من الله.

الوحي النَّبوي والكتابي:

لا بدَّ من إلفاتِ النَّظَر إلى تمييزٍ بالِغ الأهميَّة في مفهومِ الوحي في المسيحيَّة، بين الوحي النَّبوي والوحي الكِتابي.

ففي الوحي النَّبوي يكونُ دورُ اللهِ رئيسياً، ويضْمحِلُّ تقريباً أيُّ دورٍ فاعلٍ للنَّبيِّ الموحى إليه. ففي الوحي النَّبوي، اللهُ يُوجِّهُ كلامَهُ إلى النَّبيِّ بصيغةِ الأمر، بحيث إنَّ النَّبيّ لا يقومُ إلا بدورِ المُسْتَلِم والمُسلِّم للرِّسالة. فدورُ اللهِ يبدو هنا في أقصى ذُرْوتِهِ، ولا يترُكُ للنَّبيِّ إلا جُزْءاً يسيراً، والنَّبيُّ يبدو هنا كأداةٍ طيِّعة وأمينة. وهذا ما يفهَمُهُ المُسْلِمُ عادةً من الوحي للأنبياء.

أما الوحيُ الكِتابي، فالأمرُ فيه مختلفٌ تماماً. فكأنَّ اللهَ والكاتِبَ يتقاسمانِ الدَّورَ في كتابةِ الكتابِ المُقدَّس. فبالرَّغمِ من أنَّ الحقائقَ هي وحيٌ من الله، ولكن الكاتب يبقى محتفظاً بشخصيَّتِهِ المُسْتقلَّة. فهو يُدوِّنُ ما يريدُهُ الله، ولكن بالأسلوبِ الذي يختارهُ، ويراهُ مناسباً. وهذا يشْبهُ عمَلَ الإنسان والآلة التي يستخدِمُها. فعلماءُ الكتابِ المُقدَّس يُؤكِّدونَ على أنَّ الإنسانَ الموحى إليه، يبقى محتفظاً باستقلالِهِ كشخصٍ عاملٍ وحرّ. فليس هو إذن بآلةٍ تشبَهُ القلَمُ المادِّي الذي تُديرُهُ أصابعَ الكاتِب. إنَّ اللهَ في الواقعِ يحُثُّ الإنسانَ الموحى

إليه على الكتابةِ دون أنْ يُحطِّمَ ويمْحي شخصيَّتَهُ بسببِ ذلك، بل بالعكس يحُثُّهُ ويحُمِّسُهُ، أي إنَّ روحَ اللهِ يقودُ الموحى إليه بقوَّتِهِ الفعَّالة، وبطريقتِهِ إلى التفكيرِ بـ، وقولِ وتدوينِ ما يُريدُهُ له، وكما يريد. واللهُ يحفَظُ الكاتِبَ الموحى إليه من تدوينٍ وتعليمٍ الباطل. ولهذا السَّبَب، فالوحيُ تُصاحِبُهُ هبةَ العصْمة من الخطأ[1] وهذا يُشْبِهُ ما يفهَمُهُ المُسْلِمُ عادةً من تسديدِ الله للصَّالحين وتثْبيتِهِم بالقولِ الثابت[2].

العهد الجديد:

العهدُ الجديدُ (من الكتابِ المُقدَّس) يحتوي على أربعةِ أناجيل، هي : إنجيلُ متَّى، وإنجيلُ مِرْقس، وإنجيلُ لُوقا، وإنجيلُ يوحنَّا. ثمَّ أُلحِقَ بها: كتابُ أعمالِ الرُّسُل للوقا، وعدَّة رسائل لبولُس، وبُطْرُس، ويعقوب، ويوحنَّا، ويهوذا، بالإضافةِ إلى رؤيا يوحنَّا اللَّاهوتي.

هذه المجموعةُ من الأسفار يُطلَقُ عليها «العهد الجديد». ومجموعُها 27 سِفْراً: 4 أناجيل، 1 أعمال الرُّسُل، 21 رسالة، 1 رؤيا.

الأناجيلُ الثلاثةُ الأولى يمكنُ الإحاطةُ بها بنظرةٍ واحدة، ذلك بأنَّ محتوياتَها وحوادِثَها يمكنُ ترتيبُها في أعمدةٍ متوازيةٍ، والنَّظَرُ إليها كلّها مجتمعةً.

ومكانُ الأناجيلِ (والرَّسائل المُلْحقة بها) في المسيحيَّةِ مكانَ القُطْب، وتشتمِلُ على أخبارِ يسوع من وقتِ حمْلِهِ إلى صلْبِهِ وقيامتِهِ من قبرِهِ ثمَّ رفعِهِ. وهي بهذا تشتملُ على عقيدةِ أُلوهيَّةِ يسوع والصَّلْبِ والفِداء، أي إنَّها تشتملُ في نظرِهِم على لُبِّ المسيحيَّةِ. هذه الأناجيلُ الأربعةُ هي التي تعترفُ بها الكنائسُ، وتُقِرُّها الفِرَقُ المسيحيَّةُ الحالية وتأخُذُ بها.

ولكن التاريخَ يروي لنا أنَّه كانت في العُصُورِ الغابرةِ أناجيلُ أخرى، قد أخذَت بها فِرَقٌ قديمة، وراجَتْ عندها. ولم تعتنق كلُّ فِرْقةٍ إلا إنجيلَها. فعندَ كلٍّ من أصحابِ مرْقيون وأصحابِ ديسان إنجيلٌ يُخالِفُ بعضُهُ هذه الأناجيل، ولأصحابِ ماني إنجيلٌ يُخالِفُ هذه الأربعة، وهو الصَّحيحُ في زعمِهِم. وهناك إنجيلٌ يُقالُ له إنجيلُ السَّبْعين يُنْسَبُ إلى تلامس والمسيحيُّون يُنكِرونَهُ. وهناك إنجيلٌ اشتُهِرَ باسم التَّذْكرة، إنجيلُ سرن تهس.

---

(1) علي الشيخ، **دروس في المسيحية**، ص51 ـ 52.

(2) قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم، 27).

ولقد كثُرَت الأناجيلُ كثرةً عظيمةً، وأجمَعَ على ذلك مُؤرِّخو المسيحيَّة. ثمَّ أرادت الكنيسةُ في آخرِ القرْن الثاني الميلادي أو أوائِل القرْن الرَّابع أنْ تُحافِظَ على الأناجيلِ الصَّادقةِ - في اعتقادِها - فاختارت هذه الأناجيل الأربعة دونَ سواها.

ولسْنا نجدُ إشارةً لإنجيلٍ مسيحيٍّ قبلَ عام 150م إلا في كتاباتِ بابياس Papias الذي كتبَ في عام 135م يقول: «إنَّ مرْقس ألَّفَ إنجيلَهُ من ذكرياتٍ نقلَها إليه بُطْرُس»[1] واستقرَّ العُرْفُ على استخدامِ كلمة «إنجيل» للإشارةِ الى الكُتُبِ التي كان القدِّيسُ جوسْتِن في نحو 150م يُسمِّيها «مُذكَّراتُ الرُّسُل».

ويذكُرُ بعضُ المُؤرِّخين أنَّه لم توجد عبارةٌ تشيرُ إلى وجودِ أناجيل لمتَّى ومرْقس ولُوقا ويوحنَّا قبلَ آخر القرْن الثالث. وأوَّلُ من ذكَرَ هذه الأناجيلَ الأربعة إيرينايوس Irenaeus سنة 180م. ثمَّ جاءَ من بعدِهِ كليمِنْت الإسكندري في سنة 216م، وأظهَرَ أنَّ هذه الأناجيلَ الأربعة واجبةُ التَّسليم. ولم تكتفِ الكنيسةُ باختيارِ الأناجيل الأربعة، بل أرادت الناسَ على قبولِها لاعتقادِها صحَّتَها، ورفضِ غيرِها، وتمَّ لها ما أرادت، فصارت هذه الأناجيلُ هي المعتبرةَ دونَ سواها.

أما ديونيسيوس الإسْكندري (ت 265م)، فقد أعرَبَ عن شكِّهِ بِنِسْبةِ «الرُّؤية» إلى يوحنَّا، وحسبَ شهادة يوسابيوس القيْصري (ت 340م) كانت لا تزال تحتَ الجدل. وكذلك رسالتا يوحنَّا الثانية والثالثة، ورسالة يعقوب الجامعة، ورسالة يهوذا، ورسالة بُطْرُس الثلاثيَّة، لكن جاءَت الكنيسةُ واعترفت بهذه الكُتُبِ لاحقاً.

كتَبَ فراس السوَّاح: «عُزِيَت هذه الأناجيلُ إلى أسماءٍ من العصْرِ الرَّسول، هم على التوالي: متَّى ومرْقس ولوقا. ويبدو أنَّ عناوينَ هذه الأناجيل، التي تقول: الإنجيلُ بحسَبِ متَّى، أو بحسَبِ مرْقس، أو بحسَبِ لوقا، قد وُضِعَت بعد تأليفِها بزمنٍ طويل. وذلك لإضفاءِ السُّلْطة والمصداقيَّة عليها.

إنَّ أقدَمَ إشارةٍ إلى متَّى ومرْقس بوصفِهما مؤلِّفَيْنِ لإنجيلَيْهما قد وردَتْ لدى أوزيبوس القيْساري Eusibius of Caesarea، الذي عاشَ في القرْنِ الرَّابع الميلادي ووضَعَ في تاريخِ الكنيسةِ كتاباً اعتمَدَ في أخبارِهِ عن الإنجيليْنِ على الأسْقُف بابياس، الذي عاشَ في القرْنِ الثاني الميلادي.

---

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص207.

يقولُ بابياس بأنَّ متَّى كان أوَّلُ من جمَعَ تعاليم يسوع في مؤلَّفٍ دعاهُ بـ «الأقوال» Logia، كتبَهُ بالآرامية، ثمَّ قامَ الآخرونَ بترجمتِهِ كلٌّ حسَبَ مقدرتِهِ. ونحنُ لا نعرِفُ بالفعْلِ ما إذا كان هذا الكتابُ هو نفسُهُ إنجيلُ متَّى المعروف، والذي يحتوي على أكثرَ من مجرَّدِ أقوال وتعاليم يسوع. ولا ندري ما إذا كان متَّى «الأقوال» هذا هو نفسُهُ متَّى العشَّار تلميذُ يسوع...

ولكن هذا الخبرُ عن «الأقوالِ» أو «اللُّوجيا» يلفِتُ نظرَنا إلى حقيقةٍ مهمَّةٍ تتعلَّقُ بتأليفِ الأناجيل، وهي أنَّ المؤلِّفين قد اعتمدوا مجموعةً أو أكثر لأقوالِ يسوع، ثمَّ وضعوا لها مناسبات معيَّنة، وشبكوا هذه المناسبات إلى بعضِها في سياقٍ كرونولوجي، لتُعطي الانطباعَ بسيرةٍ مُطَّردة. وقد بقِيَ لنا نموذجاً عن مثْلِ هذه «الأقوال» التي لم تتحوَّل إلى سيرة، وذلك في إنجيلِ توما، الذي يحتوي على 114 قولاً ليسوع، دونَ ذِكْر مناسباتها أو سياقها الكرونولوجي في حياةِ يسوع»[1].

والخلاصةُ أنَّ الفجوةَ التاريخيةَ بين خروجِ يسوع من مسْرحِ الدُّنيا وكتابةِ الأناجيل لا تقلُّ عن عقدينِ من الزَّمان، وقد تطولُ في بعضِ الأناجيلِ إلى ستَّةِ عقودٍ أو أكثر. وهذا يعني أنَّ قصصَ هذه الأناجيل استمرَّ تناقُلها الشَّفهي عقدين وأكثر، قبلَ أنْ تُدوَّن.

ويدَّعي عددٌ من النُّقَّاد المختصِّين - من اللاأدْريِّين واليهود وغيرِهِم - أنَّ هذه الأناجيلَ لم تأخُذ معلوماتَها من شهودٍ عيان، ولا نعرفُ مُدوِّنيَها بالتَّحديد. فكتَّابُها الأصليُّون مجهولون، ولم تُنْسَب لفلانٍ أو فلان إلا في وقتٍ لاحق[2]، بل الأناجيلُ نفسُها لا تدَّعي أنَّ كاتبَها هو فلان الذي نُسِبَ إليه كتابتُها لاحقاً. ناهيكَ عن كونِ الأناجيل متعارضة، وغير متَّسِقة داخلياً.

بل إنَّ هذه الأناجيلَ - كما يؤكِّدُ هؤلاء النُّقَّاد - كُتِبَت في بُلْدانٍ مختلفة، وبُلِغةٍ يونانيَّةٍ فصيحة، في حين أنَّ تلامذةَ يسوع لغتُهُم آراميَّة/ عبريَّة، ومستواهُم التَّعليمي متواضِعٌ للغاية. فمن أينَ استقى كُتَّابُها معلوماتَهُم عن قيامةِ يسوع؟! من المسْتبعَدِ جدّاً أنَّهم استقَوْها من شهودٍ عيان. ويقولُ هؤلاء إنَّ الأرجحَ بقوَّةٍ أنَّهم استقوها من قصصٍ كانت متداولةً شفوياً

(1) فراس السوَّاح، **الوجه الآخر للمسيح**، ص18 - 19.

(2) فإيرينايوس - في حدود سنة 180م - هو أوَّلُ من نسَبَ ذلك إليهم، أي بعد قرنٍ من كتابتِها.

سنةً بعد أخرى، في جيلٍ بعد آخر، منقولةً من بلدٍ إلى آخر... ومن المعلومِ قدْرَ التَّحريفِ المُحتَمَل بمرورِ الوقتِ في مثلِ هذه الحالة.

يقولُ ول ديورانت: «ملاكُ القولِ أنَّ ثمَّةَ تناقضاً كثيراً بين بعضِ الأناجيلِ والبعضِ الآخر، وأنَّ فيها نُقطاً تاريخيَّةً مشكوكاً في صحَّتِها، وكثيراً من القصَصِ الباعثةِ على الرِّيبة، والشَّبيهةِ بما يُروى عن آلهةِ الوثنيِّين، وكثيراً من الحوادثِ التي يبدو أنَّها وُضِعَت عن قصْدٍ لإثْباتِ وقوعِ كثيرٍ من النُّبوءاتِ الواردة في العهدِ القديم، وفقرات كثيرة ربَّما كان المقصودُ منها تقديرُ أساسٍ تاريخيٍّ لعقيدةٍ متأخِّرةٍ من عقائدِ الكنيسة، أو طقْسٍ متأخِّرٍ من طُقُوسِها... ويبدو أنَّ ما تنْقُلهُ الأناجيلُ من أحاديثَ وخُطَب، قد تعرَّضَت لما تتعرَّضُ له ذاكرةُ الأُمِّيِّينَ من ضعْفٍ وعيوب، ولما يرتكِبُهُ النُّسَّاخُ من أخطاءٍ أو «تصحيح»»[1].

إلا أنَّ علماءَ الدِّين المسيحي لا يقبلونَ بهذه الاتِّهامات، فمثلاً رايس بروكس ردَّ على هؤلاءِ بقولِهِ: «هذه النَّوعيةُ من التَّصريحاتِ هي تَكرارٌ للتَّصريحاتِ الجوفاء ذاتِها لمُشكِّكينَ آخرينَ عاشوا في وقتٍ سابق. وهي تُحاوِلُ اختزالَ يسوع إلى مستوى إنسانٍ آخرَ أخفَقَ في سعْيِهِ الذي يُشبِهُ سعيَ «دون كيشوت» (سعياً واهماً)... الأسماءُ متَّى ومرْقِس ولوقا ويوحنَّا هي على الأرجحِ أشهرُ رباعيٍّ من الكُتَّابِ في التاريخ. ويا لها من دلالةٍ على شُهرةِ شخصٍ ما حين لا تحتاجُ إلى اسْمِ العائلة لتعْرِفَ من يكون! وقد قُبِلَت حقيقةُ أنَّهم الكُتَّاب الأصليُّون لهذه السِّيَر منذُ بدايةِ الإيمان المسيحي. لكن في غضونِ بضْعةِ قرونٍ مضَت، شكَّكَ بعضُ المُفكِّرينَ المُتشكِّكينَ في هُويَّةِ الكُتَّاب..»[2].

وردَّ بروكس على اتِّهامِ الأناجيل بالتَّعارُضِ وعدمِ الاتِّساق الدَّاخلي، فقال: «حين تستمِعُ إلى المُتشكِّكينَ، تجدُ أنَّ لديهم جميعاً لُغتَهُم أو أقوالَهُم المُفضَّلة، مثلما تسمَع في الحملاتِ السِّياسية. وهذه الأقوالُ هي أساليبٌ بلاغيةٌ أكثرَ من كونِها حُجَجاً لضرباتٍ قاضيةٍ ضدَّ الإيمان. وإحدى الجُمَل المُفضَّلة لدى بارت إيرمان Bart Ehrman يقولُها حين يقرأُ قائمةً ممَّا يُسمِّيه «تناقُضات» في الأناجيل، ثمَّ يُضيفُ دائماً جُملةَ: «يعتمدُ الأمرُ على الإنجيلِ الذي تقرأهُ». وبعد أنْ يقرأَ مجموعةً من المقارناتِ ما بين أحداثٍ متشابهةٍ مُسجَّلةٍ في أناجيلَ مختلفة، مُسلِّطاً الضَّوءَ على التَّضارُبِ المزْعوم ما بين القصَّتين، يستمرُّ في تكبيرِ الأمرِ في

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص210.

(2) رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، أوفير للطباعة والنشر، ط1، 2016م، الأردن، ص65.

ذهنِهِ ليُقنِعَ مستمعيهِ أنَّ البرهانَ غامرٌ وأنَّ القصَصَ متناقضةٌ ولا يمكنُ توافُقُها. من ثمَّ يخلُصُ إلى أنَّهُ يجبُ رفْضُ الشَّهادات بكامِلِها. لكنَّه من غيرِ المعقول ببساطةٍ رفضُ كون حدثٍ ما تاريخياً لأنَّ قصصَ شهود العيان تبدو مختلفة. وأحدُ الأمثلةِ التقليديةِ هو غرَقُ السَّفينةِ تايتانيك Titanic، إذْ قالَ بعضُ شهود العيان إنَّ السَّفينةَ انقسمت قطْعتين قبلَ أنْ تغوص، بينما قالَ شهودُ عيانٍ آخرون إنَّها غاصت قطعةً واحدة. ورغمَ أنَّ الرِّوايتين مختلفتانِ، فإنَّه ما من أحدٍ يخلُصُ إلى أنَّ تايتانيك لم تغْرَق.

عند إلقاءِ نظرةٍ أقربَ على الأناجيل، يمكنُ أنْ يُحَلَّ كثيرٌ ممَّا يُسمَّى «تناقضات» حين نُميِّزُ ما بين تناقُضٍ حقيقيٍّ، وقصَّةٍ لها شكلٌ آخر. فمثلاً، حين يُورِدُ صحفيُّونَ أحداثاً معيَّنة، فهناك تنوُّعٌ في الطُّرُقِ التي يمكنُ بها سرْدُ اللَّحظةِ دون التَّصريح أنَّ هذه القصصَ المتنوِّعة متناقضة. فإنْ ذكرَ تقريرٌ شخصاً مُحدَّداً فقط، وأشارَ الآخرُ إلى العديدِ من الأشخاص، فالأمرُ يعني ببساطةٍ أنَّه كانت للكاتِبَيْنِ أسبابٌ مختلفةٌ لما ذكراهُ، وينطبقُ الأمرُ ذاتُهُ على الأناجيل»[1].

تعليقي على ذلكَ: أنَّ بروكس مُحِقٌّ جزئياً فيما قال، فبعضُ التناقُضات المزْعومة بين الأناجيل، يمكنُ اعتبارُها بمثابةِ «تعارُضات غير مستقرَّة»، سرعانَ ما تزول بالتأمُّل والتَّدقيق، أو على الأقل يمكنُ التوفيقُ بينها. لكن الإنصافُ يقتضي القول إنَّ ثمَّة تعارُضات مستقرَّة، لا تزول بالتأمُّلِ والتَّدقيق، ولا يمكنُ التوفيقُ بينها، وهي من حيثُ العدد ليست بالقليلةِ.

ويرى كثيرٌ من مُفسِّري العهد الجديد أنَّ كلَّ إنجيلٍ من هذه الأناجيل الأربعة خاطبَ فئةً ما، وعرَضَ يسوعَ بصورةٍ معيَّنة، وتناولَ موضوعات رئيسية محدَّدة، واتَّصفَ كاتِبُهُ بصفةٍ ما.

- فالمُخاطبونَ في إنجيلِ متَّى هم اليهود، وصورةُ يسوع هي صورةُ الملِكِ الموعود. حيثُ ركَّزَ هذا الإنجيلُ على أنَّ يسوعَ هو المسيَّا، لأنَّه تمَّمَ نُبوَّات أسفار الأنبياء القديمة، وهو يتصرَّف كالمسيَّا الذي ينتظرُهُ اليهود. كما تناوَلَ عظاتَ يسوع وأقوالَهُ. وصفةُ الكاتبِ كما تبدو من هذا الإنجيلِ هي صفةُ المُعلِّم.
- في حين أنَّ المخاطبينَ في إنجيلِ مِرْقس هم الأُمِيُّونَ والرُّومان، وصورةُ يسوع هي صورةُ خادمِ الله. وقد ركَّزَ هذا الإنجيلُ على تأييدِ يسوع أقوالَهُ بالأعمالِ، حيثُ أظهرَ

(1) رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، ص78 – 79.

عدداً وافراً من الآياتِ وفعَلَ العجائبَ والمعجزات. وصفةُ الكاتبِ كما تبدو من هذا الإنجيلِ هي صفةُ الرِّوائي.

- أما إنجيلُ لوقا، فالمخاطبونَ به هم اليونانيُّون، وصورةُ يسوع هي صورةُ ابنِ الانسان. حيثُ ركَّزَ هذا الإنجيلُ على إبرازِ طبيعة يسوع البشرية. وصفةُ الكاتبِ كما تبدو من هذا الإنجيلِ هي صفةُ المُؤرِّخ.
- وأخيراً إنجيلُ يوحنَّا، المُخاطبونَ به هم المسيحيُّون في كلِّ أرجاء العالَم، وصورةُ يسوع فيه هي صورةُ ابن الله. وركَّزَ هذا الإنجيلُ على فكرةِ أنَّ الايمانَ بيسوع مطلوبٌ للخلاص. وصفةُ الكاتبِ كما تبدو من هذا الإنجيل هي صفةُ اللَّاهوتي[1].

دعونا الآن نتناولُ هذه الأناجيل وأصحابَها بقدْرٍ من التَّفصيل.

الإنجيلُ الأوَّل: إنجيلُ متَّى (= ماثيو) The Gospel According to Matthew

متَّى (لاوي ابن حِلْفي) هو أحدُ تلاميذ يسوع الاثني عشر. وقد كان قبلَ اتِّصالِهِ بيسوع يهوديّاً من جُباةِ الضَّرائب، وكانوا يُسَمَّوْنَ في ذلك العهد «عشَّارين». كان جابياً للرُّومانِ في كفْرَناحوم من أعمالِ الجليل بفلسطين. وكان اليهودُ ينْظرونَ للجِبايةِ نظرةَ ازْدراء، لأنَّها تحمِلُ صاحِبَها على الظُّلْم، أو على الأقلّ تحمِلُهُ على العُنْف، والعملُ فيها مُعينٌ للدَّولةِ الرُّومانيَّةِ المُحتلَّة التي تحكُمُ البلادَ بغيرِ رضا أهلها. ولكن يسوع اختارَهُ تلميذاً من تلاميذِهِ كما جاءَ في الإنجيلِ المنْسوبِ إليه.

ولمَّا رُفِعَ يسوع إلى السَّماء (30م)، يُقالُ إنَّ متَّى جالَ للتَّبشيرِ بالمسيحيَّةِ في بلادٍ كثيرة.

وقيلَ إنَّه ماتَ سنةَ 70م ببلادِ الحبشة، على أثرِ ضرْبٍ مُبرِّحٍ أنزلَهُ به أحدُ أعوان ملِك الحبشة. وفي قولٍ آخرَ أنَّه طُعِنَ في الحبشةِ برُمْحٍ في سنةِ 62م، بعد أنْ قضى بها نحوَ ثلاث وعشرين سنة داعياً إلى المسيحيَّة.

هذا الإنجيلُ يستعرِضُ سيرةَ ومواعِظَ يسوع مع الإشارةِ بين حينٍ وآخر إلى تنبُّؤاتِ أسفار الأنبياء القديمة. وقد انتشَرَ في القرْنِ الثاني انتشاراً كبيراً، خصوصاً أنَّه ينطوي على قصَّةِ ولادةِ يسوع، وأُولئكَ الذين قدِموا إلى بيتِ لحْم للبحْثِ عنه بعدما ظهرت مُؤشِّراتُ ولادتِهِ، ومحاولة الملِكِ قتلَهُ في مهدِهِ، الأمرُ الذي اضطرَّ أمَّهُ مريم إلى الفرارِ به إلى مصْر.

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ج2، 2259.

الطَّابعُ اليهودي في هذا الإنجيلِ واضحٌ جدّاً، حيثُ بدأَ بنِسْبةِ يسوع إلى داودَ وإبراهيم، فـ«ابنُ داود» تعبيرٌ يتخلَّلُ الإنجيلَ كلَّهُ، ويوحي بأنَّه كان في طفولتِهِ مُهدَّداً في حياتِهِ من الملِكِ كموسى. ويظهَرُ على أنَّه كان يستهدفُ في كلامِهِ اليهودَ الذين آمنوا بيسوع بالتَّحديد[1]، لكنَّه في النِّهايةِ يوصي بأنْ تُنشَرَ دعوتُهُ لكلِّ العالَم[2].

ويُؤكِّدُ في هذا الإنجيلِ على جِدَّةِ تعاليمِ يسوع، وأنَّها تتجاوزُ تعاليمَ الشَّريعة الموسويَّة ولكن لا تُناقِضُها[3]، لذا هو جاءَ بالأخلاقِ إلى جانبِ النَّاموس (= القانون) ليتكاملا معاً (بخلافِ تعاليم بولُس وأناجيلَ أخرى التي تنطوي على إشاراتٍ توحي بأنَّه أرادَ التخلِّي عن النَّاموس)، وهذا من أهمِّ ما يُميِّزُ هذا الإنجيل عن غيرِهِ. وكأنَّ هذا الإنجيلَ أرادَ عرْض المسيحيَّة على أنَّها امتدادٌ صادقٌ لليهوديَّةِ، والمُحقِّقة لبشاراتٍ وتنبُّواتِ أسفار الأنبياء.

إنجيلُ متَّى بدأَ روايتَهُ بذكرِ شجَرةِ نسَب يسوع ابن مريم، باعتبارِهِ ابناً لإبراهيم وداود، ثمَّ انتقَلَ إلى قصَّةِ ميلادِهِ، والسَّنواتِ المُبكِّرة من حياتِهِ، مهتمّاً بصفةٍ خاصَّةٍ بزيارةِ المجوس لملِك اليهود[4]. وبعد أنْ وصَفَ هروب أسرة يسوع من هيرودُس الكبير Herod the Great إلى مصْر، وعودَتِها إلى النَّاصرة، انتقَلَ بنا إلى معموديَّتِهِ من يوحنَّا، وإعلان الله أنَّ «هذا هو ابني الحبيب الذي بِهِ سُرِرْتُ»[5]، وبعد هذا نرى يسوع يقاومُ الشَّيطانَ في البرِّية، ثمَّ يعودُ للحياةِ العامة، مبشِّراً أنْ «قد اقترَبَ ملكوتُ السَّموات»[6] ثمَّ يدعو تلاميذَهُ الأوَّلين،

---

(1) خذ على سبيل المثال، العبارات التالية: «هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»». (إنجيل متى 10: 5 ـ 7).
«لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». (إنجيل متى 15: 24).

(2) خذ على سبيل المثال، العبارة التالية: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ» (إنجيل متى 28: 19).

(3) فقد جاء فيه: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ». (إنجيل متى 5: 17 ـ 19).

(4) **إنجيل متى** 2: 1 ـ 12.

(5) **إنجيل متى** 23: 17.

(6) **إنجيل متى** 4: 17.

ويُعلِّمُهُم في «عظَتِهِ على الجبل»[1] وبعد ذلك يسرِدُ إنجيلُ متَّى آيات يسوع، فيذكُرُ شفاءَ المرْضى وإحياءَ الموتى.

لكن دعوةُ يسوع واجهت مقاومةً، والإصحاحاتُ (12 ـ 15) تُؤرِّخُ لأحداثِ الكراهيَّةِ والمضايقات التي وجَّهَها الفريزيُّونَ وغيرُهُم من المؤسَّسة الدِّينيَّة ليسوع. ويُعطينا إنجيلُ متَّى في الإصحاحِ (13) أمثلةَ يسوع عن ملكوتِ الله. أما في الإصحاحاتِ (16 ـ 20)، فيُواصلُ سرْدَ تعاليم يسوع عن الملكوت، وفي ذلك الوقت يتحدَّثُ مع تلاميذِهِ عن موتِهِ وقيامتِهِ (16: 21) اللَّذينِ اقتربا، ويعلِنُ عن نفسِهِ لبُطْرُس ويعقوب ويوحنَّا (17: 1 ـ 5) أنَّه «هو المسيحُ ابنُ اللهِ الحيّ» (16: 16).

وفي نهايةِ دعوتِهِ وبشارتِهِ، يدخُلُ يسوع أورشليم في موكبٍ ظافرٍ (21: 1 ـ 11). لكن سرعانَ ما تزدادُ المقاومة، وتصبحُ وفاتُهُ قريبةً. وهكذا يأخُذ يسوع يُعلِّم تلاميذَهُ عن المستقبل، ماذا يتوقَّعونَ قبلَ عودتِهِ (الإصحاح 24)، وكيف يعيشونَ حتى ذلك الحين (الإصحاح 25).

وفي الإصحاحاتِ الأخيرة (26 ـ 28)، يُركِّز إنجيلُ متَّى على أيَّامِ يسوع الأخيرة على الأرض: العشاء الأخير، الصَّلاة في جَثْسَيْماني، خيانة يهوذا، هروب التلاميذ، إنكار بُطْرُس، المحاكمة أمام قيافا Caiaphas، ثمَّ أمام بيلاطُس البُنْطي Pontius Pilate، كلمات يسوع الأخيرة على الصَّليب، ثمَّ دفنِهِ في قبرٍ مؤقَّت. والقصَّةُ لا تنتهي هنا، لأنَّ يسوع ـ وفقاً لإنجيلِ متَّى ـ قامَ من الأموات، وبعدها أوصى تلاميذَهُ أنْ يستمرُّوا في الدَّعوةِ والبشارةِ التي بدأها، لكن هذه المرَّة يُتلْمِذوا جميعَ الأمم.

طرَحَ هذا الإنجيلُ خمسةَ خُطَبٍ ليسوع، وكأنَّها تُناظِرُ الأسفارَ الخمسة التَّوراتيَّة. كما أبرزَ دورَ اليهود الخطير في التَّحريضِ على قتلِ يسوع، وأنَّهم شُركاءَ أساسيُّونَ في دمِهِ. وحاولَ أيضاً تجذيرَ شرعيَّة تأسيس الكنيسة من يسوع (16: 17 ـ 19)، وهو ما لا تجِدُهُ في إنجيلِ مرقس الذي روى الحادثة نفسها، لذا صارت هذه الفقرات من أهمِّ نقاط الخِلاف بين الكاثوليك والبروتستانت. وحاولَ مجدَّداً تجذير شرعيَّة الكنيسة (18: 17 ـ 18).

وأضافَ إلى قصَّةِ سفينة يسوع التي واجهت الرِّياحَ والأمواجَ المتلاطمة، قصَّة مشي بُطْرُس على الماء، وأنَّه كادَ أنْ يغرَقَ لولا تدخُّل يسوع، ثمَّ سُجودِهِم له، وكأنَّه يُمثِّل لذلك

(1) إنجيل متى 5 ـ 7.

بحالِ الكنيسة (التي تتأسَّست عند قبرِ بُطْرُس)، التي تستلْهِم من يسوع وتستقي منه المدَد (14: 28 ـ 33).

جمهورُ المسيحيِّين ـ تبعاً للفيلسوفِ المسيحي القديم أوغسطين (ت 430م) ـ كان يعتقد أنَّ إنجيلَ متَّى هو أقدَمُ الأناجيلِ تصنيفاً وانتشاراً. ذكَرَ بعضُهُم أنَّه صُنِّفَ بين سنةِ 41 ـ 65م. لكن اليوم أغلبُ المُحقِّقين يرى أنَّ إنجيلَ متَّى كُتِبَ في حدود سنة 80م، أي بعد إنجيل مرْقس، وأنَّ إنجيل مرْقس هو الأقدم[1]، لكن ما زالت قلَّةٌ قليلةٌ منهم تُصِرُّ على أنَّ إنجيلَ متَّى هو الأقدم[2].

يُؤكِّدُ بعضُ المُحقِّقين اليوم، على أنَّ النُّسْخةَ الأصليَّةَ يبدو أنَّها كُتِبَت باليونانيَّة، لأنَّها متماسكةٌ ولا تبدو أنَّها ترجمةٌ لنصٍّ أصلي، وقد يكونُ كاتبُ هذا الإنجيل قد استعانَ بأقوالٍ ليسوع، وصَلَتْهُ بالآراميَّةِ/ العَبْرانيَّة. في حين أنَّ المُحقِّقينَ القدماء كانوا يعتقدونَ أنَّ أصلَهُ كان مكتوباً بالآراميَّة/ العَبْرانيَّة التي كانت لُغةُ فلسطين آنذاك، ثمَّ تُرجِمَ إلى اليونانيَّةِ وغيرها. أما النُّسْخة الأصليَّة الآراميَّة/ العَبْرانيَّة فمفقودةٌ، وأما التَّرجمةُ فلا يُدْرى حالُها، ولا يُعرَفُ مُترجِمَها.

ادَّعى بعضُهُم أنَّ متَّى ربَّما هو ترجمَ إنجيلَهُ بنفسِهِ أو أمَرَ بترجمتِهِ. وقالَ بعضٌ آخرَ إنَّ الذي ترجَمَ هذا الإنجيل من الآراميَّةِ/ العبرانيَّةِ إلى اليونانيَّة هو يوحنَّا، صاحبُ الإنجيل. لكن كلُّ هذه الأقاويل تكهُّنات. القدْرُ المُؤكَّد هو أنَّ أقدَمَ المخطوطات الموجودة بأيدينا هي يونانيَّة، ولا توجدُ نسْخةٌ أُمٌّ لتلكَ المخطوطات.

لكن من ناحيةٍ أخرى، لا يُعرَفُ أصلاً صحَّةَ نسْبة الكتاب إلى متَّى، وكذا الحالُ بالنِّسبةِ

---

(1) يقول رايس بروكس: «يحُدَّد تاريخُهُ عادةً من أواخر سبعينيات إلى ثمانينياتِ القرْن الأول» (**حقيقة المسيح**، ص97).

(2) من أبرزهم Enoch Powell في كتابه The Evolution of the Gospel، وقد ترجم هذا الكتاب لإينوك باول بعنوان **تطوُّر الإنجيل**، قام بالترجمة أحمد إيبش، دار قتيبة، ط1، 2003، دمشق. حيث يقول: «إنَّ الطروحات التي يُقدِّمُها كتابُنا هذا، هي حصيلة دراسة مطوَّلة ومتكرِّرة ومكثَّفة، قُمْنا بها حول النَّص اليوناني لإنجيلِ متَّى، وذلك عن طريقِ تطبيق أساليب النَّقْد الفيلولوجي (دراسة النُّصوص القديمة) والنَّقْد الأدبي على النَّص اليوناني القديم. وكان من النَّتائج الأوَّلية لهذه الدِّراسة، استنتاجٌ افتراضيٌّ بأنَّه من الممكن البرهنة بالدَّليلِ القاطع بأنَّ إنجيل متَّى بشكلِهِ الحاضر الذي نراهُ بين أيدينا اليوم، قد تمَّ استخدامُهُ من قِبَلِ واضعي الإنجيلَيْن الآخرَيْن: مرْقس ولوقا. كما يمكن لنا أنْ نفترضَ أيضاً، بدليلٍ أقلّ قطعية، ولكن بدرجةٍ عاليةٍ من الاحتمال، أنَّ هذين الإنجيلَيْن الآخرين، لم يستندا إلى أيِّ مصْدر، أو مصادر أخرى، ما خلا إنجيل متَّى ذاته». مقدِّمة المؤلِّف، ص49.

إلى بقيَّةِ الأناجيل. دافعَ بعضُهُم قائلاً إنَّ متَّى كان جابياً للضَّرائبِ، والجابي عادةً يحتفظُ بالسِّجلَّات، لأنَّ هذا من أهمِّ واجباتِهِ لتقديمِ الحسابات، لذا فالأرجحُ في نظَرِهِم أنَّ متَّى قد احتفَظَ بأقوالِ يسوع إنجيلِهِ بدقَّة.

في المقابلِ، يرى آخرون أنَّ كاتبَ هذا الإنجيل لا يمكن أنْ يكونَ مجرَّد جابٍ للضَّرائب، بل كان خبيراً بالكتابِ المُقدَّس (أسفار الأنبياء القديمة)، لأنَّه أحالَ إليه كثيراً (في ثلاثةٍ وخمسينَ اقتباساً، وستّاً وسبعينَ إشارة)، لذا استبعدوا أنْ يكون كاتِبَهُ هو متَّى، الذي لم يكن كذلكَ على ما يبدو.

يقولُ العالِم اللَّاهوتي، الأستاذ بالمعهدِ الكاثوليكي بباريس، أ. كولمان: «يُقدَّرُ غالباً أنَّ إنجيلَ متَّى قد كُتِبَ بسوريا وربَّما بأنطاكية (...) أو بفينيقيا. ففي هذه المناطق كان يعيشُ عددٌ كبيرٌ من اليهود (...)، وقد يمكن أنْ نستشفَّ معركةً فكريةً ضدَّ اليهوديَّة المعبديَّة الأورثوذكسيَّة الفريزيَّة، التي ظهرت بالمجتمعِ الكَنَسي اليهودي بجامينا في نحوِ عام 80م، في ظلِّ هذه الظُّروف يكثُرُ عدَدُ الكُتَّاب الذي يُؤرِّخونَ للإنجيلِ الأوَّل بما بين عام 80 ـ 90م، أو بما قبلَ ذلك بقليل، ولا يمكنُ الوصولُ إلى يقينٍ كاملٍ في هذا الموضوع.

ولمَّا كان اسْمُ المؤلِّف غير معروفٍ بالتَّحديد، فالأنسَبُ هو الاكتفاءُ ببعضِ الخطوط المرْسومة في إنجيلِ متَّى نفسِهِ. ومنها: أنَّ الكاتبَ معروفٌ مهنيّاً، وأنَّه متبحِّرٌ في الكُتُبِ المُقدَّسة والتُّراثِ اليهودي، وأنَّه يعرِفُ ويحترمُ رُؤساءَ شعبِهِ اليهود، وإنْ أغلَظَ في خطابِهِ لهم، كما أنَّه أستاذٌ في فنِّ التدريس، وفي إفهامِ قولِ المسيح لمُستمعيهِ، مع تأكيدِهِ الدَّائم على النتائجِ العمليَّة لتعاليمِهِ، وأنَّه يتَّفقُ جيِّداً مع ملامحِ يهوديٍّ مُتأدِّبٍ اعتنَقَ المسيحيَّة، وهو مُعلِّمٌ ماهرٌ «يُخرِجُ من كنزِهِ جديداً وقديماً»، كما يُشيرُ إلى هذا في إنجيلِهِ نفسِهِ (13: 52). وهذه صورةٌ بعيدةٌ كلَّ البُعدِ عن صورةِ المُوظَّف البيروقراطي بكفْرَناحوم الذي يُطلِقُ عليه مرْقس ولُوقا اسْمَ «ليفي»، والذي أصبحَ واحداً من حواريّ المسيح الاثني عشر.

ويتَّفقُ الجميعُ على الاعتقادِ بأنَّ متَّى قد كتَبَ إنجيلَهُ معتمداً على مصادِرَ مشتركة بينَهُ وبين مرْقس ولُوقا. ولكن روايتُهُ تختلف، وفي نقاطٍ جوهريَّة... ومع ذلك، فقد استخدَمَ متَّى بشكلٍ واسعٍ إنجيلَ مرْقس الذي لم يكن أحدُ حواري المسيح»[1].

(1) موريس بوكاي، **القرآن والتوراة والإنجيل**، ص93 ـ 94. وسيأتي الحديث عن الإنجيل Q، وعلاقة الأناجيل المتوافقة فيما بينها.

الآن: من وجهةِ نظر إنجيل متَّى، هل يجبُ الالتزامُ بتعاليمِ التَّوراة؟

الجواب: يبدو نعم، يجبُ على الجميعِ الالتزامُ بها، لأنَّ يسوع لم يأْتِ لينقُضَ الناموسَ أو الأنبياء، بل ليُكمِلَ[1].

الإنجيلُ الثَّاني: إنجيلُ مرْقس (= مارك) The Gospel According to Mark:

هذا الإنجيلُ هو «أوجَزُ» الأناجيلِ الأربعة، بل «أقدَمُها» أيضاً وفقاً لرأي أغلب المُحقِّقين اليوم. وهو أكثرُ الأناجيلِ ترتيباً، أي إنَّ معظمَ الأحداث موضوعةٌ فيه بترتيبٍ زمني.

ومرْقس هذا كان تلميذاً ورفيقاً لبُطْرُس (الذي كان أحد أبرز الحواريِّين)[2]، أما مرْقس نفسُهُ (يقولُ المُؤرِّخون إنَّ اسْمَهُ «يوحنَّا» ولقبَهُ «مرْقس») فلم يكن من الحواريِّين، و«مرْقس» اسمٌ لاتينيٌّ معناهُ «مطْرَقة».

ويُرجَّح أنَّ مرْقس وُلِدَ في أورشليم لأنَّ أمَّهُ سكَنَت هناك، وكانت ذاتَ اعتبارٍ بين المسيحيِّين الأوَّلين، فإنَّ بُطْرُس لمَّا أُطلِقَ من السِّجن ذهبَ إلى بيتِها. كما يُرجَّح أنَّ مرْقس اتَّبَعَ يسوع بواسطةِ بُطْرُس لأنَّه كان يدعوهُ ابنَهُ[3] والمعروفُ أنَّ يسوعَ كان يتردَّدَ في بيتِهِ، وأنَّه في هذا البيتِ أكلَ الفصْحَ مع تلاميذِهِ، وأنَّ التلاميذَ بعد رفعِ يسوع كان يجتمعونَ في بيتِهِ.

ولقد لازَمَ مرْقس خالَهُ برنابا وبولُس في رحلتِهما إلى أنطاكية وتبشيرِهما بالمسيحيَّةِ فيها[4]، ثمَّ تركَهُما بعد ذلك، وعادَ إلى أورشليم. ثمَّ التقى مرَّةً أخرى بخالِهِ، واصطحبَهُ إلى قبرص، ثمَّ افترقا، فذهَبَ إلى شمالِ إفريقيا، ودخَلَ مصْر في منتصَفِ القرْن الأوَّل، فأقامَ بها وأخذَ يدعو إلى المسيحيَّةِ، التي كانت أخبارُها قد سبقَتْهُ إليها.

وقد وجدَ في مصْرَ أرْضاً خصْبةً لقبولِ دعوتِهِ. فاستقرَّ بها إلى أنْ تآمرَ عليه الوثنيُّون فقتلوهُ بعد أنْ سجنوهُ وعذَّبوهُ، وكان ذلك سنة 52م[5].

وقيلَ إنَّ مرْقس كتبَ إنجيلَهُ بإشارةِ بُطْرُس وأمرِهِ، حيثُ يُظنُّ أنَّ مرْقس سجَّلَ ذكريات بُطْرُس قُرْبَ وفاتِهِ في روما تحتَ اضْطهاد نيرون في منتصفِ ستِّينيات القرْن الأول. وذكَرَ

---

(1) **إنجيل متى** 5: 17.
(2) **بُطْرُس** 5: 13.
(3) **قاموس الكتاب المقدس**،853.
(4) **كولوسي** 4: 10. **أعمال الرُّسُل** 12: 25.
(5) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص43.

بعضُهُم أنَّه إنَّما كتَبَ إنجيلَهُ للعشائرِ وأهلِ القُرى، فعرَّفَ يسوع تعريفَ رسولٍ إلهيٍّ مُبلِّغ لشرائعِ الله. ويؤكِّدُ باحثونَ آخرونَ أنَّ هذا الإنجيلَ كُتِبَ إلى المؤمنينَ في روما.

يُركِّزُ هذا الإنجيلُ على لسانِ يسوع على أنَّ الفوزَ الحقيقي ليس في الترؤُّسِ على الناس، بل في خدْمَتِهِم. ولا يذكُر هذا الإنجيلُ عن ميلادِ يسوع، بل يبدأُ مباشرةً بموعظةِ (كرازة) يوحنَّا المعمدان John the Baptist، ثمَّ يمُرُّ مروراً سريعاً بمعموديَّةِ يسوع، وتجربتِهِ في البرِّية، ودعوتِهِ للتلاميذ. ثمَّ يدخُلُ إلى دعوتِهِ العامَّة، فترى يسوعَ يُواجِهُ شيطاناً، ويُشْفي أبرَصَ، ويغفرُ للرَّجُلِ المشلولِ ويشْفيهِ.

ثمَّ يدعو يسوعُ متَّى ويتناولُ الطَّعامَ معه ومع رفقائِهِ الذين نبذَهُم المجتمع. وقد أثارت هذه الحادثةُ النِّزاعَ مع الفريزيِّين وغيرِهِم من القادةِ الدِّينيِّين الذين أدانوهُ لأكلِهِ مع الخُطاةِ والعشَّارين، ولكسْرِهِ الوصيَّةَ بعدَمِ العملِ يومَ السَّبت.

ويقفُ هذا الإنجيلُ قليلاً في الإصحاحِ الرَّابعِ ليُقدِّمَ عيِّنةً من تعليمِ يسوع، مَثَل الزَّارع، ومَثَل حبَّة الخرْدل، ثمَّ يعودُ بسرعةٍ إلى أعمالِ يسوع، حيثُ يُسكِتُ الأمواجَ ويطرُدُ شياطينَ ويُقيمُ ابنةَ يايرس. وبعد عودتِهِ إلى الناصرةِ لبضعةِ أيَّام، ورفضِ أهلِ بلدتِهِ له، يُرسِلُ تلاميذَهُ للتَّبشير. واشتدَّت مقاومةُ هيرودُس والفريزيِّين، وقُطِعَت رأسُ يوحنَّا المعمدان، ولكن يسوع ظلَّ ينتقِلُ من مكانٍ إلى آخرَ يصنَعُ خيراً، حيثُ أطعَمَ الخمسةَ الآلاف ووصَلَ إلى امرأةِ صرفة صيدا، وشفى الرَّجُلَ الأصمَّ، وأطعَمَ الأربعة الآلاف.

وأخيراً جاءَ الوقتُ ليُعلِنَ التلاميذُ حقيقةَ شخصِهِ، فهل عرفوا حقيقةً من هو؟ لقد أعلَنَ بُطْرُس أنَّه المسيح، ولكن سرعانَ ما أثبَتَ أنَّه لم يفهم رسالةَ المسيح.

وبعد حادثةِ التجلِّي، استمرَّ يسوع يُعلِّمُ ويشْفي ويُواجِهُ الفريزيِّين في موضوعِ الطَّلاق، والشَّابِّ الغني في موضوعِ الحياة الأبدية، ويُشْفي برتيماوس الأعمى.

ثمَّ تُسرِعُ الأحداثُ إلى ذرْوتِها، فيروي لنا أحداثَ العشاء الأخير، وخيانةَ يهوذا، والصَّلْب، والقيامة، وبعض أمثلة أخرى من تعاليمِ يسوع. وهكذا يرْسِمُ لنا الإنجيلُ صورةً للمسيحِ متنقِّلاً خادِماً باذلاً ومُخلِصاً.

الطَّابعُ العامُّ لهذا الإنجيل، أنَّه يحكي الآياتَ التي قامَ بها يسوع أكثرَ ممَّا تحكي بقيَّةُ الأناجيل (يحكي 18 آية)، وتوصيتَهُ المستمرَّةَ بأنْ تبقى هذه الآية غير مُعلَنة، إلا أنَّ من رآها يُعلِنُها وينْشُرُها بعد ذلك. وكذلك كونَهُ هو المسيح المنتظر الذي بشَّرَت به نبوءاتُ الأنبياء

السَّابقين، ربَّما لكونِها تحدَّثت عن تمكينِهِ في الأرض، لكن كان هو يتحدَّث عمَّا سيُعانيهِ من الملاحقةِ والاضطهادِ والقتل، حتى يُهَيِّئَ أتباعَهُ فلا يصابونَ بصدْمةٍ لما سيجري عليه.

ويحتوي هذا الإنجيلُ على أربعةِ أمثالٍ فقط من أمثالِ يسوع، ويُسجِّلُ لنا خطاباً واحداً طويلاً من خطاباتِهِ ومواعظِهِ. لذا فهذا الإنجيلُ يهتمُّ باستعراضِ أفعالِ يسوع أكثرَ من اهتمامِهِ باستعراضِ أقوالِهِ.

وكيف كان، فقد كُتِبَ هذا الإنجيل - كما يُقالُ - باليونانيَّةِ سنةَ 61م، أو بعدَ ذلك بأربع أو خمس سنوات، على اختلافِ تقادير الباحثين[1].

ويُرجِّحُ عددٌ من الباحثين أنَّ هذا الإنجيلَ كُتِبَ قُبيل سنة 70م في منطقةِ الجليل، لأنَّه تنبَّأَ على لسانِ يسوع بأنَّه لن يبْقَ للهيكلِ حجرٌ على حجر، وأنَّ على أتباعِهِ أنْ ينتظروهُ في الجليل. ويُرجِّحُ باحثونَ آخرون أنَّ هذا الإنجيلَ قد كُتِبَ من روما، لأنَّه يتوجَّهُ بالخطابِ إلى مسيحيِّينَ لا يعيشونَ بفلسطين، ويعتني بشرْحِ التَّعبيرات الآرامية التي يستخدِمُها في حديثِهِ إليهم.

إلا أنَّ الباحثينَ المتأخِّرين يُشكِّكونَ بقوَّةٍ في الفقراتِ الاثنتي عشرة الأخيرة من الإصحاحِ الأخير السَّادس عشر، ابتداءً من الفقرةِ 9 إلى آخرِ الإصحاح، بأنَّها أُضيفت بعد ذلك من كاتبٍ آخر، غير كاتب الإنجيل الأصلي، لأنَّها غيرُ موجودةٍ في أقدمِ المخطوطات، كالمخطوطةِ السِّينائية ومخطوطة الفاتيكان، اللَّذين يرجع تاريخُهُما إلى القرْنِ الرَّابع.

أما كون كاتب هذا الإنجيل هو مرْقس، فمحلُّ شكٍّ أيضاً. إنَّ قلَّةَ المعلومات الخاصَّة بهذه النُّقطة قد قادت المُعلِّقين إلى أنْ يعتمدوا على تفاصيلَ تبدو وهميَّة على أنَّها عناصرَ ذات قيمة، ومنها ما يلي: بحُجَّةِ أنَّ مرْقس هو المُبشِّر الوحيد الذي ذكَرَ في روايتِهِ عن آلامِ المسيح حادثةَ شابٍّ كان يلبسُ إزاراً على عُرْيِهِ، وترَكَ الإزارَ وهرَبَ عُريانَ عندما شرَعَ في الإمساكِ به (14: 51 - 52)، استنتجَ البعضُ أنَّ هذا الشَّابَّ قد يكونُ مرْقس. فالتذكُّر الشَّخصي المحدَّد لهذه الحادثة، وترْك الشَّابّ مجهولَ الهوية، يُؤيِّدُ أنَّ صاحبَهُ كان شاهداً مُعايناً[2].

---

(1) كتبَ رايس بروكس: «أوَّلُ إنجيلٍ كُتِبَ كان إنجيلُ مرْقس، والذي يُؤرَّخُ عادةً إلى ما بين 60 - 70م» (**حقيقة المسيح**، ص66).

(2) موريس بوكاي، **القرآن والتوراة والإنجيل**، نقلاً عن كولمان، ص97.

الآن: من وجهةِ نظر كاتِب إنجيل مرْقس، هل يجبُ الالتزامُ بتعاليمِ التَّوراة؟

الجواب: عموماً، نعم كما يبدو، لكن يسوع أجرى تعديلات على تلك التَّعاليم.

الإنجيلُ الثَّالث: إنجيلُ لُوقا (= لوك) The Gospel According to Luke:

لوقا هذا هو طبيبٌ يونانيٌّ من المسيحيِّين الأُمميِّين، أي ليس من أصلٍ يهوديّ، وهو الأُمميُّ الوحيد من كتَبةِ الأناجيل الأربعة. لم يكن حواريّاً، ولا رأى المسيح، وإنَّما تلقَّنَ المسيحيَّةَ من بولُس الذي كان صديقاً حميماً له، ورفيقاً له في السَّفَر. ففي رسالتِهِ إلى كولوسي يقول: «ويُسلِّمُ عليكم لُوقا الطَّبيبُ الحبيب»[1]، وفي رسالتِهِ الثانية إلى أهلِ تيموثاوس يقول: «لُوقا وحدَهُ معي»[2].

كاتبُ هذا الإنجيلِ هو ذاتُهُ كاتبُ سِفْر أعمال الرُّسُل، كما هو رأي معظمُ الباحثين، لذا فالسِّفْرانِ متكاملان. وكأنَّ سِفْر أعمال الرُّسُل يبدأُ من حيثُ ينتهي إنجيلُ لُوقا. كما أنَّ للرُّوحِ القُدُسِ حضورٌ قويٌّ في إنجيلِ لوقا وفي أعمالِ الرُّسُلِ على السَّواء. كتَبَ إيرينايوس: «سجَّلَ لوقا تعاليمَ بولُسَ بعد موتِ بُطْرُس وبولُس، وكُتِبَ بعد متَّى العِبْري، ونحو وقتِ كتابةِ مرْقس، وقبلَ يوحنَّا». ويُسجِّلُ إيرينايوس أيضاً أنَّ لوقا كتَبَ سِفْرَ الأعمال وسافرَ مع بولُس[3].

وحسَب الأخبار القديمة، أنَّ لُوقا وُلِدَ في أنطاكية سوريا. وشكَّكَ آخرون بذلك، ورأوا أنَّ هذا القولَ ناتجٌ من اشتباهِهِ بلوكيوس، ومالوا إلى القولِ بأنَّه كان رومانياً نشأَ بإيطاليا. وسواءٌ أصحَّت روايةُ ولادتِهِ في أنطاكية أم لا، فإنَّ اهتمامَ لُوقا بكنيسةِ أنطاكية ظاهرٌ بطريقةٍ جليَّةٍ في سِفْرِ أعمال الرُّسُل. على أنَّ زمنَ موتِهِ وكيفيَّتَهُ لا يعرِفُ أحدٌ عنْهُما شيئاً، إلا أنَّ هناك تقليداً يذكُرُ أنَّه ماتَ في بثينية (أو بيوتيا Boeotia) في سنٍّ متقدِّمة.

اتَّفَقَ الباحثونَ على أنَّ هذا الإنجيلَ كُتِبَ باليونانيَّة، بلُغةٍ كلاسيكيةٍ راقية، تخلو من الأخطاءِ اللُّغوية، إلا أنَّهم اختلفوا في الجمهورِ الذي كُتِبَ له، فقال بعضُهُم إنَّه كُتِبَ لليونان، وقال آخرون إنَّه كُتِبَ للرُّومان (واستشهدوا بالعباراتِ الأولى منه المُوجَّهة

(1) رسالة بولُس إلى كولوسي 4: 14.
(2) رسالة بولُس الثانية إلى أهل تيموثاوس 4: 11.
(3) رايس بروكس، حقيقة المسيح، ص68.

إلى ثاوفيلس الرُّوماني)[1]، وقالَ بعضٌ ثالثٌ إنَّه كُتِبَ للمصْريِّين (لأنَّ ثاوفيلس كان في نظرِهِم مصْرياً).

وقد صرَّحَ جمْعٌ بأنَّ إنجيل لوقا ليس كتاباً إلهامياً كسائرِ الأناجيل، كما يدُلُّ عليه ما وقعَ في مبتدإِ إنجيلِهِ. ويذهبُ هؤلاء إلى أنَّ لوقا استقى كثيراً ممَّا كتبَهُ، وبخاصَّة عن ولادةِ يسوع وزيارتِهِ للهيكلِ في سنِّ الثانية عشرة، من مريمَ العذْراء نفسِها.

كما اختلفَ الباحثونَ في سنةِ كتابةِ هذا الإنجيل، فبعضُهُم ذهبَ إلى أنَّه كُتِبَ قبلَ خراب أورشليم وقبلَ الأعمال، في قيصرية بفلسطين، مدَّة أسْر بولُس سنة 58 ـ 60م. وذهبَ آخرونَ إلى أنَّ لُوقا كتَبَ إنجيلَهُ بعد كتابةِ إنجيلِ مِرْقِس، وذلك بعد موتِ بُطْرُس وبولُس، والشَّاهدُ على ذلكَ هو ما تنبَّأَ به من دمارِ الهيكلِ في أورشليم[2]، الذي وقعَ سنة 70م، بتفصيلٍ يتجاوز تفصيل إنجيل مرْقِس. كما يرون أنَّ لُوقا قد استعانَ بـ إنجيلِ مرْقس وإنجيلِ متَّى[3].

يستعرضُ هذا الإنجيلُ سيرةَ ومواعظَ يسوع بنحوٍ أشمل من بقيَّةِ الأناجيل. تبدأُ قصَّةُ لُوقا بالملاكِ الذي ظهَرَ لزكريا يُبشِّرهُ بمولدِ يوحنَّا، ولمريمَ العذْراء يُبشِّرُها بولادةِ المسيح. فمن زكريا وأليصابات يولدُ يوحنَّا الذي يُمهِّدُ الطَّريقَ أمامَ المسيح.

وبعد ولادةِ المسيح بزمنٍ قصير، يُصدِرُ القيْصرُ أوغسطُس مرْسوماً يقضي بإحصاءِ

---

(1) ورد في مطلع هذا الإنجيل: «إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ». وفي ترجماتٍ أخرى بدل «أيُّها العزيز»: «يا صاحبَ السُّمو». لذا قيل: لعلَّه كانَ رومانيّاً وصاحب منصب كبير، تتطلَّب مخاطبته بهذا التعبير الذي لم يتَّبعه المسيحيُّون عادةً مع بعضهم البعض.
ويعتقد آخرون أنَّه كان محامياً تدخَّلَ للدِّفاع عن بولُس في روما، وأنَّ لوقا أرسلَ إليه هذين السِّفرين (الإنجيل وأعمال الرُّسُل) ليكسبه أولاً للمسيحيَّة، وليعطيه ثانياً مادَّةً للدِّفاع.
واعتقدَ بعضُهُم أنَّه شيخٌ اشتركَ في إرسالِ رسالة من الكورنثيين إلى بولُس.
ولكن هذه النظريات كلُّها تفتقرُ إلى الدَّليل. انظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص233 ـ 234.

(2) **إنجيل لوقا** 21: 20 ـ 24.

(3) كتب رايس بروكس: «تساعد أجزاء عديدةٌ من البرهان الداخلي في تحديدِ كتابة الإنجيل وسفر الأعمال في سبعينيات القرن الأول» (**حقيقة المسيح**، ص68 ـ 69). ثمَّ يذكُر بعض الشواهد الدالة على أنَّ هذا الإنجيل لم يُكتَب قبلَ هذا التاريخ.

سُكَّان الإمبراطورية. لذا سافَرَ يوسُفُ وخطيبتُهُ مريم إلى بيتِ لحم، حيثُ وُلِدَ الطِّفلُ يسوع هناك. وقد أعلنَت الملائكةُ بُشْرى الحدث إلى الرُّعاةِ الذين أسرعوا إلى المِذْوَد[1]، ثمَّ عادوا وهم يُمجِّدونَ اللهَ ويُسبِّحونَهُ وينْشُرونَ الخَبَرَ. وبعد ثمانيةِ أيَّام من ولادةِ يسوع جيءَ به ليُختَن، ويُكرَّسَ للهِ في الهيكل، وهناك أعلَنَ سِمْعان وحنَّة النبيَّة عنه بوصفِهِ هو المسيح المُخلِّص.

ويُقدِّمُ لُوقا لمحةً عن يسوع في سنِّ الثانيةَ عشرة، وهو يتناقشُ مع مُعلِّمي الشَّريعة في الهيكلِ حول الأمور اللَّاهوتية[2]. أما الحدَثُ التالي بعد ذلك، فقد تمَّ بعد ثمانيةَ عشرَ عاماً من ذلك، حيثُ نقرأ أنَّ يوحنَّا المعْمَدان كان يعِظُ (يكرز) في البرِّية. وجاءَ يسوعُ إلى يوحنَّا ليتعمَّدَ منه قبلَ أنْ يبدأَ في الصَّدْعِ بدعوتِهِ[3]. وعند هذه النقطة يتتبَّع لُوقا شجرةَ نسَب يسوع من جهةِ يوسُف النجَّار، مروراً بداود وإبراهيم، حتى آدم، مؤكِّداً على شخصيَّةِ يسوع كابنِ الإنسان.

وبعد التَّجربة في برِّيةِ اليهودية[4]، يعودُ يسوعُ إلى الجليل، ومن هناك يبدأ يكرز (يعِظ ويدعو)، ويُعلِّم ويشْفي المرضى[5]. وفي هذه الأثناء اختارَ لنفسِهِ مجموعةً من اثني عشَرَ تلميذاً، فدعا بُطْرُس ويعقوب ويوحنَّا[6]، ومتَّى[7]، وفيما بعد أرسَلَ يسوع تلاميذَهُ الاثني عشر ليُبشِّروا بملكوتِ الله. وعندما عادوا إليه، أوضَحَ لهم رسالتَهُ، وأعلَنَ لهم شخصَهُ الحقيقي، ومغزى أنْ يكونوا تلاميذَ له[8]. ومن أجلِ رسالتِهِ، كان عليه أنْ يذهبَ إلى أورشليم[9]، حيث يرْفُضونَهُ ويُحاكمونَهُ ويصْلبونَهُ.

وبينما كان يُحمَلُ صليبُهُ إلى الجُلْجُثة (بالعِبْرية، الجُمْجُمة بالعربية)، بكَت عليه بعضُ

(1) المِذْوَد: مكانٌ يوضعُ فيه علفُ الدَّواب. وقيل إنَّه وُلِدَ في إسْطَبْلٍ في كهف، أو يشبه الكهف.
(2) إنجيل لوقا 2: 41 ـ 52.
(3) إنجيل لوقا 3: 1 ـ 38.
(4) إنجيل لوقا 4: 1 ـ 13.
(5) إنجيل لوقا 4: 14 ـ 38.
(6) إنجيل لوقا 5: 1 ـ 10.
(7) إنجيل لوقا 5: 27 ـ 29.
(8) إنجيل لوقا 9: 18 ـ 62.
(9) إنجيل لوقا 9: 51 ـ 53.

النِّساء، فقالَ لهُنَّ: «لا تبكينَ عليَّ، بل ابكينَ على أنفُسِكُنَّ، وعلى أولادِكُنَّ»[1]، إلا أنَّ إنجيلَ لُوقا لا ينتهي نهايةً حزينة، لكنَّه يختم بوصفِ قيامة المسيح من الأموات، وظهورِهِ لتلاميذِهِ، ووعدِهِ بإرسالِ ما وعدَ الله[2].

ومن المفارقات التي لفتَت نظَر الباحثين، أنَّا نرى في إنجيلِ متَّى أنَّ يسوع عندما ظهَرَ بعد قيامتِهِ في الجليلِ طلَبَ من الحواريِّين البقاءَ فيها، في حين نرى في إنجيلِ لُوقا أنَّه بعد قيامِهِ ظهَرَ في أورشليم وطلَبَ من الحواريِّين البقاءَ فيها!

مؤلِّفُ هذا الإنجيلِ كان حريصاً على أنْ يُظهِرَ يسوع قد أدَّى كلَّ الأحكام الإلزامية عند اليهود، كالختانِ وتقديمِ ذبيحةٍ عند ولادتِهِ[3]، فهذا الإنجيلُ هو الوحيدُ الذي ذكرَ ذلك. كما ذكرَ ذهابَ يسوع إلى المجْمَع كلَّ سبْتٍ[4].

كما يوحي الإنجيلُ أنَّ يسوعَ قد جاءَ بذلك لتعبيدِ الطَّريقِ لتلاميذِهِ لعولمةِ المسيحيَّة، وهذا ما كان مرفوضاً من اليهود أشدَّ الرَّفض، لأنَّهم يعتبرون أنفُسَهُم هم شعبُ اللهِ المختار. وهذه المحاولات نجِدُها بذاتِها في أعمالِ الرُّسُل لتفسيرِ عولمة المسيحيَّة. فكأنَّ رفض اليهود ليسوع، مهَّدَ الطَّريقَ لتلكَ العولمة بأمرٍ من الرُّوحِ القُدُس، ابتداءً من أورشليم فالسَّامرة ثمَّ إلى أقصى الأرض.

ما يريدُ لُوقا تمريرَهُ في إنجيلِهِ وأعمالِ الرُّسُل - كما يبدو - أنَّ يسوعَ كان نبيّاً لليهود في بادئ الأمر، لكن اليهودُ قد اعتادوا على الجُحُودِ بالأنبياءِ ورفضِهِم، ومن يجْحَد ويرفُض يُستبدَلَ بغيرِهِ، وها هُم قد استُبْدِلُوا بالأُمميِّين الذين آمنوا برسالةِ يسوع. هذه رسالةٌ مركزيةٌ - كما يبدو - بالنِّسبةِ إليه. كما أنَّ أورشليم بالنِّسبةِ للُوقا هي مركزُ الانطلاق، وليس الجليل.

الأمرُ المُلْفتُ أنَّا نجدُ إنجيلَ لُوقا يطرَحُ موتَ يسوع على أنَّه شهادةُ نبيٍّ، بخلافِ إنجيل متَّى وإنجيل مرْقس، فقد طُرِحَ موتُهُ على أنَّه فداءٌ لذُنوبِ البشر.

الآن: من وجهة نظَر كاتب إنجيل لوقا، هل يجبُ الالتزامُ بتعاليمِ التَّوراة؟

---

(1) **إنجيل لوقا** 23: 28.
(2) **إنجيل لوقا** 24: 1 - 53.
(3) **إنجيل لوقا** 2: 21 - 24.
(4) **إنجيل لوقا** 4: 16.

الجواب: على ما يبدو، يجبُ على اليهودِ فقط الالتزامُ بها، لأنَّهُم ملتزمونَ بعهدٍ مع الله. أما غيرُ اليهود، فلا يجبُ عليهم الالتزامُ بتلك التعاليم، وإنَّما بتعاليمِ يسوع الأخلاقيَّة. بخلافِ بولُس الذي رأى أنَّ على غير اليهود من أتباعِ يسوع أنْ لا يلتزموا بتعاليمِ التَّوراة، لأنَّها جاءت كعقابٍ لبني إسرائيل، وهم غير معنيِّينَ بها. فإنْ كان لُوقا يرى «عدمَ وجوب الالتزام» بها عليهم، فإنَّ بولُس يكاد أنْ يرى «وجوبَ عدم الالتزام» بها عليهم. بل كان يدعو حتى اليهود المُتنصِّرين إلى عدمِ الالتزام بها، لأنَّها باتت عهداً قديماً، وها نحنُ قد دخلْنا بعد يسوع في عهدٍ جديد. لذا اصْطدَمَ بولُس بكلٍّ من اليهود وتلاميذ يسوع معاً.

ملاحظة مهمَّة: تُسمَّى هذه الأناجيل الثلاثة: متَّى، مرْقس، لُوقا بـ «الأناجيل التوافقيَّة» أو «الأناجيل الإزائيَّة» Synoptic Gospels، ومعنى Synoptic أنَّها تُرى معاً بنحوٍ متزامن، لأنَّها تتوافقُ كثيراً في الأحداثِ والتعاليم التي نقلَت عن يسوع، بل أحياناً نجدُ الجُمَل والعبارات نفسها تتطابقُ في الأناجيلِ الثلاثةِ هذه.

الإنجيلُ الرَّابع: إنجيلُ يوحنَّا (= جون) The Gospel According to John:

وهو أحدثُ سِفْرٍ لمواعظِ المسيح وسيرتِهِ، وفيه تأكيدٌ على أُلوهيَّتِهِ. وقد ذكرَ كثيرٌ من المسيحيِّينَ أنَّ يوحنَّا هذا هو يوحنَّا بن زَبْدي الصيَّاد، أخو يعقوب والمدْعو «ابنُ رعد»، وهو أحدُ التلاميذ الاثني عشر، وكان يسوع (كما يدَّعون) يُحبُّهُ، حتى إنَّه استودَعَهُ والدتَهُ وهو فوقَ الصَّليب[1]. وقد نُفِيَ في أيَّام الاضْطهاد الأولى، ثمَّ عادَ إلى أَفَسُس، ولبَثَ يُبشِّرُ فيها، حتى تُوفِّيَ شيخاً هرِماً.

وذكروا أنَّ شيرينطوس وأبيسون وجماعتَهُما، لمَّا كانوا يرونَ أنَّ يسوعَ ليس إلا إنساناً مخلوقاً، لا يسبِقُ وجودُهُ وجودَ أُمِّهِ، اجتمعت أساقفةُ آسيا وغيرُهُم في سنةِ 96م عند يوحنَّا، والتمسوا منه أنْ يكتُبَ لهم ما لم يكتُبُهُ الآخرونَ في أناجيلِهِم، ويُبيِّنَ بنوعٍ خصوصي لاهوتَ يسوع، فلم يسَعْهُ أنْ يُنكِرَ إجابةَ طلبِهِم.

---

(1) جاء في إنجيل يوحنَّا (19: 25 ـ 27) أنَّ يسوع كان قد أوصى (عندما كان مصلوباً) تلميذَهُ الحبيب بأُمِّهِ، وأُمَّهِ بتلميذِهِ الحبيب. وقد استنتجَ بعضُ المحقِّقين من ذلك أنَّ المقصودَ من التلميذِ الحبيبِ هو يوحنَّا، وأنَّه لم يذكر اسمَهُ في إنجيلِهِ تواضعاً. إلا أنَّ بعضهم الآخر (مثل جيمس د. طابور) يؤكد على أنَّ المقصودَ بالتلميذِ الحبيب هو يعقوب الصدِّيق (أو جيمس البار)، الذي خلَفَ يسوع في القيادة.

وهناك اتِّفاقٌ حالياً على أنَّ هذا الإنجيلَ كُتِبَ بعد خرابِ أورشليم سنة 70م، لكن اختلفت كلماتُهُم في السَّنةِ التي أُلِّفَ فيها، فمن قائلٍ إنَّها سنة 96، وقائلٍ إنَّها سنة 98م[1].

وقالَ جمْعٌ منهم إنَّه ليس من تأليفِ يوحنَّا التِّلميذ؛ فذهبَ بعضُهُم إلى أنَّه تأليفُ طالبٍ من طلبةِ المدرسةِ الإسْكندرية. وذهبَ بعضٌ آخر إلى أنَّ هذا الإنجيلَ كلَّهُ - وكذا رسائل يوحنَّا - ليست من تصنيفِهِ، بل إنَّما صنَّفَهُ بعضُهُم في ابتداءِ القرْن الثاني، ونسبَهُ إلى يوحنَّا ليعتبرَهُ الناس. وكانت فرقةُ لوجين في القرْنِ الثاني تُنكِرُ هذا الإنجيل وجميعَ ما أُسنِدَ إلى يوحنَّا. وحاولَ البعضُ في المقابلِ الدِّفاع، وأصرُّوا على أنَّ مؤلِّفَ هذا الإنجيلِ هو يوحنَّا، واستشْهدوا على ذلك بأنَّ يوحنَّا ذكَرَ نفسَهُ مباشرةً بوصفِهِ شاهد عِيانٍ (يوحنا 19: 35)[2].

وقالَ بعضُ الباحثين إنَّ هذا الإنجيلَ كُتِبَ إلى المسيحيِّين الجُدُد، والباحثين من غيرِ المسيحيِّين. وإنَّ الغرَضَ الأساسَ من كتابتِهِ بيانُ أنَّ يسوعَ المسيح هو ابنُ الله، وأنَّ كلَّ من يؤمنُ به سينالُ الحياةَ الأبدية[3].

ويختلفُ إنجيلُ يوحنَّا عن بقيَّةِ الأناجيلِ الثلاثة بفوارِقَ كثيرة. فهو يختلفُ عن بقيَّةِ الأناجيل في عالَمِهِ الفكري والكلامي، في أُسلوبِهِ، في ألفاظِهِ، خصوصاً من الإصحاحِ الأوَّل إلى الثالث. فابتداءً من السَّطرِ الأوَّلِ من الإصحاحِ الأوَّل، إلى الفقرة 14، تجِدُهُ

---

(1) كتبَ رايس بروكس: «كُتِبَ إنجيلُ يوحنَّا مع نهاياتِ القرْن الأوَّل» (**حقيقة المسيح**، ص70).

(2) رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، ص69. والفقرة المقصودة هي التالية: «وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ، وَشَهَادَتُهُ حَقٌّ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ».

(3) ينقُل محمَّد أبو زُهْرة عن دائرةِ المعارف البريطانية ما نصُّه: «أما إنجيلُ يوحنَّا، فإنَّه لا مِرْيةَ ولا شكَّ كتابٌ مُزوَّر، أرادَ صاحبُهُ مضادَّةَ اثنينِ من التلاميذ بعضهما لبعض، وهما القدِّيسان يوحنَّا ومتَّى. وقد ادَّعى هذا الكاتِبُ المُزوِّر في متْنِ الكتاب أنَّه هو التلميذ الذي يُحبُّهُ يسوع، فأخذت الكنيسةُ هذه الجملةَ على علَّاتِها، وجزَمَت بأنَّ الكاتبَ هو يوحنَّا التلميذ، ووضعَت اسْمَهُ على الكتابِ نصّاً، مع أنَّ صاحبَهُ غير يوحنَّا يقيناً. ولا يخرُجُ هذا الكتابُ عن كونِهِ مثل بعض كُتُب التوراة التي لا رابطةَ بينها وبين من نُسِبَت إليه. وإنَّا لنرأفُ ونُشْفِقُ على الذين يبذُلونَ منتهى جُهدِهِم ليربطوا - ولو بأوهى رابطة - ذلك الفلْسفي الذي ألَّفَ هذا الكتابَ في الجيلِ الثاني، بالتلميذِ يوحنَّا صيَّادِ الجليل، فإنَّ أعمالَهُم تضيعُ عليهم سُدى لخبْطِهِم على غيرِ هدى». محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، 46 - 47.

أقول: عند مراجعتي لدائرةِ المعارف المذكورة لم أجد شيئاً ممَّا ذكره (حيث لم يُوثِّق الموضع الذي اقتبسه من هذه الموسوعة)، على الأقل لم أجد شيئاً من هذا القبيل في الموضع التالي منها:

The New Encyclopedia Britannica, 1982, U.S.A, Vol 2, p 955 - 956.

مشحوناً بالإيحاءاتِ الكلامية[1]. وفكرةُ أنَّ المسيحَ هو ابنُ الله تجِدُها تتكرَّر بنحوٍ يتجاوزُ كثيراً بقيَّةَ الأناجيل، وأنَّ ليسوع وجوداً قبلَ ميلادِهِ[2].

أيضاً تجدُ الثُّنائيةَ الحِدِّيةَ والرُّوحَ المذْهبيةَ في إنجيلِ يوحنَّا جليَّةً واضحة؛ نورٌ وظلام، سماءٌ وأرض، حبٌّ وبُغْض، حزْنٌ وفرَح... ولا توجدُ مناطقَ رمادية.

كما تجدُ أنَّ حوارات يسوع فيه مُطوَّلة، بخلافِ بقيَّة الأناجيل. وتبرُزُ فيه بوضوح فكرةَ أنَّ العالَمَ كارهٌ ومبغضٌ ليسوع وأتباعِهِ[3].

كما نجدُ أنَّ دورَ يسوع مع يوحنَّا المعْمَدان يتزامنانِ معاً، بخلافِ بقيَّة الأناجيل، حيثُ يبدأُ دورُ يسوع بعد اعتقالِ يوحنَّا المعْمَدان أو قتلِهِ.

أيضاً نلاحظُ أنَّ قصَّةَ دخول يسوع إلى الهيكلِ وتهجُّمِهِ على الباعةِ والصَّيارفة، ذُكِرَت في الإصحاحِ الثاني منه (13 – 25)، أي في بداياتِهِ، بخلافِ بقيَّة الأناجيل التي تتحدَّث عن وجودِ يسوع في الجليل وما حولَها، ثمَّ انتقالِهِ إلى أورشليم في الأسبوعِ الأخيرِ من مقتلِهِ، وخلالها جرت حادثةُ دخولِهِ إلى الهيكل واصطدامِهِ مع الباعةِ والصَّيارفة.

كما نلاحظُ أنَّ مدَّةَ انشغالِ يسوع بالدَّعوةِ والتَّبليغِ تُقدَّرُ في الأناجيلِ الثلاثةِ بسنةٍ واحدة، على أساسِ مرور عيدِ فصْحٍ واحدٍ خلالَها، بخلافِ إنجيل يوحنَّا، الذي يتحدَّثُ عن مرورِ عيد الفصْح ثلاث مرَّات (2: 23)، (6: 4)، (13: 1). لذا استنتجت الكنائسُ أنَّ

---

(1) هذه هي الفقرات فتأمل بها: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ.
كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. هذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً».

(2) **إنجيل يوحنا** 8: 58.

(3) والمُلْفت أنَّه يستخدمُ عادةً لأفعالِ المسيح الخارقة لفْظَ «الآيات»، بدل «المعجزات» أو «الأعاجيب». ولم يتسنَّ لي التأكُّد فيما إذا كان هذا الفرْقُ موجوداً في النُّسَخِ العربيَّة فقط، أم إنَّه موجودٌ في المخطوطاتِ الأصليَّة أيضاً.

مدَّةَ انشغالِ يسوع بالدَّعوةِ والتَّبليغ، على ضوءِ هذا التَّكرار في إنجيلِ يوحنَّا، ثلاث سنوات. وقدَّروا صلب المسيح في الثالثةِ والثلاثينَ من عُمُرِهِ، بعدما بدأَ دعوتَهُ في سنِّ الثلاثين.

ومن الأمورِ المُلْفتة في هذا الإنجيل، عدمُ ذكرِ الإفخارِسْتِيَّا (حادثة التَّناول أي كسْر الخبز والشُّرب من الكأسِ)، وبدلاً منها ذُكِرَ في إنجيل يوحنَّا حادثةُ غسْل يسوع لأرجُلِ التلاميذ، التي لا نجدُها في بقيَّةِ الأناجيل الثلاثة. ثمَّ جاءت الكنائسُ وجمَعَت طقوسَ هذه الأناجيل، وأخذت بها جميعاً!

أما سرْدُ كيفيَّةِ اعتقال يسوع، فلا تبدو واقعيَّةً ومتَّسقة، بخلافِ بقيَّة الأناجيل.

أما فيما يتعلَّق بأحداثِ التَّحقيق بعد اعتقالِ يسوع، فبقيَّةُ الأناجيل تكادُ لا تذكُرُ أنَّ يسوعَ قد تكلَّمَ بشيءٍ، بخلافِ إنجيلِ يوحنَّا الذي يروي القصَّةَ وكأنَّ يسوع كان يتحدَّث بقدْرٍ من التفصيلِ عن أمرِهِ![1].

أما بالنِّسبةِ إلى صلْبِهِ، فالأناجيلُ الثلاثة تتحدَّثُ عن أنَّ الصَّلْبَ جرى في يوم عيد الفصْح (في الخامس عشر من نيسان)، بخلافِ إنجيلِ يوحنَّا الذي يتحدَّثُ عن أنَّ الصَّلْبَ جرى قبلَ ذلك بيوم (في الرَّابع عشر من نيسان، وهو اليوم الذي يذبحُ فيه اليهودُ الأُضحية ابتداءً من الزَّوال)، بدلالةِ (19: 14، أيضاً 31)، ويحكي لوحدِهِ عن كسْرِ ساقي المصْلوبَيْنِ معه، دونَ أنْ يكسروا ساقَ يسوع، لأنَّهم وجدوهُ قد مات، وقامَ أحدُ العساكر بطعنِهِ بجنْبِهِ بحرْبةٍ، فسالت منه الدِّماء (19: 31 ـ 34)[2].

---

(1) إليك الفقرات المقصودة من **إنجيل يوحنا** 18: 28 ـ 38 «ثُمَّ جَاؤُوا بِيَسُوعَ مِنْ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ، وَكَانَ صُبْحٌ. وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ لِكَيْ لاَ يَتَنَجَّسُوا، فَيَأْكُلُونَ الْفِصْحَ. فَخَرَجَ بِيلاَطُسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «أَيَّةَ شِكَايَةٍ تُقَدِّمُونَ عَلَى هذَا الإِنْسَانِ؟» أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرّ لَمَا كُنَّا قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ!» فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَداً». لِيَتِمَّ قَوْلُ يَسُوعَ الَّذِي قَالَهُ مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يَمُوتَ.
ثُمَّ دَخَلَ بِيلاَطُسُ أَيْضاً إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَدَعَا يَسُوعَ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هذَا، أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟» أَجَابَهُ بِيلاَطُسُ: «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟ أُمَّتُكَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذاً مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي». قَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «مَا هُوَ الْحَقُّ؟».

(2) في **إنجيل متى** 27: 44، **وإنجيل مرقس** 15: 32 عيَّرَهُ اللصان المصْلوبان معه. وأما **إنجيل لوقا** 23: 39 ـ 43، فيقول إنَّ أحدُهُما كان يشتِمُهُ والآخر كان يدافِع عنه، فبشَّر يسوع الآخر بأنَّه سيكون معه في الفردوس.

على أيِّ حال، عند المقارنةِ بين الأناجيلِ المتوافقة وإنجيل يوحنَّا، لا يسَعُ الباحث إلا أنْ يستنبطَ أمران:

أحدُهُما أنَّ الأناجيلَ الثلاثةَ الأولى ليس فيها ما يدُلُّ بنحوٍ صريحٍ على أُلوهيةِ يسوع، فقد كانت مُدوَّنةً قبلَ تدوين الإنجيلِ الرَّابع على الأقل. وهذا يعني أنَّ الأناجيلَ الثلاثةَ مكثَت نحو قرْنٍ من الزَّمانِ ليس فيها ما ينُصُّ على أُلوهيةِ يسوع.

وثانيهما أنَّ الأساقفةَ كانوا قد اعتنقوا أُلوهيةَ يسوع قبلَ وجود إنجيل يدُلُّ عليها، ويُصرِّحُ بها. ولمَّا أرادوا أنْ يحتجُّوا على خصومِهِم، ويدفعوا هرطقَتَهم في زعمِهِم، لم يجدوا مناصاً من أنْ يلْتمسوا دليلاً ناطقاً يُثبِتُ ذلك، فاتَّجهوا إلى هذا الإنجيلِ ونسبوهُ إلى يوحنَّا، وإلا ما اضطرُّوا اضطراراً إلى إنجيلٍ جديدٍ فطلَبوهُ[1].

لذا جاءَ في قاموسِ الكتاب المُقدَّس: «وكان الدَّاعي... إلى كتابةِ الإنجيل الرَّابع، تثبيتُ الكنيسةِ الأولى في الايمانِ بحقيقةِ لاهوتِ المسيح وناسوتِهِ، ودحْض البِدَع المُضِلَّة التي كان فسادُها آنذاك قد تسرَّبَ إلى الكنيسة، كبِدَع الدوكينيِّين والغنوصيِّين والكيرنثيِّين والآبيونيِّين. فقد زعَمَ الدُّوكينيُّون والغنوصيُّون أنَّ جسَدَ المسيح لم يكن جسَداً حقيقياً. وأنكَرَ الكيرنثيُّون لاهوتَهُ. وادَّعى الآبيونيُّون أنَّه لم يكن كائناً قبلَ مريم أُمَّهُ. ولهذا كانت غايتُهُ اثباتَ لاهوتِ المسيح»[2].

هذا هو حالُ هذه الأناجيلِ الأربعة وأصحابها.

جدول بهوية كتبة الأناجيل الأربعة

الإسم	هل هو من الحواريِّين؟	هل هو يهودي؟	ملاحظات أخرى
متَّى	حواريّ	يهوديّ	عشَّار (من جُباةِ الضَّرائب)

(1) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص49 ـ 50.
(2) **قاموس الكتاب المقدس**، ص1110 ـ 1111.

مرْقس	غير حواريّ، لكن من أتْباع يسوع السَّبْعين	يهوديّ	تلميذُ بُطْرُس الحواريّ
لوقا	غير حواريّ	غير يهوديّ (أُمَمي)	طبيبٌ يونانيٌّ، صديقُ بولُس (الذي لم يلْتقِ بيسوع)
يوحنَّا	حواريّ	يهوديّ	صيَّاد سمك

الإنجيل Q (أو: ق):

الأناجيلُ الأربعة: متَّى، مرْقس، لوقا، ويوحنَّا، كانت مصْدراً مسيحيّاً أساسيّاً للتعرُّفِ على يسوع وتعاليمِهِ. لكن هذه الأناجيلُ لم تكن هي الوحيدةَ التي كُتِبَت في العُقودِ والقُرونِ التي تلَت المسيح. ففي القرْنِ الأخير، اكتشفَ علماءُ الآثارِ وعلماءُ الكتابِ المُقدَّس ودرسوا أناجيلَ ومصادرَ كثيرة أخرى. بعضُ هذه النُّصوص كانت قد عُرِفَت بالاسْمِ فقط، وبعضُها الآخر كان قد فُقِدَ تماماً إلى أنْ اكتُشِفَ في الآونةِ الأخيرة.

ففي سنةِ 1896م، اشترى عالِمٌ ألمانيٌّ مخطوطةً مصْريةً قديمةً من تاجرِ آثارٍ عتيقةٍ في القاهرة. وكما تبيَّنَ لاحقاً، المخطوطةُ كانت تتضمَّنُ إنجيل مريم، وترجمة من القرْنِ الخامسِ لأقدَمِ النُّصوصِ اليونانيَّة. في السِّنين التي تلَتْها، في الثُّلُثِ الثاني من القرْن، خرَجَتْ إلى النُّورِ جُذاذاتٌ يونانيَّةٌ صغيرةٌ من إنجيلِ مريم.

في السَّنةِ التالية، في 1897م، طُبِعَت للمرَّةِ الأولى جُذاذاتٌ يونانيَّةٌ صغيرةٌ لإنجيلٍ غير معروف. ولم تكن ثمَّةَ نُسْخة كاملة قد اكتُشِفَت في القاهرة إلا في سنةِ 1945م، كانت قد اكتُشِفَت مع كُتُبٍ أُخرى غير معروفة، من ضمْنِها إنجيلُ فيليب.

وفي وقتٍ متأخِّر، من سنةِ 1970م (اليوم المُحدَّد غيرُ معروف)، تمَّ الكشْفُ في القاهرةِ عن إنجيلٍ جديد، مع ذلك، لم يُرمَّم ويُطبع حتى سنة 2006م (جُذاذاتٌ إضافيةٌ كانت قد اكتُشِفَت في 2010م). هذا النَّصُّ القديمُ تبيَّنَ أنَّه إنجيلٌ آخرَ جدليٌّ: إنجيلُ يهوذا.

العددُ الذي يتزايدُ باستمرار من الأناجيلِ القديمةِ المُتاحةِ للدِّراسة، وسَّعَ تقديرَنا للمساحةِ الرُّوحيَّةِ وللتنوُّعِ والتبايُنِ بين الكثيرِ من التجمُّعاتِ المُبكِّرة التابعة ليسوع. وفي الوقتِ نفسِهِ، وبدراساتٍ شديدةِ التَّدقيق، اكتشف العلماءُ ما هو أقدم من الأناجيلِ الرَّسمية: إنجيلُ Q.

هذا الإنجيلُ لم يتمّ العثورُ عليه في كهفٍ، ولم يكن مدْفوناً في باطنِ الأرض، بل كان مطْموراً ضمنيّاً في إنجيلَي العهد الجديد متَّى ولوقا. لقد كان موجوداً هناك طوالَ الوقت، ومخفيّاً منذُ قرون. لكن ما من أحدٍ لاحظَهُ. فقد كُتِبَ مرْقس أولاً، وقد استخدَمَ متَّى ولوقا إنجيل مرْقس بمثابةِ مصدرٍ أساسيٍّ لمروياتِهما، ولكنَّهما استخدما مصدراً آخرَ أيضاً، وهو وثيقة ندْعوها باسْمِ Q.

حرْفُ Q جاءَ من الكلمةِ الألمانيةِ Quelle، والتي تعني «مصْدر». والمصْطلح Q يصفُ المصْدَرَ الأدبيَّ المشترك الذي استخدَمَهُ كاتبا إنجيل متَّى ولوقا. تمَّ التَّنظيرُ لوجودِ هذا الإنجيل لأوَّلِ مرَّة بواسطةِ العالِم الألماني كريستيان ويس Christian Weisse عام 1838م[1]. نظريَّتُهُ قامت على أساسِ الحقيقة التي باتت اليوم مقبولةً على نطاقٍ واسعٍ، والقائلة بأنَّ إنجيلَ مرْقس كان قد كُتِبَ قبلَ الأناجيل متَّى، لوقا، ويوحنَّا، وهذا ما يُفسِّرُ لَنا الكثيرَ من العلاقةِ الحرْفيَّةِ بين أناجيلِ العهد الجديد. مع ذلك، لا تُفسِّرُ لنا هذه النَّظرية كلَّ التوازيات الحرْفية.

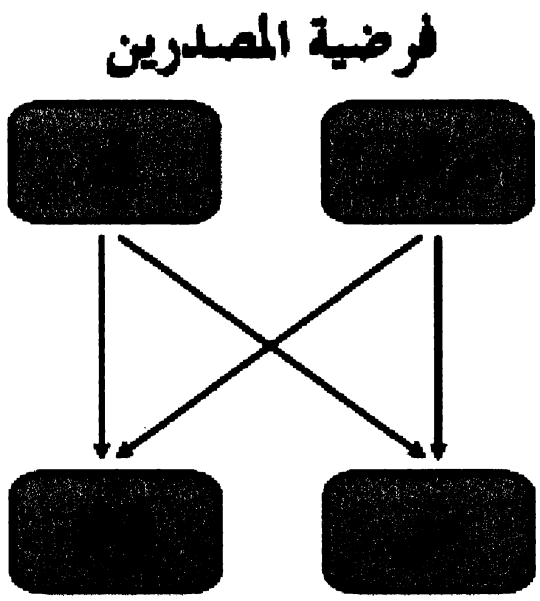
من ناحيتِهِ، إنجيلُ يوحنَّا لا يتقاطَعُ مع بقيَّةِ الأناجيل كثيراً. محتوياتُهُ تتشابَهُ مع ما هو موجودٌ في الأناجيلِ متَّى، مرْقس، ولوقا فقط بنسبةِ 8%. لكن يختلفُ معها بنسبةِ 92%، حيثُ ينفرِدُ إنجيلُ يوحنَّا بتلك النِّسبة. ورغمَ ذلك، فإنَّ الأناجيلَ الثلاثةَ الرَّسميَّةَ الأولى: متَّى، مرْقس، ولوقا، يُشارُ إليها جميعاً بـ «المتوازية» The Synoptics، لأنَّ محتوياتَها تتقاطعُ بنحوٍ مُتكرِّر، غالباً حرْفاً بحرْف. والكثيرُ من هذه التقاطعاتِ حرْفاً بحرْفٍ يمكنُ تفسيرُها بسهولةٍ بواسطةِ الحقيقة القائلة إنَّ مؤلِّفَي إنجيل متَّى ولوقا قد نسَخُوا وحرَّرُوا قسْماً كبيراً من إنجيلَهِما من إنجيلِ مرْقس. مع ذلك، يبقى ما يقرُب من 230 مقطعاً متوازياً يظهَرُ في كلٍّ من إنجيلِ متَّى وإنجيلِ لوقا معاً، لكن لا وجودَ لها في إنجيلِ مرقس. هذه المقاطع أغلَبُها (وربَّما كلُّها تقريباً) هي أقوالٌ ليسوع، ولا تصِفُ ولادَتَهُ أو حياتَهُ أو اختيارَهُ للتلاميذِ الاثني عشَر، كما لا تصِفُ صلْبَهُ أو قيامتَهُ.

إنْ كان بمقدورِنا تفسيرُ معظم التوازيات بين الأناجيلِ متَّى، مرْقس، ولوقا عن طريقِ

(1) فيلسوف ألماني، توفي سنة 1866م.
ويُقالُ بأنَّ الإنجليزي هربرت مارش Herbert Marsh (1801م) قد سبقه إلى ذلك، ثم جاء من بعده الألماني فريدريش شلييرماخر Friedrich Schleiermacher (1832م)، وأكد على ذلك، هينريش جوليوس هولتزمان Heinrich Julius Holtzman (1863م)، وكان كريستيان هيرمان ويس هو الثالث أو الرابع.

القول باستقلالِ إنجيلِ مرْقس عن كلٍّ من إنجيلِ متَّى وإنجيلِ لوقا، فكيف بمقدورِنا تفسيرُ التوازيات بين إنجيلِ متَّى وإنجيلِ لوقا والتي لا تظهَرُ في إنجيلِ مرْقس؟ الاقتراحُ كان قد ظهَرَ في القرْنِ التَّاسعِ عشر، بأنَّه بالإضافةِ إلى إنجيلِ مرْقس، فإنَّ مؤلِّفَي إنجيلِ متَّى وإنجيلِ لوقا كانا قد استخدَما مصْدراً آخرَ مشتركاً بينهما، حالياً مفقودٌ بالنِّسبةِ إلينا، وكان يحتوي في الأغلب على أقوالِ يسوع، وهي وثيقةُ Q المُفترضة. ويُعرَفُ هذا الاقتراحُ بـ «فرضيَّةِ المصْدرين».

قبلَ اكتشافِ إنجيل توما[1]، فكرةُ وجود وثيقة من هذا القبيل، كانت مجرَّدَ فرضيَّة. لكن مؤخَّراً، مع اكتشافِ إنجيل توما، ظهَرَ أنَّ الإنجيلَ الذي يعتقدُ العلماءُ بوجودِهِ Q، كان تجميعاً لأقوالِ يسوع التي كانت متداولةً شفويّاً، وكان قد تمَّ توثيقُها بواسطةِ أتباع يسوع الأوائل، ثمَّ تمَّ تناقُلها من جيلٍ إلى آخر. اكتشافُ إنجيلِ توما إذن، أعطى مصداقيةً أكبرَ للفرضيَّةِ القائلةِ بأنَّ ثمَّةَ قائمة بأقوالِ يسوع - قائمة مُشابهة لتلكَ المعروفة اليوم بـ Q - كانت تدورُ بين أتباعِ يسوع الأوائل.



(1) توما كان واحداً من تلاميذ يسوع الاثني عشر، كان اسمه «يهوذا»، لكن عُرِفَ بلَقَب «توما»، أي التوأم. وقد ذهب بعضهم إلى أنَّه كان توأماً ليسوع، وهذا ليس بشيء، ومن المحتمل أنَّه كان شبيهاً به.

الإنجيلُ بنظرِ للقرآن:

بعدَسةِ القرآنِ، الإنجيلُ كان كتاباً واحداً نازلاً على المسيح، فهو الوحيُ المختصُّ به، قالَ تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[1] أما الأناجيلُ المنْسوبةُ إلى متَّى ومرْقس ولُوقا ويوحنَّا، فهي كتبٌ مؤلَّفةٌ بعدَهُ.

وآياتُ القرآنِ تدُلُّ على أنَّ الأحكامَ إنَّما هي في التَّوراةِ، وأنَّ المسيحَ جاءَ ببعضِ النَّواسخ، كقولِهِ في هذه الآيات: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[2] أما قولُهُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾[3] فلا يَبْعُد أنْ يُستفادَ منه أنَّ في الإنجيلِ بعضَ الأحكام الإثْباتية.

ويدُلُّ القرآنُ أيضاً على أنَّ الإنجيلَ مشتملٌ على البشارةِ بالنبيِّ محمَّدٍ (ص) كالتَّوراة، حيثُ جاءَ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[4][5] وهذا الأمرُ سأدْرُسُهُ في الفصلِ الأخيرِ من هذا البحثِ إنْ شاء الله.

ووجهةُ النَّظَر القائلة بوجودِ إنجيلٍ مركزيٍّ سابقٍ على هذه الأناجيل، ذهبَ إليها بعضُ مُؤرِّخي وباحثي المسيحيَّة الأحرار. «قالَ أكهارن في كتابِهِ: «إنَّه كان في ابتداءِ الملَّةِ المسيحيَّةِ في بيانِ أحوالِ المسيح، رسالةٌ مختصرةٌ، يجوزُ أنْ يُقالَ إنَّها هي الإنجيلُ الأصلي. والغالبُ أنَّ هذا الإنجيل كان للمريدينَ الذين كانوا لم يسْمعوا أقوالَ المسيحِ بآذانِهم، ولم يروا أحوالَهُ بأعيُنِهم. وكان هذا الإنجيلُ بمنزلةِ القلْب»[6] وإلى هذا القولِ ذهَبَ أيضاً إينوك باول في كتابِهِ تطوُّر الإنجيل، وعبَّرَ عن المتْنِ الأصلي الذي سبَقَ الأناجيل بـ Ur. Urtext هي كلمةٌ لاتينيَّةٌ تعني الأصلَ أو السَّلَف، text تعني النَّصّ[7].

ولديَّ حدْسٌ، لا دليلَ عندي عليه، هو أنَّ الإنجيلَ الأصلي كان، بعد يسوع، بحوزةِ

---

(1) سورة آل عمران، الآية 4.
(2) سورة آل عمران، الآية 50.
(3) سورة المائدة، الآية 47.
(4) سورة الأعراف، الآية 157.
(5) الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج3، ص197 ـ 198.
(6) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص52.
(7) إينوك باول، **تطور الإنجيل**، ص65.

يعقوب (الصدِّيق أو البارّ)، ثمَّ فُقِدَ بعد تلاشي شيعتِهِ، وبروزِ شيعة بولُس وهيمنتِهِم على السَّاحةِ المسيحيَّة، مع مرورِ العقود والقرون الأولى.

- **رسائلُ الرُّسُل:**

هذه الرَّسائلُ المُلْحقةُ بالأناجيلِ الأربعة، يُسمُّونَها - ما عدا رسالة أعمال الرُّسُل - «الأسفارُ التَّعليميَّة»، كما يُسمُّونَ الأناجيل الأربعة ورسالة أعمال الرُّسُل «الأسفار التَّاريخيَّة». لأنَّ الأناجيلَ تُعنى بشرْحِ حياةِ يسوع وحكايةِ أحوالِهِ وبعضِ أقوالِهِ ومواعظِهِ، أما الرَّسائلُ فإنَّها تُعنى بالناحيةِ التَّعليميَّةِ التي يُبيَّنُ بها الدِّين.

أما عددُ الرَّسائلِ وكاتبُوها، فإنَّها اثنتان وعشرونَ رسالة:

1. الأولى وتُسمَّى «أعمالُ الرُّسُل» (أو اختصاراً: «الأعمال»): وتُنْسَبُ إلى لوقا، وتعتبرُ - إنْ صحَّت النِّسبة - تكملةً لإنجيلِهِ، كُتِبَت سنة 70م تقريباً.

وهي تروي كيفَ نشَرَ التلاميذُ الأُوَل بشارةَ يسوع المسيح في أورشليم واليهودية كلِّها والسَّامرةِ حتى أقاصي الأرض. وحرَصَ المؤلِّفُ على أنْ يُؤكِّدَ لمعاصريهِ أنَّ الإيمانَ المسيحي لا ينطوي على أيِّ خطرٍ سياسيٍّ يُهدِّدُ الإمبراطورية الرُّومانيَّة.

ويمكنُ تقسيمُ هذه الرِّسالة المُطوَّلة ثلاثةَ أقسام: (1) بداءةُ النَّشاط المسيحي في أورشليم بعد رفْعِ يسوع، (2) انتشارُ الإيمان المسيحي في سائرِ أنحاءِ فلسطين، (3) زيادةُ انتشارِهِ في حوضِ البحر الأبيض المتوسِّط حتى روما.

كتَبَ جيمس د. طابور James D. Tabor مُحِقّاً: «كتابُ أعمال الرُّسُل مسؤول إلى حدٍّ بعيدٍ عن الصُّورةِ المعياريَّةِ للمسيحيَّةِ المُبكِّرة، التي مارَسَ فيها بُطْرُس وبولُس دوراً مُتحكِّماً كبيراً جدّاً، أما يعقوب (جيمس) فقد أُهمِلَ إلى أبعدِ الحدود. وقد أصبحَ عرْضُ الأعمالِ هو القصَّة، مع أنَّ رواية لوقا أحاديَّةِ الجانب بشكلٍ مخيف، وتاريخياً موضِعَ تساؤل. ومن المؤكَّدِ أنَّ لوقا قد عرَفَ، لكنَّه لم يكن يريدُ أنْ يذكُرَ بأنَّ يعقوب (جيمس) قد تولَّى قيادةَ الحركةِ بعد وفاةِ يسوع. ووصَلَ به الأمرُ في إصحاحاتِهِ الأولى أنَّه لم يذكُر يعقوب (جيمس) حتى بالاسم. ووضَعَ بُطْرُس على أنَّه القائد الذي لا جدَلَ حولَهُ لأتْباعِ يسوع، ذلكَ أنَّ برنامجَهُ الأساسي بشكلٍ عامٍّ كان رفْعُ شأنِ مركزية رسالة ومهمَّة بولُس. ومع أنَّ الأعمالَ أربعةٌ وعشرونَ إصحاحاً، فإنَّه ما إنْ جرى تقديمُ اسْم «بولُس» في الإصحاحِ التاسع، نجدُ أنَّ

بقيَّةَ رواية لوقا كلّها حولَ بولُس، ذلكَ أنَّه بُطْرُس قد بدأَ يُرْمى بهِ إلى خارجِ الصُّورة. وهذا الكتابُ الذي هو أعمالُ الرُّسُل يمكنُ تسميتُهُ بشكلٍ أفضلٍ إرْساليةُ بولسُ وسيرةُ أعمالِهِ»[1].

ثمَّ شرَحَ طابور بنحوٍ مفصَّل كيف قامَ كاتبُ أعمال الرُّسُل بوضْعِ بولُس في واجهةِ الأحداث، وإخراج بقية التلاميذ، بل وإخراج حتى يعقوب (جيمس) ومريم أم يسوع من تلكَ الواجهة بنحوٍ تامٍّ تقريباً.

2. وأربع عشرة رسالة، تُنْسَبُ إلى بولُس، كُتِبَت ما بين 52م إلى 64م تقريباً، أي بعد حادثةِ الصَّلْب بـ 20 ـ 30 سنة، وجُمِعت في أواخِرِ القرْن الأوَّل، سبعةٌ منها يؤكِّدُ الباحثون نسْبَتَها إليه، وهي: رسالةُ أهل روما، كورِنْثُوس الأولى، كورِنْثُوس الثانية، غَلاطِيَّة، فيلبِّي، تسالونيكي الأولى، فِلِيمون.

ولهذه الرَّسائل أهميةٌ تاريخيَّةٌ كبرى، لأنَّ كتابَتَها سبقت كتابةَ الأناجيل، وهي تكشِفُ عن الكثيرِ من الحقائق والأجواء والهواجس والأفكارِ المتعارضة آنذاك.

أما الرَّسائلُ الأربع عشرة عموماً، فهي :

- **رسالةُ أهل روما (رسالةُ رُومِيَة)**: (كُتِبَت سنة 58م)، ولا يشُكُّ الباحثونَ في صحَّةِ نسْبَتها إلى بولُس.

كتَبَ بولُس هذه الرِّسالةَ تمهيداً لذَهابِهِ إلى روما، وهو في طريقِهِ إلى إسبانيا. وكان ينوي عند وصولِهِ إلى روما أنْ يُعلِّمَ المسيحيِّينَ فيها، ويُشجِّعَهُم ويُشارِكَهُم في إيمانِهِم. فكتَبَ هذه الرِّسالةَ ليشْرَحَ لهم فيها الإيمانَ المسيحي، فجاءت تُعرِب عن العقيدةِ المسيحيَّة، وتؤكِّد على أنَّ الإيمانَ مقدَّمٌ على العمَل بأحكام الشَّريعة، وأنَّ اللهَ هو إلهُ سائرِ الأمم، وليس إلهَ اليهودِ وحدَهُم. كما تؤكِّدُ الرِّسالةُ على المحبَّةِ، وواجب المسيحيِّين تجاهَ الدَّولة، وتجاهَ بعضِهِم البعض.

- **رسالةُ كورِنْثُوس الأولى والثانية**: (كُتِبَت سنة 55 ـ 58م)، ولا يشُكُّ الباحثونَ في صحَّةِ نسْبَتِهِما إلى بولُس.

كتَبَ بولُس رسالتَهُ الأولى لمعالجةِ المشكلات التي نشأَتْ في الكنيسةِ، بشأنِ الحياةِ

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص295 ـ 296. ترجمة د. سهيل زكار، دار قتيبة، ط1، دمشق، 2008م.

المسيحيَّةِ والإيمانِ المسيحي. وكانت كورِنْثُوس في ذلك الزَّمن مدينةً يونانيةً كبرى، وعاصمةَ ولاية آخائية الرُّومانية. اشتهرت بتجارَتِها المزْدهرة، وثقافتِها الرَّفيعة، وفجورِها الذَّائعِ الصِّيت، وديانَاتِها المتنوِّعة. وأكثر ما اهتمَّ به بولُس في هذه الرِّسالةِ هو المسائل المتعلِّقة بالانشقاقِ والخلافِ في الكنيسة، وبالزِّنا والزَّواج، وما يتَّصِلُ بالضَّميرِ والنِّظامِ في الكنيسةِ والقيامة.

أما في رسالةِ بولُس الثانية، فقد كتَبَها إلى كنيسةِ كورِنْثُوس في فترةٍ توتَّرت علاقتُه بها، لأنَّ بعضَ أعضاء الكنيسة قاموا بهجومٍ شديدٍ عليه. ولكن بولُس في هذه الرِّسالة أظهَرَ ميلَهُ إلى المصالحةِ، وأعرَبَ عن فرحِهِ إذا تحقَّقت.

- **رسالةٌ إلى غَلاطِيَّة**: (كُتِبَت سنة 56 ـ 57م)، ولا يشُكُّ الباحثون في صحَّةِ نسْبَتِها إلى بولُس.

وملابساتُ هذه الرِّسالة أنَّ بشارةَ الرُّسُلِ حظيَت بترحيبِ غير اليهود، فنشأَ السُّؤال: هل العمَلُ بشريعةِ موسى شرْطٌ على المؤمنِ بالمسيح؟

رأى بولُس أنْ يُثبِتَ أنَّ هذا لا ضرورةَ له، لأنَّ الأساسَ الصَّحيحَ للحياةِ في المسيح هو الإيمانُ الذي به يُبرِّرُ اللهُ البشَرَ جميعاً[1] لكن بعضُ الناسِ في غلاطيَّة، الولايةُ الرُّومانيةُ في آسيا الصُّغرى، عارضوا رأيَ بولُس، وقالوا إنَّ على المؤمنِ أنْ يعمَلَ بشريعةِ موسى ليُبرِّرَهُ الله.

رسالةُ بولُس إلى كنائسِ غلاطِيَّة غايتُها تصحيحُ هذه الصُّورة الخاطئة في نظرِهِ، فبدأَ بالدِّفاعِ عن حقِّهِ في أنْ يُدْعى رسولَ يسوع المسيح، بخلافِ ما ادَّعى بعضُ الناسِ بأنَّه رسولٌ كاذب. وأصرَّ بولُس على أنَّ رسوليَّتَهُ بالبشارةِ جاءَت من اللهِ، لا من أيِّ سلطةٍ بشرية، وأنَّه (وبرنابا) مدعوٌّ للعمَلِ، خصوصاً بين غيرِ اليهود (ويعقوب وبُطْرُس ويوحنَّا مُختصُّون لتبشيرِ اليهود). فلا فرْقَ بين يهوديٍّ وغيرِ يهودي، بين عبدٍ وحرٍّ، بين رجُلٍ وامرأة.

- **رسالةٌ إلى أَفَسُس**: (كُتِبَت سنة 60م)، ولا يستبعِدُ الباحثونَ صحَّةَ نسْبَتِها إلى بولُس.

أَفَسُس هي مدينةٌ تقعُ على شاطئِ تركيا الغربي. وبولُس في رسالتِهِ إلى كنيسةِ هذه المدينة، يُوضِّحُ تدبيرَ اللهِ لتوحيدِ الخليقةِ كلِّها في السَّماءِ والأرض، عندما يحينُ الوقتُ، برئاسةِ المسيح. فكلُّ شيءٍ إنَّما يتمُّ بحسَبِ تدبيرِ اللهِ ومشيئتِهِ.

---

(1) وبلغة علم أصول الفقه: الإيمانُ بيسوعِ المسيح هو بذاتِهِ مُعذِّرٌ أمامَ الله.

في القسْمِ الأوَّلِ يتحدَّثُ بولُس عن هذه الوحدة، فيتكلَّمُ عن الطريقةِ التي اختارَ اللهُ بها شعبَهُ، وكيف غفرَ لهُم خطاياهُم بابنِهِ يسوع المسيح، وكيف حفَظَ وعدَهُ العظيم على يدِ الرُّوح القُدُس.

وفي القسْمِ الثاني يدعو المؤمنينَ إلى سيرةٍ مستقيمةٍ يكونونَ فيها مُتَّحدينَ بالمسيح اتِّحاداً حقيقياً. ويستعملُ بولُس عدَّةَ استعارات ليُبيِّنَ وحدةَ المؤمنين في المسيح. فالكنيسةُ هي جسَدٌ والمسيحُ رأسُها، أو هي بناءٌ والمسيحُ حجَرُها الأساسي (عمودُها)، أو هي امرأةٌ والمسيحُ زوجُها.

- **رسالةٌ إلى فيلبِّي**: (كُتِبَت سنة 61م)، ويُرجِّح الباحثون صحَّةَ نسْبَتها إلى بولُس.

كانت فيلبِّي مدينةً في ولايةِ مقدونيا الرُّومانية، أنشأَ فيها بولُس - كما يُقال - أوَّلَ كنيسةٍ في مدينةٍ أوروبية. وكتَبَ رسالتَهُ هذه إلى كنيسةِ فيلبِّي وهو في السِّجن، في وقتٍ أقلقتْهُ فيه معارضةُ عمَّال السُّوء له، وأحزَنَهُ ما شاعَ في الكنيسةِ من تعاليمَ كاذبة (في نظرِهِ). ومع ذلك، فهذه الرِّسالةُ تمتازُ بالفرحِ والثقة.

كان الدَّافعُ الأوَّلُ لكتابةِ الرِّسالة أنَّ بولُس تلقَّى من الكنيسةِ معونةً ماليةً كان في أشدِّ الحاجةِ لها، فأرادَ أنْ يشكُرَهُم على معونَتِهِم، وأنْ يُحذِّرَهُم من أعداءِ الخارج وأخطارِ الدَّاخل.

- **رسالةٌ إلى كولوسِّي**: (كُتِبَت سنة 60 - 63م)، ويُرجِّح الباحثونَ صحَّةَ نسْبَتها إلى بولُس.

كانت كولوسي مدينةً في آسيا الصُّغرى (تركيا)، تقعُ شرْقي مدينة أَفَسُس. ولم يُنْشئ بولُس كنيسةَ هذه المدينة، لكنَّه كتَبَ إليها هذه الرِّسالةَ بعدما سمَعَ أنَّ فيها أُناساً ينْشرونَ آراءً غريبة، خلاصَتُها أنَّ السَّبيلَ إلى معرفةِ اللهِ والخلاصِ التَّامّ هو في عبادةِ الملائكة، والتقشُّفِ في الطَّعامِ والشَّراب، ومراعاةِ بعض الشَّعائر اليهودية؛ كالختانِ والأعيادِ والسُّبُوت وما إلى ذلك.

يُلخِّصُ بولُس في رسالتِهِ هذه الآراءَ في ضوءِ المبادئ المسيحيَّة كما يفهَمُها، فيقولُ إنَّ يسوعَ المسيح قادرٌ على منحِ الخلاص، وإنَّ تلك الآراءَ والشَّعائرَ تُبعِدُ عنه، ولا خلاصَ للعالَمِ بغيرِ يسوع المسيح. فمُجمَلُ الرِّسالةِ، ما فعلَهُ يسوع المسيح، وما يجبُ على المسيحيِّينَ أنْ يفعلُوه.

- **رسالةٌ إلى تسالونيكي الأولى والثانية:** (كُتِبَت سنة 51 ـ 53م)، ويُرجِّح الباحثون صحَّةَ نسْبَة الرِّسالة الأولى إلى بولُس.

كانت تسالونيكي عاصمةَ ولاية مقدونية الرُّومانية، أنشأَ فيها بولُس ـ كما يُقال ـ هذه الكنيسةَ بعدما ترَكَ مدينةَ فيلِبِّي. وكان في المدينةِ جماعةٌ من اليهودِ حرَّضوا سُكَّانَها على بولُس وعلى كلِّ من آمنَ بيسوعِ المسيح، فاضطرَّ إلى تركِها والذَّهابِ إلى بيرية ومنها إلى كورِنْثوس. وفي كورِنْثوس كتَبَ رسالتَهُ الأولى إلى كنيسةِ تسالونيكي، حين عادَ تيموثاوس منها، ونقَلَ إليه أخبارَها.

في هذه الرِّسالةِ يُهنِّئُ بولُس كنيسةَ تسالونيكي، ويُشجِّعهُم على الصَّبْرِ والثَّباتِ في إيمانِهم. ثمَّ يرُدُّ على ما أبداهُ بعضُ المؤمنين من قلقٍ، على مصيرِ الذين يموتون قبلَ عودة المسيح. هل ينالونَ الحياةَ الآبدية بفضْلِ مجيئِهِ الثاني؟ ومتى سيجيء؟

أما رسالتُهُ الثانية إلى تسالونيكي، فقد كتَبَها حين علِمَ أنَّ المؤمنينَ في حَيرةٍ، من جهةِ تحديدِ يوم رجوع يسوع، واعتقَدَ بعضُهُم أنَّه رَجَع. فيُصحِّحُ بولُس هذا الرَّأي بالقولِ لهم إنَّ يومَ المسيح لا يجيءُ إلا بعد أنْ يبلُغَ الشَّرُّ والفسادُ منتهاهُما، بحُدُوثِ تمرُّدٍ عظيمٍ ضدَّ اللهِ بزعامةِ «ابن الهلاك» أو «إنسان التمرُّد»، الذي هو عدوُّ المسيح، الذين يحاولُ خداعَ الكثيرين. ويؤكِّدُ بولُس حاجةَ المؤمنين إلى الثَّباتِ في إيمانِهم رغمَ الاضْطرابَ والعذاب.

- **رسالةٌ إلى تيموثاوس الأولى والثانية:** (كُتِبَت سنة 64 ـ 67م)، ويشُكُّ الباحثونَ في صحَّةِ نسْبَتِها إلى بولُس.

وُلِدَ تيموثاوس في لسْترة من بلاد ليقونة في آسية الصُّغرى (تركيا)، من أُمٍ يهودية وأبٍ يوناني. ولمَّا عادَ بولُس إلى لسْترة، اتَّخَذَ تيموثاوس رفيقاً ومعاوناً له، حينَ رأى أنَّ المسيحيِّينَ هناكَ يشْهدونَ له بحُسْنِ السِّيرة.

والرِّسالةُ الأولى هي قبلَ كلِّ شيء تحذيرٌ من انتشارِ التَّعاليم الباطلة في الكنيسة. تلك التعاليمُ التي كانت خليطاً من الآراءِ اليهودية وغيرِ اليهودية، وقائمةً على أساسِ الاعتقاد أنَّ العالَمَ الخارجي شرٌّ كلُّهُ، وأنَّ الخلاصَ لا يتمُّ إلا بنوعٍ سرِّيٍّ خاصٍّ من المعرفة، وبممارسةِ بعض الشَّعائر، كالامتناعِ عن الزَّواج وبعض أنواع الطَّعام. وتتضمَّنُ الرِّسالةُ وصايا متفرِّقة في حُسْنِ تنظيمِ الإدارة في كنيسةِ أَفَسُس، والصِّفاتِ التي يجبُ أنْ يتحلَّى بها الأساقفةُ والشمامِسة.

أما الرِّسالةُ الثانية إلى تيموثاوس، فيُقالُ إنَّ بولُس كتبَها عندما كان في السِّجن، ولم يكن معه سوى لوقا. وهي تتضمَّنُ وصايا خاصَّة غالباً، فكرَتُها الأساسيةُ وجوب المثابرة على الشَّهادةِ ليسوع المسيح بتعاليمِ الإنجيل والعهدِ القديم. ويُشجِّعُ بولُس معاوِنَهُ تيموثاوس على القيامِ بواجبِهِ كمُعلِّمٍ ومُبشِّرٍ، رغمَ الآلام والصُّعوبات. ويُحذِّرُهُ من خطرِ العُلماءِ الكذَّابين، وحُجَجِهِم الجاهلة الحمقاء التي لا تُؤدِّي - في نظرِهِ - إلا إلى خرابِ الذين يصْغونَ إليها.

- **رسالةٌ إلى تيطُس**: (كُتِبَت سنة 64 - 66م)، ويشكُّ الباحثون في صحَّةِ نسْبَتها إلى بولُس.

كان تيطُس غير يهودي، هداهُ بولُس إلى الإيمانِ بيسوع، واختارَهُ رفيقاً ومعاوناً له. وهذه الرِّسالة إليه إيضاحٌ للمهمَّةِ التي تركَهُ في كريت لأجلِها، هي تنظيمُ الكنيسةِ هناك.

تتناولُ الرِّسالةُ ثلاثةَ أمور: الأول تُذكِّر تيطُس بالصِّفاتِ التي يجب أنْ يتحلَّى بها رعاةُ الكنائس. والثاني إرشادُ تيطُس إلى طريقةِ تعليم مختلف الفئات في الكنيسة؛ الشُّيوخ والعجائز، ثمَّ الشَّباب والعبيد. والثالثُ تذكيرُ تيطُس بما يجبُ أنْ تكون عليه السِّيرة المسيحيَّة من سلامٍ ومودَّةٍ، وابتعادٍ عن البُغْضِ والجدَلِ والشِّقاق، وتجنُّب المناقشات التي تُسبِّب الانقسام.

- **رسالةٌ إلى فِليمون**: (كُتِبَت سنة 60م)، ويُرجِّح الباحثون صحَّةَ نسْبَتها إلى بولُس.

كان فِليمون عضواً بارزاً في كنيسةِ كولوسي، وله عبدٌ اسمُهُ «أونسيمُس»، هرَبَ من سيِّدِهِ فالتقى ببولُس في السِّجن. ولمَّا هداهُ بولُس إلى الإيمانِ بيسوعِ المسيح، كتَبَ هذه الرِّسالةَ إلى فِليمون يُناشِدهُ فيها أنْ يصْفَحَ عن عبدِهِ العائدِ إليه ويقبَلَهُ عندَهُ، لا كعبدٍ صفَحَ عنه، بل كأخٍ في المسيح.

- **رسالةٌ إلى العِبْرانيِّين** (كُتِبَت سنة 64م)، ويشكُّ الباحثون في صحَّة نسْبَتها إلى بولُس.

هذه الرِّسالةُ مُوجَّهةٌ إلى جماعةٍ من المسيحيِّين لاقوا من شدَّةِ الاضطهاد من كلٍّ من اليهودِ والرُّومانِ معاً ما جعلَهُم في خطَرِ الارتداد عن إيمانِهِم المسيحي.

كاتبُ هذه الرِّسالة يحاولُ أنْ يُشجِّعَهُم على الثَّباتِ في الإيمان، بإقناعِهِم بأنَّ يسوعَ المسيح هو ابنُ الله وصورةُ جوهرِهِ، تعلَّمَ طاعةَ أبيهِ بالآلامِ التي تحمَّلَها، وهو بصفتِهِ ابنُ الله مُتفوِّقٌ على أنبياءِ العهدِ القديم والملائكةِ وموسى نفسِهِ. بل إنَّ اللهَ نفسَهُ أعلنَهُ كاهناً إلى الأبدِ، أعظَمَ من كهنةِ العهدِ القديم. فالإيمانُ بالمسيحِ يُخلِّصُ الإنسانَ من الخطيئةِ والخوفِ

والموت، لأنَّ المسيحَ هو الذَّبيحةُ الحقيقيةُ التي تجاوزت كلَّ ذبائح الحيوانات في الدِّينِ اليهودي.

3. ورسالةٌ تُنْسَب إلى يعقوبِ (الصدِّيق أو البارّ). (كُتِبَت ربَّما سنة 49م).

وهي رسالةٌ تتضمَّنُ مجموعةً من الإرشاداتِ العملية، وجَّهَها كاتِبُها إلى «جميعِ الشَّعبِ المُشتَّتِ في العالَمِ كلِّهِ». وغايتُهُ منها أنْ يُشجِّعَهُم على تحمُّلِ الصُّعوبات والتمسُّكِ بالتقوى.

تناولَ الكاتبُ كثيراً من الفضائلِ ودعاهُم إلى التحلِّي بها، كحُسْنِ السِّيرةِ والمعاملة، وتجنُّبِ الطَّمَع بالمال، وحفْظِ اللِّسان من كلامِ السُّوء، والحكمةِ الصَّادقة، وإنصافِ الفقيرِ والعامِل، والتواضُعِ، والصَّبْرِ، والصَّلاة.

الرِّسالةُ تتميَّزُ بالإصرارِ على أنَّ الإيمانَ الصَّادقَ يجبُ أنْ يقترنَ بالأعمالِ الصَّالحةِ في الدِّينِ المسيحي.

كتَبَ طابور: «أكثرُ الوقائِقِ المُهمَلة في جميعِ العهدِ الجديد، هي رسالةٌ كُتِبَت من قِبَلِ يعقوب (جيمس). فقد غدت هامشيةً إلى حدِّ أنَّ عدداً كبيراً من المسيحيِّين، لا يعرفون حتى بوجودِها. ومع ذلك، هي جزءٌ من الكتابِ المُقدَّس المسيحي... وعندما بدأَ المسيحيُّونَ في تحديدِ شرعيَّةِ محتويات العهد الجديد في القرْنِ الرَّابع، أي اتِّخاذُ قرارٍ قانونيٍّ حولَ أيِّ الأسفار سوف تدْخُلُ في المحتويات، وأيُّها لن يجري شمولُها آنذاك، باتت قانونيَّةُ رسالة يعقوب (جيمس)، موضِعَ تساؤل... وكان هناك سببانِ رئيسيَّانِ دفعا المسيحيِّين المتأخِّرين للتَّساؤل حول رسالة يعقوب (جيمس).

تعلَّقَ السَّببُ الأوَّل بالذي قالَهُ يعقوب (جيمس) حول أخيه يسوع، وما لم يقُلْهُ. فهو قد ذكَرَ اسْمَ «يسوع» مرَّتين بصورةٍ عابرة. ومن الممكنِ إزالةُ الإشارتينِ بكُلِّ سهولة، دون أنْ يُؤثِّرَ ذلك على محتوياتِ الرِّسالة... فضْلاً عن هذا، ليس في الرِّسالةِ أيَّةُ إشارةٍ إلى رأي بولُس، بأنَّ يسوع كابنٍ سماويٍّ للرَّبّ، ولا موتِهِ التَّكفيري على الصَّليب أو قيامتِهِ المجيدة، فكيف يمكنُ لوثيقةٍ من العهدِ الجديد، ليس فيها مثلُ هذا التَّعليم، من الممكنِ عدُّها حقّاً «مسيحيَّة»؟

والحقيقةُ الثانيةُ هي التي تضَعُ الرِّسالةَ موضِعَ عدم استحسان ووفاق مع بعضِ ما

خالفَ به يعقوب (جيمس) مباشرةً تعليمَ بولُس حولَ «الخلاص بوساطةِ الإيمان» من دونِ مبادئ الشَّريعة، وفي الوقتِ نفسِهِ التمسُّك بقوَّةٍ بطبيعةِ التَّوراة، وكذلك شرعيَّتِهِ الدَّائمة»[1].

4. ورسالتان تُنْسَبُ إلى بُطْرُس: (كُتِبَت سنة 62 ـ 67م).

وجَّهَ الكاتبُ رسالتَهُ الأولى إلى المسيحيِّين الذين دعاهُم «شعبُ اللهِ» المشتَّتين في شمالي آسيا الصُّغرى (تركيا). والغايةُ الرَّئيسيةُ من هذه الرِّسالةِ هي التَّشجيعُ على تحمُّلِ الاضطهاد والعذاب في سبيلِ الإيمان. ولبُلُوغِ هذه الغاية يُذكِّرُ الكاتبُ قارئيهِ بالبشارةِ بيسوعِ المسيح الذي حمَلَ موتُهُ وقيامتُهُ وعودتُهُ الرَّجاءَ والأملَ إلى العالَم. ولذلك عليهم أنْ يتحمَّلوا كلَّ اضطهاد، واثقينَ بأنَّه امتحانٌ لصدْقِ إيمانِهِم، وبأنَّهُم سينالونَ المكافأةَ عليه «يومَ يظْهَر يسوع المسيح». إلى جانبِ هذا التَّشجيع، يدعو الكاتبُ إلى الاقتداءِ بسيرةِ الذين ينْتمونَ إلى المسيح.

أما رسالتُهُ الثانية فهي مُوجَّهةٌ إلى أوساطٍ واسعةٍ من المسيحيِّين، وغايتُها محاربة المُعلِّمينَ الكذَّابين، والفجور الذي تؤدِّي إليه تعاليمُهُم. والرَّدُّ المسيحي الصَّحيح عليهم وعلى تعاليمِهِم هو في التمسُّكِ بمعرفةِ اللهِ ويسوع المسيح معرفةً صحيحة. وأكثرُ ما يهتمُّ به الكاتبُ في رسالتِهِ هذه هو ما ادَّعاهُ بعضُهُم من أنَّ المسيحَ لن يعودَ مرَّةً ثانية. فيقولُ إنَّ التأخُّرَ الظَّاهرَ في المجيءِ الثاني ناتجٌ عن أنَّ اللهَ لا يريدُ أنْ يُهلِكَ أحداً، بل أنْ يتوبَ جميعُ الناسِ عن خطاياهُم.

5. ثلاثُ رسائل تُنْسَبُ إلى يوحنَّا (كُتِبَت سنة 85 ـ 90م).

الرِّسالةُ الأولى لها غايتان: التَّشجيعُ على الحياةِ بمعيَّةِ اللهِ ويسوع المسيح، والتحذيرُ من التَّعاليمِ الباطلةِ التي من شأنِها هدْمُ هذه المعيَّة. لأنَّها تعاليمُ تزعُمُ أنَّ الشَّرَّ ينتجُ عن الاحتكاكِ بالعالَمِ الطَّبيعي، ولذلك لا يمكنُ أنْ يكونَ المسيحُ قد صارَ بشراً. فالخلاصُ إذن هو بالتحرُّرِ من همومِ الحياة في هذه الدُّنيا، ولا شأنَ له بمسائلَ الأخلاق أو محبَّةِ الإنسان للإنسان. وفي الرَّدِّ على هذه التَّعاليم الباطلة، يُؤكِّدُ الكاتبُ أنَّ يسوعَ بالفعلِ صارَ إنساناً، وأنَّ الذين يؤمنونَ بيسوع ويُحبُّونَ اللهَ يجبُ أنْ يُحِبَّ بعضُهُم بعضاً.

والرِّسالةُ الثانيةُ كتبَها «الشَّيخُ» إلى «السيِّدةِ وأبنائِها»، الذين هم ربَّما الكنيسة هناك

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص328 ـ 329.

وأعضاؤُها. وهذه الرِّسالةُ الموجزةُ هي دعوةٌ إلى المحبَّةِ وتحذيرٌ من المُعلِّمين الكذَبة وتعاليمِهم.

والرِّسالةُ الثالثةُ كتبَها «الشَّيخُ» إلى راعي إحدى الكنائس، واسمُهُ «غايس»، فمدحَتْهُ لمساعدتِهِ سائرَ المسيحيِّين، وحذَّرتْهُ من رجُلٍ اسمُهُ «ديوتريفُس».

6. ورسالةٌ تُنْسَب إلى يهوذا: (كُتِبَت تقريباً سنة 65م)، وهو حواريٌّ، ويقولونَ إنَّه يُدْعى «لباوس»، ولُقِّب «تداوس»، وهذا هو الاسمُ الذي ذُكِرَ في إنجيلِ متَّى، وهو أخو يعقوب. وقالوا إنَّه ماتَ شهيداً ببلادِ العَجَم. وهو بلا شكّ غير يهوذا الأسخريوطي الذي - وفقاً للأناجيل - خانَ يسوع.

وكان المقصودُ بهذه الرِّسالةِ تحذيرَ المؤمنين من المُعلِّمينَ المُضِلِّينَ، الذين ظهروا في الكنيسةِ في عصْرِ الرُّسُل، وكانوا يعتقدونَ أنَّ الخلاصَ بالمعرفةِ دونَ الإيمان، وفصلوا الرُّوحَ عن المادَّة، واتَّخذوا من ذلك وسيلةً للفسادِ والفجور (أي الغنوصيُّون أو بعضُهُم).

كتَبَ طابور: «مثلما كان الحالُ بالنِّسبةِ لرسالةِ يعقوب (جيمس)، يُناقِشُ رجالُ اللَّاهوت في القرْنِ الرابع، حولَ ما إذا كان ينْبغي إدْخالُ رسالةِ يهوذا في العهدِ الجديد... ولم يحدُث قطُّ أنْ قُرِئَت عبارةٌ واحدةٌ من رسالةِ يهوذا في أوساطِ قراءات القُدَّاساتِ الكاثوليكية الرُّومانية... وكان المصْلحُ البروتستانتي مارْتِن لوثِر، الذي كان من المنافحينَ المُتحمِّسينَ عن بولُس، قد حذَفَ رسالتي يعقوب (جيمس) ويهوذا من نهايةِ طبعتِهِ للعهدِ الجديدِ في العام 1533م... وقد علَّقَ بأنَّ يعقوب (جيمس) بشكلٍ خاصٍّ كان «تلميذاً ضالّاً»!...

وتشارَكَ كلٌّ من يعقوب (جيمس) ويهوذا في النَّظرةِ الرُّؤيويةِ العامةِ في أنَّ يسوع ويوحنَّا المعْمدان قد أعلنا، وكتَبَ يعقوب بأنَّ «قُدُومَ الرَّبِّ باتَ وشيكاً»، وأنَّ «القاضي واقفٌ عند الأبواب»[1]...

وأشارَ يعقوب (جيمس) ويهوذا إلى أخيهِما يسوع باسْمِ «الرَّبّ»، ولكنَّهما لم يستخدِما اصْطلاح «الإله الرَّب» في الإشارةِ إليه (كما كان بولُس يفعل)، بل كانت الإشارةُ إلى «مُعلِّمِهِم» المحترم الذي قدَّمَ حياتَهُ في سبيلِ قضيَّةِ ملكوت الرَّبّ. والكلمةُ الإغريقيَّةُ من

(1) رسالة يعقوب 5: 8 - 9.

أجلِ «ربّ» هي Kurios، وهي اصطلاحٌ من أجلِ الاحترام، وهي قريبةٌ بعضَ الشَّيءِ من كلمةِ «مولى» Sir، أو «سيِّد» Mister، في الاستخداماتِ الإنجليزيةِ القديمة»[1].

- بالإضافةِ إلى الاثنتين وعشرينَ رسالة، تأتي أخيراً رسالةٌ يُسمُّونَها «السِّفْرُ النَّبوي»، وهي «رُؤيا يوحنَّا اللاهوتي» (كُتِبَت تقريباً سنة 95م): وهي رسالةٌ تُخالِفُ في منحاها ومنهجِها الرَّسائلَ السَّابقة.

فبينما كانت الرَّسائلُ السَّابقةُ وعظيَّةً وتعليميَّةً عموماً، وتتعرَّضُ لذكرِ بُنُوَّة المسيح، وتخليصِهِ للعالَمِ من خطيئتِهِ، تجدُ رسالةَ «رُؤيا يوحنَّا اللاهوتي» تُعنى ببيانِ أُلوهية المسيح وسلطانِهِ في السَّماء، وعلْمِهِ بحالِ الكنيسةِ والقوَّامينَ على المسيحيَّةِ من بعدِهِ.

وهي تارةً تُصوِّرُ الإلهَ في عليائِهِ كشيخٍ أشيَبَ يُشبِهُ المسيحَ متمنطقاً عند ثدْيِيهِ بمنطقةٍ من ذهب، وعيناهُ كلَهَبِ النار، وفي يدِهِ سبعةُ كواكب، وسيفٌ ماضٍ ذو حدّين يخرُجُ من فيه (الإصحاح الأوَّل). وتارةً أُخرى تُصوِّرُ المسيحَ خروفاً قائماً كأنَّه مذبوحٌ له سبْعةُ قُرُون وسبْعُ أعيُن (الإصحاح الخامس).

قانونيةُ العهدِ الجديد:

من الضَّروري التعرُّف على تاريخِ قانونيَّة العهد الجديد، والظُّروفِ التي دفعت بالكنيسةِ إلى القبولِ بأناجيلَ ورسائلَ معيَّنة، ورفضِ أناجيلَ ورسائلَ أخرى.

المعروفُ حالياً بين مؤرِّخي المسيحيَّةِ هو أنَّ قانونيةَ الأسفار التي بين أيدينا الآن - التي تُمثِّلُ بمجموعِها أسفارَ العهد الجديد - لم يتحدَّد موقفٌ نهائيٌّ منها إلا في أواخرِ القرْن الرَّابع الميلادي.

لكن هذا لا يعني أنَّ هذه الكُتُب لم تكن معروفةً ومتداولةً في ذلك الزَّمان، بل كانت متداولةً ومقبولةً على نطاقٍ واسع، خصوصاً في القرْنينِ الثالث والرَّابع، وكذلك بقيَّة الكُتُب الأخرى التي سُمِّيت فيما بعد بـ «الكُتُبِ المَنْحولة».

وهذا يعني أنَّ المسيحيِّينَ الأوائلَ كانوا ينظرونَ إلى هذه الأسفارِ والكُتُبِ على أنَّها تنقُلُ ما عملَهُ يسوع المسيح وآياتَهُ وتعاليمَهُ كما نقلَها التقليدُ الشَّفوي، فهي لم تكن قد اكتسبَتْ بعدُ صفةَ الإلهامِ والوحي.

---

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص333 - 335.

وهناك رأيٌ يقولُ إنَّ الأناجيلَ الأربعة قد جُمِعَت معاً في إنجيلٍ واحدٍ حوالي سنة 150م. ويُعزي البعضُ السَّببَ في جمْعِ أسفار العهد الجديد إلى الخطَرِ الذي استشعرَتْهُ الكنيسةُ من مارْقيون، وذلك حوالي سنة 140م، عندما حاولَ جمْعَ عددٍ من الكُتُبِ المسيحيَّةِ لاستئصالِ نفوذ العهد القديم، وايجادِ مُعادلٍ لذلك العهد، سُمِّي بـ«العهدِ الجديد». لقد كان مارْقيون عنيفاً في آرائِهِ ضدَّ اليهود، حيثُ ذهبَ إلى أنَّ إلهَ اليهود الذي أعطى «النَّاموسَ» لموسى وخلَقَ العالَم، كان في الحقيقةِ إلهاً شرِّيراً! وفي تصنيفِهِ للعهدِ الجديد، ضمَّ إليه: إنجيل لوقا، الرِّسالة إلى أهلِ غلاطِيَّة، الرِّسالة الأولى والثانية إلى أهلِ كورِنْثوس، الرِّسالة إلى أهلِ روما، الرِّسالة الأولى والثانية إلى أهلِ تسالونيكي، الرِّسالة إلى أهلِ أَفَسُس، الرِّسالة إلى أهلِ كولوسي، الرِّسالة إلى أهلِ فيلبِّي، الرِّسالة إلى أهلِ فِليمون. وقد عُرِفَ هذا العهدُ باسم «الإنجيلُ والرَّسول»، الذي أقامَهُ مارْقيون ضدَّ النَّاموس والأنبياء التي يشتملُ عليهما العهدُ القديم.

وأما التاريخُ الدَّقيقُ لقبولِ هذه الأسفار على أنَّها كتُبٌ قانونية، ومن ثمَّ كتُبٌ مقدَّسةٌ وموحاةٌ من اللهِ، فلا يوجدُ هناك عالِمٌ من العُلَماءِ يمكن أنْ يجزِمَ به، بل وحتى مكانَ ذلك. بل يحتمِلُ العلماءُ أنْ يكونَ كلُّ إنجيلٍ من الأناجيلِ الأربعةِ قد اكتسَبَ التداوُلَ والنُّفُوذَ عن طريقِ تبنِّي إحدى الكنائس الكبيرة له.

ولذا فإنَّ أغلَب عُلماء الكتاب المُقدَّس يذهبونَ إلى أنَّ شرعيةَ وقانونيةَ العهد الجديد بأسفارِهِ ككُلّ، إنَّما تمَّت بعد النِّصفِ الثاني من القرْنِ الرَّابع. بل حتى إلى بدايةِ القرْن الرَّابع، كانت الاختلافاتُ كثيرةً حول هذه الكُتُب والمؤلَّفات. ويصفُ إيزبيوس هذا الوضعُ المتأزِّمُ حولَ الكُتُب الكثيرة التي انتشرت في العالَمِ المسيحي، فيُقسِّمُ هذه الكُتُب إلى ثلاثِ طبقات، وهي:

1. كُتُبٌ قُبِلَت بوجهٍ عامّ: وهي الأناجيلُ الأربعة، أعمالُ الرُّسُل، رسائلُ بولُس، رسالةُ بُطْرُس الأولى، رسالةُ يوحنَّا الأولى، ويمكنُ إضافةُ رؤيا يوحنَّا.
2. كُتُبٌ لا تزالُ موضِعَ جدَلٍ، لكن اعتُرِفَ بها على نطاقٍ واسع: وهي رسالةُ يعقوب، رسالةُ يهوذا، رسالةُ بُطْرُس الثانية، رسالةُ يوحنَّا الثانية والثالثة.
3. كُتُبٌ مرْفوضة: وهي رسالةُ أعمال بولُس، راعي هِرْمس، رؤيا بُطْرُس، رسالةُ برْنابا. وبالنِّسبةِ للبعض رؤيا يوحنَّا.

وهذه الكُتُبُ المرفوضةُ المذكورة، ما هي إلا نزرٌ يسيرٌ من كُتُبٍ كثيرة. ذُكِرَت تلك

الكُتُبُ المرفوضة من مصادرَ مسيحيَّة مختلفة. فمثلاً تذكُرُ دائرةُ المعارفِ الأمريكية قائمةً بأسماءِ الكُتُب المرفوضة:

1. إنجيلُ توما.
2. إنجيلُ متَّى المنحول.
3. الأناجيلُ اليهودية/ المسيحية، وهي أربعة: إنجيلُ العبرانيِّين، إنجيلُ الناصريِّين، إنجيلُ الاثني عشر، إنجيلُ الآبيونيِّين.
4. إنجيلُ المصْريِّين، وقد عُرِفَ بذلك لانتشارِهِ بينهم.
5. إنجيلُ بُطْرُس.
6. إنجيلُ باسيليوس: من أصْلٍ إسْكندري، ظهَرَ قبل منتصف القرْن الثاني.
7. إنجيلُ ابللس: تلميذُ مارْقيون.
8. إنجيلُ ناسينس: يُنْسبُ لطائفةٍ غنوصية.
9. إنجيلُ فيليب.
10. إنجيلُ مِتْياس.
11. إنجيلُ مريم، توجدُ منه ثلاثُ قُصاصات فقط، إحداها بالقبْطية.
12. إنجيلُ برثولماس.
13. إنجيلُ نيقوديموس.
14. إنجيلُ غمالائيل.
15. إنجيلُ الكمال.

وبالإضافةِ إلى هذه الأناجيلِ والكُتُب، هناك أناجيلُ وكُتُبٌ أخرى ذكرها آباءُ الكنيسةِ الأوائل، ولكن للأسفِ لا يوجدُ منها حالياً أيُّ نصٍّ، فهي مطموسةُ المعالِم لعُلماءِ اليوم، ومنها:

1. إنجيلُ إندراوس.
2. رسالةُ أعمال إندرواس.

3. إنجيلُ برْنابا[1].
4. إنجيلُ الانكراتيين.
5. إنجيلُ هسيشيوس.
6. إنجيلُ يهوذا (لكن هذا الإنجيل اكتُشِفَ مُؤخَّراً، وتُرجِمَ إلى الانجليزية: 2005 ـ 2006م)[2].
7. رؤيا استيفانوس.
8. إنجيلُ ثداوس.
9. إنجيلُ الحقيقة.

ورسائلُ أخرى كثيرة كُتِبَت تحكي أعمالَ الرُّسُل.

---

(1) هذا الإنجيلُ يختلفُ عن الإنجيلِ المتداول المسمى بـ «إنجيل برنابا»، الذي لم تعترف فيه الكنيسةُ المسيحيَّة. وقد ذهبَ بعضُ العلماء المُدقِّقين إلى أنَّ كاتبَ إنجيل برنابا المتداول هو الرَّاهب مارينو، بعد أنْ أعتنق الإسلام، وتسمَّى باسم مصطفى العرندي، حيثُ قيل إنَّه ألَّفَ إنجيل برنابا في القرْنِ الخامس عشر ميلادي، أي بعد مجيءِ رسول الإسلام بـ 9 قرون.
الكتابُ وُجِدَت له مخطوطتان، الأقدم هي باللُّغةِ الإيطالية، والأخرى بإحدى لهجات إسبانيا. وعلى الرَّغم من فقدان المخطوطة الاسبانية حالياً، فإنَّ النصَّ الذى بقيَ حالياً هو نسخةٌ جزئيةٌ من القرْن الثامنَ عشر. طول إنجيل برنابا هو طول الأناجيل القانونية الأربعة نفسه، ويستعرضُ حياةَ يسوع التبشيرية. في بعضِ النواحي الأساسية، يتَّفق هذا الإنجيل مع التَّفسيرِ الإسلامي للأصولِ المسيحيَّة، ويتعارض مع تعاليمِ العهد الجديد للعقيدةِ المسيحيَّة.
يُعتبرُ هذا الإنجيل من قِبَلِ غالبية الأكاديميين، بما في ذلك المسيحيِّين وبعض المسلمين (مثل عباس محمود العقاد)، عملاً مُلفَّقاً وكتاباً منحولاً كُتِبَ في وقتٍ متأخِّر، وذلك لوجودِ العديد من الأخطاءِ التاريخية التي تُرجِّحُ أنَّ كاتبَهُ مسلمٌ حاولَ مواءمة بعض ما فيه ليتوافقَ مع الإسلام، حيثُ ينفي ألوهية يسوع، ويتحدَّث عن بشارتِهِ برسولٍ اسمهُ أحمد. ومع ذلك، يرى بعضُ الأكاديميين أنَّ إنجيلَ برنابا يحتوي على بعضِ بقايا سابقة من عمَل مُلفِّقٍ (ربَّما غنوصي، أو أبيوني، أو من الإنجيل الرُّباعي).
بعضُ المسلمين يعتبرون إنجيل برنابا النُّسخة الأصلية للإنجيل. كما أنَّ بعضَ المنظَّمات الإسلامية تستشهدُ بإنجيل برنابا في دعمِ وجهة النظر الإسلامية عن يسوع، إلا أنَّ هذا الموقف لا يُعبِّر - كما أرى - عن موقفٍ علْميٍّ محايدٍ ونزيه.

(2) تمَّ اكتشافُهُ في صحراءِ بنى مزار من قِبَلِ فلاحين في أحدِ الكهوف، وذلك عام 1972م، فقاموا ببيعِهِ لأحدِ تُجَّار الآثار الذي هرَّبَها خارجَ البلاد، وهو الإنجيلُ الذي عُرِفَ بأنَّه ضمن مجموعة وثائق نجع حمَّادي. وإنجيلُ يهوذا يُوضِّحُ أبعاداً مختلفةً لعلاقةِ هذا التلميذ بالمسيح ، عمَّا هو واردٌ في أناجيلَ متَّى ومرْقس ولوقا ويوحنَّا، حيثُ يُصوِّرُ المخطوط يهوذا بأنَّه خازنُ الأسرار والمعارف الإلهية بالنِّسبةِ للمسيح.

الآن، القائمةُ الأولى المُدوَّنةُ من قِبَلِ أيِّ شخصٍ ذي سُلْطةٍ في الكنيسة، والتي احتوت على جميعِ الأسفار السَّبعة والعشرين للعهدِ الجديد، الموجودةُ بين أيدينا اليوم، كانت قد كُتِبَت سنة 367م. ففي ذلكَ العام تحدَّثَ البطْرَيرك أثناسيوس الإسْكندري أسقُف مصْر، عن ضرورةِ اعتبار الأسفار السَّبعة والعشرين قانونيَّة. لذا فإنَّ أقدَمَ عهدٍ جديدٍ كاملٍ في حوزتِنا لا يُمثِّلُ العهدَ الجديدَ نفسَهُ، والذي قبِلَت به الكنائسُ اليوم، وفي منتصفِ القرْن العشرين توقَّفَ العلماءُ عن النَّظَرِ إلى ذلك كأمرٍ مُحيِّرٍ بل مُذْهل.

وهناك مشكلةٌ أخرى جدِّية، وهي مشكلةُ «النَّصُّ الأصلي»، التي تعتبرُ بحقّ مشكلةُ المشاكل التي تشغَلُ ذهنَ علماء الكتاب المُقدَّس في هذا القرْن. إذ إنَّه وحتى زمان اختراع الطِّباعة لم يكن هناك اتفاقٌ كاملٌ على أيٍّ من نصوصِ العهدِ الجديدِ اليونانيَّة أو اللاتينيَّة، وذلك لأنَّ كلَّ النُّسَخ التي كانت موجودةً حتى انعقاد مجْمع نيقية كانت قد ضاعت.

وتقولُ دائرةُ المعارفِ البريطانية بهذا الشَّأن: «النُّسَخُ الأصليَّةُ (اليونانية) لكُتُبِ العهدِ الجديد اندثَرَت منذُ مدَّة طويلة (فيما عدا بعض بقايا من صعيدِ مصْر). فإنَّ كلَّ النُّسَخ التي استخدَمَها المسيحيُّونَ في الفترةِ التي سبقت مجْمع نيقية قد غشيَها نفسَ المصير».

ولذا فإنَّ مسألةَ الوصول إلى نصٍّ واحدٍ يعتبرُ هو النَّصُّ الأصلي لأسفارِ العهد الجديد أمرٌ غيرُ ممكنٍ أبداً. وكانت هناك محاولاتٌ عديدةٌ من قِبَلِ علماء الكتاب المُقدَّس، لكنَّها باءَت بالفشَل. حتى إنَّ دائرةَ المعارف البريطانية تقول: «أمَلٌ لا طائِلَ من ورائِهِ أنْ نتصوَّرَ إمكانيةَ الوصول إلى النَّصِّ الأصلي، وذلك عن طريقِ ترتيبِ النَّصّ السَّكندري، والنَّصّ الغربي القديم، والنَّصّ الشَّرقي القديم (البيزنطي)، ثمَّ قبول النَّصّ الذي يتَّفقُ عليه اثنانِ منهم ضدَّ الآخر».

إذن نستخلصُ من ذلكَ أنَّ الأسفارَ الموجودةَ حالياً للعهدِ الجديدِ إنَّما قُبِلَت قانونيَّتُها في القرْنِ الرَّابع الميلادي من قِبَلِ الكنيسة، وأنَّها حتى ذلك الوقت لم تعترف بها الكنيسةُ بوصفِها أسفاراً مُقدَّسةً ومُلْهَمة، بل إنَّ مؤلِّفيها أيضاً لم يتفوَّه أحدٌ منهم بأنَّه يكتُبُ وحياً سماوياً، بل ولم يخطُر على بالِهِ ذلك أبداً، وأنَّ النُّصوصَ الأصليَّة، وبل ونُسَخُ النُّسَخ فُقِدَت تماماً، والنُّسَخُ التي بحوزتِنا تحتوي على أخطاءٍ كثيرة، منها غير مُتعمَّدة (كضعْفِ سمْعِ الخطَّاط أو بصَرِهِ أو ضعْفٍ في التَّهجئة أو عدمِ الانتباه)، وأخرى مُتعمَّدة (لتنْسَجِم مع المعتقداتِ اللاهوتية). وهذا يُؤكِّدُ أنَّ عمليةَ إضافةَ صبْغة الإلهام والوحي ونسْبَتَهُ إلى هذه الكُتُب، ما هي إلا من عمَلِ الكنيسة والمجامع المسْكونية.

أما إذا سألْتَ عن المعيارِ الذي اتخذَتْهُ الكنيسةُ في انتخابِ هذه الكُتُب على أنَّها كتُبٌ قانونية، في حين رفضت أضعافَ هذه الكُتُب واعتبرتْها غير قانونية، فالجوابُ هو أنَّ الكُتُب التي اعتُبِرَت قانونية كانت هي الأقرب إلى تعاليمِ الكنيسة ومعتقداتِها[1].

مخطوطات نجْع حمَّادي:

هذه المخطوطاتُ هي مجموعةٌ من النُّصوصِ الغنوصيَّة، اكتُشِفَت بالقُرْبِ من نجْع حمَّادي في صعيدِ مصْر سنة 1945م (على نهرِ النِّيل شمال الأُقْصُر).

تتألَّفُ من اثنتي عشرة بردية، وجدَها مُزارعٌ يُدْعى «محمَّد السمَّان» مدفونةً في جِرارٍ مغلقة. اشتملَت على اثنتينِ وخمسينَ مقالة معظَمُها غنوصي، لكنَّها اشتملت أيضاً على ثلاثةِ أعمالٍ تنتمي إلى متونِ هِرْمِس وترجمةٍ جزئيةٍ لكتابِ الجمهورية لأفلاطون.

أثَّر اكتشافُ هذه النُّصوص بشكلٍ كبيرٍ على الدِّراساتِ الحديثة حولَ المسيحيَّةِ الأولى والغنوصيَّة.

في مقدِّمتِهِ لكتابِهِ «مكتبة نجْع حمَّادي»، أشارَ جيمس روبنْسون إلى أنَّ هذه المخطوطات قد تنتمي إلى ديرِ القدِّيس باخوم القريب، ودُفِنَت بعدَ أنْ أدانَ البابا أثَناسيوس الأول استخدامَ الكُتُب غير الكنسيَّة في خطابِهِ لعيدِ الفصْح سنة 367م.

كُتِبَت تلك المخطوطات باللُّغةِ القِبْطية. ويُعدُّ أبرزُ محتوياتِها نسْخةٌ من إنجيلِ توما، التي تُعدُّ النُّسخةُ الوحيدةُ المكتملةُ من هذا الإنجيل. بعد اكتشافِها، اعتمَدَ الباحثون أجزاءَ الأقوال المنْسوبة ليسوع التي اكتُشِفَت في أوكسيرينخوس سنة 1898م المعروفة ببرْديةِ أوكسيرينخوس الأولى، وقارنوا محتويات المخطوطات بالاقتباساتِ الموجودة في المصادرِ المسيحيَّة التي ترجعُ إلى عصورِ المسيحيَّةِ الأولى. كما ربطوا تلك النُّسخةَ من إنجيلِ توما بالنُّسخةِ اليونانيةِ الأصليةِ الناقصة[2].

ترجعُ تلك المخطوطات إلى القرْنين الثالث والرَّابع الميلاديَّين، وهي محفوظةٌ الآن في المتحفِ القِبْطي في القاهرة.

بدأت محاولاتُ ترجمة المخطوطات سنة 1956م، لكنَّها كانت بطيئةً نظراً للأوضاعِ

---

(1) علي الشيخ، **اللاهوت والمسيح**، ص33 ـ 40.

(2) وقلتُ فيما مضى إنَّ اكتشاف إنجيل توما كان له أثر هام في تأييد فرضية الإنجيل Q.

السِّياسية في مصْر في تلك الفترة. ولم تبدأ المحاولاتُ الجدِّية للترجمة إلا مع سنةِ 1966م، عندما سمَحَت السُّلُطات لمجموعةٍ من الباحثين، برئاسةِ الباحث في الغنوصيَّةِ جيمس روبنْسون، بالاطِّلاع عليها، فأخذت على عاتِقِها ترجمةَ ونشْر تلك المخطوطات بعدَّةِ لُغات بالتَّعاونِ مع معهد الآثار والمسيحيَّة في جامعةِ كلاريمونت بكاليفورنيا.

ثمَّ اختيرَ روبنْسون سكرتيراً للَّجنةِ الدُّولية لمخطوطاتِ نجْع حمَّادي التي شكَّلَها اليونسكو ووزارةُ الثقافة المصرية سنة 1970م. وبين سنتي 1972 - 1977م، تمَّ نشْرُ 122 مجلَّداً لمحتوياتِ المخطوطات، ثمَّ تلاها إصداران سنة 1979م وسنة 1984م نُشرا في لايدن، ممَّا جعلَها متاحةً للجميعِ للدِّراسةِ والاطِّلاع.

في الوقتِ نفسِهِ، في ألمانيا الشَّرقية، قامَ مجموعةٌ من الباحثين، من بينهم ألكسندر بوهليج ومارتن كراوس، والمتخصِّصيْن في دراساتِ العهد الجديد: غيسن شينك وهانز - مارتن شينك وهانز - غيبهارد بيثغ، بعمَلِ أوَّل ترجمة ألمانية للمخطوطات.

أما ترجمةُ روبنْسون، فقد نُشِرَت للمرَّةِ الأولى سنة 1977م، تلَتْها طبعاتٌ أخرى منقَّحة في السَّنوات 1981، 1984، 1988م. ونشرَت جامعةُ ييل نسْخةٌ أخرى بالإنجليزيةِ سنة 1987م، تحتَ عنوان «المخطوطاتُ الغنوصيَّة: ترجمةٌ جديدةٌ مع شروحات»، اشتملت تلك النُّسْخةُ على ترجمةٍ جديدةٍ مع مقارنةِ المحتوى مع الكتاباتِ الهرْطوقية وكتابات غنوصيَّة أخرى، كما اشتملت على مقدِّماتٍ تعريفيةٍ حولَ الجماعات الغنوصية.

يرى بعضُ الباحثين أنَّ محتوى تلك المخطوطات لم يكن كُلُّهُ غنوصيّاً. فمثلاً ادَّعى باترسون براون أنَّ أناجيلَ نجْع حمَّادي الثلاثة «توما» و«فيليب» و«الحقيقة»، لا يمكن وصفُها بذلك. حيثُ أنَّ كلَّ واحدٍ منها تُؤيِّدُ صراحةً الحقيقةَ الأساسيةَ وقُدْسيةَ الحياة المُتجسِّدة، التي تعتبرُها الغنوصيَّةُ وهميَّةً. ويُخالِفُهُ الرَّأيَ في ذلك آخرون، ويرونَها غنوصيَّةً بوضوح، ونقلوا اقتباساتٍ عن يسوع نفسِهِ لإثباتِ هذه الغاية[1].

---

(1) قائمةٌ بمخطوطات نجْع حمَّادي:

- السِّفرُ الأوَّل: صلاةُ بولُس الرَّسول، أبوكريفون يعقوب (ويُعرَفُ أيضاً بـ «الكتابِ السِّري ليعقوب الصدِّيق»)، إنجيلُ الحقيقة، مخطوطةُ القيامة، مقالةُ التَّثليث.
- السِّفرُ الثاني: أبوكريفون يوحنَّا، إنجيلُ توما، إنجيلُ فيليب، أقانيمُ الرُّؤساء، حولَ أصْل العالَم، تفسيرُ الرُّوح، كتابُ توما المزعوم. =

الآن، طالما أنَّ اكتشافَ هذه النُّصوص أثَّرَ بشكلٍ كبيرٍ على الدِّراساتِ الحديثة حولَ المسيحيَّةِ الأولى والغنوصيَّة، إذن باتَ من الضَّروري أنْ نأخُذَ فكرةً موجزةً للغايةِ عن الغنوصيَّةِ.

نبذةٌ عن الغنوصيَّة:

كلمةُ «الغنوصيَّة» Gnosis مشتقَّةٌ من الكلمةِ اليونانية γνοσισ أي (معرفة). والمقصودُ بها المعرفةُ الحدْسيَّةُ الباطنيَّة، ويُرادِفُها في لُغةِ التصوُّف الإسلامي لفْظَ «العِرْفان». وقد ظهرت الحركةُ الغنوصيَّةُ أولاً كمدرسةٍ أو مدارسَ فكريَّة داخلَ الكنيسة، لكن سرْعانَ ما انتشرت في مراكزَ مسيحيَّة رئيسيَّة. وفي نهايةِ القرْنِ الثاني، كان الغنوصيُّونَ قد صاروا فعلاً طوائِفَ مستقلَّة.

يدَّعي بعضُ الباحثين أنَّ الأصولَ الفكريَّةَ للغنوصيَّةِ المسيحيَّةِ في القرْنِ الثاني، كانت موجودةً في الدِّياناتِ الوثنيَّة، وأنَّ بعض كتابات العهد الجديد المتأخِّرة، مثل رسالة يوحنَّا

= • السِّفرُ الثالث: أبوكريفون يوحنَّا، إنجيلُ المصْريِّين القِبْطي، يوغنوسطوس المبارك، حكمةُ يسوع المسيح، حوارُ المُخلِّص.
• السِّفرُ الرَّابع: أبوكريفون يوحنَّا، إنجيلُ المصْريِّين القِبْطي.
• السِّفرُ الخامس: يوغنوسطوس المبارك، سفرُ الرُّؤيا القِبْطي لبولُس، رسالةُ الرُّؤيا الأولى ليعقوب، الرُّؤيةُ الثانية ليعقوب، سِفرُ الرُّؤيا لآدم.
• السِّفرُ السَّادس: أعمالُ بُطْرُس والرُّسُل الاثني عشر، الرَّعد، العقل المثالي، حُجِّيةُ التعليم، مفهومُ قوَّتنا الكبيرة، الجمهورية لأفلاطون (النُّسخةُ الأصلية غير غنوصية، لكن نُسْخة نجْع حمَّادي معدَّلة بكثافة وِفْق المعتقدات الغنوصية)، مناقشةُ المخطوطة الثامنة والتاسعة من متونِ هِرْمس، صلاةُ عيد الشُّكْر مع ملاحظاتٍ من صلواتِ متون هِرْمس، أسكليبيوس، مخطوطةٌ أخرى من متونِ هِرْمس.
• السِّفرُ السَّابع: صياغةُ سام، الخطاب الثاني لسيثِ العظيم، سِفرُ الرُّؤيا الغنوصي لبُطْرُس، تعاليمُ سيلفانوس، لوحاتُ شيث الثلاث.
• السِّفرُ الثامن: زوستريانوس، رسالةُ بُطْرُس إلى فيليب.
• السِّفرُ التاسع: ملْكي صادق، عقيدةُ نوريا، شهادةُ الحقّ.
• السِّفرُ العاشر: مارسيانيس.
• السِّفرُ الحادي عشر: تفسيرُ المعرفة، شرحُ فلنتينوس الغنوصي وحول مسحة الزَّيت وحول المعمودية (جزآن) وحول القُرْبان المُقدَّس (جزآن)، ألوغينيس، هيبسيفرون.
• السِّفرُ الثاني عشر: جُمَلُ سكستوس، إنجيلُ الحقيقة، مقتطفات.
• السِّفرُ الثالثُ عشر: تريموفيك بريتونويا، حول أصْل العالَم.

الأولى والرَّسائل الرَّعوية، رفضت صوراً من التَّعليمِ الكاذب، تتشابهُ مع **التَّعليم الغنوصي**، الذي أشارَ إليه كُتَّابُ القرْنِ الثاني. في حين يرى باحثون آخرون أنَّ الأناجيلَ الرَّسمية، كإنجيل لوقا وإنجيل يوحنَّا، تستبطنُ روحاً غنوصيَّة.

ويرى مُحقِّقونَ بارعونَ في تاريخِ المسيحيَّة أنَّ بموازاةِ الانشقاق الأوَّل الذي حصَلَ في المسيحيَّةِ الناشئة، بين الكنيسةِ المُمْتدَّة من أنطاكية وآسيا الصُّغرى إلى روما (التي يُطلَقُ عليها «كنيسةُ الأُمَم»، وإمامُها بولُس، وكُتِبَ لها البقاء)، وكنيسةِ أورشليم (التي يُطلَقُ عليها «كنيسةُ الخِتان»، وإمامُها يعقوب الصدِّيق)، نشأت كنيسةٌ ثالثة، في القرْنِ الأوَّل إلى القرْنِ الثاني الميلادي، غير مُنمَّطة عقائديّاً، وغير مُنظَّمة مراتبيّاً، معادية لكلِّ الميراثِ التوراتي، ممتدَّةً من الشَّامِ إلى مصْر (يُطلَقُ عليها «كنيسةُ الغَنوص»، وأئمَّتُها فلِنْتينوس Valentinus، باسيليد Basilides، وألحقوا بهِما: سمْعان ماجوس أو السَّاحر Simon Magus[1]، ومرْقيون Marcion الذي سنتحدَّث عنه لاحقاً).

تربَّعت كنيسةُ روما على رأسِ الكنائس الأُمميَّة، وصارَ لها دورُ الرِّياسةِ والقيادةِ الرُّوحيَّة والتَّنْظيميَّة. وأمَّا ما عداها فهرطقاتٌ ينْبغي محارَبَتُها واجتثاثُ أصولِها. خلال هذه الفترة،

---

(1) وردت قصَّة سمْعان في الإصحاحِ الثامن من سفر الأعمال: 9 - 24. فوفقاً لهذا السِّفْر، كان سمْعان يُدْهِشُ شعبَ السَّامرة بسحرِهِ، فاعتقدوا أنَّ قوةَ الله العظيمة حلَّت فيه! وجاء فيلُبُّس يكرز بالإنجيلِ في السَّامرة، ورأى سمعان المعجزات التي تجري على يدِ فيلُبُّس، فأيقنَ أنَّها تجري بقوَّةٍ أعظم من سحرِهِ، فآمن واعتمدَ ولازمَ فيلُبُّس مندهشاً من المعجزاتِ التي يجريها. ويبدو أنَّ إيمانَهُ لم ينشأ عن توبةٍ وإنَّما عن ثقةٍ في قوَّةٍ سحريَّةٍ أقوى من سحرِهِ. وسمَعَ بُطْرس ويوحنَّا عن عمَلِ اللهِ في السَّامرة، فنزلا إليها. وأجرى الربُّ بهما معجزات أخرى شبيهةً بتلك التي حدثت يوم الخمسين (أعمال 2)، فاندهشَ سمعان أكثر، وأسرَعَ طالباً معرفة تلك القوَّة السحريَّة العظيمة، مُقدِّماً المالَ ثمناً لذلك، فوبَّخَهُ بُطْرس بشدَّةٍ وطلبَ منه أنْ يتوب. وقد عرفت الكنيسةُ شناعةَ هذه الخطيئة فأطلقت اسْم «السَّمعانية» أو «السِّيمونية» على كلِّ من يُتاجِر في الوظائفِ الكنسيَّة.

وقد كان لسمعان أتباعٌ اسْمهُم «السَّمعانيُّون» أو «السِّيمونيُّون»، اعتبروا سمعان إمامَهُم. وقيل إنَّهم شيعةٌ صغيرةٌ من شِيَع الغنوصيِّين، يقولُ أوريجانوس Origen عنهم إنَّهم ليسوا مسيحيِّين، لأنَّهم يعتبرون سمعان مظهر قوَّة الله. ويقول إيريناوس إنَّ سمعان هذا هو أبو الغنوصيِّين، ولكن أصلُ ومصدر الهرطقة الغنوصيَّة غيرُ معروفٍ تماماً. ولعلَّ الصَّوابَ جانبَ الآباء المسيحيِّين الأوَّلين الذين ربطوا بين سمعان السَّاحر السَّامري (أعمال 8) مع فكرةِ الغنوصيَّة.

https://st_takla.org/Full_Free_Coptic_Books/FreeCopticBooks_ 002_Holy_Arabic_Bible_Dictionary/12_S/S_184.html

كانت كنيسةُ الخِتان تخسَرُ مواقِعَها أمامَ الكنيسةُ القويمة (الأرثوذكسية)، حتى تبدَّدَ أتباعُها في الغرْبِ واختفوا. أما في الشَّرْقِ فقد انقسمت إلى شِيَعٍ مختلفة، واضمحلَّت تدريجياً.

وكنيسةُ الخِتانِ لم تكن في الواقعِ الخصْم الأقوى شكيمةً للكنيسةِ القويمة، فخلال الفترة الانتقالية من القرْنِ الأول إلى القرْنِ الثاني، بدأت بالظُّهورِ في سوريا ومصْر، حركةٌ مسيحيَّةٌ راديكاليَّةٌ، عارضت كلا الكنيستين، هي الحركةُ الغنوصيَّة، التي لم تكتفِ بالإعلانِ عن استقلالِها عن اليهوديَّة، بل وأظهرت العداءَ لكلِّ التصوُّرات التَّوراتيَّة عن الأُلوهيَّةِ والإنسانِ والعالَم. وفي مقابلِ الأناجيل التي تداولَتْها الكنيسةُ القويمة، فقد أنتَجَ الغنوصيُّونَ أناجيلَهُمُ الخاصَّة، التي قالوا باعتمادِها على فهْمِهِم الأصيل لتعاليمِ يسوع المبْثوثة في أناجيلِ القويمين، وعلى تعاليمَ أخرى له سرِّيَّة بثَّها في تلاميذِهِ، وعلى تعاليم بولُس التي بثَّها في رسائلِهِ المعروفة، وتعاليمَ سرِّيَّة له ولتلاميذ آخرين، وصلت إليهم عن طريقِ التَّداول الشَّفهي.

إضافةً إلى تعاليمِ يسوع السرِّيَّة التي بثَّها في نُخبةٍ من تلاميذِهِ خلالَ حياتِهِ، يقولُ الغنوصيُّونَ بأنَّ يسوعَ قد تابَعَ اتِّصالَهُ بالمُختارينَ من تلاميذِهِ بعد صلْبِهِ وقيامِهِ، وذلك عن طريقِ الرُّؤى الذِّهنيَّة، وهم يسْتشهدونَ بالرُّؤيا التي حصلَت لبولُس وهو على طريقِ دمشق. فكما تلقَّى بولُس تعاليمَ خفيَّة من الملأِ الأعلى، كذلك يدَّعي المُعلِّمونَ الغنوصيُّون تلقِّيهم حكمةً خفيَّةً من يسوعِ الحيّ. وهنا تلعبُ شخصيَّةُ يسوع الرُّوحاني، لا يسوع النَّاصري، دوراً مركزياً في تعاليمِهِم. فهم بدلاً من روايةِ قصَّة يسوع من الميلادِ إلى الصَّلْبِ، على الطَّريقةِ التَّقليدية، فإنَّ أناجيلَهُم تبدأُ من حيثُ تنتهي الأناجيلُ الأربعة، أي منذُ ظهور المسيح الرُّوحاني لتلاميذِهِ بعد حادثةِ الصَّلْب.

ويرى الغنوصيُّونَ أنَّهُم قد تجاوزوا تعاليمَ التلاميذ، واكتشفوا ما لم يكتشِفْهُ هؤلاء. فالتلاميذُ في نظَرِهِم ظلُّوا تحتَ تأثير الفكْرِ اليهودي.

إلا أنَّ الغنوصيِّينَ الذين يفتخرونَ بامتلاكِهِم أسرارَ الحقيقة، ينقسمونَ بخصوصِ موقِفِهم من الكنيسةِ القويمةِ إلى فريقين: فريقٌ يدَّعي أنَّ رجالَ تلك الكنيسة ليسوا إلا جداولَ ماء جافَّة، وأنَّهُم أساؤوا فهْمَ تعاليم المسيح، فأسَّسوا كنيسةً زائفة. وفريقٌ يرى أنَّ من حازَ العرفانَ فقد تخطَّى أولئكَ المُوظَّفينَ الكنسيِّينَ، ولم يعُد خاضِعاً لسُلْطَتِهِم، لأنَّ كلَّ من وضَعَ نفسَهُ في تماسٍ مباشرٍ مع يسوعِ الحيّ، صارَ سيِّداً لنفسِهِ. وهذا ما قادَ إلى عدمِ وجود مؤسَّسة دينيَّة غنوصيَّة مراتبيَّة على غرارِ الكنسيةِ القويمة، لأنَّ القيادةَ والمسؤوليَّةَ فيها تبقى تلقائية ومفتوحة ومُتبدِّلة، معيارُها النُّضْج الرُّوحي للمُريد الذي يجبُ عليه إظهارَ شواهِدَ

ملموسة على قابليَّتِهِ لتلقِّي الأسرار. وبينما تُركِّزُ الكنيسةُ القويمةُ على الطَّاعةِ العمياء لرجالِ الدِّين، تُركِّزُ كنيسةُ الغَنوص على حرِّيةِ الفرْد في سلوكِ طريقِهِ مسترشداً بخبرةِ المُعلِّمينَ الغنوصيِّين دونَ تقليدها بشكلٍ أعمى، حتى إذا وصَلَ مرحلةَ النُّضْج الرُّوحي استغنى عن أيِّ مرْشدٍ ودليل.

وإنْ كان الخلاصُ عند اليهودِ يتأتى عن طريقِ الالتزام بالشَّريعة، وعند المسيحيِّين القويمين من خلالِ الإيمان بيسوعِ المسيح، فإنَّ الخلاصَ عند الغنوصي يتأتَّى عن طريقِ فعاليَّة روحانية داخليَّة، تقودُ إلى معرفةِ النَّفْس، ومعرفةُ النَّفْسِ تقودُ إلى معرفةِ الطَّبيعةِ الإنسانيَّةِ ومصيرِ الإنسان، وفي أعمقِ مستوياتِها تقودُ إلى معرفةِ الله، ذوقاً وكشْفاً وإلهاماً. ومن يصبحُ عارِفاً لا يغدو مسيحيّاً، بل يغدو مسيحاً.

وبينما تُصِرُّ الكنيسةُ القويمةُ على أنَّ البشَرَ لا يستطيعونَ السَّيْرَ في الطَّريقِ المُؤدِّي للخلاصِ إلا بعونِ الكنيسةِ وكهنَتِها الذين ورثوا المسيحَ كوسيطٍ بين اللهِ والناس، ترى الغنوصيَّةُ أنَّ النُّورَ قابعٌ داخلَ النَّفْس، ومن عرَفَ نفسَهُ فقد حقَّقَ في الوقتِ نفسِهِ معرفةً بأعماقِ الكُلّ.

وبينما ترى الكنيسةُ القويمةُ أنَّ البؤسَ الإنساني يعودُ إلى الخطيئةِ، ترى الغنوصيَّةُ أنَّه يعودُ إلى الجهلِ لا الخطيئة. فالبشرُ يعيشون في حالةِ نسيانٍ وغفلة، أو نومٍ وخدَرٍ وعمى. والسَّعيُ نحو الاستنارةِ واليقظة يتطلَّبُ جهاداً ضدَّ مقاومةٍ داخليةٍ هي أشبه بالرَّغبةِ في البقاءِ على حالِ النَّوم أو الخدَر أو اللاوعي. إذن يسوعُ المسيح لم يأتِ لتحريرِ الخليقة من الخطيئةِ، بل لتحريرِها من الجهل.

الغنوصيُّونَ لم يؤمنوا بالجسَد، فقد اعتبروهُ مصْدراً للألَمِ والمعاناة. فالجسدُ ما هو إلا ثوبٌ نرتديهِ لفترةٍ مؤقَّتةٍ ثمَّ نتخلَّصُ منه إلى الأبد.

على هذا الأساس، إنْ كانت المسيحيَّةُ القويمةُ تؤمنُ بأنَّ يسوعَ قد ماتَ على الصَّليب، ثمَّ بُعِثَ جسديّاً في اليومِ الثالث، فإنَّ الغنوصيِّينَ يعتقدون بأنَّ المسيحَ لم يُصْلَب ولم يقُم بجسَدِهِ في اليومِ الثالث، وأنَّ من رآهُ من التلاميذِ بعد الصَّلْب قد واجهَهُ على المستوى الرُّوحاني. فآلامُ يسوع وموتُهُ لم تكن سوى مظهَرٍ خادِع. فيسوع عندما أسلَمَهُ اليهودُ إلى الصَّلْب، كان يسْخَرُ من جهلِ اليهود الذين شُبِّهَ لهم أنَّهُم صلبوهُ. وبالتالي فهُم يُنكرونَ قيامتَهُ الجسدية، ولا يرونَ فيها أيَّ معنى، لأنَّ مثل هذه الفكرة تستبطنُ مباركةً للجسَدِ المادِّي، الذي يسعى الغنوصيُّون إلى التخلُّصِ منه.

ومن أهمِّ سِمات التَّعليم الغنوصي، فصْلُهُم وتمييزُهُم بين الإلهِ الخالِق Creator god لهذا العالَم المادِّي الناقص المليء بالشُّرور، وذلك الكائن الإلهي البعيد النُّوراني الذي لا يُعرَف ولا يُوصَف ولا يُحيطُ به اسْم. فمن هذا الكائنُ الإلهي المتعالي خرَجَ الإلهُ الخالق، وصارَ بدورِهِ المصْدَرَ الفوري للخلْقِ وحُكمِ العالَم. فالإلهُ الخالق (الأدنى) هو مصدْرُ العالَم المادِّي، عالَم الجهل والظُّلمات والشُّرور، وليس الإله الأعلى.

ولكن في تكوينِ نفوسِ بعضِ الناس، دخلت بذرةٌ أو شرارةٌ، من الجوهرِ الرُّوحي الإلهي. وعن طريقِ (المعرفة) والطُّقوس المرافقة لها، يمكنُ لهذا العُنْصر الرُّوحي أنْ ينجوَ من البيئةِ المادِّيةِ الشرِّيرة، ويضمَنُ عودتَهُ إلى مكانِهِ الأصلي في الكائنِ الإلهي. هؤلاء الناس هم روحيُّون Spiritual، بينما الآخرون هم مجرَّد جسدانيُّون Fleshly أو ماديُّون Material. وأضافَ بعضُ الغنوصيِّين حالةً ثالثة، وهي النَّفسانيُّون Psychic.

وعمَلُ المسيح كان أنْ يأتي كرسولٍ للإلهِ المتعالي مُقدِّماً المعرفة. وإذ كان كائناً إلهياً، لذلك لم يتَّخِذ جسداً بشريّاً حقيقيّاً ولم يمُت، بل إمَّا أنَّه سكَنَ مؤقَّتاً في كائنٍ إنسانيٍّ، وهو يسوع، أو اتَّخَذَ مجرَّد مظهر خيالي غير حقيقي يبدو كأنَّه إنسان.

وقد تحدَّثَ الآباءُ الكبار الذين كتبوا ضدَّ الغنوصيَّة -مثل إيرينايوس وترتليان وهيبوليتس- عن الأفكارِ الوثنيَّة المستنبطة في الغنوصيَّة، واستعانوا بالمعنى الواضح للأسفارِ المُقدَّسة كما يُفسِّرُها تقليدُ الكنيسة، الذي سُلِّمَ - كما يعتقدون - عن طريقِ تسلْسُلٍ من المُعلِّمين يرجِعُ إلى التلاميذ. وقد ظلَّتْ كتاباتُ هؤلاء الآباء ووصْفُهم للغنوصيَّةِ حتى وقتٍ قريبٍ المصْدرَ الأساسي لمعرفةِ الباحثين عن هذه الحركة التي اعتُبِرَت بدْعة وهرطقة، ووصَلَ الجدلُ فيها ذروتَهُ خلال الفترة الممتدَّة بين عام 150 - 250م.

لكن دخلتْ دراسةُ الغنوصيَّة مرحلةً جديدة، باكتشافِ مجموعة كبيرة من النُّصوصِ القِبْطيَّة، بالقُرْبِ من نجْع حمَّادي في صعيدِ مصر، عام 1945 - 1946م، وهي تتضمَّنُ عشرات الكُتُب، لم يكن معروفاً منها قبلاً إلا اثنين فقط[1].

(1) .fahmy/tertelian/gnosticism.html_athnasius_takla.org/books/fr_https://st

فراس السواح، **الوجه الآخر للمسيح**، انظر الفصل: الثاني، الخامس إلى الثامن.

الفصل الثاني:

تاريخُ المسيح

كلمةُ «المسيح»:

كلمةُ «المسيحِ» من «المسْحِ». والمسْحُ في الكتابِ المُقدَّس يعني صبُّ الزَّيتِ أو الدُّهنِ على الشَّيءِ، لتكريسِهِ لخدْمةِ اللهِ وجعلِهِ مُبارَكاً. وقد أوْصَت الشَّريعةُ الموسويةُ بمسْحِ أشخاصٍ وأماكنَ وآنية، وأمَرَت أنْ يُركَّبَ لذلك دُهْنٌ مُقدَّس. فمن أفخَرِ أنواع الطِّيب، كانت تُمْسَحُ خيمةُ الاجتماع وتابوتُ الشَّهادة. وكان العبرانيُّون يَدْهنونَ رُؤوسَهُم، بالأدْهانِ العطِرة أيَّامَ الأعيادِ والفرَح. فلذلكَ صارَ التدهُّنُ علامةَ الفرح، وتركُهُ علامةَ الحزن.

وكانوا يمْسَحونَ الكهنةَ والأنبياءَ والمُلُوك. وقد يُصابُ كثيرٌ من الناسِ بالدَّهشةِ حين يعلمونَ أنَّ أوَّلَ مسيحٍ في التَّوراةِ كان هو هارون، فقد «مُسِحَ» كاهناً من قِبَلِ أخيه موسى[1] وكان هذا قد حدَثَ منذُ مئاتِ السِّنين، قبلَ أنْ يقومَ النَّبيُّ صموئيل بمسْحِ داود كملِكٍ لإسرائيل[2]، وصارَ من الواجبِ أنْ يكونَ «الكاهنُ» الممْسوحِ من ذُرِّيةِ هارون، وأنْ يكونَ «الملِكُ» الممْسوحِ من ذُرِّيةِ داود[3].

وكان العبرانيُّونَ (وما زالوا) ينتظِرُونَ مجيءَ المسيحِ من جيلٍ إلى جيل. فقد تجدَّدَ الوعدُ به لإبراهيمَ ويعقوبَ وموسى، وتكرَّرَ الوعدُ به في المزاميرِ وأسفارِ الأنبياء، ولا سيَّما في سِفْرِ أشعيا، إلى أنَّ أتى يوحنَّا المعْمدان (يحيى) يُبشِّر بقُدومِهِ. وحالةُ انتظارِ المسيح، وترقُّب مجيئِهِ، عندما تُساهِمُ في بناءِ رؤيةٍ كونيَّةٍ، وتصْبَغُ ذهنَ الإنسان، وتُشكِّلُ أفكارَهُ وتوقُّعاتَهُ ومشاعرَهُ، يُعبَّرُ عنها بـ «المسيحانيَّة».

---

(1) **الخروج** 40: 12 ـ 15.

(2) **صموئيل** 1: 16: 13.

(3) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص78.

وقد وردَتْ كلمةُ «مسيح» في كتابِ اليهود المُقدَّس (العهد القديم) 32 مرَّة، وفي كتابِ المسيحيِّين المُقدَّس (العهد الجديد) 534 مرة، وفي المجموع (في العهدين) 566 مرَّة.

كلمةُ «مسيح» أصلُها «مَسِيَّا» Massiah، وهي بالأساس كلمةٌ عِبْرية أصلُها «مشيخ» Mashiach، ويُقالُ لها بالإنجليزية Christ، وأصلُها اليوناني Christos.

أما اسْمُ النبيِّ المعروف بـ «عيسى» في القرآن، فهو بالعِبْرية «يشوع»، وفي ترجماتِ المسيحيِّين العربية للأناجيلِ يقولون: «يسوع»، وبالإنجليزية Jesus. الاسْمُ العِبْري «يشوع» من المادَّةِ العِبْرية «يشَع»، التي تُكافئُ «وَسَع» العربية، وتعني - كما قيل - «المُنْجي» أو «المُخلِّص» الذي على يديه تأتي السَّعةُ والفرَجُ.

ويبدو أنَّ العربَ لم يسْمعوا من نصرانيِّيهم اسْمَ «عيسى» الذي جاءَ به القرآن، وإنَّما سمِعُوا منهم «يسوع» بالسِّين، على اللَّفظِ الذي ينطِقُ به نصارى السّرْيان. لكن لماذا سمَّاهُ القرآنُ «عيسى»، ولم يقُل «يسوع» التي عرفَتْها العرب؟

يرى الأستاذُ محمود رؤوف أبو سَعْدة أنَّ هذا من فرائدِ القرآن في أعلامِهِ الأعجمية. فلو قالَها «يسوع» على ما شاعت بهِ، لفهِمَها العربُ من العربيةِ على معنى الذي «ساعَ»، من «يسوعُ سوْعاً»، ويعني لُغةً ضاعَ وهَلَك، فـ «السَّائعُ» هو «الضَّائعُ» و«الهالِك»! والمسيحُ ابنُ مريم - وفقاً للقرآن - لم يهلَك على الصَّليب، بل توفَّاهُ اللهُ مُنْجياً له من أعدائِهِ ورافعاً إيَّاهُ إليه. وما كان اللهُ ليُسمِّي المسيحَ ابنَ مريمَ بهذا المعنى المذْموم، ولا يليقُ هذا التعريبُ الببغائي، لأنَّ اللهَ سمَّاهُ بالعَبْرانية «يشوع»، المرادُ منه العكسُ الصَّريحُ لمعنى الضَّائع الهالِك. فالقرآنُ يرفُضُ التَّعريبَ حين يُسيءُ التَّعريبُ إلى المعنى، أي حين تلتَبِسُ صورةُ الاسْمِ في لفظِهِ المُعرَّف بلفْظٍ عربيٍّ يُغايرُ معناهُ معنى الاسْم الأعجمي في لُغةِ صاحبِهِ، فما بالُكَ بتعريبٍ يُفيدُ الضِّدَّ من معناهُ؟

و«العاسُّ» - في لغةِ العرب - هو من يطوفُ باللَّيلِ يحرُسُ الناسَ ويكشِفُ أهلَ الرَّيبة. و«عاسَ» مالَهُ أي أحسَنَ العنايةَ به. والقرآنُ لجأَ بالاسْمِ «عيسى» على غيرِ مثالٍ في العربية، مقلوباً لاسْمِ «يسوع» لإفادةِ عكس معناهُ، لا السَّائع الهالِك، وإنَّما هو النَّاجي المُخلَّص. وأصلُ المقلوب التام لاسْمِ «يسوع» نُطْقاً هو «عوسَيْ» (بفتحِ السِّينِ وسكونِ الياء)، وليس من أوزانِ العربية، فعدَلَ به القرآنُ إلى «عيسى»، اكتفاءً في القلْبِ بدلالةِ نقْل عين «يسو»

الخاتمة من آخرِ الاسْمِ إلى أوَّلِهِ، وبقيت «عيسى» أعجمية غير عربية، كأصْلِها العِبْري «يشوع»، يُفسِّرُها القرآنُ بالمرادف: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾[1] أي مُسْتخلِصُكَ ومُنجِّيك[2].

ويسوع بنَظَرِ المسيحيِّين التقليديِّين: هو المسيحُ ابنُ الله، وبنظَرِ المسلمين: هو المسيحُ رسولُ اللهِ وكلمتُهُ وروحُهُ، وبنظَرِ اليهود: هو مسيحُ مُزيَّفٌ وكاذِب.

لكن دعونا نتساءَل: إذا قطَعْنا النَّظَر عن الأناجيل والرَّسائلِ المُلْحقة بها (العهد الجديد)، وقطَعْنا النَّظَر عن القرآنِ وما ورَدَ في التُّراثِ الدِّيني عموماً، هل ورَدَ ذِكْرٌ ليسوع المسيح في أيٍّ من المصادرِ التاريخيَّة؟

أثيرُ هذا السُّؤال لأنَّ البعضَ بالَغَ في شُكُوكِهِ إلى درجةِ أنْ شكَّ في وجودِ يسوع المسيحي من الناحيةِ التَّاريخية!

يسوع التَّاريخي:

كتَب ول ديورانت: «لقد كان بولِنْجبرْك والمُلْتفُّونَ حولَهُ... يقولونَ في مجالِسِهم الخاصَّة: إنَّ المسيحَ قد لا يكونُ له وجودٌ على الإطلاق. وجهَرَ فُلْني Volney بهذا الشَّكِّ نفسِهِ في كتابِهِ خرائب الإمبراطورية، الذي نشَرَهُ في عام 1791م. ولمَّا التقى نابليون في عام 1808م بفيلاند Wieland العالِم الألماني، لم يسألهُ القائدُ الفاتحُ سؤالاً تافهاً في السِّياسةِ أو الحرْب، بل سألَهُ: هل يؤمنُ بتاريخيَّةِ المسيح؟»[3].

فما هي الأدلَّةُ التاريخيَّةُ التي تُثْبِتُ وجودَ يسوع المسيح؟

يقولُ ول ديورانت: إنَّ أقدَمَ إشارةٍ غيرُ مسيحيَّةٍ إليه، هي التي وردَتَ في كتابِ تاريخ اليهود القديم للمُؤرِّخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس (37 ـ 100م) Josephus Flavius.

و«أقدَمَ ما لدينا من إشاراتٍ إلى المسيح في أدبِ الوثنيِّين، ما ورَدَ في خطابٍ كتبَهُ بليني الأصغر (حوالي 110م)، يستشيرُ فيه تراجان عمَّا يُعامِلُ به المسيحيِّين.

وبعد خمسِ سنين من ذلك الوقت، وصَفَ تاسيتوس (في مؤلَّفِهِ Annal 15:44) اضْطهادَ نيرون للكرسْتياني في روما، ويقولُ إنَّهم في ذلك الوقت كان لهم أتْباعٌ في جميعِ

(1) سورة آل عمران، الآية 55.

(2) محمود رؤوف أبو سعدة، **من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن**، ج2، ص311 ـ 321.

(3) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص202.

أنحاءِ أوروبا. وهذه الفقرةُ شبيهةٌ بكتاباتِ تاستس في أسلوبِهِ وقوَّتِهِ وتحيُّزِهِ، شبَهاً لم يرْتَبْ معه أحدٌ من الباحثينَ إلا درور وحدَهُ في صدورِها من هذا الكاتِب.

ويذكُرُ سوتونيوس (حوالي 125م) خبرَ هذا الاضْطهاد نفسَهُ، كما يذكُرُ نفيَ كلوديوس (حوالي 52) اليهود، الذين أثاروا اضطراباتٍ عامَّةٍ بتحريضِ المسيح. وتتَّفقُ هذه الفقرةُ أشدَّ الاتِّفاق مع ما ورَدَ في إصحاحِ أعمال الرُّسُل من أنَّ كلوديوس أصدَرَ مرْسوماً أوجَبَ فيه على اليهودِ أنْ يخرجوا من روما[1].

وهذه الإشاراتُ كُلُّها تُثبِتُ وجودَ المسيحيِّين لا المسيح نفسِهِ. ولكنَّنا إذا لم نُسلِّم بوجودِ المسيح، فلا مناصَ لنا من أنْ نأخُذَ بالفرْضِ الضَّعيفِ جدّاً، وهو أنَّ شخصيَّةَ يسوع قد اختُرِعَت اختراعاً في جيلٍ واحد. ولا بدَّ لنا من أنْ نفترضَ فوقَ ذلك، أنَّ الجاليةَ المسيحيَّةَ وُجِدَت في روما قبلَ عام 52 ببضْعِ سنين. وإلا لما كانت خليقةً أنْ يصدُرَ بشأنِها مرْسومٌ إمبراطوريٌّ.

ويقولُ ثالُس Thallus، وهو كاتبٌ وثنيٌّ عاشَ في منتصَفِ ذلك القرْنِ الأول في هتامه من كتابٍ احتفَظَ لنا به يوليوس أفركانس: «إنَّ الظُّلْمةَ العجيبةَ التي يُقالُ إنَّها حدثت وقتَ موت المسيح، كانت ظاهرةً طبيعيةً محْضة، ولم تكن أكثرَ من مصادفةٍ عاديَّة». أما وجودُ المسيح فهو عند هذا الكاتبِ قضيَّةٌ مُسلَّمٌ بها مفروغٌ من صحَّتِها.

وقصارى القول أنَّ نُكرانَ ذلك الوجود، لم يخطُر على ما يظهر لأشدِّ المخالفين لليهوديَّةِ، أو لليهودِ المعارضين للمسيحيَّةِ الناشئةِ في ذلك الوقت»[2].

لكن تبقى فقراتُ يوسيفوس لها أهميَّة كبيرة في هذا المجال. فهذا المؤرِّخُ اليهودي كان قد وُلِدَ في أورشليم، بعد رفعِ يسوع النَّاصري بأربعِ سنوات. ويُعطي هذا القُرْب من يسوع – من النَّاحيتينِ الزَّمنيَّة والجُغْرافية – كتاباتَهُ ميزةَ شاهدِ العيان القريب. وأعظَمُ عمليْن ليوسيفوس هما، سردية تكشِفُ تاريخَ الشَّعب العِبْريّ بدءاً من قصَّةِ الخلْق ولغايةِ بداية حرب روما العظمى عليهم عام 66م؛ فيما يُسجِّلُ مؤلَّفُهُ الآخر، والذي كتبَهُ أوَّلاً، وقائعَ دمار أورشليم عام 73م.

يُشكِّلُ عمل يوسيفوس أوْسَع وأشْمَل مصْدر رئيسيّ عن التاريخِ اليهوديّ محفوظٌ

(1) سفر أعمال الرُّسُل 18: 2.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص205 – 206.

لغايةِ اليوم من العصورِ القديمة. وقد بقيَ هذا العمَلُ سليماً إلى حدٍّ كبيرٍ على الرَّغمِ من ضخامتِهِ. وقد استطاعَ يوسيفوس - بسببِ الإشراف الإمبراطوريّ من قِبَلِ أباطرة روما الفلافيين (فاسباسيان، تيطُس، ودوميتيان) - أنْ يُشيرَ إلى تفاصيلَ دقيقة في سجِلَّاتِهِ، وهو امتيازٌ لم يتوفَّر لكتبةِ الأناجيل. وهكذا فإنَّ يوسيفوس يعتبرُ دائماً مصدراً أساسيّاً من المصادرِ الخارجة عن الكتابِ المُقدَّس، لأنَّ كتاباتَهُ تُوضِّحُ بشكلٍ جيِّدٍ معلومات العهدينِ القديم والجديد، وليس ذلك فقط بل أيضاً تُعطينا شروحات إضافية عن شخصيَّاتٍ تاريخيَّةٍ مثلُ هيرودُس الكبير وسلالتِهِ الملكيّة، ويوحنَّا المعْمَدان، ويعقوب أخي يسوع، ورئيسيَ الكهنة حنَّان وقيافا وعشيرتَيْهما وبيلاطُس البنْطي وآخرين أيضاً.

وبما أنَّه يتناول خلفية كهذهِ، فمن الطَّبيعي أنْ نتوقَّع بأنْ يُشيرَ يوسيفوس إلى يسوع النَّاصريّ، وهو يقومُ بذلك فعلاً إذْ يتحدَّث عنه مرَّتين. ففي مؤلَّفِهِ تاريخ اليهود القديم (18: 63)، وفي سياقِ حديثِهِ عن بيلاطُس البنْطيّ (26 - 36م)، يُعطينا المُؤرِّخُ أطولَ مرجعٍ عالميٍّ عن يسوع بين كلِّ المصادر التي تعودُ إلى القرْنِ الأوَّل الميلادي. وعندما يتحدَّثُ لاحقاً عن الأحداثِ التي جرَت أثناء ولاية الحاكم الرُّوماني ألبينوس (62 - 64م) في تاريخ اليهود القديم (20: 200)، يُشيرُ مرَّةً ثانيةً إلى يسوع في سياقِ الحديثِ عن موتِ يعقوب الصدِّيق أخيه في أورشليم.

إنَّ هذه النُّصوص، إضافةً إلى ما جاءَ في المراجعِ الأخرى غير الكتابية وغير المسيحيَّة من القرْنِ الأول - مثل تاسيتوس (في مؤلَّفِهِ Annal 15:44)، وسوتونيوس (كلوديوس 25) وبليني الصَّغير (الرسالة إلى تراجان) - تُثبِتُ بشكلٍ قاطعٍ بأنَّ أيَّ رفضٍ لتاريخيَّةِ شخْصِ المسيح هو مجرَّدُ شطحاتٍ خياليَّةٍ من قِبَلِ الشَّخص غير المُطَّلِع أو المُخادِع.

وقد دأبَ المُمْتَعِضونَ من هذه النُّصوص، التي تُشيرُ بشكلٍ صريحٍ إلى يسوع، على التهجُّمِ عليها على مدى عصورٍ طويلةٍ، وخاصَّةً ذينك النَّصَّيْن ليوسيفوس اللَّذينِ كانا موضوع دراسات كثيرة. فهُما يُشكِّلانِ أوسعُ كمٍّ من الأدلَّةِ العائدةِ للقرْنِ الأوَّل بشأنِ يسوع خارج المصادر الكتابيَّة والمسيحيَّة. وقد يكونُ هذا الأمرُ هو السَّبَبُ الذي من أجلِهِ حُفِظَت أعمالُ يوسيفوس على مدى العصور بشكلٍ شبه كامل، في حين أنَّ كتابات أخرى مشابهة من العصورِ القديمةِ تلاشت تماماً. فلنعكُف الآن على تفحُّص النَّصَّينِ بالتَّتالي.

- **تاريخ اليهود القديم (الكتاب 18: الفقرة 63)**

نقرأُ في النَّصِّ المعتمد من يوسيفوس ما يلي: «في ذلك الزَّمان، ظهَرَ رجلٌ حكيمٌ يُدْعى يسوع، إذا جازَ لنا أنْ ندعوهُ رجُلاً[1] إذْ إنَّه كان صانعَ آياتٍ عجيبةٍ، وكان مُعلِّماً للَّذينَ اتَّبعوا الحقَّ بفرَح. فقد ربَحَ كثيرون من اليهودِ واليونانيِّين. هذا كان المسيح. وقد حكَمَ عليه القادةُ الذين بيننا، وأسلَمَهُ بيلاطُس لحُكْمِ الصَّلْب. لكن الذين أحبُّوهُ من البدايةِ لم يكُفُّوا عن ذلك. فقد ظهَرَ لهم في اليومِ الثالثِ، بعد أنْ عادَ إلى الحياةِ، كما تنبَّأَ عن ذلك أنبياءُ اللهِ، وعن عظائِمَ لا تُحْصى بشأنِهِ[2]؛ أما جماعةُ المسيحيِّين الذينَ لُقِّبُوا هكذا تبعاً له، فلم يزالوا في الوجودِ لغايةِ اليوم»[3].

ومع أنَّ هذا النَّصَّ مذكورٌ حرْفياً في مخطوطاتِ يوسيفوس، التي تعودُ إلى زمنٍ مُبكِّرٍ في القرْنِ الثالث، فإنَّ المُؤرِّخ الكنسيّ يوسابيوس، بالاضافةِ إلى علماء آخرين، شكَّكوا في صحَّةِ الإقحامات المسيحيَّةِ على النصِّ، لأنَّ يوسيفوس لم يكن يؤمنُ بأنَّ يسوعَ هو المسيح، أو أنَّه قامَ من الموتِ، وإلا لما كان بقِيَ يهودياً وغير مسيحي.

لكن في عام 1972م، أعلَنَ الأستاذ سكولمو باينز - من الجامعةِ العِبْريةِ في أورشليم - بأنَّه اكتشَفَ تقليداً جديداً للمخطوطاتِ التي كتبَها يوسيفوس في القرْنِ العاشر، والتي خطَّها أغابيوس العربي المُؤرِّخ[4]، ويظهَرُ فيها النَّص السَّابق كما يلي:

---

(1) المسيحي فقط من يتحرَّج في أنْ يُسمِّي المسيح رجلًا، فهو في معتقده إله وابن الرب.

(2) المسيحيُّون هم فقط من يؤمن بأنَّ المسيح قام من الأموات في اليوم الثالث بعد صلبه، والإيمان بأنَّ هذا الأمر سبقته نبوءات الأنبياء في العهد القديم خاص بهم وحدهم.

(3) Flavius Josephus, **Jewish Antiquities**, Translated by William Whiston, Wordsworth Classics of World Literature, 2006, p 780.

جميع اقتباسات يوسيفوس، ما عدا الاقتباس التالي تعتمد على كتاب، ، تحرير وترجمة ب. ل. ماير، منشورات كريغل، 1994م.

(4) هو محبوب بن قسطنطين الرُّومي المنْبجي، توفي 330 هـ (941 - 942م). أسْقُف منْبج من أعمالِ حلب، له كتاب **العنوان الكامل بفضائل الحكمة**، ألَّفه بالعربية، وهو كتاب تاريخ من بداية الخليقة إلى زمانه، ذكَرَهُ المسعودي في **التنبيه والإشراف**. ونشر عمر تدميري منتخبات من هذا الكتاب في دار المنصور بلبنان 1983م. ونصُّ الشَّهادةِ القلافية المستشهد به هنا أوردَهُ غابيوس في كتابه، وقد تُرجِمَ للعربيةِ عن الترجمةِ الفرنسية التي صدرت للكتاب بأربعةِ أجزاء في باريس عام 1907م.

«في ذلك الزَّمان، ظهَرَ رجُلٌ حكيمٌ يُدْعى يسوع، وكانت سيرَتُهُ حسنة، واشتُهِرَ بأنَّه ذو فضيلة. كما إنَّ كثيرينَ من اليهودِ ومن الأُمَمِ الأخرى صاروا له تلاميذَ. وقد حَكَمَ عليه بيلاطُس بالصَّلْبِ والموت. لكن الذين اتَّبعوهُ من تلاميذِهِ لم يرْفُضُوا تلمذَتَهُ. وقد صرَّحوا بأنَّه ظهَرَ لهم حيّاً بعد ثلاثةِ أيَّامٍ من صلْبِهِ. وبالتالي، فإنَّه يمكنُ أنْ يكونَ المسيح، الذي قالَ عنه الأنبياءُ أشياءً عجيبة. أما جماعةُ المسيحيِّين الذين لُقِّبوا هكذا تبعاً له، فلم يزالوا في الوجودِ لغايةِ اليوم».

نستطيعُ هنا أنْ نُميِّزَ بوضوحٍ لُغةً يمكن أنْ يكونَ قد كتَبَها يهوديٌّ دونما اهتداء منه للمسيحيَّة[1].

وينقسمُ الدَّارسونَ لنصِّ تاريخ اليهود القديم (18: 63) إلى ثلاثةِ أقسامٍ رئيسيّة:

1. من يقولُ بأنَّ النَّصَّ الأساسي صحيحٌ بالكامل، وهذا هو موقفُ قلَّة من الدَّارسين.
2. من يقولُ بأنَّ النَّصَّ بكاملِهِ من تأليفِ المسيحيِّين، وهذا هو موقفُ القلَّة أيضاً.
3. من يقولُ بأنَّ النَّصَّ يحتوي على بعضِ الأمور التي أُقحِمَت على الأصلِ المكتوبِ من قِبَلِ يوسيفوس، الذي كتبَهُ بشأنِ يسوع، وهذا هو موقفُ الغالبيَّة اليوم، خاصَّةً في ضوءِ النَّصِّ الآغابي (المذكور مباشرة أعلاه)، والذي لا يظهَرُ فيه أيَّ دليلٍ على وجودِ إقحامٍ ما.

لا شكَّ بأنَّ يوسيفوس ذكَرَ يسوع في النَّصِّ الأصلي الموجود في تاريخ اليهود القديم 18: 63، لأنَّ هذا المقطَعَ يظهَرُ في جميعِ المخطوطات اليونانيّة ليوسيفوس. وإنَّ النُّسْخة الآغابية تتماشى جيِّداً مع لُغتِهِ ومفرداتِهِ في الأماكنَ الأخرى. وليس ذلك فحسْب، بل يُقدِّم يسوع على أنَّه «رجُلٌ حكيمٌ» (Sophos aner)، وهو تعبيرٌ لم يستخدِمهُ المسيحيُّونَ، وإنَّما استخدَمَهُ يوسيفوس لشخصيَّاتٍ مثلُ داود وسليمان في الكتابِ المُقدَّس العِبْري. كذلك فإنَّ إفادتَهُ بأنَّ يسوع ربَحَ «كثيراً من اليونانيِّين» ليست مدعومةً في العهدِ الجديد، ولا يمكنُ أنْ تكون مُقحَمةً، وإنَّما هي ما لاحظَهُ يوسيفوس في يومِهِ.

---

(1) راجع شلومو باينز، **نسخة عربيّة من شهادة فلافيوس [Testimonium Falvianum]** وانعكاساتها [أورشليم: آكاديميّة إسرائيل للعلومِ والإنسانيّات، 1971م].

وأخيراً، فإنَّ حقيقةَ الإشارة الثانية إلى يسوع في تاريخ اليهود القديم 20: 200، والتي تَتْبَعُ ذلك تُسمِّيهِ فقط [المسيا]، بدون أيِّ شرحٍ إضافي، وبذلك تقترحُ أنَّه قد تمَّ مسْبقاً التَّعريفُ عنه بشكلٍ كامل. ولو أنَّ يسوع ظهَرَ للمرَّةِ الأولى في مكانٍ متأخِّرٍ من سجِلِّ يوسيفوس لكان أدخَلَ تعبيراً يشبه ما يلي، «...أخٌ لشخْصٍ معيَّنٍ هو يسوع، كان يُدْعى المسيح».

- **تاريخ اليهود القديم (الكتاب 20: الفقرة 200 ـ 203)**

هذا مقطَعٌ هامٌّ جدّاً، بما أنَّ فيه الكثير من الأمورِ التي تتشابَهُ مع ما حدَثَ يومَ الجمعةِ العظيمة. ومع ذلك يبدو أنَّه يُغفَل عنه بشكلٍ كبيرٍ في دراساتِ العهد الجديد المُراجِعيَّة (Revisionist). فهو يُخبِرُ عن موتِ أخي المسيح، يعقوب الصدِّيق الأورشليمي، عندما كان حنانيًّا رئيساً للكهنةِ، وهو ابنُ رئيسِ الكهنةِ السَّابق حنَّان وصهر قيافا، وهذا معروفٌ جيِّداً من الأناجيل. ويرِدُ في نصِّ يوسيفوس ما يلي:

«لذا، لمَّا كان حنانيًّا يحمِلُ هذا المزاج («العجلة والجُرْأة» بحسَبِ السياق)، اعتقَدَ بأنَّه يتمتَّعُ بالفُرْصةِ المؤاتية (لاستعراضِ سُلْطَتِهِ). لأنَّ فستوس قد ماتَ الآن، وألبينوس كان على الطَّريق. لذا دعا مجمَعَ قُضاة السَّهندرين للانعقاد، وأحضَرَ أمامَهُم أخا يسوع ـ الذي يُدْعَى المسيح ـ وكان اسمُهُ يعقوب، وأشخاصاً آخرين (أو بعضَ رفاقِهِ). واتَّهَمَهُم بأنَّهم تعدَّوا على القانون، وأسلَمَهُم للرَّجْمِ بالحجارة.

لكنّ مواطني المدينة، ممَّن تمتَّعوا بفكرٍ معتدلٍ، وحرصوا على طاعةِ النَّاموس بدقّةٍ، انزعجوا من ذلك. وبسببِ ذلك، اتَّصلوا سرّاً بالملِكِ [هيرودُس أغريباس Agrippa الثاني ملك يهوذا]، وألحُّوا عليه أنْ يأمُرَ حنانيًّا لكي يتوقَّفَ عن مثلِ هذه الممارسات فيما بعد، لأنَّه لم يكن مُبرَّراً فيما صنَعَهُ من قبل.

حتى إنَّ بعضَهُم مضى لمُقابلةِ ألبينوس، الذي كان في طريقِهِ من الإسكندرية، وأخبرَهُ أنَّ حنانيًّا ليست لديه صلاحية قانونيّة لطلَب انعقاد السَّنْهدرين بدون إذنِهِ.

وحيثُ إنَّ ألبينوس اقتنَعَ بهذه الكلمات، كتَبَ إلى حنانيًّا غاضباً، مُهدِّداً إيَّاهُ بالعقاب. وبسبَبِ ذلكَ عزَلَهُ الملِكُ أغريباس من رئاسةِ الكهنوت، التي تولَّاها لمدَّةِ ثلاثةِ أشهر»[1].

---

(1) Flavius Josephus, **Jewish Antiquities**, Translated by William Whiston, Wordsworth Classics of World Literature, 2006, p 877.

لا تُظهِرُ هذه الإشارةُ الثانيةُ إلى يسوع من قِبَلِ يوسيفوس أيَّ تلاعُبٍ بالنَّصِّ مهما كان، كما أنَّها ترِدُ أيضاً في جميعِ مخطوطات يوسيفوس. فلو كان هناكَ إقحامٌ مسيحيٌّ، لكان يوسيفوس قالَ كلاماً أكثرَ من ذلكَ عن يعقوب ويسوع، أكثرَ ممَّا جاءَ في تلك الملاحظةِ الوجيزةِ والعابرة. ولرُبَّما كان الكلامُ عن يعقوب قد صيغَ بلُغةٍ تبجيليّةٍ، وعُرِّفَ على أنَّه «أخو الربّ،» كما يُعرِّفُ عنه العهدُ الجديد، وليس «أخا يسوع». ولا يمكنُ أنْ يكونَ العهدُ الجديدُ هو المصدرُ الذي استقى منه يوسيفوس معلوماتَهُ، لأنَّه لا يُزوِّدُنا بأيِّ تفاصيلٍ عن موتِ يعقوب. إنَّ تعريفَ يوسيفوس عن يسوع بأنَّه «الذي يُدْعى المسيح» هو أمرٌ منطقيٌّ بل أيضاً ضروريٌّ إذا أخذنا بعينِ الاعتبارِ أنَّه يذكُرُ عشْرينَ شخْصاً آخرين اسْمُهُم «يسوع» في أعمالِهِ.

ولهذا السَّبَب تعتبرُ الغالبيَّةُ العُظْمى من الدَّارسينَ المعاصرينَ هذا المقطَع أصيلاً، وتُوافِقُ مع الخبيرِ في أعمالِ يوسيفوس المدعو لويس فيلدْمان في ملاحظاتِهِ الواردة في جزْءِ يوسيفوس من مكتبةِ لوب الكلاسيكية، إذْ يقولُ هناك: «...قلائلُ همُ الذين شكُّوا في أصالةِ هذا المقطَع عن يعقوب»[1].

إنَّ وفرةَ الأدلّة إذن تُشيرُ بقوَّةٍ إلى أنَّ يوسيفوس قد ذكَرَ فعلاً يسوع في كلا المقْطعين. ويبدو وصْفُهُ من وجهةِ نظَر غير مسيحيَّة عادلاً بشكلٍ ملْحوظ، وخاصَّةً في ضوءِ المَيْلِ المعروف إلى تصويرِ المُسَحاء الكذَبة بأنَّهُم تُعساء وضلَّلوا الشَّعبَ وجلَبوا عليه الحرْبَ مع الرُّومان.

وفضلاً عن ذلكَ، فإنَّ الاقتباسَ الثاني المُتعلِّق بتصرُّفاتِ رئيسِ الكهنة والسَّنْهدرين، بالمقابلِ مع تصرُّفاتِ الحاكمِ الرُّوماني، تعكسُ تماماً نُسْختي الإنجيل المتقابلتين في حادثةِ يوم الجمعة العظيمة. ولا يأتي هذا الإثباتُ الخارجُ عن الكتابِ المُقدَّس من مصدرٍ مسيحيٍّ في محاولةٍ لتحسينِ صورة الأناجيل، إنَّما من كاتبٍ يهوديٍّ بحتْ لم يعتنق المسيحيَّةَ البتَّة[2].

---

(1) راجع لويس فلدمان، مترجم، **يوسيفوس**، مجلد رقم 9 [كامبريدج، ماساشوستس: مطبعة هارفرد الجامعيّة، 1965]، ص 496.

(2) بول ل. ماير، **يوسيفوس والمسيح**، أستاذ التاريخ القديم على كرسي راسل سيبرت، بجامعة ميشيغان الغربية.

انظر أيضاً: يوسف بن غريون، **تاريخ يوسيفوس**، ترجمة زكريا بن سعيد اليمني، تحقيق د. منذر الحايك، ط1، 2017م، ص23 – 28.

بيئة النشأة:

الأحداثُ التي تهُمُّنا تقعُ بالأساس في فلسطين، وبالتَّحديدِ في منطقةِ الجليل، بين مدينة الصَّفورية إلى النَّاصرة (التي تقعُ على بُعْدِ أربعةِ أميالٍ منها)، إلى أورشليم (التي تقعُ جنوبَ الجليل)، وبيت لحْم (التي تقعُ جنوبَ أورشليم).

فمريمُ العذراء، كما هو معروفٌ، كانت قد نشأَت في أورشليم تحتَ كفالةِ زكريا. وعندما وصلَتْ إلى سنِّ البُلُوغ يبدو أنَّها انتقلت إلى الصَّفورية، ثمَّ عادت في فترةِ حمْلِها بالمسيحِ إلى أورشليم، لتسْكُنَ عندَ خالَتِها (أو أُختِها) أليصابات عدَّةَ شهور. ثمَّ ولدَتِ المسيحَ في بيتِ لحْم، وظلَّتْ فيها لمدَّةِ أربعينَ يوماً، قبلَ أنْ تعودَ إلى الجليل، لتُربِّي المسيحَ في النَّاصرة (القريبة جدّاً من الصَّفورية)، التي كانت على ربوةٍ ذاتِ قريرٍ ومعين[1].

ووفقاً للمُؤرِّخِ اليهودي فلافيوس يوسيفوس (37 - 100م) في كتابِهِ تاريخ اليهود القديم، كان الرُّومانُ قد احتلُّوا أرضَ فلسطين عام 63. ق.م، حيثُ قادَ القائدُ الرُّوماني بومبي Pompey (الذي كان متحالفاً في وقتٍ ما مع يوليوس قيصر)، جيوشَهُ إلى شرْقِ البحر المتوسط، فاستولى على آسيا الصُّغرى، وعلى سوريا وفلسطين، كما استولى على أورشليم، بعد حصارٍ لها استمرَّ ثلاثةَ أشهر، وذبَحَ اثني عشرَ ألفاً من اليهود.

وقد استغلَّ بومبي يومَ السَّبْت، فهاجَمَ المدينةَ بشدَّة، وتجرَّأَت قوَّاتُهُ على الدُّخولِ إلى قُدْسِ الأقداسِ في الهيكل، وهو موضعُ تابوت العهد في العصورِ القديمة، وفقاً لتعاليم التوراة، حيث لم يكن يُسْمَح بدخولِهِ إلا للكاهنِ الأعظم، مرَّةً واحدةً في السَّنة، هو عيدُ الغُفران/ يوم التَّكفير «يوم كيبور».

يقولُ المُؤرِّخُ يوسيفوس بأنَّ بومبي انتهَكَ حُرْمةَ الهيكل في يوم كيبور. ولعلَّ هذه الخطوة كانت من أكثرِ الأعمال تجسيداً لرُعونةِ الرُّومان، فالسِّياسةُ والقوَّةُ العسكريةُ شيءٌ، والإذلالُ الدِّينيُّ شيءٌ آخر مختلفٌ تماماً. وجلَبَ استيلاءُ بومبي على الشَّرْقِ ثروةً لا تُقدَّر إلى الرُّومان، على شكلِ غنائمَ حرْبٍ وضرائبَ جديدة. فقد جرى ضمُّ سوريا، وجُعِلَت

(1) قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون، 50). وقيل إن الربوة هي الناصرة، وقيل دمشق، وقيل الكوفة.

مقاطعةً رومانية، وقسَّمَ حاكِمُها فلسطين إلى عدَّةِ مناطقَ محكومةٌ ذاتياً من حُكَّامٍ محليِّين، تحتَ الإشراف العسكري الرُّوماني[1].

الآن، عندما وُلِدَت مريم العذراء حوالي عام 18 ق.م، كانت المنطقةُ الشَّماليةُ من فلسطين، التي عُرِفَت باسْمِ «الجليل» مُحتلَّةً من قِبَلِ الرُّومان. وكانت الصَّفورية مدينةً يهودية، لكن الرُّومان جعلوها المركزَ الإداري للمنطقةِ كلِّها.

وقد حكَمَ هيرودُس الكبير المنطقة، وقد ثبَّتَهُ الرُّومان «ملِكاً على اليهود». ومع ذلكَ، فقد افتقَرَ هيرودُس إلى النَّسَبِ الدَّاودي الحيوي، الذي كان يُؤهِّلَهُ - في نظَرِ اليهود - لمثلِ هذا العرْش. فقد كانت أُمُّهُ يهودية، لكن أباهُ كان أدومياً. وكان شديدَ الحساسيةِ تجاهَ أصلِهِ نصْف اليهودي، وكان يخشى على الدَّوام من ظهورِ ثائرٍ يهوديٍّ ينحدرُ من نسْلِ داود يُنافِسهُ على الحُكْم. وكانت أوَّلُ أعمال هيرودُس، إعدامُ خمسةٍ وأربعينَ من الأعضاءِ السَّبْعين للسَّنْهدرين (أرفع مجلس ديني عند اليهود). ويتمُّ ذكرُ هيرودُس الكبير من أجلِ شهوتِهِ الوحشيَّة للسُّلْطة، ومن أجلِ برامجِهِ في إنشاءِ أبنيةٍ ضخمة[2].

وفي العامِ الرَّابع قبلَ الميلاد، عندما كانت مريم في حوالي الرَّابعةَ أو الخامسةَ عشرةَ من عُمرِها، ماتَ هيرودُس الكبير، وعُمر يسوع ستَّةَ أشهر، وكان طفلاً رضيعاً يعيشُ في الجليل[3]. وبعد موتِهِ بوقتٍ قصيرٍ، شقَّ واحدٌ اسْمُهُ «يهوذا بن حزْقياس» طريقَهُ إلى داخلِ القصْر الملَكي في الصَّفورية، واستولى على ترسانةِ الأسلحة التي كانت هناك، وشرَعَ هو وأتباعُهُ بالثَّورةِ والتمرُّد في جميعِ أرجاء الجليل، وسرعان ما تفجَّرَت جيوبٌ من الثوراتِ والمعارضة للرُّومان في جميعِ أرجاءِ البلاد.

وجاءت ردَّةُ فعل الرُّومان سريعةً، وبواسطةِ قوَّةٍ كبيرةٍ قاهرة. فقد أرسَلَ الرُّومان ثلاثَ فِرَق من سوريا ليقمعوا المعارضةَ بوحشيَّة. فجرى إحراقُ الصَّفورية وتسويتُها بالأرض، وأُرسِلَ سُكَّانُها إلى العبودية، وصُلِبَ ألفا رجُلٍ شاركوا في الثورة.

وبعد الثَّورةِ، قسَّمَ الرُّومانُ فلسطينَ إلى ثلاثِ مناطق، حكَمَ كلُّ منطقةٍ واحدٌ من أبناءِ

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص123 - 124.
(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص125 - 126.
(3) المصدر نفسه، ص129.

هيرودُس الكبير (أرْخيلاوس Archelaus وفِيلُبُّس Philip وهيرودُس أنتيباس Antipas). حيثُ تسلَّمَ أرْخيلاوس منطقةَ اليهودية، التي كانت في الجنوب، بما في ذلك المنطقة الجبلية إلى الشَّمال، التي عُرِفَت باسْمِ السَّامرة[4]. وكان فِيلُبُّس قد مُنِحَ المسؤوليَّةَ عن المنطقةِ الواقعةِ إلى الشَّرْقِ من الأردن حولَ بحر الجليل (بحيرة طبرية)[5]. وتسلَّم هيرودُس أنتيباس منطقةَ الجليل شمالي اليهودية، وكذلك بيرايا إلى الشَّرْقِ من نهرِ الأردن[6]. وكان هيرودُس هذا (أنتيباس الابن، وليس هيرودُس الكبير الأب) هو نفسُهُ الذي قتَلَ يوحنَّا المعْمَدان (يحيى)، وشارَكَ في محاكمةِ يسوع.

واختار هيرودُس أنتيباس تحصينَ مدينة الصَّفورية وإعادةَ عمارتِها، جاعلاً منها عاصمةَ المَلَكية. وقد أنشأَها وفقاً لنمطٍ رومانيٍّ إغريقيّ، وقد احتلَّت موقعاً استراتيجياً، حيثُ أشرفت على وادي نطوف مع تقاطُعِ لطُرُقٍ رئيسية، وكان فيها مسْرَح فيه أربعة آلاف مقعد، وشوراع مُعبَّدة وأسواق، وأبنية مُحْكَمة، ونظام مائي ومجاري صرْف صحِّي مُتطوِّر، وحمَّامات عامة، حتى باتت زينةَ الجليل.

وقبلَ بعض الوقت من إحراقِ الصَّفورية، انتقلت مريم مع أُسْرَتِها إلى قريةِ النَّاصِرة الصَّغيرة، على مسافةِ أربعة أميال إلى الجنوبِ الشَّرْقي. وفي وقتِ الثورة والقمْع الوحشي للصَّفورية، كانت مريم في الرَّابعةَ عشرة أو الخامسةَ عشرة من عُمرِها[7].

وقد وقعت اضطراباتٌ في أورشليم، وكان عيدُ الفصْح قد اقترَبَ موعِدُهُ، وجاءت ردَّةُ فعلِ أرْخيلاوس (ابن هيرودُس الكبير) باستخدامِ القوَّة المُفْرِط، فقتلتْ قوَّاتُهُ ثلاثةَ آلافٍ من الناس. وعلى الفورِ ثارت البلاد كلُّها وحمَلَت السِّلاح. وظهَرَ أرْخيلاوس أنَّه أكثرَ رعونةً ووحشيَّةً من أبيه، ولذلك أصبحَ لا يتمتَّع بالشَّعْبيَّة لدى السُّكَّان المحليِّين في اليهودية، ممَّا دفَعَ القيْصر إلى عزلِهِ من السُّلْطةِ ونفيهِ. لذا ضمَّ الرُّومان منطقةَ اليهودية مع عاصِمَتِها أورشليم إليهم، ووُضِعَت المنطقةُ تحتَ حُكْمٍ عسْكريٍّ رومانيٍّ مباشر، وتولَّى إدارَتَها حاكمٌ عسكري[8].

---

(4) وهي تقع اليوم في قلْبِ فلسطين.
(5) وهي تقع اليوم في المناطق الحدودية بين الأردن وسوريا وفلسطين، وتشمل مرتفعات الجولان.
(6) وهي تقع اليوم في شمال شرق فلسطين، داخل الأردن.
(7) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص54 ـ 57.
(8) المصدر نفسه، ص129 ـ 130.



ولادَتُهُ:

القصَّةُ المسيحيَّةُ لميلادِ يسوع (في العهدِ الجديد) مدوَّنةٌ فقط في الإصْحاحينِ الافتتاحيَّين من إنجيلِ متَّى وإنجيلِ لُوقا. ولا يُظهِر الإنجيل الأقدَمُ، وهو إنجيلُ مِرْقس، ولا الكتاباتُ الأقدم في العهدِ الجديد، مثلُ رسائل بولُس، أيَّةَ معرفةٍ بظُرُوفِ ميلادِ يسوع ابن مريم. وعلى هذا الأساس، حدَثَ خلال المدَّة الزَّمنية التي كُتِبَ فيها العهدُ الجديد (ما بين

50 - 100م) تطوُّرٌ في الاهتمامِ بوصْفِ حياتِهِ، وكانت هذه مسيرةٌ استمرَّت خلال القرْن الثاني والثالث، عندما تأصَّلت العديدُ من القَصَصِ والأساطيرِ حول ميلادِهِ، ودُوِّنت في أناجيلَ لم تُعتبر لاحقاً أنَّها رسْميَّة (أبوكريفية).

دعونا نبدأ بـ إنجيلِ لُوقا، الذي يحكي قصَّةَ ولادة يسوع، وكأنَّها مأخوذةٌ من لسانِ مريم:

«كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا[1]، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِراً. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ، حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ. وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجاً وَقْتَ الْبَخُورِ. فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً».

فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا، لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟».

فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ، وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهذَا. وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتاً وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هذَا، لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ».

وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتاً.

---

(1) كلمة «أبيَّا» تعني «أبي هو يهو». هذه الفرْقةُ من نسْلِ ألِيعازر الكاهن، تعتبرُ الثامنةُ من الأربع والعشرين فرْقة التي قُسِّمت إليها طائفةُ الكهنة منذُ وقت داود، كلُّ فرْقةٍ تقومُ بالعمَلِ أسبوعاً كلَّ ستَّة أشهر حسب قُرْعَتِها. وكانوا يُلْقُونَ قُرْعةً أيضاً ليعرفوا من يقع عليه اختيارُ اللهِ للقيام بخدْمةِ البخور من وسطِ الفرْقة، وكان اليهودُ عادةً يُقدِّمونَ البخورَ صباحاً ومساءً فقط. انظر: **شرح الكتاب المُقدَّس/ العهد الجديد/** القُمُّص تادرُس يعقوب ملطي.

وَلَمَّا كَمِلَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ. وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً: «هكَذَا قَدْ فَعَلَ بِيَ الرَّبُّ فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرَ إِلَيَّ، لِيَنْزِعَ عَارِي بَيْنَ النَّاسِ».

وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!»

فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ».

فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟».

فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضاً حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِراً، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ.

فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ».

فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ. فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا، وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ. فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ»[1].

ننتقلُ الآن إلى إنجيلِ متَّى، الذي يحكي قصَّةَ ولادة يسوع، كأنَّها مأخوذةٌ من لسانِ يوسُف (خطيب مريم):

---

(1) إنجيل لوقا 1: 5 ـ 45.

«أَمَّا وِلَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارّاً، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرّاً.

وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ بْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ»[1] الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللهُ مَعَنَا.

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ»[2].

ثمَّ يسترسلُ إنجيلُ متَّى في الإصحاحِ الثاني، فيقول:

«وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاؤُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ».

فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟»

فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ»[3].

حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرّاً، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضاً وَأَسْجُدَ لَهُ».

فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوُا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحاً عَظِيماً جِدّاً. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ،

---

(1) سفر إشعياء 7: 13 ـ 14.
(2) إنجيل متى، 1: 18 ـ 25.
(3) ميخا 5: 2.

وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَباً وَلُبَاناً وَمُرّاً.

ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لَا يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيق أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ.

وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ».

فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»[1].

حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدّاً. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَلَا تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ»[2].

فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ. فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلَاوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضاً عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ، خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ، انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيّاً»»[3].

من الواضح أنَّ هناك اختلافاً بيِّناً بين الرِّوايتين في إنجيلِ لُوقا وإنجيلِ متَّى. ولكن المسيحيُّون حاولوا توجيهَ هذا الاختلاف، وقالوا إنَّه مجرَّدُ اختلافٍ ظاهريّ. فإنَّ هدَفَ إنجيل متَّى من وراءِ هذه الرِّواية هو أنْ يروي كيف تمَّ التَّدبيرُ الإلهي، وينوي أنْ يُبيِّن أنَّ يسوع هو الوريثُ الشَّرعي لمملكةِ داود. أما إنجيلُ لُوقا، فإنَّ رِوايتَهُ تُقدِّمُ حواراً بين مريمَ ومَلاكَ الرَّبّ، مستهدفاً الحديث عن الأمومةِ البتولية لمريم ونُبوَّةِ يسوع الإلهية!

(1) هوشع 11: 1.
(2) إرميا 31: 15.
(3) إنجيل متى 2: 1 ـ 23.

وأنَّ «وجودَ مثل هذا التَّناقض، الذي هو في الواقع ليس إلا تناقُضاً في الظَّاهرِ فقط بين الإنجيليين، فإنَّنا نرى متَّى يُشدِّدُ بنوعٍ خاصٍّ على دورِ يوسُف لكي يُبيِّن لنا انتماء يوسف إلى ذُرِّيةِ داود الملَكية، وأما لُوقا فإنَّه يلْفِتُ انتباهَنا إلى دورِ مريم ويُشدِّدُ على تدخُّل الرَّبّ المباشر في هذا السِّرِّ العظيم، لكي يُرينا بجلاء «أُلوهية» يسوع، ويقول إنَّه حبَلَ به الرُّوحُ القُدُس. فهدفُ الاثنين معاً في الدَّرجةِ الأولى هو الحديثُ عن فكرةٍ عقائديةٍ أكثرَ من إعطائِنا معلوماتٍ تاريخية»[1].

وهناك أيضاً أناجيلُ أخرى منْحولة، ذكرَت قصَّةَ ولادة يسوع، وهي تشبَهُ إلى حدٍّ كبيرٍ قصَّةَ ولادتِهِ المذكورة في القرآن. ومن تلك الأناجيل: إنجيلُ متَّى (المنحول)، إنجيلُ يعقوب، إنجيلُ توما، وغيرها[2]. إلا أنَّ الكنيسةَ اعتبرَتْها منحولةً، وليست وحياً إلهيّاً، ولذلك ضاعَ أكثرُها واندَرَس.

---

(1) الآب د. منير خوام، **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيَّة**، ص187، نقلاً عن علي الشيخ، **لاهوت المسيح**، ص50 ـ 51.

(2) انظر مثلًا (مع فروق ليست بالقليلة مع قصَصِ القرآن):

- قصَّة نذْر أمّ مريم ما في بطنِها: إنجيل يعقوب المنحول (الإنجيل المنسوب إلى جيمس الأصغر): 4 ـ 6 (**الأناجيل النصوص الكاملة**، د. سهيل زكار، ص613 ـ 615).
- بشارة زكريا بيوحنَّا المعْمَدان (يحيى): **إنجيل لوقا** 1: 5 ـ 27. وأنَّه لا يُكلِّمُ الناسَ بعد البشارةِ: **إنجيل يعقوب المنحول (الإنجيل المنسوب إلى جيمس الأصغر)**: 10 (**الأناجيل النصوص الكاملة**، د. سهيل زكار، ص615 ـ 616).
- كفالة مريم بالقرْعة: **إنجيل لوقا** 1: 9 ـ 13. **إنجيل يعقوب المنحول**: 10، أيضاً (**الإنجيل المنسوب إلى جيمس الأصغر**): 8 ـ 9 (**الأناجيل النصوص الكاملة**، د. سهيل زكار، ص624 ـ 625).
- كلَّما دخلَ زكريا على مريم المحراب وجدَ عندَها رِزْقاً: **إنجيل يعقوب المنحول (الإنجيل المنسوب إلى جيمس الأصغر)**: 7 ـ 8 (**الأناجيل النصوص الكاملة**، د. سهيل زكار، ص615).
- الولادة والنَّخْلة: **إنجيل متى المنحول**: 20 (**الأناجيل النصوص الكاملة**، د. سهيل زكار، ص602).
- قولهم يا مريم لقد جئْتِ شيئاً فريّاً، وقولها يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا: **إنجيل يعقوب (الإنجيل المنسوب إلى جيمس الأصغر)**: 13 ـ 16 (**الأناجيل النصوص الكاملة**، د. سهيل زكار، ص 625 ـ 627).
- يسوع يخلُقُ من الطِّين كهيئةِ الطير: **إنجيل الطفولة العائد لتوما**: 2 (**الأناجيل النصوص الكاملة**، د. سهيل زكار، ص597).

وأما إنجيلُ يوحنَّا، فهو كما يعتقدُ المسيحيُّون يُشيرُ إلى ولادةٍ إلهيةٍ ليسوع، فإنَّه يذكُرُ في بدايتِهِ:

« فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ... كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً... اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الابنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ»[1].

لكن هذا الإنجيلُ تدورُ حولَهُ الشُّكوك، فإنَّه كُتِبَ أواخر القرْن الأوَّل وبداية القرْن الثاني، أي بعد رفْع يسوع بأكثرَ من سبْعينَ سنة. وعلى الرَّغمِ من ذلك، فإنَّ الكنيسةَ اعتبرتْهُ من الأناجيلِ المُلْهَمة!

هذا فيما يتعلَّق بولادةِ يسوع في العهدِ الجديد.

تاريخُ الولادة:

أما تاريخُ ولادة يسوع، فإنَّ المسيحيِّين يُؤكِّدونَ على أنَّه ليس من اليسيرِ الوصول إلى معرفةٍ دقيقةٍ لتاريخِ الميلاد، بل يتَّفقُ المُؤرِّخونَ على تاريخٍ تقريبيٍّ لتلك الولادة. فولادةُ يسوع كالتاريخِ الفاصِلِ بين الحوادثِ السَّابقة والحوادثِ اللاحقة. لكن يُرجَّح أنَّها تمَّت في أواخرِ سنة 5 ق. م، أو في أوائل سنة 4 ق. م.

«يُحدِّدُ متَّى ولوقا ميلادَ المسيح في الأيَّام التي كان فيها هيرودُس ملِكاً على بلادِ اليهود[2]، أي قبلَ العام 3 ق. م. على أنَّ لوقا يقولُ عن يسوع إنَّه كان في حوالي الثلاثينَ من العُمرِ حين عمَّدَهُ يوحنَّا في السَّنةِ الخامسةَ عشرة من حُكْمِ طيباريوس[3]، أي في عام 28 – 29م. وهذا يجعلُ ميلادَ المسيح في عام 2 – 1 ق. م. ويُضيفُ لوقا إلى هذا قولَهُ: وفي تلك الأيَّامِ صدَرَ مرسومٌ من قيْصَر أوغسطُس يقضي بأنْ «يكتَتِبَ كلُّ المسكونةُ. وهذا الاكتتابُ

(1) إنجيل يوحنَّا 1:1 – 18.
(2) إنجيل متى 2: 1. إنجيل لوقا 1: 5.
(3) إنجيل لوقا 3: 1.

الأوَّلُ جرى إذْ كان كيرينيوس واليَ سوريَّة»[1]، والمعروفُ أنَّ كيرينيوس كان حاكِماً لسوريَّة بين عامي 6 ـ 12م. ويذكُرُ يوسيفوس أنَّه أُجرِيَ إحصاءٌ في بلادِ اليهود، ولكنَّه يقولُ إنَّ هذا الإحصاءَ كان في عام 6 ـ 7م»[2].

وأما الاحتفالُ بميلادِ يسوع في الخامسِ والعشْرين من ديسمبر/ كانون الأول، فقد بدأَ في القرْنِ الرَّابع الميلادي بعد انتشارِ المسيحيَّة[3].

نسَبُ يسوع:

الأناجيلُ الأربعةُ الرَّسميَّة لم تتعرَّض بنحوٍ مباشرٍ إلى سلْسلةِ نسَب يسوع إلا في إنجيلِ متَّى وإنجيلِ لوقا.

للوهلةِ الأولى، نجدُ أنَّ إنجيلَ متَّى وإنجيلَ لوقا قد أكَّدا على ولادةِ يسوع من عذْراء، وتطوَّرَ الاعتقادُ بأنَّ حمْلَ مريم جاءَ نتيجةَ تدخُّلٍ ربَّانيٍّ إلى عقيدةٍ لاهوتيَّةٍ أساسيَّةٍ في المسيحيَّةِ المُبكِّرة. وبالنِّسبةِ إلى المسيحيِّين، (وكذلك بالنسبة للمسلمين)، أيُّ ادِّعاءٍ بأنَّ يسوعَ قد جرى الحمْلُ به من خلالِ آليَّةٍ معتادةٍ للتَّكاثُر الجنْسي البشَري، يُنظَرُ إليه على أنَّه بُهتانٌ عظيم، إنْ لم يكن هرطقةً مكشوفةً تماماً.

لكن المؤرِّخون، الذين لا يؤمنون بتدخُّلٍ سماوي، ويرونَ أنَّ لكُلِّ الكائنات البشرية أباً عضويّاً وأُمّاً عضويَّة، وأنَّ يسوع لم يكن استثناءً، ويترُكُ هذا احتمالين، هما: إمَّا أنْ يوسُف النجَّار، أو رجُلاً آخرَ لم يُذكَر اسْمُهُ، كان هو الأبُ ليسوع[4].

وهناك بعضُ الإشارات في الأناجيلِ بأنَّ تُهمَةَ عدَم الشَّرْعيَّة، كانت تدورُ خلْفَ المشاهِد، وإنجيلُ مرْقس، أورَدَ مشْهداً مهمّاً، كان فيه يسوع عائداً إلى البيتِ في النَّاصرةِ كرجُلٍ بالِغ، وقتُها كانت هنالك غمْغَمةٌ حولَهُ بين سُكَّانِ البلْدة، حيثُ كانوا يقولون: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ ههُنَا عِنْدَنَا؟»[5].

---

(1) **إنجيل لوقا** 2: 1 ـ 2.
(2) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص212.
(3) علي الشيخ، **لاهوت المسيح**، 50 ـ 53.
(4) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص79.
(5) **إنجيل مرقس** 6: 3.

ويوجدُ في إنجيلِ يوحنَّا ما هو أكثرُ دقَّةً وتحديداً، ففي إحدى النِّقاط كان يسوع في أورشليم يتجادَلُ مع ناقديهِ اليهود، وقد أصبحَ الحديثُ حامياً كثيراً، وتحوَّلَ تقريباً إلى العُنْف، وكان أحدُ أجوبَتِهم ليسوع تأكيداً مدْهشاً في قولِهم: «إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنا»![1] وكأنَّهم غمزوا بقناتِهِ وأرادوا القول: «مثلُكَ أنْت»! ومن الواضحِ أنَّ هذه كانت ضرْبةً خفيَّةً شديدةً، ومحاولةً لتأسيسِ إشاعةٍ حولَ ولادتِهِ غير الشَّرْعيَّة.

ويوجدُ من القرْنِ الرَّابعِ للميلاد، نصٌّ مسيحيٌّ يُدْعى إنجيل نيقاديموس (أعمال بيلاطُس)، وهو من الأناجيلِ غير الرَّسمية، من المحتملِ أنَّه يعودُ بأصولِهِ إلى أواخرِ القرْن الثاني للميلاد. وقد جاءَ في هذا النَّصِّ روايةٌ عن محاكمةِ يسوع أمامَ بيلاطُس، حيثُ نجدُ أنَّ إحدى التُّهَم التي وُجِّهَت إليه من أعدائِهِ، قولُهُم: «أنْتَ وُلِدْتَ من زنا»[2]. وجاءَ في هذا الإنجيلِ أنَّ بعضَ الأتقياءِ من اليهودِ انتصبوا قائمين وقالوا: نحنُ لا نقولُ بأنَّه جاءَ من زنا، لأنَّنا نعرِفُ أنَّ يوسُفَ قد خُطِبَ إلى مريمَ، وهو لم يُولَد من زنا. بل ورَدَ فيه أنَّ حنَّان وقيافا قالا إنَّ يسوعَ وتلاميذَهُ هُجَناء، أي وُلِدوا من الإغريق، وهم الآن أصبحوا يهوداً![3].

الآن، إنْ كانت مريم - وفقاً للقرآن - من نسْلِ هارون[4] (الذي هو من نسْلِ السِّبْطِ لاوي)، فكيف يكونُ يسوع هو المسيحَ المنتظر؟! فالمعروفُ في الكتابِ المُقدَّسِ أنَّ المسيحَ المنتظر سيكونُ من نسْلِ داود (الذي هو من نسْلِ السِّبْطِ يهوذا).

لقد استندَ اليهود في ترقُّبِهم بأنَّ المسيحَ المنتظر هو من نسْلِ داود إلى نصوصٍ، منها:

---

(1) **إنجيل يوحنا** 8: 41.

(2) **إنجيل نيقاديموس (أعمال فيلاطس)** 1: 5 - 9، **الأناجيل النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص657.

(3) **إنجيل نيقاديموس (أعمال فيلاطس)** 1: 5 - 9، **الأناجيل النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص656 - 657. انظر أيضاً: جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص81 - 83، وقد تعرَّضَ طابور بعد ذلك إلى «حلّ لغز فنتيرا (أو فانثيرا)» (الجندي الرُّوماني)، واحتمال كونه هو أبو يسوع، ولم أجد داعياً لاستعراضِ ذلك.
ولمعرفةِ المبرِّرات الشَّرعية التي تجعلهم يضْطرُّون لاعتبارِهم يهوداً، وإنْ كانوا هجناء، راجع: **التلمود البابلي**، توزيع المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، عمان، ط1، 2011م، مج8 ص224.

(4) وفقاً لقولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم، 28).

- «مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ»[1].

- «من ثمرةِ بطْنِكَ أجعَلُ على كُرْسيِّكَ»[2].

- «فَقَالَ: «اسْمَعُوا يَا بَيْتَ دَاوُدَ! هَلْ هُوَ قَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تُضْجِرُوا النَّاسَ حَتَّى تُضْجِرُوا إِلهِي أَيْضاً؟ وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ»[3].

- «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيراً، إِلهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيّاً، رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا»[4].

فنسَبُ يسوع، والتَّشكيكُ في كونِهِ من نسْلِ داود، كان من أهمِّ الأسباب التي تذرَّعَ بها اليهود لردِّ دعوتِهِ، واعتبارِهِ مسيحاً كاذباً.

والسُّؤالُ عن نسَبِ يسوع بالغُ الحساسية، ومخطوطاتُ إنجيل متَّى وإنجيل لوقا مضطربةٌ في نسَبِهِ غايةَ الاضطراب[5]. فإذا قابلنا جدْولَ إنجيل متَّى بجدولِ إنجيل لوقا، نجدُ فروقاً جمَّة، فُسِّرَت تفاسيرَ شتَّى.

فيما يتعلَّقُ بإنجيلِ متَّى، كتَبَ فراس السوَّاح: «يطرَحُ مطْلَعُ إنجيل متَّى المُتعلِّق بنسَبِ المسيح أولى المداخلات اليهوديَّة في الإنجيل. فسلْسلةُ النَّسَب عبْرَ خطِّ الذُّكور تتألَّفُ عندَهُ من أربعة عشرَ جيلاً، مُقسَّمة على ثلاثِ مجموعات: الأولى من إبراهيم إلى داود، والثانية من داود إلى يكنيا (يهوياكين)، والثالثة من يكنيا إلى يسوع عبْرَ يوسُف (النجَّار). فيسوع هو ابنُ داود، وهو المسيحُ اليهودي المُنْتظَر. لكن سلْسلةُ نسَب يسوع هذه تتهاوى كبيْتٍ من ورق، عندما يُنْهيها متَّى بخاتمةٍ تنْسِفُها من حيثُ الأصل. فبدلاً من أنْ يُتابعَ سلْسلتَهُ على

(1) صموئيل الثاني 7: 12.
(2) سفر المزامير 132: 11.
(3) سفر إشعياء 7: 13 ـ 14.
(4) سفر إشعياء 9: 6 ـ 7.
(5) أنظر: إنجيل متى 1: 1 ـ 17، إنجيل لوقا 3: 23 ـ 38.

طريقةِ (أ) أنجَبَ (ب)، و(ب) أنجَبَ (ج)، و(ج) أنجَبَ (د)، وصولاً إلى نهايتِها المنطقية التي يجب أنْ تكون: «ويعقوب أنجَبَ يوسُف، ويوسُف أنجَبَ يسوع»، وهذا ما يتناقض مع فكرةِ الحمْل العُذْري من الرُّوحِ القُدُس، فقد أنهاها متَّى على الشَّكلِ التالي: «ويعقوب أنجَبَ يوسُف زوجُ مريم والدةُ المسيح». وهذه الخاتمةُ على غموضِها تشيرُ إلى أنَّ يسوع ليس الابن الجسدي ليوسُف. وفي هذه الحالةِ يبْقى السُّؤالُ الذي لم يُجَب عليه مطروحاً، وهو: «كيف يكونُ يسوع ابْناً لداود عبرَ هذه السِّلْسلة الطَّويلة، على الرَّغمِ من أنَّه ليس الابن الجسدي ليوسُف»، هذا على فرْضِ صحَّة نسَب يوسُف لداود»[1].

وفيما يتعلَّقُ بإنجيلِ لوقا، كتَبَ فراس السوَّاح: «على الرَّغمِ من أنَّ سلْسلةَ نسَب يسوع عند لوقا تربِطُ يسوع بداود كما هو الحالُ عند متَّى، إلا أنَّها تُضيفُ عنْصراً لاهوتيّاً مهمّاً، فهي تبدأُ بالاتِّجاهِ المُعاكسِ لاتِّجاهِ سلسلة متَّى، أي من يسوع ويوسُف، لا من إبراهيم وإسحاق، فإنَّها تتجاوزُ إبراهيم إلى بدْءِ الخليقة إلى آدم ابنِ الله... ومع ذلك، فإنَّ الجملةَ الاستهلاليَّةَ التي ابتدأَ بها لوقا سلْسلةَ النَّسَب عندما قال: «وكان الناسُ يحْسَبونَهُ ابن يوسُف ابن عالي»، تجعلُ السِّلْسلةَ تتهاوى أيضاً كبيتٍ من ورق، مثلما تهاوت سلْسلةُ متَّى في خاتمتِها عندما قال: «ويعقوب ولَدَ يوسُف زوجَ مريم والدة المسيح»... يُضافُ إلى ذلكَ أنَّ السِّلْسلتينِ غير متَّفقتينِ في حلقاتِهما، ويبدو التَّناقضُ بينهما جليّاً ابتداءً من الجدِّ المُباشِر ليسوع، الذي يُورِدُ اسْمَهُ لوقا على أنَّه عالي، بينما يُورِدُ اسْمَهُ متَّى على أنَّه يعقوب»[2].

عموماً، المسيحيُّونَ يُصِرُّونَ على تأكيدِ نسَب يسوع لداود، ليكونَ مصداقاً لنُبوءاتِ الكتابِ المُقدَّس بالمسيحِ المنتظر[3]، في حين أنَّ اليهودَ يُصِرُّونَ على نفي نسْبة يسوع لداود، حتى يستبعدونَ أنْ يكونَ هو المسيحُ المنتظر. والمُؤكَّدُ - وفقاً للقرآن - أنْ لا نسَبَ بشَري

---

(1) فراس السواح، **الوجه الآخر للمسيح**، ص27 - 28.

(2) المصدر نفسه، ص35.

(3) **ويستندون في ذلك إلى عبارات وردت في الأناجيل، من قبيل:**
فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ هذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟» **(إنجيل متى 12: 23)**
وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدّاً. **(إنجيل متى 15: 22)**
وَإِذَا أَعْمَيَانِ جَالِسَانِ عَلَى الطَّرِيقِ. فَلَمَّا سَمِعَا أَنَّ يَسُوعَ مُجْتَازٌ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ» **(إنجيل متى 20: 30)**،
وَالْجُمُوعُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرَخُونَ قَائِلِينَ: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ» **(إنجيل متى 21: 9)**.=

لابنِ مريم إلا من أُمِّهِ العذراء، وأنَّ مريمَ - كما هو الظَّاهر[1] - من نسْلِ هارون، لكن هل هو من نسْلِ داود أيضاً؟

هنا احتمالاتٌ مُتعدِّدةٌ للإجابةِ عن هذا السُّؤال (بعضُها لا يستبعدُ البعضَ الآخر):

الاحتمالُ الأول: أنْ يكونَ يسوع ابناً لداود بالمعنى المجازي، أي يحتلُّ كُرْسي داود في الرِّئاسةِ فيكونُ امتداداً له، وإنْ لم يكن ابناً بالمعنى الحقيقي.

ونرى نظيراً له في القرآنِ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2] فمن المعلومِ أنَّ إسماعيلَ لم يكن من آباءِ يعقوب، بل هو عمُّ أبيهِ: إسحاق، ومع ذلك اعتبرَ بنو يعقوب إسماعيلَ من آباءِ أبيهم.

الاحتمالُ الثاني: أنَّ خطيبَ مريم (وفقاً للأناجيل)، يوسُفَ النجَّار، هو من نسْلِ داود. وقد جرت العادةُ في الشَّريعةِ الموسويةِ على نسْبةِ الشَّخصِ لأبيهِ، وليس لأُمِّهِ. فإنْ لم يكن يوسُف أباً حقيقياً ليسوع، فإنَّه قد تكفَّلَ به وربَّاه وتبنَّاهُ. لذا يمكنُ نِسْبةُ يسوع لداود بهذا المعنى المجازي أيضاً[3].

الاحتمالُ الثالثُ: أنَّ المسيحَ الملِك الذي ينتظرُهُ اليهود - الذي سيُعيدُ المجْدَ الضَّائع

= ويقولون إنَّ يسوعَ أثارَ الكتبة والفريزيِّين عندما سألَهُم عن معنى هذا اللَّقب بالذات. كيف يمكن أنْ يكون المسيَّا ابن داود بينما داود نفسه يشيرُ إليه قائلاً «ربي» (**إنجيل مرقس** 12: 35 - 37)؟ ولم يستطِع معلِّمو الشَّريعة أنْ يجيبوا عن هذا السُّؤال. وبهذا كشَفَ يسوع جهل معلمي اليهود بما يُعلِّمهُ العهد القديم عن طبيعةِ المسيا الحقيقية ممَّا جعلهم يعادونه أكثر.

(1) هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾. (مريم: 27 - 28).

(2) سورة البقرة، الآية 133.

(3) لذا جاءَ في إنجيل لوقا (4: 22): «وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ؟»»، وهذا يؤيد القول بأن يسوع كان مشهوراً بين الناس بأنه ابن يوسف النجار، ولو بنحو النسبة المجازية، أو من باب «الولد للفراش»، على اعتبار أن مريم مخطوبة ليوسف، وإنْ لم يدخل بها.

وكذلك ما وردَ على لسانِ مريمَ العذراء، عندما كانت هي مع يوسف يبحثانِ عن يسوع، في **إنجيل لوقا** (2: 2: 48): «فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ!».

لبني إسرائيل وينحدِرُ من داود ـ قد يكونُ مسيحاً آخر، لم يأْتِ بعد. وهذا لا ينْفي كون ابن مريم مسيحاً، لكن هو المسيحُ النَّبي الذي ينحدِرُ من نسْلِ هارون.

هذا الاحتمالُ لا يرتضيهِ اليهود، لأنَّهم يميلونَ إلى التَّأكيدِ على أنَّ ابنَ مريم مسيحٌ مزيَّفٌ وكاذب. كما لا يسْتسيغُهُ المسيحيُّون، لأنَّهم يريدونَ التَّأكيدَ على أنَّ ابنَ مريم هو المسيحُ الموعودُ الذي حقَّقَ نبوءات الأنبياء الواردة في الكتابِ المُقدَّس. ويُبرِّرُ المسيحيُّون عدمَ تحقيقِهِ لمجْدِ بني إسرائيل، إمَّا بتغيرِ مفهوم «بني إسرائيل» بحيث لم يعُد الأمرُ نسَبِيّاً بعد مجيءِ المسيح ابن مريم (بمعنى أنَّ كلَّ من اتَّبَعَ يسوع هو من بني إسرائيل وإنْ لم ينحدِر نسَبِيّاً منه، وكلَّ من لا يتَّبع يسوع هو ليسَ من بني إسرائيل وإنْ انحدَرَ نسَبِيّاً منه)، أو بالقولِ بالمجيءِ الثاني له.

وقد يُسْتشهدُ في مقام تأييدِ هذا القول إلى ما جاءَ في إنجيلِ يوحنَّا: «فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ أُورُشَلِيمَ: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ؟ وَهَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جِهَاراً وَلَا يَقُولُونَ لَهُ شَيْئاً! أَلَعَلَّ الرُّؤَسَاءَ عَرَفُوا يَقِيناً أَنَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ حَقّاً؟ وَلكِنَّ هذَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَمَتَى جَاءَ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ هُوَ».

فَنَادَى يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ قَائِلاً: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي».

فَطَلَبُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلَمْ يُلْقِ أَحَدٌ يَداً عَلَيْهِ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ. فَآمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ، وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هذِهِ الَّتِي عَمِلَهَا هذَا؟»[1].

وكأنَّ يسوع في هذا الحوار ينفي عن نفسِهِ أنَّه هو المسيح الذي كان اليهودُ ينتظرونَهُ.

الاحتمالُ الرَّابع: أنَّ اليهودَ قد أخطأوا في فهمِ نبوءاتِ كتابِهِم المُقدَّس، فالمُلْكُ الأبدي (أو الخالد) لنسْلِ داود، لا يعني الاستمرارَ بلا انقطاع، وإنَّما يعني أنَّ مُلْكَ نسْلِهِ سيستمرُّ ردْحاً طويلاً من الزَّمن[2]. فقد يُقالُ إنَّ ثمَّةَ مشكلة في التَّرجمةِ أو تفسيرِ النُّصوص، أدَّت إلى هذا الوهم، ومن ثمَّ إلى ترسُّخِهِ وتجذُّرِهِ في عقولِ اليهود.

على هذا الأساس، لا موجِبَ لافتراضِ أنَّ المسيحَ المنتظر من نسْلِ داود أصلاً.

---

(1) **إنجيل يوحنا** 7: 25 ـ 31.

(2) ففي اللُّغةِ، من معاني الخُلُود: البقاءُ لفترةٍ طويلة (وليس البقاء الأبدي بالضَّرورة)، ولذا تُسمَّى الصخور: «الخوالِد»، لطولِ بقائِها بعد دروسِ الأطلال (كما وردَ في لسانِ العرب). والحالُ ذاتُهُ في العِبْريَّة، فاللَّفظُ المُستخدَمُ هنا يحتمِلُ معنى البقاء لفترةٍ طويلة.

وهذا إنْ صحَّ فإنَّه يعني أنَّ عدم انحدار يسوع من داود، لا يُشكِّكُ في كونِهِ هو المسيح المنتظر.

الاحتمالُ الخامس: إنْ كانت مريم هي من نسْلِ هارون (لاوي) من طرَفِ أحدِ أبويها، فلا يبعُدُ أنْ تكونَ من نسْلِ داود (يهوذا) من الطرَفِ الآخر.

وقد يُستدَلُّ على امتناعِ ذلك، بأنَّ هذا لا يجوزُ في شريعةِ بني إسرائيل، لعدمِ جوازِ تزوُّج المرأة المنحدِرة من سبْطٍ منهم برجُلٍ ينحدرُ من سبْطٍ آخرَ منهم، كما وردَ في سِفْرِ العدد[1].

وجوابُ ذلك أنَّ تكملةَ النَّص في ذلك السِّفر،[2] (8 ـ 9) يُبيِّنُ أنَّ الإلزامَ خاصٌّ بالمرأةِ التي ورثَت (حتى يبقى الإرثُ في دائرةِ السِّبْط ولا ينتقلُ بزواجِها إلى دائرةِ السِّبْط الآخر)، أما المرأةُ التي لم ترِثْ من عشيرَتِها، فلا إشكالَ في أنْ تتزوَّجَ رجُلاً من عشيرةٍ أُخرى. لذا نجدُ أنَّ ميكالَ بنْتَ شاول (من سبْطِ بنيامين)[3] تزوَّجَت من داود[4] (وهو من سبْطِ يهوذا)[5]، وبناتُ القاضي يَفْتاح الثلاثون قد تزوَّجْنَ جميعُهُنَّ من رجالٍ من غيرِ عشيرتِهِنَّ،[6] وابنةُ شيشان بن يشْعي تزوَّجت من عبدٍ مصْريٍّ كان عبداً عند أبيها[7].

ويُؤيِّدُ هذا الاحتمال أنَّ ثمَّةَ علاقة نسَب بين مريم (من لاوي/ هارون) وخطيبِها يوسف النجَّار (من يهوذا/ داود)، فهُما ـ على ما يبدو ـ أبناءُ عمومة (يلتقي نسَبُهُما على قولٍ عند جدَّيهما لمْتان، الذي أنجبَ يعقوب أبو يوسف النجَّار، ويواقيم أي عمران أبو مريم. وعلى قولٍ آخر يلتقي نسَبُهُما عند زرُبابل).

وهذا الاحتمالُ يبدو أنَّه هو الأرجح[8].

---

(1) **سفر العدد** 38: 8.

(2) أي تكملة 8 إلى 9 من الإصحاح 38 من **سفر العدد**.

(3) **سفر صموئيل الأول** 9: 1، 2.

(4) **سفر صموئيل الأول** 18: 27.

(5) **سفر أخبار الأيام الأول** 2: 3 ـ 15.

(6) **سفر القضاة** 12: 9. في بعض النُّسخِ تحريفٌ وإسقاطٌ لعبارةِ «تزوَّجْنَ من غيرِ رجالِ عشيرتِهِنَّ».

(7) **سفر أخبار الأيام الأول** 2: 35.

(8) هذا ما مال إليه طابور حيث قال: «ولنتذكَّر أنَّه عندما أصبحت مريم حاملاً، وتركت النَّاصرة، ذهبت لتُقيم مع إليزابيث (أليصابات)، أمّ يوحنَّا المعْمدان، وقد ذكرَ لوقا أنَّهم كانوا أقرباء، غير أنَّه لم يُبيِّن كيف وإلى أي مدى (**لوقا** 1: 36)، لكنَّه روى أيضاً أنَّ إليزابيث وزوجَها زكريا كانا من ذريةِ ذاتِ نسبٍ =

الآن، إنْ كانت ولادةُ يسوع قد جرَتْ بتدخُّلٍ سماويّ، وبخلافِ عادة التَّكاثُر التي جرَتْ عليها البشرية،[1] إذن كيف اجتازَتْ مريم عُنُقَ الزُّجاجةِ مع بني إسرائيل طالما أنَّهم سيتَّهمونَها بأنَّها أتَتْ به من زنا؟ كيف تخلَّصَت من عقوبةِ الرَّجْمِ أو الشَّنْقِ أو غيرِها من العقوباتِ الشَّديدة الواردة في شريعةِ بني إسرائيل؟[2].

في القرآنِ، كلامُ المسيحِ في المَهْدِ يبدو أنَّه هو الذي حسَمَ الموقف لصالحِ مريم[3]. وهذه الآيةُ، أعني آيةُ تكلُّم المسيح في المهدِ، لا وجودَ لها في الأناجيلِ المعتمدةِ لدى الكنيسة، ولا يعرِفُها المسيحيُّون.

= كهنوتي (لوقا 1: 5)، وهذا تأكيدٌ إضافيٌّ على الصِّلةِ بين أسرةِ مريم الدَّاودية، وسبْط لاوي الكهنوتي. ولا يمكن فهمُ هذا الوجود الكثيف للأسماءِ اللاوية أو الكهنوتية كجُزْءٍ من سلسلةِ نسَب مريم، ما لم يكن هناك نفوذٌ مهمٌّ من سبْطِ لاوي، قد اندمجَ في سلسلةِ النَّسَب الملَكية هذه بالذَّات، التي هي من ذريةِ سبْطِ يهوذا، والذي هو محتملٌ كثيراً أنَّ مريمَ امتلكت نسَباً مزدوجاً. وقد ذكرَ لوقا سلسلةَ أسماءِ الذُّكور فقط من داود إلى مريم، ولكن وجود العدد الكبير من الأسماءِ الكهنوتية يومئُ إلى احتمالٍ كبيرٍ بوجودِ نساءٍ لاويَّاتٍ مهمَّات كنَّ متزوِّجات في هذه السِّلْسلة الدَّاودية على طولِ الخطّ. وهي قاعدةٌ تعودُ إلى الخلْفِ كلَّ الطَّريق، حتى هارون أخي موسى، الذي كان أوَّلَ كاهنٍ إسرائيلي. وقد كان هارونُ من سبْطِ لاوي، وقد تزوَّجَ من أميرةٍ من سبْطِ يهوذا كان اسْمُها أليشايع أو إليزابيث (**الخروج** 6: 23)». انظر: جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص76.

(1) وقفة: علْمياً، هل يمكنُ للمرأةِ أنْ تلِدَ من دونِ رجُل؟ الجواب: الاستنساخُ الوراثي قرَّبَ الفكرةَ والإمكانية (استنساخ النَّعجة دُولّي 1996 ـ 2003، عاشت ستّ سنوات، واستُنْسخت من دون ذَكَر، في أدنبرة باسكتلندا).

(2) لمعرفة العقوبات التي تتعرَّض لها المرأة المخطوبة التي تأتي بزنا، راجع: **التلمود البابلي**، مج8، توزيع المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، عمان، ط1، 2011م، ص270 ـ 279.

(3) قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾. (مريم: 27 ـ 30).

لماذا تكلَّمَ عيسى في المهدِ دونَ النَّبي (ص)؟

في عِلَلِ الشَّرائع عن وهب اليماني قال: «إنَّ يهودياً سألَ النبيَّ (ص) فقال: يا محمَّد! كُنْتَ في أُمِّ الكتابِ نبيّاً قبلَ أنْ يُخلَقَ آدم (عليه السلام)؟ قال: نعم، قال: وهؤلاءِ أصحابُكَ المؤمنون مُثْبتونَ معكَ قبلَ أنْ يُخلَقوا؟ قال: نعم، قال: فما شأنُكَ لم تتكلَّمْ بالحكمةِ حين خرجْتَ من بطْنِ أُمِّكَ كما تكلَّمَ عيسى ابنُ مريم على زعْمِكَ وقد كُنْتَ نبيّاً قبلَ ذلك؟ فقالَ النبيُّ (ص): إنَّه ليس أمري كأمرِ عيسى ابنِ مريم، إنَّ عيسى ابنَ مريمَ خلقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ من أُمٍّ ليسَ له أبٌ.... ولو أنَّ عيسى حين خرَجَ من أُمِّهِ لم ينطُق بالحكمةِ لم يكن لأُمِّهِ عذْرٌ عندَ الناس، وقد أتَت به من غيرِ أبٍ، وكانوا يأخذُونَها كما يُؤخَذُ مثلُها من المُحصَنات، **فجعلَ اللهُ عزَّ وجلَّ منطِقَهُ عُذراً لأُمِّهِ**».

لكن في إنجيلِ جيمس الأصغر أنَّ مريمَ تخلَّصت من العقوبة، من خلالِ الشُّرْب من ماءِ المرارة، دونَ أنْ يحدُثَ لها شيئاً. حيثُ جاءَ فيه: «وقالَ الكاهِنُ: أنا سوفَ أُعطيكُما معاً لتشْربا ماءَ الإدانةِ العائد للرَّبّ، فهو سوف يجعل ذنبَيْكُما ظاهرَيْنِ في أعيُنِكُما. وأخذَ الكاهِنُ الماءَ وأعطاهُ إلى يوسُفَ ليشْرَبَهُ، وأرسلَهُ إلى المنطقةِ المرتفعة، فعادَ سليماً. وجعَلَ مريمَ تشْرَبَ أيضاً، وبعثَ بها إلى المنطقةِ المرتفعة، فعادت سليمةً، فعجَبَ الناسُ جميعاً، لأنَّ الذَّنْبَ لم يظْهَر عليهما. فقالَ الكاهِنُ: إذا كانَ الرَّبُّ الإلهُ لم يُظْهِر ذنبَيْكُما، فأنا أيضاً لا أحكُمُ عليكُما. وأطلَقَ سراحَهُما، وأخَذَ يوسُفُ مريمَ، وغادَرَ إلى بيتِهِ، وهو مُبْتهِجٌ يُمجِّدُ ربَّ بني إسرائيل»[1].

وهذه العقوبةُ تنْسجِمُ مع ما جاءَ في التوراةِ، كمخرَجٍ لحالاتِ الاتِّهام بالزِّنا[2].

---

(1) **إنجيل جيمس الأصغر**، الفقرة 16، **الأناجيل النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص627.

(2) جاء في **سفر العدد** 5: 11 ـ 31: «وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا زَاغَتِ امْرَأَةُ رَجُل وَخَانَتْهُ خِيَانَةً، وَاضْطَجَعَ مَعَهَا رَجُلٌ اضْطِجَاعَ زَرْعٍ، وَأُخْفِيَ ذلِكَ عَنْ عَيْنَيْ رَجُلِهَا، وَاسْتَتَرَتْ وَهِيَ نَجِسَةٌ وَلَيْسَ شَاهِدٌ عَلَيْهَا، وَهِيَ لَمْ تُؤْخَذْ، فَاعْتَرَاهُ رُوحُ الْغَيْرَةِ وَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ نَجِسَةٌ، أَوِ اعْتَرَاهُ رُوحُ الْغَيْرَةِ وَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ لَيْسَتْ نَجِسَةً، يَأْتِي الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ إِلَى الْكَاهِنِ، وَيَأْتِي بِقُرْبَانِهَا مَعَهَا: عُشْرِ الإِيفَةِ مِنْ طَحِينِ شَعِيرٍ، لاَ يَصُبُّ عَلَيْهِ زَيْتاً وَلاَ يَجْعَلُ عَلَيْهِ لُبَاناً، لأَنَّهُ تَقْدِمَةُ غَيْرَةٍ، تَقْدِمَةُ تَذْكَارٍ تُذَكِّرُ ذَنْباً. فَيُقَدِّمُهَا الْكَاهِنُ وَيُوقِفُهَا أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مَاءً مُقَدَّساً فِي إِنَاءِ خَزَفٍ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ الْغُبَارِ الَّذِي فِي أَرْضِ الْمَسْكَنِ وَيَجْعَلُ فِي الْمَاءِ، وَيُوقِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَكْشِفُ رَأْسَ الْمَرْأَةِ، وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْهَا تَقْدِمَةَ التَّذْكَارِ الَّتِي هِيَ تَقْدِمَةُ الْغَيْرَةِ، وَفِي يَدِ الْكَاهِنِ يَكُونُ مَاءُ اللَّعْنَةِ الْمُرُّ. وَيَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ وَيَقُولُ لَهَا: إِنْ كَانَ لَمْ يَضْطَجِعْ مَعَكِ رَجُلٌ، وَإِنْ كُنْتِ لَمْ تَزِيغِي إِلَى نَجَاسَةٍ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ، فَكُونِي بَرِيئَةً مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ هذَا الْمُرِّ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتِ قَدْ زُغْتِ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ وَتَنَجَّسْتِ، وَجَعَلَ مَعَكِ رَجُلٌ غَيْرُ رَجُلِكِ مَضْجَعَهُ. يَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ بِحَلْفِ اللَّعْنَةِ، وَيَقُولُ الْكَاهِنُ لِلْمَرْأَةِ: يَجْعَلُكِ الرَّبُّ لَعْنَةً وَحَلْفاً بَيْنَ شَعْبِكِ، بِأَنْ يَجْعَلَ الرَّبُّ فَخْذَكِ سَاقِطَةً وَبَطْنَكِ وَارِماً. وَيَدْخُلُ مَاءُ اللَّعْنَةِ هذَا فِي أَحْشَائِكِ لِوَرَمِ الْبَطْنِ، وَلإِسْقَاطِ الْفَخْذِ.

فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: آمِينَ، آمِينَ. وَيَكْتُبُ الْكَاهِنُ هذِهِ اللَّعْنَاتِ فِي الْكِتَابِ ثُمَّ يَمْحُوهَا فِي الْمَاءِ الْمُرِّ، وَيَسْقِي الْمَرْأَةَ مَاءَ اللَّعْنَةِ الْمُرَّ، فَيَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ تَقْدِمَةَ الْغَيْرَةِ، وَيُرَدِّدُ التَّقْدِمَةَ أَمَامَ الرَّبِّ وَيُقَدِّمُهَا إِلَى الْمَذْبَحِ. وَيَقْبِضُ الْكَاهِنُ مِنَ التَّقْدِمَةِ تَذْكَارَهَا وَيُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَبَعْدَ ذلِكَ يَسْقِي الْمَرْأَةَ الْمَاءَ.

وَمَتَى سَقَاهَا الْمَاءَ، فَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَنَجَّسَتْ وَخَانَتْ رَجُلَهَا، يَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ، فَيَرِمُ بَطْنُهَا وَتَسْقُطُ فَخْذُهَا، فَتَصِيرُ الْمَرْأَةُ لَعْنَةً فِي وَسَطِ شَعْبِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ قَدْ تَنَجَّسَتْ بَلْ كَانَتْ طَاهِرَةً، تَتَبَرَّأُ وَتَحْبَلُ بِزَرْعٍ. هذِهِ شَرِيعَةُ الْغَيْرَةِ، إِذَا زَاغَتِ امْرَأَةٌ مِنْ تَحْتِ رَجُلِهَا وَتَنَجَّسَتْ، أَوْ إِذَا اعْتَرَى رَجُلاً رُوحُ غَيْرَةٍ فَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ، يُوقِفُ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَعْمَلُ لَهَا الْكَاهِنُ كُلَّ هذِهِ الشَّرِيعَةِ. فَيَتَبَرَّأُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّنْبِ، وَتِلْكَ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ ذَنْبَهَا».

طفولتُهُ وصِباهُ:

تقتضي الشَّريعةُ الموسويةُ ختْنُ كلّ صبيٍّ بلَغَ من العمرِ ثمانيةَ أيّام، وهو ما يعتبرُ علامةَ عهدٍ بين اللهِ وبني إسرائيل، ولم يكن يسوعُ استثناءً من ذلك، فقد قرَّرَ يوسُف (خطيبُ مريم) القيامَ بذلك بوصفِهِ ربَّ الأسرة. فقد وردَ في إنجيلِ لوقا: «وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ»[1].

ثمَّ يتحدَّثُ هذا الإنجيلُ عن تقديمٍ عقيقةٍ بعد مرْحلةِ النِّفاس: «وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوساً لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ»[2].

وقد استفادَ طابور من هذا النَّص فقْرَ أُسرة يسوع الشَّديد، حيثُ كَتَبَ: «نحنُ نعرفُ بأنَّ يسوع وأسرتَهُ قد نشأوا فقراء، حيثُ يُعطينا لوقا إشارةً مُثيرةً للصَّدْمةِ تُبيِّنُ مدى فقرِهِم الكبير. فتبعاً للقانونِ اليهودي، وحسْبَما ورَدَ الأمرُ في التَّوراةِ أو شريعةِ موسى، كان كلُّ أوَّل ولَد ذكَر يجري قبولُهُ طُقُوسيّاً في داخلِ الجماعةِ اليهوديَّةِ من خلالِ احتفالٍ قديم، كان يُدْعى «فداءُ الولَد»؛ ذلك أنَّ الرَّبَّ أعلَنَ «لأنَّ لي كُلَّ بكْرٍ في بني إسرائيلَ من النَّاسِ ومن البهائم»[3]، فعِوَضاً عن تضْحية الطِّفْل إلى الآلهةِ حسْبَما كان مُمارَساً في بعضِ الثَّقافات القديمة، دفعَ الأبوانِ إلى الكهنةِ خمسةَ مثاقيلَ من فضَّة، كجُزْءٍ من احتفالٍ طُقُوسيٍّ «يُحرِّرُ» الطِّفْلَ من الموت، وكان هذا الاحتفالُ الطُّقوسي يجري العمَلُ به لمدَّةِ ثلاثينَ يوماً بعد ولادةِ الطِّفْل. وفي يومِ الأربعين، كان هناك واجبٌ آخرَ من أجلِ أُمّ أيّ ولَد ذكَر، سواءٌ أكانَ المولودُ هو الأوَّلُ ولادةً أو لم يكن، وكان الطِّفْلُ يُجلَبُ إلى المعبدِ المُقدَّس، وكان يُطلَبُ من الأُمِّ تقديمَ قُرْبان: خروف مُحرَقة وحمامة، كتقدِمةِ ذنْبٍ إلى الكهنةِ الرَّسْميِّين. وفي حالاتِ الفقرِ الشَّديد، رسَمَ التَّوراةُ وقرَّر: «وإنْ لم تَنَلْ يدُها كفايةً لشاةٍ، تأخُذُ يَمامتيْنِ أو فرْخَي حَمَام، الواحدَ مُحرَقةً، والآخرَ ذبيحةَ خطيَّةٍ، فيُكفِّرُ عنها الكاهنُ فتطْهُر»[4]. ولقد كان لوقا هو الذي أخبرَنا أنَّ مريمَ ويوسُفَ قاما،

(1) إنجيل لوقا 2: 21.
(2) إنجيل لوقا 2: 22 ـ 24.
(3) العدد 8: 17.
(4) اللاويين 12: 8.

كيهوديَّيْنِ متمسِّكيْنِ بالدِّين، فأخذا يسوع إلى المعبدِ لأداءِ هذه الواجبات الطُّقُوسية، وقُدِّمت هناكَ أُضحية «ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ»[1]. وليس هناك ذِكْرٌ لشاةٍ، حيثُ من الواضحِ أنَّه لم يكن باستطاعَتِهما دفعُ ثمن حتى مثل هذه التَّقدمة المتواضعة»[2].

وقد سكَتَ الإنجيليُّون عن ذكرِ سيرةِ يسوع منذُ طفولتِهِ وحتى بُلُوغِهِ الثلاثينَ من عُمُرِهِ، وهي السَّنوات التي يُعبَّرُ عنها بـ «السَّنواتِ الضَّائعة». حيثُ لا يوجدُ لدينا أيُّ سجلٍّ تاريخيٍّ عن السَّنواتِ الثلاثين الأولى من حياتِهِ[3]، حتى بلوغِهِ الثلاثين، وهو زمنُ بدايةِ دعوتِهِ، التي لم تطُل أكثرَ من ثلاثةِ أعوام كما يُقال[4]، باستثناءِ حادثةٍ واحدةٍ (سأذْكُرُها الآن) يرويها إنجيلُ لوقا تتعلَّقُ بزيارتِهِ إلى أورشليم في سنِّ الثانيةَ عشرةَ من عُمُرِهِ. ولكن الأناجيلُ المنحولةُ تُلْقي الضَّوءَ على الكثيرِ من جوانبِ حياتِهِ في فترةِ صباهُ وشبابِهِ[5]، إلا أنَّ الكنيسةَ رفضَت قبولُها على أنَّها كتبٌ قانونية.

وإليكَ تلك الحادثة:

«وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئاً حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ. وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ، ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ.

وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ، جَالِساً فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا.

---

(1) **إنجيل لوقا** 2: 22 ـ 24.

(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص114.

(3) المصدر نفسه، ص111 ـ 112.

(4) وينسجم هذا مع قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران، 46).
المهْدُ هو السَّريرُ يُهيَّأُ للطِّفلِ ويوطَّأُ لِنَامَ فيه. والكهْلُ هو الذي تجاوزَ سنَّ الشَّباب (من البُلوغ إلى سنِّ الثلاثين) ولم يصِل إلى الشَّيخوخةِ بعد (من جاوزَ الخمسين)، فالكهولةُ تكونُ ما فوق الثلاثين وقبلَ الخمسين.

(5) عُرِفَت غالباً بـ «أناجيل الطُّفولة»، مثل إنجيل توما للطُّفولة.

وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ»!

فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟».

فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلاَمَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا. ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذِهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ»[1]...

ولا نجدُ في أسفارِ العهدِ الجديدِ أيَّةَ اشارةٍ أخرى إلى حياتِهِ في صباهُ أو شبابِهِ. لذا لا يعْلَم أحدٌ أنَّه هل تزوَّجَ أو لا؟[2] كما لا نعلَمُ عن صفاتِهِ الجسَدية شيئاً، كما لا نعلَمُ عن التَّجارُبِ والأحداثِ والخبراتِ التي مرَّ بها قبلَ بلوغِهِ سنَّ الثلاثين، إلا ما يتعلَّق بتعميدِ يوحنَّا المعمدان (يحيى بن زكريا)، وتجرُبةِ الشَّيطانِ له.

هل ليسوع أُخوة؟

هل ظلَّت مريم العذراء غير متزوِّجة إلى وفاتِها؟ أم إنَّها بعد ولادَتِها الاستثنائية بيسوع تزوَّجت وأنجَبَت؟ على هذا الأساس، يُطرَحُ هذا السُّؤال: هل ليسوع إخوةٌ من أُمِّهِ؟

يقولُ الباحثُ طابور: إنجيلُ مرْقس هو أقدَمُ من ذكَرَ بأنَّه كان ليسوع أربعةَ إخوة وأُختان

---

(1) **إنجيل لوقا** 2: 40 ـ 52.

(2) حسْمُ هذا الأمر له تأثيرٌ كبير على موقفِ الكنيسة العام تجاهَ الزَّواج، لذا راجت الرَّهبانية (التي تستبطنُ موقفاً سلْبياً من الزواج، وحالات الإخصاء الطوعي قربة إلى الله!). وراجَ قولٌ ضعيفٌ، لا دليلَ عليه، عن زواجِ يسوع من مريم المجدلية، وسفرِهما إلى فرنسا، وإنجابِهما لذريةٍ انتشرت لاحقاً في أوروبا، وتجدُ أصداءَ تلك الأقاويل في روايةِ شيفرة دافنشي لـ«بروان».

أما القرآن، الذي تحدَّثَ مثلاً عن زوجِ آدم وامرأةِ إبراهيم ولوط ونوح وموسى وزكريا وغيرِهم، لم يُشِر أيَةَ اشارة إلى امرأةِ عيسى!

وقد ورَدَ في نهجِ البلاغة عن الإمام علي ﷺ: «وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!» **نهج البلاغة**، تحقيق صبحي الصالح، خطبة رقم 160، ص227.

أيضاً أخرجَ الصَّدوق في **من لا يحضره الفقيه** (ج3، ص558، ح4916): عن الصَّادقِ ﷺ: قيلَ لعيسى ابنِ مريمَ: ما لَكَ لا تتزوَّج؟ فقال: وما أصنَعُ بالتَّزويج؟ قالوا: يُولَدُ لك، قال: وما أصنَعُ بالأولاد؟ إنْ عاشوا فتَنوا، وإنْ ماتوا أحزَنوا.

على الأقل. وإنجيلُ مرْقس هو أقدَمُ سجِلٍّ إنجيلي، وقد أتى على ذكرِهِم وحدَّدَ أسماءَهُم، وهم: يعقوب (جيمس) ويوسي ويهوذا وسِمْعان، وذكَرَ الأختين من دونِ تسميَتِهما. غيرَ أنَّ التُّراثَ المسيحي القديم يقول: لقد كانتا اثنتين، هما: مريم وسالومي[1].

واحتوى إنجيلُ متَّى، الذي اعتمَدَ كاتِبُهُ على إنجيلِ مرْقس كمصْدَرٍ له، قائمةَ الأسماء نفسَها، مع أنَّه لفَظَ اسْمَ «يوسيس» - الذي هو لقبٌ قريبٌ من كلمةِ «يوسي» - بصيغتِهِ الكاملة، وهي يوسف. وهو أيضاً أورَدَ اسْمَ «سِمْعان»: «شمعون» قبلَ يهوذا[2].

في المقابلِ، أسقطَ إنجيلُ لوقا قائمةَ الأسماء كُلِّياً، فكاتبُهُ مُدافعٌ غير خجول عن بولُس، وقد قامَ على نحوٍ مستمرٍّ بتهميشِ إخوة يسوع والتَّعتيم عليهم، وهو ما نُواجِهُهُ في الخطابِ المسيحي اليوم. ففي غالبِ الأحيان، كلَّما تحدَّثَ أحدٌ عن إخوةِ يسوع، والمكانة العالية ليعقوب (جيمس)، الذي تركَهُ يسوع مسؤولاً عن أتباعِهِ، قالَ القائلُ في قبالِ ذلك: «أنا لم أعرِف قطُّ أنَّ يسوع قد كان له أيَّة إخوة».

وهناك عدد من الحقائقِ خلْفَ هذه الثَّغرة في معلوماتِنا حولَ المسيحيَّة المُبكِّرة، حيثُ تقومُ العقيدةُ المسيحيَّة المُتأخِّرة على أنَّ مريمَ كانت عذراءَ دائماً، وأنَّها لم تُنْجِب أولاداً أبداً غيرَ يسوع، وأنَّها لم يكُن لها قطُّ علاقة جنْسيَّة مع أيِّ رجُلٍ. لكن ما من واحدٍ في الكنيسةِ المُبكِّرة قد تصوَّرَ حتى هذه الفكرة، بحُكْمِ أنَّ أُسرة يسوع كانت قد أسهَمَت في دورِ مشاهدٍ وفعَّالٍ في حياتِهِ، وفي حياةِ أتباعِهِ المُبكِّرين. وكان كلُّ ما تمَّ عمَلُهُ مع مريم، هو إزاحَتها كُلِّياً من وسَطِ ثقافَتِها اليهودية في القرْن الأوَّل، ووضعها ضمنَ إطارِ رأيٍّ ظهَرَ مع الأيام، بأنَّ المُمارسةَ الجنْسيَّةَ البشريَّةَ هي عملٌ منحطٌّ ووضيعٌ وغيرُ مُقدَّس، وشرٌّ ضروريٌّ ينبغي الصِّراعُ ضدَّهُ في أحسَنِ الأحوال. وهكذا نُظِرَ إلى أيِّ شيءٍ يتعلَّقُ بالجسَدِ على أنَّه منحطٌّ ووضيع، وأدنى قيمةً من العالَمِ الرُّوحاني السَّماوي.

ومع أواخرِ القرْنِ الرَّابع الميلادي، بدأت الكنيسةُ بمعالجةِ الحياةِ الجنْسيَّةِ لمريمَ بوساطةِ موقفينِ بديلين: كان الأوَّلُ هو أنَّ «الإخوة» لا تعني «الإخوة» بشكلٍ حرْفي، يعني أنَّهم وُلِدُوا للأُمِّ نفسِها، بل هو اصطلاحٌ عامٌّ يشيرُ إلى «أبناءِ عمومة أو خؤولة»، وقد أصبَحَ هذا الشَّرْحُ هو الشَّرْحَ القياسي في الغرْب، أيَّدَتْهُ الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ ودافعت عنه. وكان

(1) إنجيل مرقس 6: 3.
(2) إنجيل متى 13: 55.

الثاني هو موقفُ الشَّرْق، حيثُ آثرَ المُتحدِّثونَ باللُّغةِ الإغريقيَّةِ من المسيحيِّين وجهةَ نظرٍ مختلفة، فقالوا: كان الإخوةُ أبناءَ يوسُف النجَّار، لكن من زواجٍ سالِفٍ، وبذلك لم يكن لهؤلاءِ قرابة عضوية بيسوع أو بأُمِّهِ.

الباحثُ طابور ذهبَ إلى أنَّ يسوع لم يكن ابناً ليوسُف، إلا أنَّ يوسُفَ كان قد تزوَّجَ بمريمَ بعد إنجابِها بيسوع[1]، ثمَّ ماتَ يوسُف (على الأرجح) من دونِ أولاد. وبناءً عليه، وتبَعاً للشَّريعةِ اليهوديَّة، حلَّ أخوهُ كِلُوبا محلَّهُ، وتزوَّجَ من أرملَتِهِ مريم. فتبعاً للتَّوراة، كان الأخُ الأكبرُ الباقي بين الأحياء، وغير المُتزوِّج، يُجبَرُ على الزَّواجِ من أرملةِ أخيه المُتوفَّى، حتى تحمِلَ طفْلاً باسْمِهِ، حتى لا يُصبِحَ «اسْمُ» الأخِ المُتوفَّى أو نسَبُهُ منقطعاً، وكان هذا يُعرَفُ باسْمِ «زواج البدَل»، وكان واحداً من أوامرِ الوصايا التي أُعطِيت من الرَّبِّ لإسرائيل[2]، وتعامَلَ معها اليهودُ الأتقياءُ بشكلٍ جدِّي. وكان ابنُ كِلُوبا الأول من مريم: جيمس (يعقوب)، وهو الأخُ الذي خلَفَ يسوع، الذي أصبَحَ يُدْعى قانونياً «ابنُ يوسُف»، ومعنى هذا أنَّ يسوع كان له أربعة أُخوة غير أشقَّاء، وعلى الأقل أُختان غير شقيقتين، وُلِدُوا جميعاً من أُمِّهِ، لكن من أبٍ مختلفٍ (سواءٌ كان هذا الأبُ المختلِف هو يوسُف أو كِلُوبا)[3].

المعموديةُ من يوحنَّا والتَّجربةُ من الشَّيطان:

عندما بلَغَ يسوع الثلاثينَ من عُمُرِهِ، ترَكَ مدينةَ النَّاصرة إلى نهرِ الأرْدن، ليتعمَّدَ بالماءِ من قِبَلِ يوحنَّا المعمدان[4].

وينقُلُ إنجيلُ متَّى وإنجيلُ مرْقس وإنجيل لُوقا هذه الحادثة، مع قليلٍ من الاختلاف، وننقُلُها من إنجيلِ مرْقس، باعتبارِهِ أقدمَ الأناجيل الأربعة، ولكونِهِ بدأَ إنجيلَهُ بهذه الحادثة:

«بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: «هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ

---

(1) حيثُ جاءَ عن يوسُف ومريم في إنجيل متَّى: «وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ» وَلَمْ يَعْرِفْهَا «حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ». **إنجيل متى**، 1: 18 ـ 25. والشرح التقليدي لـ «لم يعرفها حتى»، هو أنها كانت مخطوبة ولم يدخل بها حتى...

(2) **التثنية** 25: 5 ـ 10.

(3) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص97 ـ 108.

(4) مكانُ التَّعميد ـ كما كشف عنه علماءُ الآثار حديثاً، يقعُ عند الحدودِ الأردنية الفلسطينية، عند نهرِ الأردن، شمال البحر الميِّت، في منطقةٍ يُقالُ لها «المغْطَس»، وقد زرْتُها بتاريخ 23/ أكتوبر/ تشرين الأول 2017م.

وَجْهِكَ مَلاَكِي، الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً»[1] كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ. وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ، وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيّاً. وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: «يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ».

وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأُرْدُنِّ. وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ، وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[2].

فعندما ظهَرَ يوحنَّا المعْمدان، وبدأَ رسالتَهُ داعياً الناسَ إلى التوبةِ والزُّهد، كان الناسُ يُقبِلُونَ على شاطئِ الأردن ليتعمَّدوا ثمَّ يعودونَ إلى أعمالِهم، ويأخذونَ في التحدُّثِ عمَّا سمِعوا وشاهدوا. وشدَّ ابنُ خالتِهِ يسوع الرِّحالَ إلى نهرِ الأردن، وتعمَّدَ منه.

يقولُ ول ديورانت: «وهذا القرارُ الذي اتَّخَذَهُ رجُلٌ، يقرُبُ من سنِّ الثلاثين، شاهدٌ على أنَّ المسيحَ آمنَ بتعاليمِ يوحنَّا، وأنَّ تعاليمَهُ هو لن تفترق في جوهرِها عن تلكَ التَّعاليم. أما أساليبُهُ وأخلاقُهُ، فكانت تختلفُ عن أمثالِها عند يوحنَّا: فهو لم يُعمِّد أحداً، ولم يعِشْ في البيداء، بل عاشَ العالَم. ولم ينْقضِ على هذا اللِّقاء بين يسوع ويوحنَّا إلا قليلٌ من الوقت، حتى أمرَ هيرودُس أنتيباس (صاحبُ المُدُن الأربع) في الجليلِ بسجْنِ يوحنَّا»[3].

في هذا المجالِ، ثمَّةَ نقطة بالغة الأهمية، لا بدَّ أنْ أُشيرَ إليها، ذكرَها الباحثُ طابور، حيثُ كتَب: «بما أنَّ يسوع كان على رأسِ أُسرةٍ كبيرةٍ، فقد اتَّبَعَ أسلوبَ حياةٍ كان أقلَّ عُزْلة، ولكن بما أنَّه كان هو ويوحنَّا قريبينِ من ناحيةِ الأُمَيْنِ، وفارقُ السِّنِّ بَيْنَهُما ستَّةَ أشهُرٍ فقط،

---

(1) «في الأصلِ، في المخطوطات القديمة: «كما هو مكتوبٌ في أشعيا»، لكن لمَّا كان ما هو موجود في سفر أشعيا الجزء الثاني فقط من هذه النبوءة، أما الجزء الأول منها ففي سفر ملاخي، لذا تم تحريف واستبدال هذه الكلمة في المخطوطات الأحدث بـ «الأنبياء» بدل «أشعيا». في **سفر ملاخي** 3: 1: «هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ». وفي **سفر أشعيا** 40: 3: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا».

(2) **انجيل مرقس** 1: 1 ـ 11.

(3) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص216.

من المعقولِ الافتراض أنَّهُما عرفا بعضَهُما أثناءَ النَّشْأة، ولا بدَّ أنَّ الأُسْرتيْنِ قد وُجِدَتا في القُدْسِ معاً في أوقاتٍ كثيرةٍ من السَّنة، من أجلِ الأعيادِ اليهوديَّةِ الرَّئيسية، ومن المحتملِ تماماً أنْ يكونَ يسوع قد زارَ يوحنَّا في اليهوديَّة، أو أنَّ يوحنَّا قد زارَ يسوع وهو يترعرع في الجليل. فيسوعُ ويوحنَّا لم يكونا غريبَيْنِ عن بعضِهما. لا بل في الحقيقةِ هناك بعضُ الأدلَّةِ التي أشارت إلى أنَّهُما شرَعا معاً في صياغةِ خُطَّة، وكانت خُطَّةً دراماتيكية وجريئة، اعتقدا أنَّها سوف تتسبَّب في إسقاطِ الحُكْمِ الرُّوماني في فلسطين، وسوف تقودُ إلى تدْشينٍ عالميٍّ الاتِّساع لملكوتِ الرَّبّ.

وعندما نصلُ إلى فهْمِ يوحنَّا المعْمدان ويسوع، حسْبَما فهمَ أحدُهُما الآخر، وحسْبَما كان قد نُظِرَ إليهما في مجتمعِهِما اليهوديّ المعاصر لهما، نجدُ أنَّ أناجيلَ العهد الجديد هي في وقتٍ واحدٍ أفضل مصادر، وأكبر مُعيقٍ لنا. فمع الوقتِ الذي كُتِبَت فيه أناجيل: مرْقس، متَّى، لوقا، ويوحنَّا (70 ـ 100م)، كانت هناك محاولة صريحة من قِبَلِ المسيحيِّين لخفْضِ مكانة يوحنَّا المعْمدان وتهميشِهِ، في حين كان هناك مبالغة كبيرة لتمجيدِ الدَّور الفرْدي ليسوع، حيثُ لم يتوفَّر مكانٌ لمسيحَيْنِ. وللسَّبَبِ نفسِهِ، نجدُ أنَّ جيمس (يعقوب)، أخا يسوع الذي خلفَهُ، قد حُذِفَ ذكرُهُ إلى حدٍّ بعيدٍ من التاريخِ المكتوب. فقد بدأَ المسيحيُّونَ ينْظرونَ إلى يسوع على أنَّهُ الرَّبُّ الوحيدُ، والمسيحُ، مع الأدوارِ المختلطةِ المتمازجة، للنُّبوَّةِ والكهانةِ والملَكيَّة. وقد نظروا إلى يوحنَّا بشكلٍ إيجابيٍّ، لكن كرائدٍ له فقط، قدَّم يسوع إلى العالَم، ثمَّ ما لبَثَ أنْ اختفى من المشْهد، وبهَتَ لونُهُ.

ومن المعروفِ بشكلٍ جيِّدٍ، أنَّ يوحنَّا قد تولَّى تعميدَ يسوع، وليس العكس. فقد جاءَ يسوعُ إلى عند يوحنَّا، والتحَقَ بحركتِهِ، الأمر الذي معناهُ في إطارِ اليهوديَّةِ القديمة، أنَّ يسوعَ كان من تلاميذِ يوحنَّا، وكان يوحنَّا حاخام أو أستاذ يسوع. وبالنِّسبةِ إلى المسيحيِّين المتأخِّرين، الذين مجَّدُوا يسوع، كانت هذه الفكرةُ غير مُتصوَّرة، ولا مفهومة. ويُمكِنُنا أنْ نُوثِّقَ في الأناجيلِ الأربعةِ للعهدِ الجديدِ ميلاً مُتطوِّراً للتعامُلِ مع هذه الحقيقةِ التاريخيَّةِ الصامدة، وتطبيقاتِها، بالحطِّ من أهميَّةِ يوحنَّا، من دون إنكارِ دورِهِ كرائدٍ ليسوع»[1].

ثمَّ كتبَ أيضاً: «قامَ يوحنَّا بتعميدِ يسوع في خريفِ عام 26م، وفي أناجيلِ: مرْقس،

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص165 ـ 166. والصفحات اللاحقة من هذا الكتاب تبين بعض التحريفات التي وقعت في الأناجيل لتقليل قيمة يوحنا لصالح يسوع.

متَّى، لوقا، أخبارُ السَّنة التالية، أي سنة 27م مفقودةٌ تماماً، ومن الصَّعبِ أنْ نقول: إنَّ هذا وليدُ صُدْفة، ذلك أنَّ تعميدَ يوحنَّا ليسوع، قد شكَّلَ دوماً معضلةً للمسيحيِّينَ المتأخِّرين، لأنَّه يمكنُ أنْ يُرى من ذلك وضْعُ يسوع بدورٍ ثانٍ بعد مُعلِّمِهِ يوحنَّا، الذي عنه تكلَّمَ بلُغةِ تمجيدٍ كبيرةٍ جدّاً. ولقد كان تعميدُ يسوع حقيقةً تاريخيَّةً لا يمكنُ نُكرانُها، ولا يمكنُ إزالَتُها من المُدوَّنات»[1].

الآن، بعد أنْ تعمَّدَ يسوع على يد يوحنَّا المعْمدان، عقَدَ النيَّةَ على الاعتزالِ فترةً من الزَّمن، فذهَبَ إلى الصَّحراءِ، وبقيَ هناكَ مدَّةَ أربعينَ يوماً منقطعاً عن الطَّعام، وذكَرَ إنجيلُ لُوقا: «لم يأكُل شيئاً في تلكَ الأيَّام»، وكان هناكَ مع الوحوش، وكانت الملائكةُ تخدِمُهُ، ومن بعدِ ذلكَ جاع.

ويُنقَلُ عن يسوع أنَّه لم يكن يألَف الصَّومَ المتواصِل، ولم يكن يعيشُ في بدايةِ حياتِهِ وأيَّامِ شبابِهِ الحرْمان، بل كان يعيشُ حياةً متوازنة، فيأكُلُ ويشْرَبُ شأنُهُ شأنُ الناس العاديِّين. وعندما أحسَّ بالجوعِ، جاءَ إليه الشَّيطانُ ليُجرِّبَهُ (= يفتِنَهُ). ويكتفي إنجيلُ مرْقس بذكرِ هذه التَّجربة، دونَ أنْ يذكُرَ تفاصيلَها. وأما لُوقا ومتَّى فإنَّهُما يذْكُرانِ التَّجربةَ بالتَّفصيل، ولكن مع تقديمٍ وتأخيرٍ في روايتِهما، ومع بعضِ الاختلاف، وينقُل إنجيلُ لُوقا هذه الحادثة فيقول:

«أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ. أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيراً. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزاً».

فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «مَكْتُوبٌ: أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ».

ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «لَكَ أُعْطِي هذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ، لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ».

فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».

---

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص171.

ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ، وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ».

فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّهُ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ». وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ»[1].

فاجعةُ يوحنَّا المَعْمَدان:

بعد اعتقالِ يوحنَّا المعْمَدان على يدِ الحاكِمِ هيرودُس انتيباس، وذلك لأنَّه وبَّخَهُ على زواجِهِ من هِيرُودِيَّا امرأةِ أخيه، انطلَقَ يسوعُ إلى الجليلِ ليُعلِنَ بشارتَهُ بقُرْبِ قدوم ملكوتِ الله، فقد ورَدَ في إنجيلِ مرْقس: «وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ. وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنجيل»[2].

وكتَبَ طابور مُعلِّقاً على هذه النَّقْلةِ السَّريعةِ في روايةِ مرْقس قائلاً: «تَرَكَ مرْقس الانطباعَ، أنَّه لم يكن هناك ضياعٌ للوقتِ: فقد جرى تعميدُ يسوع، وانسحَبَ هو إلى الصَّحراءِ لمدَّةِ أربعينَ يوماً، وجرى اعتقالُ يوحنَّا، فبدأ يسوعُ عملَهُ المُعلَن. فبضربةٍ واحدةٍ من قلمِهِ أزاحَ يوحنَّا عن مشْهدِ الأحداث، ليذْكُرَهُ فقط مرَّةً أخرى عندما تحدَّثَ عن وفاتِهِ. فقد صارَ الآن باستطاعتِهِ منْحَ انتباهِهِ الكامل إلى يسوع، في الواجهةِ، وفي مرحلةِ الوسط، تاركاً يوحنَّا في الخلْف، كمجرَّدِ رائدٍ للعمَلِ الأساسي. واتَّبَعَ متَّى ولوقا سبيلَهُ. ونحنُ لا نعرفُ بأنَّ ذلك كان كلّ ما عرفوه، أو أنَّهم اختاروا جميعاً ما قالوهُ، فهذا ما لا يُمكِنُنا بالفعلِ قولُهُ. ولكن نحنُ نعرفُ أنَّه من الصَّعب، لقد كانت هذه القصَّةُ كاملةً، والمفقودُ هنا هو مشاهد لم تتضمَّنَها سيرة حياة يسوع قطّ، ولم يذكُرها المسيحيُّونَ أبداً في قداساتِهِم، وإنَّ إنجيلَ يوحنَّا هو الذي يُزوِّدُنا ببعضِ المفاتيح»[3].

ثمَّ يضيفُ طابور شارحاً تلك المفاتيح (غير المقصودة من كاتبِ إنجيل يوحنَّا): «إذا ما أودَعَ الإنسانُ جانباً رأيَ يوحنَّا اللَّاهوتي حولَ أنَّ يسوع كان «ربّاً مُتجسِّداً»، وركَّزَ على تفاصيلِهِ الإخبارية، تبدأُ الصُّورةُ المهملةُ بالظُّهور. فعندما تواجَهَ يسوع مع يوحنَّا المعْمدان

(1) **إنجيل لوقا** 4: 1 ـ 13.
(2) **إنجيل مرقس** 1: 14 ـ 15.
(3) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص171 ـ 172.

عند نهرِ الأردن، أخبرَنا بأنَّ أربعةَ أفرادٍ ممَّن سيكونونَ في النِّهايةِ جُزْءاً من المجلسِ الدَّاخلي ليسوع، الذي تألَّفَ من اثني عشر، وهم: شمْعون بُطْرُس، وأخوه أندرو، وفيليب، نئائيل، كانوا من تلاميذِ يوحنَّا المعْمدان»[1].

هذه المعلومةُ الهامَّة تُؤكِّدُ أنَّ حِراكَ يسوع كان امتداداً لحِراكِ يوحنَّا، بحيث لا يمكن، أو يصْعُبُ، الفصْلُ بين الحِراكين.

لذا ينتهي طابور في بحثِهِ إلى القول: «إنَّ هذا كلَّهُ يُمكِنُنا استخلاصُهُ من إنجيلِ يوحنَّا، وما من شيءٍ من هذا قد ورَدَ ذكرُهُ في: مرْقس، متَّى، ولوقا. والذي كان يسوع يعمَلُهُ في ربيعِ العام 27م في كفْرَناحوم، كان تمتين رابطِ قلْب أتباعِهِ، من أجلِ الحمْلةِ المُقْبلةِ في اليهوديَّةِ في الجنوب. ولم يكن هناكَ أيَّ شقاقٍ أو انفصالٍ بين يسوع ويوحنَّا المعْمدان، بأخْذِ يسوع لبعضٍ من أتباعِ يوحنَّا، وكان الأكثرُ احتمالاً أنَّ ذلك كان خُطَّةً جماعيَّةً مُنسَّقةً، فقد أصبحَ يسوع شريكاً كاملاً مع يوحنَّا المعْمدان، وكانت خطَّتُهُما إثارةَ المنطقة كلّها، وهزَّ أركان كلٍّ من المؤسَّسةِ السِّياسيَّةِ والمؤسَّسةِ الدِّينيَّة، خلالَ أشهُرِ الصَّيف المُقْبل مع خريفِ عام 27م، وكان توقيتُ هذه الحملةِ مهمّاً، على أكثرِ من مستوى استراتيجي»[2].

الآن، تفصيلُ فاجعة يوحنَّا المعمدان ينقُلُها إنجيلُ مرْقس، وتحدَّثَ عنها المُؤرِّخ يوسيفوس أيضاً. وكنْتُ قد أشرْتُ سابقاً إلى قلَقِ هيرودُس المستمرّ من ظهورِ شخصيَّةٍ يهوديَّةٍ تُنافِسُهُ على السُّلْطة.

في هذا المجالِ، كتَبَ طابور: «لقد كانت ضرْبةً مزلزلةً ومرْعبةً للحركةِ المسائحيَّة. فمؤسِّسُها وقائِدُها يوحنَّا المعْمدان قد أُلقيَ به في السَّجنِ، من قِبَلِ هيرودُس أنتيباس، حاكِم الجليل وبيريا. وتبعاً لإنجيلِ مرْقس، كان يوحنَّا المعمدان قد وجَّهَ الملامةَ بصورةٍ علنيَّةٍ لهيرودُس لأخذِهِ هِيرُودِيَّا الجميلة، زوجة أخيه فِيلُبُّس، التي كانت راغبةً في أنْ تكونَ شريكتُهُ في ممارسةِ الزِّنى. ولم يذكُر يوسيفوس هذا الحادثَ بالتَّحديد، ولكنَّه قالَ بأنَّ هيرودُس كان قد ارتعَبَ تجاهَ النُّفوذ غير الاعتيادي الذي امتلكَهُ يوحنَّا على الناس، وخافَ من أنْ يقومَ بثورةٍ ضدَّهُ. ولكن يوحنَّا قد قامَ بشكلٍ استراتيجيٍّ بمرْكزةِ نفسِهِ على حدودِ أراضي هيرودُس، في شرْقي الجليل، وبذلك كان بإمكانِهِ النَّجاة إذا كان الأمرُ ضروريّاً

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص174.
(2) المصدر نفسه، ص176.

عبْرَ نهر الأردن، إلى المنطقةِ التي عُرِفَت باسْمِ منطقة «المُدُن العشْر»، خارجَ إطارِ سُلْطانِهِ. وكان جنودُ هيرودُس قادرينَ على الإمساكِ به، على حينِ غفلة. وقد جرى أخذُهُ إلى الجانبِ الشَّرْقي من البحرِ الميِّت، إلى إحدى قلاعِ هيرودُس الصَّحراوية، التي عُرِفَت باسْمِ «ماخاريوس». وكانت فكرةُ هيرودُس هي وضعهُ في المنطقةِ النائيةِ القصوى من مملكتِهِ، وبذلك تكونُ هناك فرْصةٌ أقلّ لقيامِ ثورة شعبيَّة»[1].

وجاءَ في إنجيلِ مرْقس حول قلَق هيرودُس اللاحق من اشتهارِ اسْم «يسوع» وانتشارِ دعوتِهِ:

«فَسَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ، لأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُوراً. وَقَالَ: «إِنَّ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ». قَالَ آخَرُونَ: «إِنَّهُ إِيلِيَّا». وَقَالَ آخَرُونَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ كَأَحَدِ الأَنْبِيَاءِ». وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ: «هذَا هُوَ يُوحَنَّا الَّذِي قَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ. إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ»![2].

لأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: «لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ» فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ، لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِماً أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَ كَثِيراً، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ.

وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوافِقٌ، لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ، دَخَلَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ، فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: «مَهْمَا أَرَدْتِ اطْلُبِي مِنِّي فَأُعْطِيَكِ». وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ «مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي».

فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لأُمِّهَا: «مَاذَا أَطْلُبُ؟» فَقَالَتْ: «رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ».

---

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص189.

(2) هذا النَّصُّ بالغُ الأهمية، لأنَّه دالٌّ على أنَّ اليهودَ آنذاك كانوا ينتظرون مجيء ثلاث شخصيَّات: المسيح، والنَّبي، وإيليا. وأنَّ بعضَهُم قد احتارَ في تصنيفِ ابنِ مريم، هل هو المسيح؟ أم النَّبي؟ أم إيليا؟

فَدَخَلَتْ لِلْوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً: «أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالاً رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ عَلَى طَبَقٍ».

فَحَزِنَ الْمَلِكُ جِدّاً. وَلأَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَرُدَّهَا. فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافاً وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ. فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ. وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا.

وَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ، جَاؤُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرٍ.

وَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَسُوعَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، كُلِّ مَا فَعَلُوا وَكُلِّ مَا عَلَّمُوا.

فَقَالَ لَهُمْ: «تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً». لأَنَّ الْقَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلأَكْلِ. فَمَضَوْا فِي السَّفِينَةِ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ مُنْفَرِدِينَ. فَرَآهُمُ الْجُمُوعُ مُنْطَلِقِينَ، وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ. فَتَرَاكَضُوا إِلَى هُنَاكَ مِنْ جَمِيعِ الْمُدُنِ مُشَاةً، وَسَبَقُوهُمْ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ.

فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ رَأَى جَمْعاً كَثِيراً، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا، فَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيراً»[1].

إذن احتضَنَ يسوعُ تلامذةَ يوحنَّا ومريديهِ، وأكمَلَ مسارَهُ، لكن بهدوء، دونَ الاصْطدام بهيرُودُسَ أو غيرِهِ من السُّلُطاتِ السِّياسيةِ والعسْكريةِ الرُّومانيَّة.

وعندما عادَ إلى النَّاصرة حيثُ نشأ، ودخَلَ المجْمَعَ يومَ السَّبْتِ على عادتِهِ، وأعلَنَ أنَّه هو المقصودُ بالنُّبوءاتِ عن المسيحِ المُنتظَر في سِفْرِ أشعيا، رفضَهُ قومُهُ وأهلُ بلدتِهِ، فأخرَجُوهُ إلى خارِجِ المدينة، فقالَ لهُم يسوع: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ»[2].

من بعدِ هذا، اتَّخَذَ يسوعُ مدينةَ كفْرَناحوم[3] مركزاً له مدَّةً تزيدُ على سنةٍ كاملةٍ من دعوتِهِ، فكان يُعلِّمُ فيها وفي أماكنَ أخرى من الجليلِ ويُظهِرُ الآيات تترى، وقد اختارَ من بين تلامذتِهِ وأتباعِهِ اثني عشَرَ ليكونوا تلاميذَهُ المُقرَّبين.

---

(1) **إنجيل مرقس** 6: 14 ـ 34. انظر أيضاً **إنجيل لوقا** 9: 7 ـ 10. انظر أيضاً **إنجيل متى** 14: 2 ـ 14.

(2) **إنجيل لوقا** 4: 24.

(3) الواقعة عند بحيرةِ طبرية شمال شرق فلسطين.

ولم يبدو عليه قطُّ أدنى خوفٍ من أعدائِهِ: رؤساء الكهنة ومُعلِّمي الشَّريعة من الفريزيِّين والصَّدوقيِّين، فزادَ هذا من قوَّةِ تأثيرِ آياتِهِ التي أظهَرَها أمامَ الناس.

تفاقُم العَداء ليسوع:

ثمَّ ذهَبَ يسوع إلى منطقةِ صور وصيْدا، وقيصرية فيلُبُّس، ثمَّ عادَ مرَّةً أخرى إلى البُلْدانِ القريبةِ من بحرِ الجليل، وشفى كثيرين، وأعانَ كثيرينَ في مِحَنِهِم.

و«من كفْرَناحوم بدأَ يسوع وبطانتُهُ بالسَّفرِ والطَّوافِ على جميعِ مُدُن وقرى الجليل، يعِظُونَ كلَّ من يودُّ الاستماع، وكانوا يعودونَ أحياناً إلى كفْرَناحوم لمعاودةِ التجمُّع ثمَّ الانطلاق مرَّةً أخرى. ونحنُ لا نعرِفُ كم كان عددُ التلاميذ الذين كانوا يتَّبعونَ يسوع في هذا الوقت، ولكن يمكنُ للإنسانِ أنْ يتخيَّلَ وجودَ كادرٍ من الأتْباع، ربَّما عدَّةُ عشرات، بما في ذلك نساء، سافرْنَ مع الجماعاتِ لتقديمِ الدَّعم اللُّوجستيكي[1]، وقد تنقَّلوا من قرْيةٍ إلى قرْية، وتعاملوا مع حشودٍ تدفَّقَت عليهم أثناءَ النَّهار، وعسْكَرَتْ خلالَ اللَّيل. وكانت الرِّسالةُ بسيطةً «تحوَّلوا عن ذُنوبِكُم لأنَّ مملكةَ الرَّبِّ قريبةٌ، والحكْمَ باتَ في متناوَلِ اليد...»[2].

ثمَّ ترَكَ الجُموعَ مرَّةً أخرى، وذهَبَ على انفرادٍ مع تلاميذِهِ، بعدما تفاقَمَ عداءُ رؤساء اليهود له، وصارَ حقدُهُم عليه يزدادُ شيئاً فشيئاً، لمُبرِّراتٍ متعدِّدة ساقوها[3]، فقاموا بكُلِّ حيلةٍ ووسيلةٍ، لكي يوقِعوهُ في فِخاخِهِم، حتى يُحطِّموا تأثيرَهُ على الجماهير، وسعوا للعثورِ على ذنبٍ أو جُرْمٍ عليه، ليُسلِّموهُ إلى السُّلُطاتِ الرُّومانيَّةِ السِّياسيَّةِ والعسْكريَّة، لكي تُنفِّذَ فيه حُكمَ الإعدام، بوصفِهِ يُهدِّدُ كيانَها، ويرتكبُ ما تعتبرُهُ السُّلُطاتُ الرُّومانيَّةُ جريمةً كبرى بحقِّ الدَّولة. بدأَ يسوعُ من ذلك الحين، يُعِدُّ التلاميذَ إعداداً قويّاً واضحاً، لمُهمَّتِهِم الكبرى في نشْرِ رسالتِهِ بكلِّ أرجاء العالَم[4].

الآن، هل كان يسوع ثائراً اجتماعيّاً يستهدفُ إحداثَ تغييرٍ اجتماعيٍّ جذْريّ وثائراً

---

(1) **إنجيل لوقا** 8: 1 ـ 3.

(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص199.

(3) أستعرِضُ تلك المبرِّرات لاحقاً في فصل: «قتْلُ المسيح أو صَلْبُهُ».

(4) وهذا ينسجم مع قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (آل عمران، 52 ـ 53).

سياسيّاً يستهدفُ الوصولَ إلى السُّلْطة؟ أم كان ثائراً روحيّاً يستهدفُ إيجادَ تغييرِ الرُّؤية الكونية للناس وثائراً معنويّاً يستهدفُ تغييرَ النُّفُوس؟ الفرْقُ كبيرٌ بين الرُّؤيتين.

يقولُ ول ديورانت: لقد حسِبَ الكثيرونَ المسيحَ ثائراً اجتماعياً، وإنَّا لنرى في الأناجيلِ بعضَ الشَّواهد التي تُؤيِّدُ هذا الرَّأي. منها أنَّ المسيحَ لا يُخفي احتقارَهُ للرَّجُلِ الذي يجعلُ همَّهُ في الحياةِ جمْعَ المالِ والانغماسَ في التَّرف... ويبدو أنَّ الرُّسُلَ كانوا يُفسِّرونَ الملكوت (الذي كان يُبشِّرُ المسيحُ بقُرْبِ قُدومِهِ) بأنَّه انقلابٌ ثوريٌّ للعلاقاتِ القائمة بين الأغنياءِ والفقراء... وكانت التُّهمةُ التي أُدينَ من أجلِها يسوع هي أنَّه كان يتآمر ليكونَ «ملِكَ اليهود».

لكن في وسْعِ الرَّجُلِ المُحافِظ أنْ يجِدَ في العهدِ الجديدِ شواهدَ يُؤيِّدُ بها آراءَهُ. منها أنَّ المسيحَ قد اتَّخذَ متَّى صديقاً له، ومتَّى هو الذي ظلَّ كما كانَ عاملاً من قِبَلِ الرُّومان. ومنها أنَّه لم يطْعَن قطُّ على الحكومةِ المدنية، ولم يكن له فيما نعلَم نصيبٌ في الحركةِ اليهوديَّةِ التي تهدِفُ إلى الحركةِ القومية، وأنَّه كان ينصَحُ بالكياسةِ البعيدةِ أشدَّ البُعْدِ عن الثَّورةِ السِّياسية. ولقد نصَحَ الفريزيِّين بأنْ «يُعطُوا ما لقيْصرَ لقيْصرَ وما للهِ لله»[1].

ويُضيفُ ديورانت بأنَّ القطيعةَ قد حلَّتْ بين يسوع ورؤساءِ اليهود حين بدأَ يُعلِن بأنَّه هو المسيحُ المُنتظَر بكُلِّ صراحةٍ ووضوح. لقد كان أتباعُهُ ينْظُرونَ إليه في أوَّلِ الأمرِ على أنَّه خليفةُ يوحنَّا المعْمدان، ثمَّ أخذوا يعتقدونَ شيئاً فشيئاً أنَّه هو المُنْقِذ الذي سيرفَعُ نيْرَ الرُّومان عن إسرائيل، ويبْسُطُ حُكْمَ اللهِ على الأرض[2].

طابور (وكعادتِهِ يُصوِّر يسوع كثائرٍ اجتماعيٍّ وسياسيّ) يقولُ: «انتقلَ يسوع كمِلِكٍ مستقبليٍّ لإسرائيل، لإقامةِ «حكومةٍ» مؤقَّتة تتشكَّلُ من الهيئةِ الدَّاخلية، أو مجلس الاثني عشر، فقد اختارَ من بين أتباعِهِ اثني عشَرَ رجُلاً، سمَّاهُم «نُوَّاباً» أو «مبْعوثين». وهذا هو معنى الكلمة الإغريقية التي تُرجِمَت إلى «رُسُل»[3] وكان مقصدُهُ الأخير هو أنَّه عندما تُصبِحُ هناك حكومةً عاملةً تماماً، كلُّ واحدٍ منهم سوف يجلِسُ على «عرْشٍ» واحدٍ من

---

(1) **إنجيل متى** 22: 21. **إنجيل مرقس** 12: 17. **إنجيل لوقا** 20: 25. ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص226 ـ 227.

(2) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص232.

(3) ويُسمِّيهم القرآنُ «الحواريِّين»، والحواريُّ لُغةً هو الصاحبُ والناصرُ، والنقيُّ الخالصُ من العيوب، والمُبيِّض الثِّياب، والذي يغسِلُ الثِّيابَ ويُبيِّضُها. =

الأسباطِ الاثني عشر لبني إسرائيل. ومن المحتملُ أنَّ المسيحيِّينَ نظروا مؤخَّراً نحو اختيار «الاثني عشرَ رسولاً» على أنَّها كانت خطوةً في التَّنظيمِ الرُّوحي... وكانت المهمَّةُ الأولى والأساسيَّةُ للمسيحِ الدَّاودي هي جمْعُ أسباط بني إسرائيل، بما في ذلك الأسباط الضَّائعة، الذين ذهبوا إلى المنفى أثناءَ القرْن الثامن قبلَ الميلاد، بسببِ الغزو الآشوري لبني إسرائيل. فتبعاً ليوسيفوس، كان سبْطانِ فقط من أسباطِ بني إسرائيل خاضِعينَ للحُكْمِ الرُّوماني، هما: يهوذا وبنيامين، وبعض المزيج من لاوي. في حين أنَّ القسْمَ الأساسي من الأسباطِ العشْرة الأخرى، كان قد هاجرَ نحوَ الشَّمال الغرْبي، وتمركزَ حول مناطق البحر الأسود»[1].

أيضاً كتَبَ طابور: «في وقتٍ ما في ربيعِ العام 29م، قبلَ عيد الفصْح، قسَّمَ يسوع اثني عشريَّتِهِ إلى قسْمين، في كلِّ قسْمٍ مجموعةٌ مؤلَّفةٌ من ستَّةِ رجال، وكانت هذه حركةٌ استراتيجيَّة، وكانت نواياهُ عظيمةً بقدْرِ ما كانت خطيرة، وكانت مهمَّتُهُم الطوافَ في البلادِ كلِّها، وكان عليهمُ السَّفرَ دونما مرافقة، وأنْ لا يحملوا معهم شيئاً: لا مالاً، ولا مؤنةً، ولا أمتعةً، ولا أنْ يُغيِّروا حتى ملابِسَهُم. أخذَ كلُّ واحدٍ منهم معه عصا فقط، وزوجاً من النِّعال، ووجَّهَهُم بقولِهِ: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»[2]، فقد كان عليهمُ الاقترابَ من كلِّ بلْدةٍ أو قرْية، وأنْ يُعلِنوا «إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»... ولم يكن الذي بادَرَ يسوع إلى القيامِ به أقلَّ من هجومٍ «روحيٍّ» ليُعلِنَ مُبشِّراً بوصولِ مملكة الرَّبّ»[3].

يقولُ أيضاً: «عندما انتشرت الأخبارُ بأنَّه هو وبطانتُهُ المُقرَّبة قد عادوا إلى كفْرَناحوم، بدأت جماعاتٌ أكبرَ من الأتباعِ بالتجمُّعِ هناك، وهي تتساءَل عن الذي سوفَ يتحقَّق بعدَ هذا. ويقترحُ الدَّليلُ أنَّ يسوعَ امتلَكَ في ذهنِهِ استراتيجيَّةً مُحدَّدةً ومفصَّلةً شُرُوعاً من هذه

- يروي الصَّدوقُ في علل الشَّرائع وعيون أخبار الرِّضا في روايةٍ معتبرةٍ عن عليِّ بنِ الحسنِ بنِ فضَّال عن أبيه قال: قلْتُ للرِّضا عليه السلام: لِمَ سُمِّيَ الحواريُّونَ الحواريِّينَ؟ قال: أما عند الناسِ فإنَّهم سُمُّوا حواريِّينَ لأنَّهم كانوا قصَّارينَ يُخلِّصونَ الثِّيابَ من الوسَخِ بالغَسْلِ، وهو اسْمٌ مشتقٌّ من الخبر: الحُوَّاري. وأما عندنا فسُمِّيَ الحوارِيُّون حواريِّينَ لأنَّهم كانوا مُخلِصينَ في أنفُسِهِم، مُخْلِصينَ لغيرِهِم، من أوساخِ الذُّنوبِ بالوعظِ والتذكير... راجع: محمد آصف محسني، **معجم الأحاديث المعتبرة**، ج1، ص427.

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص201.

(2) **إنجيل متى** 10: 5 ـ 6.

(3) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص205.

النُّقطةِ فصاعداً. فهو قد اتَّخذَ قراراً حاسِماً ومصيرياً، حيثُ قرَّرَ دفْعَ الأشياءِ حتى النِّهاية، حيثُ بدأَ بمسيرةٍ اعتقدَ أنَّه سوفَ ينجمُ عنها إطاحةٌ مثيرةٌ وحاسمةٌ بالشَّيطانِ ومملكِهِ.

واختارَ من بين جماعةِ الأتْباع الكثيرة سبعينَ نائباً، وقد قسَّمَهُم، مثلما كان قد فعَلَ مع الاثني عشر، إلى فِرَق، كلُّ فرْقةٍ مكوَّنةٌ من شخصين، وكان عليهمُ الانتشارُ قبلَهُ في كلِّ بلْدةٍ وفي كلِّ مكان، هو عازمٌ على الذَّهابِ إليه. وكانت مهمَّتُهُمُ الأساسيَّةُ شفاءُ المرْضى وطرْدُ الشياطين، والإعلان في كلِّ مكان: «قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ الله»[1]. وقد نظَرَ يسوع إلى هذا العمَلِ على أنَّه الرِّسالةُ الأخيرة، رسالةٌ خاتمةٌ للعمَلِ الذي كانَ قد شرَعَ فيه هو ويوحنَّا قبلَ ثلاثة أعوامٍ مضت. وقد أخبرَ المجموعات بأنَّ أيَّةَ بلْدةٍ سوف ترفُضُهُم، قد سُجِّلَت من أجلِ الدَّمارِ في الحسابِ المقبل. ونحنُ لا نعرفُ مدى اتِّساعِ سفَرِ هذه المجموعات، ولكن لا بدَّ أنَّها غطَّت المناطق في الجليلِ ومن حولَهُ، ومن المحتملِ أنَّها ذهبَت إلى منطقةِ اليهوديةِ أيضاً»[2].

ويضيف: «وأصبحَ هيرودس أنتيباس مُنْزعجاً تماماً وخائفاً من هذه النَّشاطات، وبعَثَ رسالةً من أجلِ اعتقالِ يسوع، وحصَلَ بعضُ الفريزيِّين على الرِّسالةِ وعرَفَ الخُطَّة، فأُخبِرَ يسوع بأنَّه يحتاجُ إلى مغادرةِ الجليل، بما أنَّ هيرودُس قد عزَمَ على قتلِهِ... وفي حوالي هذا الوقت، أي في أواخرِ خريف العام 29م، حصَلَ يسوع أيضاً على رسالةٍ تحدَّثَت عن أنَّ أعداءَهُ في القُدْسِ، كانوا يبحثونَ عن سبيلٍ يُمكِّنُهُم من اعتقالِهِ وقتلِهِ[3]. ومن المفترضِ أنَّ هؤلاء الأعداء قد كانوا قادةَ اليهود من الطَّبقةِ الأرستقراطية، الذين رأوا في شخصيَّاتٍ مثل يوحنَّا المعْمدان ويسوع تهديداً لسُلْطَتِهِم ولسيْطَرَتِهِم، وذلك من الجانبِ الاقتصادي للكنيس، ومن جانبِ تنظيمِ الشُّؤونِ الدِّينية. ولم يعتقد يسوع بأنَّ الوقتَ باتَ صحيحاً بالنِّسبةِ له حتى يتواجَهَ مع هيرودُس في الجليل، أو مع السُّلُطاتِ في القُدْس، ولذلكَ قرَّرَ الانتقالَ شرْقاً عبْرَ الأردن، إلى منطقةٍ عُرِفَت باسْمِ منطقة «المُدُن العشْر»، لينتظِرَ هناكَ خلالَ الشِّتاء. وكانت المُدُنُ العشْر خارجَ حدود الجليل واليهوديَّة، وكانت محكومةً من قِبَلِ اتِّحادٍ فضْفاضٍ لعشْرِ دولِ مدينة حسب النِّظام الإغريقي الرُّوماني، وكان من السَّهلِ نسْبياً بالنِّسبةِ ليسوع ولبطانتِهِ نصْبُ معسكرَهِم في منطقةِ جلْعاد الهضيبة الجبلية، وأنْ يجِدَ بعضاً من الخلْوةِ والأمن...

---

(1) **إنجيل لوقا** 10: 9 ـ 10.

(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص221.

(3) **إنجيل يوحنا** 7: 1.

وقد أعطانا يوحنَّا مُؤشِّراً على محلِّهِ بقولِهِ: «وَمَضَى أَيْضاً إِلَى عَبْرِ الأُرْدُنِّ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِيهِ أَوَّلاً وَمَكَثَ هُنَاكَ»[1]. وكان يوحنا يُعمِّد في الوقتِ الماضي «فِي عَيْنِ نُونٍ بِقُرْبِ سَالِيمَ، لأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ»[2].

إلقاءُ القبْضِ عليه ومحاكمتُهُ وصلْبُهُ:

فيما يتعلَّق بالمواجهةِ الحاسمةِ بين يسوع وخصومِهِ، التي ارتبطَت بعيدِ الفصْح اليهودي، يقولُ ول ديورانت: «اقتَرَبَ عيدُ الفصْحِ، واجتمعَ في أورشليم عددٌ كبيرٌ من اليهود، ليُقرِّبوا القرابينَ للهيكل. وكان البهو الخارجي يضِجُّ بأصواتِ البائعين، يُنادونَ على الحَمامِ وغيرِهِ من حيواناتِ الضحايا. والصَّيارفةُ يعرِضُونَ النُّقودَ المتداولةَ في هذا المكان، بدَل نقود الوثنيِّين المتداولة في الإمبراطوريةِ الرُّومانية.

ولمَّا زارَ يسوع الهيكلَ في اليومِ الثاني، بعد دخولِهِ المدينةَ، هالَهُ ما كان تحت المظلَّات من ضجيجٍ وأعمالٍ تجارية، فانتابَتْهُ هو وأتباعُهُ نوبة من الغضَبِ الشَّديد، دفعَتْهُم إلى قلْبِ مناضِد الصَّيارفة وتُجَّار الحَمَام، وبعثرةِ نُقُودِهِم على الأرض، وإخراجِ التُّجَّار عن ساحتِهِ بضرْبِ العِصي[3]. وظلَّ عدَّةَ أيَّامٍ بعد مجيئِهِ يُعلِّمُ في الهيكل، دونَ أنْ يتعرَّضَ له أحد. ولكنَّه كان يخرُجُ منه ليلاً ويبيتُ في جبلِ الزَّيتون، لخوفِهِ أنْ يُقبَضَ عليه أو يُغتال...

ولكن يبدو أنَّ الاستقبالَ الحَماسي الذي استُقبِلَ به في أورشليم، حيَّرَ زُعماءَ اليهود، فصاروا يخْشونَ أنْ تلتهِبَ حماسةُ هذه الجماعات في عيدِ فصْحٍ، فتدفَعُها عواطِفُها الثائرةُ ونزعَتُها الوطنيَّةُ إلى الثَّورةِ على السُّلْطةِ الرُّومانيةِ ثورةً طائشةً عقيمة، لم يحِن موعِدُها بعد، فتكونُ عاقِبَتُها القضاءَ على كلِّ ما تستمتعُ به اليهوديَّةُ من حُكْمٍ ذاتيٍّ وحرِّيةٍ دينيَّة. ومن أجلِ هذا دعا الحاخامُ الأكبرُ السَّنْهدرينَ إلى الاجتماع، وقالَ له: «إِنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا»! ووافقَتْهُ أغلبيَّةُ الحاضرينَ على رأيِهِ، وأمرَ المجلسُ بإلقاءِ القبْضِ على المسيح»[4].

هذه الصّورةُ الموجزةُ التي لخَّصَها ديورانت، شرَحَها طابور بقدْرٍ من التفصيل، فكتَب:

---

(1) **إنجيل يوحنا** 10: 40.

(2) **إنجيل يوحنا** 3: 23. جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص222 ـ 225.

(3) **إنجيل يوحنا** 2: 16: «وقالَ لباعَةِ الحمَام: «ارفَعُوا هذِهِ من هُهُنا! لا تجعلُوا بيتَ أبي بيْتَ تجارَة!».

(4) **إنجيل يوحنا** 11: 50، أيضاً 18: 14. ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص234 ـ 235.

«في منتصفِ مارس/ آذار للعام 30م، حلَّ أوانُ الوقت، حيثُ قامَ يسوع وبطانتُهُ بالتوجُّهِ جنوباً، نزولاً من وادي الأردن إلى القُدْس، وكانت رحلةٌ احتاجَت إلى سفرِ ثلاثة أيام، ولا بدَّ أنَّهُم عسْكروا على الطَّريق، فقد باتَ عيدُ الفصْحِ اليهوديّ قريباً، ذلك أنَّه كان سيحلُّ في الأسبوعِ الأوَّل من أبريل/ نيسان. وكان جميعُ سُكَّان الجليل على الطَّريق، آخذينَ سبيلَهُم إلى القُدْسِ من أجلِ عيدِ الفصْح اليهودي. ومهما كانت الجماعةُ حولَ يسوع في ذلك الوقتِ كبيرةً، لا بدَّ أنَّها قد بدأت بالازديادِ كثيراً بالأتْباعِ والفضوليين. وكان هناك شعورٌ كبيرٌ بالإثارةِ في الجوّ، حيثُ كان كلُّ واحدٍ يتساءَل عن الذي سوف يحدُث بعد ذلك. ولرُبَّما كان هناك شيئاً من الدَّهشة، من أنْ يكونَ يسوع قد خطَّطَ أنْ يُسافِرَ بشكلٍ مُعلَنٍ إلى القُدْس، وذلك على الرَّغمِ من المؤامراتِ لقتلِهِ من قِبَلِ هيرودُس والسُّلُطات في القُدْس...

وعندما وصلت الجماعةُ إلى القمَّةِ (قمَّة جبل الزَّيتون)، إلى عند القريةِ الصَّغيرةِ بيت عَنْيا، على الجانبِ الشَّرْقي، أوقفَ يسوعُ المسيرةَ، وقد أرسَلَ اثنين من تلاميذِهِ إلى البلْدةِ، حيثُ طلَبَ منهُما أنْ يجدا له جَحْشاً ابنَ أتان، وأنْ يجلِباهُ له، وجلَسَ يسوعُ على ظهْرِ الدَّابة، وأخذَ طريقَهُ ببُطْءٍ عبْرَ الممرّ المنحدِر، نازلاً من الجانبِ الغربيِّ لجبلِ الزَّيتون... وكان النبيُّ زكريا قد كتَبَ: «اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ»[1]... فبهذا العملِ المثيرِ النّبوئي، كان يسوع يُعلِنُ عن نفسِهِ بشكلٍ مكشوفٍ على أنَّه المُطالِبُ بعرْشِ إسرائيل...

وصارَ الصُّراخُ والزَّئيرُ مرْئيّاً من قِبَلِ كلّ واحدٍ في المدينةِ في الأسفل، وقالَ بعضُ الفريزيين وقد خافَ من إمكاناتِ الثَّورة في المشهد، ليسوع: «يَا مُعَلِّمُ، انْتَهِرْ تَلاَمِيذَكَ»! فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!»[2]...

ودخَلَ إلى المعبدِ، وقد كان هناك على الجانبِ الجنوبي من مجمَعِ المعبدِ الكبيرِ والواسعِ كثيراً منطقةً، كان يعمَلُ فيها صرَّافو العُمْلات، وحيثُ جرى بيْعُ الحيوانات التي كانت مقبولةً طُقُوسياً للأضْحية، ومن وجهةِ نظَرِ اليهود، لم يكن هناك أيَّ خطأٍ في أيٍّ من الأعمال. والفكرةُ الرَّائجةُ على أنَّ يسوع رفَضَ «صرْفَ النُّقود» في المعبدِ هي غيرُ صحيحة. فقد جلَبَ اليهودُ، من جميعِ أنحاء العالَم، النُّقودَ من جميعِ الأنواع كمِنَحٍ للمعْبد. وكان

(1) سفر زكريا 9:9.

(2) إنجيل لوقا 19: 39 ـ 40.

ضرورياً وجودُ بعض المعايير لتقديرِ قيمة الصَّرْف. وكانت هناك حاجة من الناسِ في أنْ يكونوا قادرينَ على شراءِ حيوانات الأضاحي مباشرةً عند المعبد، وليس محاولة جلْبِهِم من مكانٍ بعيد، وخاصَّةً في أيَّامِ عيد الفصْح اليهودي، عندما يكونُ هناك مئاتُ الألوفِ من الحُجَّاجِ، يطْلُبونَ حَمْلاً لكُلِّ أهل بيت...

وكانت المرابحُ من هذه النَّشاطات ضخمةً جداً... وذهبت هذه الأموالُ للإنفاقِ من قِبَلِ طبقة كهنة الصَّدوقيِّين الأثرياء، الذين امتلكوا بيوتَهُمُ الفخْمة إلى الغرْبِ من مجْمَع المعبد، في منطقةٍ عُرِفَت باسْمِ «حارة اليهود» من المدينةِ القديمةِ لهذه الأيَّام. وعمَلَ هؤلاء الرُّهبان بدورِهِم بشكلٍ وثيقٍ مع حُماتِهِم الرُّومان...

ووصلَ يسوع في صباحِ يوم الاثنين، عند ذروةِ الموسم التِّجاري... ولم تكن أعمالُ يسوع في ذلك اليوم قد قُصِدَ منها تغييرُ الأشياء، أو إشعالُ ثورةٍ، مثلما فعَلَ عندما ركبَ على ظهرِ الجحشِ نازلاً من جبلِ الزَّيتون، أنْ يصْنَعَ علامةً من نوعٍ ما. لقد أرادَ أنْ يُشيرَ إلى أنَّ الإحاطةَ القريبةَ بنظامِ المعبدِ الفاسد، باتت في متناولِ اليد، ورؤيا الأنبياء سوفَ تتحقَّق، فكان أنْ بدأَ بقلْبِ موائد الصرَّافين، والإحاطةِ بمحطَّات الدَّفْع إلى الذين جلسوا يأخُذُونَ المالَ لبيعِ الحيوانات... ووضَعَ يسوعُ بعضاً من رجالِهِ الجليليِّين القُساة عند هذه المراكز، ليُخبِرُوهُم بأنَّ العمَلَ قد أُغلِقَ بالنِّسبةِ لذلك اليوم.

وسمعت قيادةُ الكهنةِ حولَ الصَّخَب، وكانوا يبْحثونَ من قبْلُ عن سبيلٍ يُمكِّنهُم من اعتقالِ يسوع وقتلِهِ، وكانوا أكثرَ تصميماً من أيِّ وقتٍ لإيقافِهِ، ولكنَّهم خافوا من الشَّعب، ولا بدَّ أنَّ الحشْدَ كان كبيراً جداً في صباحِ الاثنينِ ذاك... وأشارَ مرْقس إلى أنَّ «الحصارَ» استمرَّ طوالَ اليوم، وأنَّه فقط عند المساء، غادرَ يسوع ورجالُهُ المدينةَ[1]، وذهبوا عائدينَ إلى بيتِ عَنْيا، لإمضاءِ اللَّيل»[2].

وسرعانَ ما أصبحَ يسوع مطلوباً للسُّلُطات، فأُلقيَ القبْضُ عليه وحُوكِمَ. وبصفةٍ عامَّة، يؤمنُ المسيحيُّونَ أنَّ يسوعَ قد صُلِبَ ودُفِنَ، وبعد ثلاثةِ أيامٍ قامَ من الأموات، والتقى بعددٍ من تلامذتِهِ ومُحبِّيه، ثمَّ ارتفعَ إلى السَّماءِ بعد أربعينَ يوماً.

---

(1) إنجيل مرقس 11: 19.

(2) جيمس د. طابور، سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة، ص229 ـ 235.

سوف ندرُسُ هذه الحادثة بقدْرٍ من التفصيلِ لاحقاً، لأهميَّتِها على المستوى العَقَدي[1]. لكن يكفي أنْ نعلَمَ حالياً أنَّ الأناجيلَ الأربعةَ التي تذكُرُ قصَّةَ اعتقالِ يسوع ومحاكمتِهِ وصلْبِهِ وقيامتِهِ وظهورِهِ لتلاميذِهِ، يُعارِضُ أحدُها الآخر، إلى درجةٍ تُفضي إلى الشَّكِّ بدقَّةِ المعلومات التي تذكُرُها عن مصيرِ يسوع.

(1) ندرُسُ هذه الحادثةَ لاحقاً في الفصل التاسع: «قتْلُ المسيحِ أو صَلْبُهُ».

الفصل الثالث:

المسيحيَّةُ المُبكِّرة

بعد أنْ أخذنا جولةً مع يسوعِ المسيح، وقبل ذلك الأناجيلِ وقانونيَّتِها ومخطوطاتِ نجْع حمَادي، نتقدَّمُ الآن خطوةً إلى الأمام، لندرُسَ أجواءَ المسيحيَّةِ الأولى أو المُبكِّرة، لنرى ما جرى بعد رفْعِ يسوع المسيح. فالأناجيلُ تتحدَّثُ عن ظهورِ يسوع لتلاميذِهِ، في مرَّاتٍ متعدِّدة، بعد صلْبِهِ وقيامِهِ بثلاثةِ أيام، على مدى أربعينَ يوماً، قبلَ رفعِهِ إلى السَّماء، طالباً منهم تبْشيرَ العالَم قاطبةً بدعوتِهِ.

نشأت المسيحيَّةُ من الإيحاءِ الغامضِ العجيبِ الخاصّ بقُرْبِ حُلُولِ الملكوت. ويبدو أنَّ التلاميذَ كانوا يترقبونَ عودة المسيح الوشيكة ليُقيمَ ملكوت السَّماوات على الأرض. وكان الاعتقادُ بنُزولِ المسيح ليُطهِّرَ الأرضَ ويُقيمَ ملكوت الله، هو القاعدةَ الأساسيةَ للدِّينِ المسيحي في أوائلِ عهدِهِ[1].

لقد استمرَّ أتباعُ يسوع المسيح في نشْرِ دعوتِهِ، كما أمرَهُم عندما رأوهُ بعد حادثةِ الصَّلْب. وكانوا قلَّةً مضْطَّهدةً، من قِبَلِ اليهود والسُّلُطات الرُّومانية. فهربوا من فلسطين إلى المناطقِ المجاورة، واستطاعوا نشْرَ تعاليم المسيح بين الناس، فآمنَ عددٌ قليلٌ من الناس، وبذلك تشكَّلَت النواةُ الأولى للكنيسةِ خارجَ فلسطين. لكن ما الذي جرى في فلسطين قبلَ أنْ يهربوا إلى خارجِها؟ وكيف انقسموا إلى مدرستين؟ وكيف انشطَرَت المسيحيَّةُ إلى اتِّجاهاتٍ يصعُبُ حصْرُها؟ هذا ما أتناولُهُ في هذا الفصل.

صراعٌ بين مدرستين:

أظهرت الدِّراساتُ الحديثةُ أنَّ بين اللَّحظةِ التي غادرَ فيها المسيحُ هذه الأرضَ وحتى

---

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص241 ـ 242.

منتصف القرْن الثاني (150م تقريباً)، أي طيلةَ أكثر من قرْن، كانت هناك معركةٌ بين اتِّجاهين: بين ما يمكن تسميتُهُ بـ «المسيحيَّةِ البولُسيَّة»، وبين «اليهوديَّةِ/ المسيحيَّة». ولم يهيمن الاتِّجاهُ الأولُ على الثاني، أي لم تنتصر البولُسيَّة على اليهوديَّةِ/ المسيحيَّة، إلا بصورةٍ تدريجيَّةٍ بطيئةٍ على مرِّ السِّنين.

وهناك عددٌ كبيرٌ من الدِّراساتِ التي تعودُ إلى القرْنِ الأخير، قد تأسَّست على مكتشفاتِ عصْرِنا، هي التي سمحت بالوصولِ إلى هذه المعلومات الحديثة، بها اسمُ الكاردينال «دانيلو». إنَّ المقالَ الذي نشرَهُ في ديسمبر/ كانون الأول 1967م بمجلَّةِ «دراسات Etudes» هو «رؤيةٌ جديدةٌ للأصولِ المسيحيَّة واليهوديَّة/ المسيحيَّة» تستأنفُ الأبحاثَ السَّابقة؛ إنَّه يضعُ خطوطَ تاريخ المسيحيَّة، ويسْمحُ لنا بتحديدِ ظهور الأناجيل، وذلك في سياقٍ مختلفٍ تماماً عن ذلك الذي تقولُ به المعلومات الموجَّهة لعامةِ الجمهور. وسيجدُ القارئُ فيما يلي تلخيصاً للنِّقاطِ الجوهريةِ لهذا المقالِ مع فقراتٍ كبيرةٍ منه.

كوَّنَت مجموعةُ الحواريِّين الصَّغيرة بعد المسيح طائفةً يهوديَّةً تُمارِسُ ديانةَ الهيكل وتحفَظُ تعاليمَها. ومع ذلك، فعندما تنضمُّ إليها طائفةُ الذين آمنوا من الوثنيِّين، فإنَّها تقترحُ عليهم - إنْ جازَ القولُ - نظامٌ خاصٌّ؛ إذ يُحِلُّهُم مجْمَعُ أورشليم المسْكوني (49م) من الختانِ ومن تطبيقِ الأرْكان اليهوديَّة. ورفضَ كثيرٌ من اليهودِ/ المسيحيِّين هذا التَّنازُل. وانفصلَت هذه المجموعةُ تماماً عن بولُس.

بل أكثرَ من ذلك، فقد اصْطدَمَ بولُس واليهود/ المسيحيُّون بسببِ الذين أتوا إلى المسيحيَّةِ (أحداث أنطاكية عام 49م). فالختانُ ومراعاةُ الرَّاحةِ يومَ السَّبت وديانةُ الهيكل كانت أموراً بالية، في نظَرِ بولُس، حتى بالنِّسبةِ لليهودِ أنفُسِهم. فيجبُ على المسيحيَّةِ أنْ تتحرَّرَ من انتمائِها السِّياسي والدِّيني لليهوديَّةِ، حتى تفتحَ ذراعيْها لغيرِ اليهود.

أما اليهودُ/ المسيحيُّون الذين ظلُّوا يهوداً مخلصين، فإنَّهم يَعتبرونَ بولُس خائناً، وتصِفُهُ وثائقُ يهودية/ مسيحيَّة بـ «العدو»، وتتَّهِمُهُ بتواطُؤٍ تكتيكي[1].

ولكن اليهوديَّةُ/ المسيحيَّةُ كانت تُمثِّلُ حتى عام 70م غالبيةَ الكنيسة، وكان بولُس منعزلاً في ذلك الوقت. وكان رئيسُ الجماعة يعقوبُ الصدِّيق (= جيمس الأصغر) قريبُ

(1) ذكر بعض الباحثين أنَّ الإبيونيِّين قالوا بأنَّ بولُس كان يونانياً تحوّل إلى اليهوديةِ من أجلِ الزَّواج من ابنةِ كوهين غادول الحاخام الأعظم لإسرائيل، ولمَّا رفضت الزَّواجَ منه ارتدَّ عن اليهودية.

المسيح[1]، وكان معهُ في البدايةِ بُطْرُس ثمَّ يوحنَّا. ويمكنُ اعتبارُ يعقوب كعمودِ اليهوديَّةِ/ المسيحيَّة الذي ظلَّ عن إرادةٍ، ملتزماً بخطِّ اليهوديَّةِ أمامَ المسيحيَّةِ البولُسيَّة. إنَّ أهلَ بيتِ المسيح يحتلُّون مكانةً كبيرةً في هذه الكنيسةِ اليهوديَّةِ/ المسيحيَّةِ في أورشليم. وقد خلَفَ سيمون يعقوبَ، وهو ابنُ كاليوبا ابن عمّ (والدة) المسيح.

ويذكُرُ الكاردينال دانيلو في مقالِهِ الكتاباتَ اليهوديَّة/ المسيحيَّة التي تُقدِّمُ نظرات هذه الجماعة عن المسيح، تلك الجماعةُ التي تكوَّنَت أولاً حولَ الحواريِّين. هذه الكتابات هي إنجيلُ العبريِّين (الذي يعودُ إلى جماعةٍ يهوديةٍ مسيحيَّةٍ مصْرية)، ومأثورات كليمِنْت، والفضائل الكليمِنْتية، وإنجيل توما. وكما يبدو فإنَّه من الواجبِ أنْ نعزو إلى هؤلاءِ اليهود/ المسيحيِّين أقدَمَ مخطوطات الأدب المسيحي التي يُشيرُ إليها الكاردينال دانيلو بالتَّفصيل، حيثُ يقول:

«لم تكن اليهوديَّةُ/ المسيحيَّةُ سائدةً فقط بأورشليم وفلسطين طيلةَ القرْن الأول للكنيسة. فقد تطوَّرت البعثةُ اليهوديَّةُ/ المسيحيَّة، فيما يبدو، في كلِّ مكانٍ قبلَ البعثةِ البولُسية. وذلك هو ما يُوضِّحُ الإشارةَ الدَّائمةَ في رسائلِ بولُس إلى صراعٍ ما».

إنَّهم نفْسُ الأعداء الذين قابلَهُم حيثُما ذهَب، بغلاطية وكورِنْثوس وكولُوسي وروما وأنطاكية. كان السَّاحلُ السُّوريُّ/ الفلسطيني، من غزَّةَ إلى أنطاكية، يهوديّاً/ مسيحيّاً، «كما تشهَدُ بذلك أعمالُ الرُّسُل والكتاباتُ الكليمِنْتية». وفي آسيا الصُّغرى. فوجودُ اليهود/ المسيحيِّين تشهَدُ به رسائلُ بولُس إلى الغلاطيِّين والكولوسيِّين. أما كتاباتُ بانياس، فهي تعطي معلومات عن اليهوديةِ/ المسيحيَّةِ بفريجي. وفيما يخصُّ اليونان، فتذكرُ رسالةُ بولُس الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس اليهودَ/ المسيحيِّين وأبُلُّوس على وجهِ الخصوص. وتُعدُّ روما مركزاً هاماً حسْبَ رسالة كليمِنْت وراعي هرمياس. ويرى سويتون وتاسيت أنَّ المسيحيِّينَ يُشكِّلونَ طائفةً يهوديَّة. ويعتقدُ الكاردينال دانيلو أنَّ أوَّلَ تبشيرٍ بالأناجيلِ في أفريقيا كان يهوديّاً/ مسيحيّاً. وإلى اليهوديَّةِ/ المسيحيَّةِ يُعزى أيضاً إنجيلُ العبريِّين وكتاباتُ كليمِنْت الإسكندري.

إنَّ معرفةَ هذه الوقائع أمرٌ بالغُ الأهميةِ لكي نفهَمَ في أيِّ جوٍّ من الصِّراعِ بين الجماعات

---

(1) وهو من أوصى المسيح باتِّباعِهِ من بعدِهِ، كما يُبيِّنُ **إنجيلُ توما**، الفقرة 12. أنظر سهيل زكار، **الأناجيل: النصوص الكاملة**، ص416.

دُوِّنَت الأناجيل. إنَّ خروجَ النُّصوص التي نملِكُها اليوم إلى النورِ قد بدأَ في عامِ 70م، بعد تعديلاتٍ في المصادر، وهي الفترةُ التي كانت الجماعتانِ المتنافستانِ في أوْجِ صراعِهِما، وكانت السِّيادةُ في ذلك الوقت لليهودِ/ المسيحيِّين.

ولكن الموقفُ انقلَبَ تماماً بسببِ حرْب السَّبْعين وسقوط أورشليم. ويشرحُ الكاردينال دانيلو أسبابَ الانهيار كما يلي:

«لمَّا كان اليهودُ منْبوذينَ في الإمبراطوريةِ (الرُّومانية)، فقد نحا المسيحيُّونَ إلى الانفصالِ عنهم. عندئذٍ سادَ المسيحيُّونَ الهلينستيُّون. لقد حازَ بولُس على النَّصرِ بعد وفاتِهِ. بهذا انفصلَت المسيحيَّةُ اجتماعيّاً وسياسيّاً عن اليهوديَّةِ، لتُكوِّنَ ما يُعرَفُ بـ «الشَّعْبِ الثالث». وبرغمِ ذلك، وحتى آخرَ التمرُّد اليهودي عام 140م، كانت اليهوديَّةُ/ المسيحيَّةُ سائدةً ثقافياً».

ومنذُ عام 70م، وحتى فترة تُحدَّدُ بما قبل عام 110م، نتجَت أناجيلُ مِرْقس ومتَّى ولوقا ويوحنَّا. ولا تُشكِّلُ هذه الأناجيلُ أولى الوثائقَ الثابتةَ في المسيحيَّةِ؛ فرسائلُ بولُس كانت قد سبقَتْها. وفي رأي أ. كولمان أنَّ بولُس قد كتَبَ عام 50م رسالتَهُ إلى أهلِ تسالونيكي، ولكن لا شكَّ أنَّه كان قد ماتَ منذُ عدَّةِ سنوات عندما انتهى إنجيلُ مِرْقس.

وإذا كان بولُس أكثرَ الشَّخصيَّات المسيحيَّة المعروفة موضعاً للنِّقاش، وإذا كان قد اعتُبِرَ خائناً لفكرِ المسيح، كما وصفَهُ بذلك أهلُ بيتِ المسيح والحواريُّون الذين بقوا في أورشليم حولَ يعقوب، فذلك لأنَّه قد كوَّنَ المسيحيَّةَ على حسابِ هؤلاء الذين جمعَهُم المسيحُ من حولِهِ لنشْرِ تعاليمِهِ. ولمَّا لم يكن بولُس قد عرَفَ المسيحَ في حياتِهِ، فقد برَّرَ لشرعيَّةِ رسالتِهِ بأنْ أكَّدَ أنَّ المسيحَ بعد قيامتِهِ قد ظهَرَ له على طريقِ دمشق. ومن المسموحِ به أنْ نتساءل: ما يمكن للمسيحيَّةِ أنْ تكونَ عليه دون بولُس؟

ونستطيعُ في هذا المقام أنْ نُقيمَ افتراضاتٍ كبيرة. ولكن، فيما يخُصُّ الأناجيل، فليس هناك مجازفةً كبيرةً في القولِ بأنَّه لولا جوّ الصِّراع بين الطَّوائفِ التي وُلِدَت بسببِ انشقاقِ بولُس، لما حصَلنا على الكتاباتِ التي في حوزتِنا اليوم. إنَّ هذه «الكتابات الخِصامية»، كما يصِفُها الأب كانينجسر، قد ظهرَت في فترةِ صراعٍ حادٍّ بين الطَّائفتين، وانبعَثَ من حشْدٍ من الكتاباتِ عن المسيح.

ففي هذا العصْر، شكَّلَت المسيحيَّةُ البولُسيةُ بعدَ نصْرِها النِّهائي مجموعةَ نصوصِها الرَّسمية، أي «القانون» الذي يستبعِدُ كلَّ الوثائقِ الأخرى التي لم تكن توافقُ الخطَّ الذي اختارتْهُ الكنيسة.

وبرغم أنَّ اليهودَ/ المسيحيِّين قد اختفوا كطائفةٍ ذات نفوذ، فقد ظلَّ الحديثُ عنهم جارياً، ولكن تحتَ اسم «المستهْوِدين». ويتحدَّثُ الكاردينال دانيلو عن نهايتِهم كما يلي:

«بانقطاعِ اليهود/ المسيحيِّين عن الكنيسةِ الكبرى، التي تحرَّرت تدريجيّاً من روابِطِها اليهوديَّة، سرعانَ ما فنوا في الغرب. ولكن يمكن اقتفاءُ آثارِهم من القرْنِ الثالثِ إلى القرْنِ الرَّابعِ بالشَّرْق، وخاصَّةً في فلسطينَ والجزيرةِ العربية وما وراء الأردن وسورية وما بينَ النَّهرين. وقد امتصَّ الإسلامُ بعضَهُم، وهو جزئياً وريثٌ لهم. وتحالَفَ البعضُ الآخرُ مع أورثوذكسيَّةِ الكنيسةِ الكبرى مع الاحتفاظِ بخلْفيةٍ ثقافيةٍ سامية، وهناك القليلُ منهم ما زالَ متشبِّثاً بالكنيستين الأثيوبيةِ والكِلْدانية»[1].

لكن من هو بولُس هذا، الذي كان له هذا القدْر من الأثرِ الكبير على المسيحية؟

بولُس Paul:

لبولُس شأنٌ كبيرٌ في المسيحيَّةِ التي نعرِفُها اليوم، فهي تُنسَبُ إليه أكثرَ ممَّا تُنسَبُ لأحدٍ سواه. وكان بنشاطِهِ الجَمّ، وتطوافِهِ في الأقاليمِ شرْقاً وغرْباً، لا يستقرُّ في مكانٍ يُقيمُ فيه، بل يرتحِلُ منه إلى غيرِهِ على الدَّوام.

وفي سِفْرِ أعمال الرُّسُل تفصيلٌ لحياةِ بولُس، وقد أخذت أعمالُهُ من ذلك السِّفْر الشَّطرَ الأكبر. وقد جاءَ فيه أنَّ مولِدَهُ كان في طرْسوس (من أعمالِ الإمبراطورية الرُّومانية)[2]، حوالي سنة 10م، وتربَّى في أورشليم، واسْمُهُ الأصلي «شاول» (أي مطْلوب). وهذا نصُّ فقرةٍ جاءت في سفْرِ أعمال الرُّسُل حكايةً عنه: «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلكِنْ رَبِيْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ (أورشليم)». وكان بولُس من الفريزيِّين من سبْطِ بنيامين، وتلقَّى تعليمَهُ على يدي غمالائيل حفيد هلِّيل[3] (الذي خلَفَ جدَّهُ في رياسةِ السَّنْهدرين)[4].

---

(1) موريس بوكاي، **القرآن والتوراة والإنجيل**، ترجمة عادل يوسف، ص79 ـ 84.

(2) طرسوس مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تابعة لمحافظة مرسين، وتبعد حوالي 15 كم عن مدينة مرسين و 40 كم عن مدينة أضنة.

(3) هِّليل هو أبرز فقهاء الناموس، الذين كانت ترد آراؤهم الفقهية دائماً في التلْمود، وهو صاحبُ المدرسة الرئيسية التقليدية، التي وقفت في قبالِها مدرسةٌ أكثر مرونة قادها شمَّاي. توفي هلِّيل سنة 10م. وحفيد هلِّيل هذا هو غمَّالائيل أستاذ بولُس.

(4) **أعمال الرُّسُل** 22: 3. ويُشكِّكُ علماءُ اليهود اليوم بأنَّ بولُس كان فريزياً، أو حتى إنَّه ينحدرُ من بني إسرائيل، كما يُشكِّكونَ بأنَّه كان من تلامذةِ العالِم الكبير غمَّالائيل كما يدَّعي (**أعمالُ الرُّسُل** 22: 3)،=

كتبَ وِل ديورانْت: «وكان في طرْسُوس - كما كان في معظَمِ المُدُن اليونانية - أتْباعٌ للأورفية[1]، وغيرِها من العقائدِ الخفيَّة، يعتقدونَ أنَّ اللهَ الذي يعبدونَهُ قد ماتَ من أجلِهِم، ثمَّ قامَ من قبرِهِ، وإنَّه إذا دُعِيَ بإيمانٍ حقٍّ، وصحَبَ الدُّعاءَ الطُّقوسُ الصَّحيحة، استجابَ لهم وأنجاهُم من الجحيم، وأشركَهُم معه في موهبةِ الحياةِ الخالدةِ المباركة. وهذه الأديانُ الغامضةُ الخفيَّةُ هي التي أعدَّت اليونان لاستقبالِ بولُس، وأعدَّت بولُس لدعوةِ اليونان»[2].

ونجدُ كُتَّابَ المسيحيَّةِ متَّفقينَ على أنَّه من اليهود، ولكن جاءَ في سِفْرِ أعمال الرُّسُل أيضاً ما يدُلُّ على أنَّه روماني؛ فقد جاءَ ما نصُّهُ: «فَلَمَّا مَدُّوهُ لِلسِّيَاطِ، قَالَ بولُس لِقَائِدِ الْمِئَةِ الْوَاقِفِ: «أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَاناً رُومَانِيّاً غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ؟» فَإِذْ سَمِعَ قَائِدُ الْمِئَةِ ذَهَبَ إِلَى الأَمِيرِ، وَأَخْبَرَهُ قَائِلاً: «انْظُرْ مَاذَا أَنْتَ مُزْمِعٌ أَنْ تَفْعَلَ! لأَنَّ هذَا الرَّجُلَ رُومَانِيٌّ». فَجَاءَ الأَمِيرُ وَقَالَ لَهُ: «قُلْ لِي: أَنْتَ رُومَانِيٌّ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ». فَأَجَابَ الأَمِيرُ: «أَمَّا أَنَا فَبِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ اقْتَنَيْتُ هذِهِ الرَّعَوِيَّةَ». فَقَالَ بولُس: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ وُلِدْتُ فِيهَا». وَلِلْوَقْتِ تَنَحَّى عَنْهُ الَّذِينَ كَانُوا مُزْمِعِينَ أَنْ يَفْحَصُوهُ. وَاخْتَشَى الأَمِيرُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ، وَلأَنَّهُ قَدْ قَيَّدَهُ»[3].

= لأنَّ وجهةَ نظر غمَّالائيل تجاه يسوعَ ودعوتِهِ لم تكن هِيَ التصدِّي والمواجهة، بل كان يدعو إلى تركِهِ مع أتباعِهِ وشأنِهِ، فإنْ كانت دعوتُهُ باطلة، فاللهُ سيتكفَّلُ بإماتَتِها في مهدِها. بل أمرَ غمَّالائيل - وهو صاحبُ الكلمة المسموعة - بإطلاقِ سراح الرُّسُل. وهذا الموقفُ لا ينسجِمُ مع تطرُّف بولُس في مواجهةِ أتباعِ يسوع.

موقفُ غمالائيل هذا تجدهُ في سفرِ أعمال الرُّسُل، حيثُ وردَ فيه: «فَقَامَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ فَرِّيسِيٌّ اسْمُهُ غَمَالاَئِيلُ، مُعَلِّمٌ لِلنَّامُوسِ، مُكَرَّمٌ عِنْدَ جَمِيعِ الشَّعْبِ، وَأَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ الرُّسُلُ قَلِيلاً. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، احْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ جِهَةِ هؤُلاَءِ النَّاسِ فِي مَا أَنْتُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا. لأَنَّهُ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ قَامَ ثُودَاسُ قَائِلاً عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ شَيْءٌ، الَّذِي الْتَصَقَ بِهِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةٍ، الَّذِي قُتِلَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَبَدَّدُوا وَصَارُوا لاَ شَيْءَ. بَعْدَ هذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاكْتِتَابِ، وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَعْباً غَفِيراً. فَذَاكَ أَيْضاً هَلَكَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا. وَالآنَ أَقُولُ لَكُمْ: تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ هذَا الرَّأْيُ أَوْ هذَا الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ فَلاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُوهُ، لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ للهِ أَيْضاً». **سفر أعمال الرسل** 5: 34 - 39. توفِّي غمَّالائيل قبل ثمانية عشر عاماً من خراب الهيكل، أي سنة 52م.

(1) الأورفية Orphism هو اسمٌ أُطلِقَ على دينٍ كان يُعتنَقُ ويُمارَسُ في اليونانِ القديمة والعالَم الهلنستي، ارتبطت أدبياً بأسطورةِ أورفيوس.

(2) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص249 - 250.

(3) **أعمال الرُّسُل** 22: 25 - 29.

وهذانِ نصَّانِ متعارضانِ، حاولَ الباحثونَ رفعَ تعارُضِهما، فقالوا إنَّ بولُس كان يهوديّاً، لكنَّه كان مواطناً رومانيّاً، يحمِلُ ما يُشْبِهُ اليوم «الجنْسيَّةَ» أو «الهويَّةَ» الرُّومانية.

وقد كان بولُس في صدْرِ حياتِهِ من أشدِّ أعداء المسيحيَّة، وأبلغِهِم كيداً لها، وأكثرِهِم إمعاناً في أذى معتنقيها، كما يدُلُّ على ذلك ما جاءَ في سِفْرِ أعمال الرُّسُل في مواضِعَ كثيرةٍ منه. فقد أطلَقَ رؤساءُ الكهنةِ له العنان، وأعطَوْهُ الضَّوء الأخضر كي يفعل بالمُتنصِّرينَ الأفاعيل.

فقد جاءَ في آخرِ الإصحاح السَّابع منه، في سياقِ الكلام عن محاكمةِ الشَّهيد استِفانوس: «وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ. وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ. فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي». ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَا رَبُّ، لَا تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ». وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ».

ثمَّ بدأَ الإصحاحُ الثامنُ هكذا: «وَكَانَ شَاوُلُ رَاضِياً بِقَتْلِهِ. وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا الرُّسُلَ. وَحَمَلَ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ اسْتِفَانُوسَ وَعَمِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً. وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ».

ولم يكتفِ بولُس باضْطِّهاد أتْباع يسوع في أورشليم، بل بدأَ يتعقَّبُهُم خارِجَها أيضاً، مُحمَّلاً بخطاباتِ توصية لذوي الحيثيَّة من رئيسِ الكهنة. فقد جاءَ في أوَّلِ الإصحاح التاسع: «أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّداً وَقَتْلاً عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاساً مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ».

ولكن سِفْرُ أعمال الرُّسُل يقولُ إنَّ هذا الرَّجُلَ الذي كادَ للمسيحيَّةِ هذا الكيد، وآذى أهلَها ذلكَ الإيذاء، قد انتقلَ إلى المسيحيَّةِ فجأةً من غيرِ مقدِّماتٍ تقدَّمت ذلك الانتقال، ولا تمهيداتٍ مهَّدَت له.

إنَّ تسْجيلَ رواية ظهور يسوع لبولُس، جاءَت في سِفْرِ أعمال الرُّسُل ثلاث مرَّات، مرَّة من قلَمِ لوقا[1]، ومرَّتينِ على فمِ بولُس نفسِهِ[2]. فالمساحةُ التي احتلَّتْها هذه الرِّواية لا يفوقُ

(1) أعمال الرُّسُل 9: 3 ـ 9.
(2) أعمال الرُّسُل 22: 6 ـ 11. وأعمال الرُّسُل 26: 13 ـ 18.

اتِّساعُها بين صفحاتِ العهد الجديد إلا رواية صلْب يسوع. فقد جاءَ في الإصحاحِ التاسع من هذا السِّفر: «وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتاً قَائِلاً لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ»[1] فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ»».

دخَلَ بولُس أو شاول في المسيحيَّةِ، وحاولَ أنْ يتَّصِلَ بتلاميذِ المسيح، لكنَّهم أوجسوا منه خيفةً، ولم يُصدِّقوا إيمانَهُ، ولكن شهِدَ له برنابا[2] بالإيمان، وما حدَثَ له في الطَّريق.

فقد جاءَ في الإصحاحِ التاسعِ أيضاً من سِفْرِ أعمال الرُّسُل: «وَلَمَّا جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلاَمِيذِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ. فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ. فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ».

من ذلك الوقت، صارَ بولُس القوَّةَ الفعَّالةَ، والحركةَ الدَّائبةَ في التبشيرِ بالمسيحيَّة، كما تدُلُّ على ذلك عباراتُ سِفْرِ أعمال الرُّسُل. وقد حاولَ اليهودُ أنْ يقتلوهُ ولم يفلحوا.

وقد اصطحَبَ في رحلاتِهِ برنابا، حتى اختلفا وافترقا. وهنا نجدُ حلقةً مفقودةً، فلم يُبيِّن لنا سِفْرُ أعمال الرُّسُل على من تلقَّى بولُس مبادئَ المسيحيةِ التي بشَّرَ بها، والتي دوَّنَها في رسائلِهِ الأربع عشرة المنْسوبة إليه؟ ولم تُبيِّن لنا الكتُبُ المسيحيَّةُ على من تلقَّى بولُس مبادئَ المسيحيَّة؟ ولعلَّهم اعتقدوا أنَّه ليس في حاجةٍ إلى التلقِّي، لأنَّه انتقلَ من مرتبةِ الكافرِ إلى مرتبةِ الرُّسُل، فصارَ مُلْهماً ينطُقُ بالوحي، فلم يكن في حاجةٍ إلى التعلُّمِ والدِّراسة، لأنَّ الوحيَ كفاهُ مؤونةَ الدَّرسِ وتعبِهِ[3].

---

(1) «مناخِس»: الجزءُ الحديدي في نهايةِ العصا، الذي به ينْخَسُ الشَّخصُ الثَّورَ أو الحصانَ، المتواني في سيرِهِ، في مؤخَّرِهِ أو جنْبِهِ ليُثيرَهُ. والمعنى: يستحيلُ على الإنسانِ أنْ يقاومَ اللهَ وخُطَّتَهُ وناموسَهُ. أي لا جدوى من معاندةِ كلمةِ الله. والمعنى شبيهٌ بالمثلِ الحالي «العينُ التي تضْرِبُ المخرَزَ تُفْقَأ».

(2) برنابا (توفي 61م تقريباً)، أحدُ المسيحيِّين الأوائل. وُلِدَ في قبرص لعائلةٍ من اليهودِ الهيلنستيِّين، وقيلَ إنَّه من سبْطِ لاوي، وخالُ مرْقس (المنْسوب إليه الإنجيل)، وإنَّه اعتنقَ المسيحيَّةَ في زمانِ الرُّسُل. لم يكن برنابا من رُسُلِ المسيح الاثني عشر، لكن في سفْرِ أعمالِ الرُّسُل وُصِفَ بالرَّسول.

(3) بل وصل الأمر إلى أنْ يُحتفَظ برسائلِهِ وتُلحَق بالأناجيل، لتُشكِّلَ مع الأناجيل: العهدَ الجديد من الكتابِ المقدَّس... وهو أمرٌ يثيرُ العجَبَ الشَّديد. =

لقد أخذَ بولُس في التِّطوافِ في الأقاليمِ يُنشئُ الكنائسَ، ويقومُ بالتَّبشيرِ، ويُلْقي الخُطَبَ، ويبعَثُ بالرَّسائلِ، حتى كانت هي الرَّسائلَ التعليميَّةَ بما اشتملت عليه من مبادئَ في الاعتقاد. وقد قالوا إنَّه قُتِلَ في اضِّطهاداتِ نيرون سنة 66 أو 67م.

ويُستخلَصُ من أحوالِ بولُس وأقوالِهِ التي دُوِّنت في رسائلِهِ وأعمالِهِ المذكورة في سِفْرِ أعمال الرُّسُل، أنَّه امتازَ بصفاتٍ جعلتْهُ في الذَّروةِ من المُبشِّرينَ إلى المبادئِ والعقائد: فقد كان نشيطاً دائمَ الحركةِ ذا قوى لا تكِلّ، وكان شديدَ الذَّكاءِ بارعَ الحيلة، وكان شديدَ التأثيرِ في نفوسِ الجماهير، قادراً على انتزاعِ الثِّقة به ممَّن يتحدَّثُ إليه. وبهذه الصِّفات استطاعَ أنْ يجعلَ نفسَهَ محورَ المُبشِّرين بالمسيحيَّةِ وقُطْبَهُم، وأنْ يفرِضَ ما ارتآهُ على المسيحيِّين حتى اتَّخذوا قولَهُ حُجَّةً، واستطاعَ أنْ يحمِلَهُم على نسيانِ ماضيه، حتى صارت المسيحيَّةُ الحاضرةُ مطبوعةً بطابعِهِ، منْسوبةً إليه، دونَ غيرِهِ من الحواريِّين[1].

الشَّخصيَّة المُغيَّبة: يعقوبُ الصدِّيق

يعقوبُ الصدِّيق (أو البارُّ أو العادِل) يُلقَّبُ أيضا بـ «أخي الرَّب»[2]، ذكرَهُ بولُس في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطية[3]، ضمنَ سردِهِ لزيارتِهِ الأولى لأورشليم بعد إيمانِهِ، حيثُ قال: «ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُس[4]، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَلكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ».

وبحسَبِ التَّقليدِ الكنَسي، فقد كان أوَّلَ أساقفة أو بطاركة أورشليم، وإليه تُنسَبُ رسالةُ

= فكيف يمكن أنْ نأخُذَ الدِّينَ من شخصٍ لم تتوفَّر معلومات كافية عنه؟
وكيف نُقدِّسُ رسائلَهُ ونعتبرُها جُزْءاً من الكتابِ المقدَّس؟
وكيف نجعله - وهو الذي عاصَرَ المسيحَ ولم يلْتقِ به - معياراً للاستقامة والهرطقة ونتجاهل الحواريِّينَ وتعاليمَهُم؟

(1) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص65 - 69.

(2) ويبدو أنَّه كان ابن خالة يسوع المسيح (كما سأشرح بعد قليل)، فكان يقالُ لأبناءِ الخال والخالة، وأبناء العم والعمة: أخوة.

(3) **رسالة بولُس إلى غلاطية** 1: 18 - 19.

(4) وهذا يعني أنَّ بولُس قضى ثلاث سنوات يكرز بالمسيح دون أنْ يذهبَ للرُّسل، فهو إذن لم يستلم إرساليَّتَهُ منهم. يقول: «لأتعرَّفَ»: لا ليتعلَّمَ منه أو ليُضيفَ شيئاً لإيمانِهِ. بل هو أرادَ أنْ يتعرَّف ويتباحثَ مع من هو عمود الكنيسة، هذا الذي سمِعَ عنه كثيراً.

يعقوب أحد أسفار العهد الجديد. لُقِّبَ بـ «البارّ» لما عُرِفَ من استقامتِهِ وزُهدِهِ وتقشُّفِهِ في الحياة.

وتتعدَّدُ الآراءُ حولَ سبب تسميةِ يعقوب بـ «أخي الرَّب» (أي أخ يسوع):

1. فالبعضُ يعتقدُ أنَّ يوسُفَ النجَّار قبْلَ أنْ يخطِبَ العذراء مريم كان أرْملاً، وكان له أولادٌ من امرأتِهِ المتوفَّاة من بينهم يعقوب، وتربَّى هؤلاء مع يسوع كإخوة.
2. بينما يظُنُّ البعضُ بأنَّه كان ابنَ يوسُفَ ومريم، أي كان أخاً حقيقياً ليسوع، وهذا الرَّأيُ مرفوضٌ من قِبَلِ الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، لإيمانِهِم ببقاءِ مريمَ عذراء إلى آخرِ حياتِها. لكن قبِلَ بذلك بعضُ البروتستانت.
3. وهناك رأيٌ آخرَ يقول بأنَّه كان ابنَ أخت مريم أمّ يسوع (وهذه الأخت اسْمُها «مريم» أيضاً) وزوجُها كِلُوبا[1]. وهذا إنْ صحَّ، فإنَّه يعني أنَّ يعقوبَ الصدِّيق ويسوع هما ابنا خالةٍ على نحوٍ مباشر. وبسبَبِ هذه القرابة دُعِيَ «أخو الرَّبّ». فقد كانت هذه العادة دارجةً عند اليهود، حيثُ يُلقَّبُ القريبُ بـ «الأخ»[2].

ويميلُ أكثرُ الباحثين إلى أنَّ يعقوبَ الصدِّيق هو يعقوب بن حَلْفي[3]، أحدُ رسُل يسوع الاثنا عشر أو يعقوب الصَّغير. وعُرِف باسْمِ يعقوب الصَّغير[4]، تمييزاً له عن يعقوبِ الكبير ابن زَبْدي.

لكن أشرْتُ فيما مضى إلى أنَّ طابور انتهى من تحقيقِهِ إلى ترجيحِ أنَّ مريمَ زوجة كِلُوبا، هي مريم زوجة يوسُف النَّجار، وهي مريم العذْراء. كانت عذراءَ قبلَ ولادة يسوع، وصارت زوجةً ليوسُف بعد ولادةِ يسوع، ثمَّ تزوَّجت أخوهُ كِلُوبا بعد موتِهِ، وأنجَبَت (من يوسُف أو كِلُوبا) يعقوب وسِمْعان ويهوذا، أخوةَ يسوع الثلاثة.

ويُحتمَلُ احتمالاً ضعيفاً أنْ يكون يعقوب الصدِّيق هو يعقوب (الكبير) بن زَبْدي، وليس

---

(1) **إنجيل يوحنَّا** 19: 25.

(2) كما كان لوط يُدْعى أخاً لإبراهيم (**التكوين** 11: 27)، بينما كان لوط في حقيقةِ الأمر ابن أخيه (**التكوين** 14: 166). وفي (**إنجيل متى** 13: 55) ترِدُ أسماء يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا على أنَّها أسماء إخوة المسيح، ويُحتمل أنَّهم كانوا أبناء خالات المسيح، كما يُحتملُ أنَّهم أخوتُهُ فعلاً.

(3) كلمة «حلْفا» آرامية، يقابلها «كِلُوبا» في اليونانية.

(4) **إنجيل مرْقس** 15: 40.

يعقوب بن حَلْفي. ويعقوبُ الكبير ويوحنَّا، كلاهُما من الحواريِّين الاثني عشر[1]، جدَّتُهما هي «مريم» أم سالومي (وهي أخت «صوفية» أم أليصابات زوجة زكريا وأم يوحنَّا المعمدان، كما أنّها هي أخت «حنَّة» أم مريم العذراء)، ثمَّ تزوَّجت ابنَتُها «سالومي» من «زَبْدي»، وأنجبا «يعقوب الكبير» و«يوحنَّا». لذا جدَّةُ يعقوب الكبير (من طرفِ الأم) تكونُ أختاً لجدَّةِ يسوع المسيح (أمّ مريم العذراء).

بعبارةٍ أخرى، يعقوبُ الكبير هو ابنُ «سالومي» ابنة خالة مريم العذراء (أم يسوع المسيح)، وابنة خالة أليصابات (أم يوحنَّا المعمدان).

أصولُ يعقوبُ الصدِّيق تنحدِرَ من بني إسرائيل، وكان أوَّلُ أساقفة أورشليم، وكان يعقوبُ يتمتَّع بمكانةٍ بارزةٍ في الكنيسة الأولى. رأسَ يعقوب كنيسةَ أورشليم، واستمرَّ بها إلى وقتِ استشهادِهِ. لا يُعرَفُ بالتَّحديدِ متى صارَ رئيساً لكنيسةِ أورشليم. يرى البعضُ أنَّ ذلك كان سنة 34م، وهذا التاريخُ يتَّفقُ تقريباً مع شهادةِ القدِّيس جيروم التي ذكرَ فيها أنَّ يعقوبَ ظلَّ راعياً لكنيسةِ أورشليم نحو ثلاثين سنة. وبحسَبِ أعمال الرُّسُل[2]، لعَبَ يعقوبُ الصدِّيق دوراً رئيسياً في تحديدِ مُقرَّرات مجمع الرُّسُل الأوَّل حوالي عام 50م، حول قضية الدَّاخلين في المسيحيَّةِ من غيرِ اليهود، والتزامِهِم أو عدمِهِ بتطبيقِ شريعة موسى، حيثُ حدَّدَ يعقوبُ بنفسِهِ ما يتوجَّب عليهم التَّقيُّد به من الناموس، وهو «أنْ يمتنعوا عن نجاساتِ الأصنام، والزِّنى، والمنْخنقة، والدَّم»[3].

وفي أعمالِ الرُّسُل[4]، يُبيِّنُ كاتِبُ السِّفْر مكانةَ يعقوب الهامَّة، حيثُ يُخبِرُنا بزيارةِ بولُس ليعقوب الصدِّيق، ليُحدِّثَهُ بحضورِ مشايخ الكنيسة بالأعمالِ التَّبشيرية التي قامَ بها. بالإضافةِ إلى ذلك، فإنَّ بولُس في رسالتِهِ للغلاطيِّين وصَفَ يعقوب بأنَّهُ أحدُ أعمدةِ الكنيسة مع بُطْرُس ويوحنَّا[5]، بل ويُورِدُ اسمَهُ قبلَ اسْم بُطْرُس ويوحنَّا، ممَّا يدُلُّ على مكانتِهِ[6]. ويُؤيِّدُ هذه

(1) إنجيل متى 10: 2.
(2) أعمال الرُّسل 15: 19 ـ 30.
(3) أعمال الرُّسل 15: 20.
(4) أعمال الرُّسل 21: 18 ـ 20.
(5) رسالة بولُس إلى غلاطية 2: 9.
(6) رسالة بولُس إلى غلاطية 2: 9.

المكانة أيضاً الخوفُ والارتباكُ اللَّذانِ لحِقا ببُطْرُس في إنطاكية لمجرَّد وصول قومٍ من عندِ يعقوب، الأمر الذي جعلَهُ يسلُك مسْلكاً ريائيّاً وبَّخَهُ عليه بولُس علانيةً[1].

وهناك رأيٌ قديمٌ أوردَهُ كاتبُ إنجيل العبرانيِّين الآبوكريفا (غير القانوني)، يقول بأنَّ يعقوبَ لمَّا بلغَهُ خبرُ موت المسيح أقسَمَ بأنْ لا يتناولَ أيَّ شيءٍ من الطَّعام حتى يقومَ المسيحُ من بين الأموات، وفي يومٍ ظهَرَ له المسيح وأعطاهُ خبزاً وقالَ له: قُمْ كُلْ يا أخي فإنَّ ابنَ الإنسان قد قام. وقد أوردَ هذا الاقتباس القديم القدِّيس جيروم في كتابِهِ مشاهيرُ الرِّجال.

أما عن نُسُكِ يعقوب الصدِّيق فقد أفاضَ في وصفِهِ هيجيسبّوس Hegesip-pus، أحدُ علماء القرْن الثاني الميلادي، وقالَ إنَّه كان مُقدَّساً من بطْنِ أُمِّهِ، لم يَعْلُ رأسَهُ موسى، لم يشْرَب خمراً ولا مُسكراً، وعاشَ طوالَ حياتِهِ نباتيّاً لا يأكُلُ لحْماً، وكان لباسُهُ من الكتَّان. وكان كثيرَ السُّجودِ حتى تكاثَفَ جِلْدُ رُكبتيهِ وصارت كركبتيّ الجَمَل.

وبسببِ حياتِهِ المُقدَّسة النُّسُكية، ومعرفتِهِ الواسعة بالكتُبِ المقدَّسة وأقوالِ الأنبياء، نالَ تقديراً كبيراً من اليهود، وآمنَ على يديهِ كثيرٌ منهم في مدَّةِ رئاستِهِ لكنيسةِ أورشليم.

والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ اكتشافَ إنجيلِ توما (1945م، في نجْع حمَّادي) كان قد حسَمَ الأمرَ؛ فقد وردَ في إحدى فقراتِهِ ما يلي: «قالَ التَّلاميذُ ليسوع: نحنُ نعرِفُ أنَّك ستَتْرُكُنا، من الذي عند ذلك سيكونُ قائِدُنا (أو عظيماً بيننا آنذاك)؟ أخبرَهُم يسوع: ليس هناك مشْكلة، فحيثُما ذهبْتُم، عليكُم الذَّهابَ إلى جيمس العادِل (يعقوب الصدِّيق)، الذي إكراماً له جاءَت السَّماواتُ والأرضُ إلى الوجود»[2].

كتَبَ طابور: «تعكسُ عبارةُ «الذي إكراماً له جاءَت السَّماواتُ والأرضُ إلى الوجود» فكرةً يهوديَّةً، مفادُها أنَّ العالَمَ قد انْوجَدَ وهو محفوظٌ بسبَبِ الفضائل غير الاعتيادية لمجموعةٍ صغيرةٍ من الأفرادِ المسْتقيمين أو «العادلين». وحصَلَ جيمس (يعقوب) أخو يسوع، على اسْمٍ ميَّزَهُ عن سواه، هو جيمس العادل (أو يعقوب الصدِّيق)، وهذا ميَّزَهُ عن الآخرين الذين حمَلُوا اسْمَ «جيمس»، وشرَّفَهُ من أجلِ مركزه السَّامي. وزوَّدَنا إنجيلُ توما

(1) **رسالة بولُس إلى غلاطية** 2: 11 ـ 14.

(2) **إنجيلُ توما**، الفقرة 12. انظر سهيل زكار، **الأناجيل: النصوص الكاملة**، ص416.

بالدَّليلِ الأبكَرِ والأكثر وضوحاً في ذكرِهِ أنَّ جيمسَ قد خلَفَ يسوع كقائدٍ للحركة، وتأكَّدَ هذا وتأيَّدَ بوساطةِ كثيرٍ من المصادر الأخرى»[1].

وحفَظَ لنا نصٌّ عن كليمِنْت الإسْكندري بتراتيبَ بناء الصُّفوف التي تركَها يسوع من بعدِهِ، وكانت كما يلي: يعقوبُ الصدِّيق (أو جيمسُ العادِل) كخليفة، ويوحنَّا وبُطْرُس كمُسْتشارين عن يسارِهِ ويمينِهِ، ثمَّ من بعدِهِم بقيَّةُ الاثني عشَر، ثمَّ السَّبْعين[2].

وأكَّدَ كتابُ الرُّؤيا الثانية ليعقوب، الذي هو واحدٌ من النُّصوصِ التي عُثِرَ عليها مع إنجيلِ توما، في نجْعِ حمَّادي، على الرَّوابطِ الوشيجةِ بين يسوع ويعقوب. ويتماشى هذا مع فكرةِ أنَّه كان هو «التِّلميذَ المحْبوب». ففي هذا النَّصّ قد قيلَ بأنَّ يسوع ويعقوب قد «رضعا من الحليبِ نفسِهِ»، وأنَّ يسوع قد قبَّلَ أخاهُ يعقوب وقالَ له: «انتبه يا حبيبي، أنا سوف أبوحُ لكَ بكُلِّ شيءٍ وأكشِفهُ»[3].

وعن موتِهِ، يُخبِرُنا التَّقليدُ والتُّراثُ الكنَسي، بأنَّه بعد أنْ بقِيَ رئيساً لكنيسةِ أورشليم مدَّة ثلاثيَن عاماً، ثارت عليه جماعةٌ متزمِّتةٌ من اليهود، بقيادةِ رئيس الكهنة حنَّان، وطلبوا منه أنْ يجحَدَ إيمانَهُ، حيثُ أصعدوهُ إلى جناحِ الهيكلِ في يومِ عيدِ الفصْح، ليقولَ لجميعِ الشَّعب إنَّ ابنَ مريم لم يكن هو المسيح، ولكنَّه صرَخَ مجاهراً بإيمانِهِ بأنَّهُ هو المسيح قائلاً: «ماذا تريدونَ أنْ تعلَموا عن يسوع إنَّه جالسٌ في السَّماواتِ عن يمينِ قدرةِ أبيه، وهو الذي سوف يأتي جالساً على سحابِ السَّماء، لكي يُدينَ بالعدْلِ كلَّ المسكونة». فصرَخَ اليهودُ: لقد ضلَّ الصدِّيقُ هو أيضاً، وألقوا به من السَّطح، ولمَّا رأَوا أنَّه لم يمُت بعدُ، هجمَ عليه أحدُهُم وضرَبَهُ على رأسِهِ بقطعةِ خشبٍ فشجَّها، وسقطَ قتيلاً عن عمرٍ يُناهز الـ 63. ويُعتقدُ أنَّ تاريخَ موتِهِ كان عام 62 م، وأنَّه دُفِنَ قُرْبَ الهيكل. وخلفَهُ بعد موتِهِ أخوهُ سِمْعان (شمْعون).

لم يتردَّد يوسيفوس المؤرِّخُ اليهوديُّ الذي عاصَرَ خراب أورشليم عن الاعترافِ بأنَّ ما حلَّ بأُمَّتِهِ اليهوديَّة من نكباتٍ ودمارٍ أثناءَ حصار أورشليم لم يكن سوى انتقام إلهيّ لدماءِ يعقوب الصدِّيق التي سفكوها[4].

---

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص306 ـ 307.

(2) المصدر نفسه، ص 307.

(3) المصدر نفسه، ص308.

(4) لمزيد من التفصيل حول يعقوب (جيمس)، راجع: جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص343 ـ 347.

لماذا اختلفت المدْرستان؟

على ضوءِ ما مرَّ، تبيَّنَ أنَّ المسيحيَّةَ المُبكِّرة شهدت ظهور مدرستين: مدرسةُ بولُس التي قُدِّرَ لها الانتشار، ومدرسةُ يعقوب الصدِّيق التي قُدِّرَ لها الانحسار. نريدُ أنْ ندرُسَ الآن أسبابَ اختلاف هاتينِ المدْرستين.

المسيحيَّةُ نشأتْ من الإيحاءِ الغامضِ العجيبِ الخاصّ بقُرْبِ حُلُولِ الملكوت. ويبدو أنَّ التلاميذَ كانوا يترقبونَ عودةَ المسيح الوشيكة ليُقيمَ ملكوت السَّماوات على الأرض. وكان الاعتقادُ بنُزولِ المسيح ليُطهِّرَ الأرضَ ويُقيمَ ملكوت الله، هو القاعدةَ الأساسيةَ للدِّينِ المسيحي في أوائلِ عهدِهِ[1].

في أورشليم، في سنةِ الثلاثين من الميلاد، وفي يومِ العَنْصَرَة Pentecost، وهو اليوم الذي حلَّ فيه الرُّوحُ القُدُس - وفقاً لسِفْرِ أعمال الرُّسُل - على التلاميذ (الكنيسة)، وذلك بعد خمسينَ يوماً من رفْعِ يسوع المسيح إلى السَّماء[2]، وأمامَ الحُجَّاج اليهود المجتمعين بمناسبةِ العيد، أعلَنَ بُطْرُس مع بقيَّةِ التلاميذ قائلاً: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ. هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ....

فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا لِبُطْرُس وَلِسَائِرِ الرُّسُلِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟»

فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُس: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ

---

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص241 - 242.

(2) ويُسمَّى أيضاً بـ «عيدِ الحصاد»، وهو بالأساس عيدٌ يهوديٌّ، يحتلفون فيه بذكرى نزول الوصايا العشْر على موسى في سيناء، في اليوم الخمسين من خروجِهِم من مصْر. وصارَ عند المسيحيِّين يومَ «مولد الكنيسة» بسبَبِ حلول الرُّوح القُدُس على تلاميذِ يسوع المسيح، في اليومِ الخمسْين من رفعِهِ إلى السماء.

لاحظ أنَّ عيدَ الفصْح اليهودي تحوَّلَ إلى ذكرى العشاء الأخير، وعيدَ الحصاد تحوَّلَ إلى عيدِ العَنْصَرة، ويومَ السَّبْتَ الذي يتفرَّغ فيه اليهود للعبادةِ في المجامع تحوَّلَ إلى يوم الأحد الذي يتردَّد فيه المسيحيون إلى الكنائس. وهذا كلُّهُ يشيرُ إلى رغبتينِ متضادَّتين: الرَّغبة في قَطْعِ صلة المسيحية الوليدة عن اليهوديةِ العتيدة، والرَّغبة في وضْعِ بدائل شعائرية تُؤكِّدُ فيه المسيحيةُ الوليدةُ ذاتَها في مقابلِ اليهوديةِ العتيدة.

الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلهُنَا». وَبِأَقْوَال أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَشْهَدُ لَهُمْ وَيَعِظُهُمْ قَائِلاً: «اخْلُصُوا مِنْ هذَا الْجِيلِ الْمُلْتَوِي».

فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ، وَاعْتَمَدُوا، وَانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ. وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ. وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً، وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً. وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ، كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ. وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ[1]، كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ، مُسَبِّحِينَ اللهَ، وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ»[2].

ووفقاً لسِفْرِ أعمال الرُّسُل، كانت هذه هي البذْرةُ الأولى لولادةِ الكنيسةِ ونشأتِها.

أعضاءُ الكنيسةِ الأولى هؤلاء كانوا يهوداً، مثلُ يسوع المسيح والتلاميذ (الحواريِّين)، وهم يتكلَّمونَ الآرامية، وظلُّوا يعيشونَ حياةَ اليهود الأتقياء، يُصلُّونَ في الهيكل، يتجنَّبون الأطْعمةَ المُحرَّمة، ويقومون بالختان. كلُّ ما يُميِّزُهُم عن بقيةِ اليهود إنَّما هو اتِّباعُهُم وقبولُهُم لتعاليم يسوع المسيح الجديدة، وأخذِهِم بعينِ الاعتبار توجيهات الرُّسُل، وتكوين جماعات تربِطُهُم عقيدةٌ واحدة.

كان هؤلاء يهود يحمِلُونَ الثقافةَ الآراميةَ في فلسطين، وبسببِ اعتناقِهِم لتعاليم يسوع المسيح تمَّ اضْطِهادُهُم، من قِبَلِ اليهود الذين لم يؤمنوا وبقوا على دينِهِم. فهرَبَ المُضْطَهدون من أورشليم إلى السَّامرة وسواحلِ البحر المتوسط وإنطاكية، وأصبحوا مُرْسَلينَ إلى اليهودِ السَّاكنينَ هناك. فانضمَّ إليهم جماعةٌ ذوو ثقافةٍ يونانية، وهم الهلِّينيُّون. ولوجودِ اختلافٍ بين الثَّقافتين، بدأَ التَّنازُع بينهما.

في البدء، كان التَّنازُع بين المؤمنين الجُدُد ممَّن كانت له سابقة وثنيَّة ويحمِلُ ثقافةً

---

(1) إشارة إلى طقسِ التَّناول، وتفسير كونه في البيوت أنَّ الهيكل آنذاك لم يكن قد دُمِّرَ بعد، فلم يكن من اللائقِ أنْ يُمارَسَ طقسُ التَّناول المُعبِّر عن العهدِ الجديد (الذي هو بديلٌ عن القرابين)، إلى جانبِ القرابين المُقدَّمة إلى الهيكلِ المُعبِّرة عن العهدِ القديم. ففيه قدْرٌ كبيرٌ من الاستفزازِ والمواجهة السَّافرة مع اليهود، لذا كان التَّناول يتمّ في البيوت، ولم تكن ثمَّة كنائس قد بُنِيَتْ بعد.

(2) **أعمال الرسل** 2: 14 ـ 47.

يونانيَّة، واليهودِ عموماً سواءٌ منهم من رفَضَ تعاليمَ يسوع المسيح أو آمنَ به منهم. فكان لا بدَّ للكنيسةِ الوليدةِ من تقريبِ وجهات نظر المؤمنين بتعاليمِ يسوع المسيح، سواءٌ كانت لهم سابقة وثنيَّة، أو كانوا أساساً من اليهود.

وقد كان الشَّهيدُ إستيفانوس، وهو رئيسُ الجماعةِ اليونانيَّة، ضحيَّةَ هذا الصِّراع، حيثُ قُتِلَ على يدِ يهود أورشليم الجاحدين ليسوعِ المسيح. وكان إستيفانوس قد اختِيرَ من التلاميذ ضمْنَ سبْعةِ رجال ليقوموا بالخدْمةِ اليوميَّةِ وتوزيعِ الصَّدقاتِ على الفقراءِ المسيحيِّين، بعدما اشتكى الهلِّينيُّون المسيحيُّون في أورشليم من أنَّ أَراملَهُنَّ كُنَّ يُهْملْن. واتُّهِمَ إستيفانوس بأنَّهُ يُجدِّف على اللهِ وعلى موسى، وأنَّه تكلَّمَ ضدَّ الشَّريعةِ وضدَّ الهيكل، وقُدِّمت هذه الشَّكاوى إلى مجْمَع السَّنْهدرين، ودافعَ إستيفانوس عن نفسِهِ مُتَّهِماً اليهودَ بجُحُودِهِم للأنبياءِ على مرِّ تاريخِهِم، وأكَّدَ على احترامِهِ لموسى والهيكل. لكن بعدما ضاقَ صدْرُ المجْمع من كلامِهِ، واغتاظوا منه، أخرجوهُ خارجَ المدينة، ورجمُوهُ[1].

أما معظمُ التلاميذِ الذين يبدو أنَّهم سَلِموا من الاضْطِّهاد لأنَّهُم ظلُّوا يُراعونَ النَّاموس، فقد بقوا في أورشليم مع بعضِ المسيحيِّين اليهود. وبيْنا كان بُطْرُس يقومُ بالتَّبشيرِ في البلادِ اليهوديَّةِ، بقِيَ يعقوبُ الصدِّيق، رئيسُ الجماعةِ المقيمةِ في أورشليم - بعد أنْ قلَّ عدَدُها ونقصَت موارِدُها - يُبشِّرُ بالنَّاموس، فلم يكن يأكُلَ الخنزير، أو يشْرَبَ الخمر،[2] وظلَّ المسيحيُّونَ تحتَ قيادتِهِ سبعةَ أعوامٍ لا يمَسُّهم أذى.

ثمَّ حدَثَ حوالي سنة 41م (أو 44م) أنْ قُتِلَ أحدُ الحواريِّين ويُدْعى يعقوب (الكبير)

---

(1) راجع **أعمال الرسل**، الإصحاح 6 - 7. ويرى بعضُ الباحثين أنَّ شهادةَ إستيفانوس كانت الخطوة الأولى باتِّجاهِ انفصال المسيحيِّين (الأمم) عن اليهود، فتشتَّت الجميعُ في كور اليهودية والسَّامرة، ما عدا التلاميذ الذين بقوا في أورشليم، وكان لهم في الظَّاهرِ هيئة اليهود الآخرين، ما يُميِّزُهُم أنَّهُم كانوا يوجِّهُونَ على الدَّوام الاتِّهامَ لرؤساءِ اليهود بالتورُّطِ بسفْكِ دمِ المسيح. وكانت الخطوةُ الأخيرة، والطلاقُ النهائي، مع تدميرِ أورشليم 70م.

(2) قلتُ فيما مضى إنَّ نصوصَ العهد القديم حولَ الخمْرِ متعارضة، بعضُها يُفهَمُ منه التَّحريم، وبعضُها الآخر يُفهَمُ منه الإباحة. والرَّأيُ الشَّائعُ هو إباحةُ القليلِ منه دونَ الكثير المُسْكر.
من النُّصوص النَّاهية عن الخمْر، لاحظ: **اللاويين** 10: 9، **العدد** 6: 1 - 4، **التثنية** 21: 18 - 21، **أمثال** 23: 20، 23: 29 - 31، **إشعياء** 5: 11.
ومن أسبابِ تعارُض النُّصوص أنَّ كلمةَ «الخمْر» - كما هو الحالُ في العربية - لا تُطلَقُ فقط على الخمْرِ المُسْكر، بل تطلقُ أيضاً على العِنَبِ نفسِهِ، كما تُطلَقُ على عصيرِ العِنَب. وقد وردَ في القرآن: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ (يوسف، 36)، فالخَمْرُ لا يُعصَر، وهذه قرينة على أنَّ المقصودَ هو العِنَب. =

ابن زَبْدي[1]، فقُبِضَ على بُطْرُس ولكنَّه فرَّ. ثمَّ قُتِلَ حواريٌّ آخر، هو يعقوب (الصَّغير) بن حَلْفي[2] في عامِ 62م على يدِ المُتطرِّفينَ اليهود رَجْماً، وبعد أربعةِ أعوام من ذلك الوقت ثارَ اليهودُ على روما.

وأيقَنَ المسيحيُّونَ المقيمونَ في أورشليم أنَّ «نهايةَ العالَم» قد دَنَت، فخرجوا من المدينةِ، وأقاموا في بلادٍ وثنيَّةٍ واقعةٍ تحتَ سيطرة روما، والقائمة على الضفَّةِ البعيدةِ من نهرِ الأردن[3]، وافترقَت اليهوديَّةُ والمسيحيَّةُ من تلك السَّاعة. وأتَّهَمَ اليهودُ المسيحيِّينَ بالخيانةِ وخوَرِ العزيمة، ورحَّبَ المسيحيُّونَ بتدميرِ الهيكل على يدِ ثيطُس تحقيقاً لنُبوءةِ المسيح[4]، واتَّقدَت نارُ الحقدِ في قلوبِ أتباعِ كلا الدِّينَيْن. وأخذت المسيحيَّةُ اليهوديَّةُ من ذلك الوقت يقِلُّ عددُ أتباعِها وتضعُفُ قوَّتُها، وتترُكُ الدِّينَ الجديد للعقليةِ اليونانيةِ تُشكِّلُهُ وتصْبَغُهُ بصبْغَتِها[5].

وفي إنطاكية، حيث لجأَ عددٌ كبيرٌ من المؤمنينَ بيسوع المسيح من اليهودِ المُضْطَهدين، لُقِّبَ أتباعُ المسيح بـ «المسيحيِّين»، وأصبحت هذه اللَّفظةُ هي العلامةَ التي يتميَّزونَ بها عن سائرِ التجمُّعاتِ الدِّينية، وصارت إنطاكية عاصمةَ انطلاقٍ لتبشيرِ الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة.

= والنُّصوصُ في العهدِ الجديد كذلك متعارضة، فقد ورَدَ في **إنجيل متى** (11: 15)، 1 **تيموثاوس** (23: 5) ما يُفيدُ الإباحة، كما ورَدَ ما يُفيدُ النَّهي، مثل 1 **كورنثوس** (11: 5)، 1 **أفسس** (18: 5). لذا انتهى غالبيةُ المسيحيِّين أيضاً إلى ما انتهى إليه اليهود، من إباحةِ القليل منه دون الكثير المُسْكر، وانتهى بعضُهُم الآخر إلى تحريمِها.

وقد روى الكُليني في الكافي في روايةٍ معتبرةٍ عن زرارة قال: قالَ أبو عبد الله (جعفر الصَّادق ﷺ): ما بعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيّاً قطُّ إلا وفي عِلْمِ اللهِ أنَّه إذا أكمَلَ دينَهُ كان فيه تحريمُ الخمْر، ولم تزَل الخمْرُ حراماً، وإنَّما يُنقَلونَ من خصْلةٍ إلى خصْلَة، ولو حُمِلَ ذلك عليهم جُمْلةً لقُطِعَ بهم دونَ الدِّين. قال: وقال أبو جعفر (الباقر ﷺ)، ليس أحدٌ أرفَقُ من اللهِ عزَّ وجلَّ، فمن رفْقِهِ تبارَكَ وتعالى أنَّه نقلَهُم من خصْلةٍ إلى خصْلة، ولو حَمَلَ عليهم جُمْلةً لهلكوا. راجع: الكليني، **الكافي**، ج2، ص669 ـ 670، باب أنَّ الخمْرَ لم تزل مُحرَّمة، ح3.

(1) وهو يعقوبُ الكبير، وابنُ خالة يسوع المسيح (خالة أمه): سالومي (أو سالومة)، وكان صيَّاداً للسَّمك، وهو الأخ الأكبر ليوحنَّا، لذا كان يلقبهما يسوع بـ «ابني الرَّعد». ختَمَ حياتَهُ بالشَّهادة، لأنَّ هيرودس أغريباس الأول أمَرَ بقطْعِ رأسِهِ، فكان بذلك أولَ الحواريِّين الذين يختمون حياتَهُم بالشَّهادة.

(2) وهو يعقوب الصَّغير (الصِّدِّيق)، وهو أخو يسوع المسيح أو ابنُ خالتِهِ (خالته مباشرة).

(3) ويرى بعضُ الباحثين أنَّ عدداً منهم ذهبَ إلى كهوفِ قُمْران عند البحر الميِّت، وانشغلوا بنحوٍ جماعيٍّ بالعبادةِ وتدوين الأسفار.

(4) **إنجيل متى** 24، **إنجيل مرقس** 13، **إنجيل لوقا** 21: 5 ـ 38.

(5) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص244 ـ 245.

وتشكَّلَت في إنطاكية جماعتان: الأولى جماعةُ المسيحيِّينَ من أصلٍ يهوديّ (كانوا من المحافظينَ على الشَّعائرِ اليهودية)، والثانية جماعةُ الهلِّينيِّينَ من غيرِ اليهود.

وكانت الجماعةُ الأولى تعتقدُ بوجوبِ فرْض الخِتان على المسيحيِّين الجُدُد، وضرورةِ الالتزام بالشَّريعةِ اليهودية، كما أوصى يسوعُ المسيح، بخلافِ الجماعة الثانية من غيرِ اليهود.

فالمسيحيُّونَ اليهود (الجماعة الأولى) كان يصْعُبُ عليهم تناوُلَ الطَّعامِ مع المسيحيِّين المُنْحدرين من أُصولٍ مختلفةٍ (الجماعة الثانية)، لأنَّهم كانوا غير مختونين، ويحرُمُ على اليهودي المختون تناولَ الطَّعامِ مع غيرِ مختون[1]، مضافاً إلى قوانينَ يهوديَّةٍ أخرى مُتعلِّقة بالأطْعمةِ، مثل حُرْمة أكل الخنزير، وعدم جواز تناول الدَّم، وغيرِها من المسائل.

وقد تمَّ حلُّ هذه المعضلة بتسويةٍ، فيما يُسمُّونَهُ غالباً بـ «مجْمَع أورشليم»، حيثُ كانت هناك جماعةُ اليهود المحافظون، يُمثِّلُهُم يعقوب الصدِّيق، رئيسُ جماعةِ أورشليم، ومن جهةٍ أخرى كان بولُس وبرنابا مُمثِّلينَ عن جماعةِ الهلِّينيِّين والوثنيِّين، الذين اعتنقوا المسيحيَّة[2].

---

(1) جاء في أعمالِ الرُّسُل 11: 1 ـ 3: «فَسَمِعَ الرُّسُلُ وَالإِخْوَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ أَنَّ الأُمَمَ أَيْضاً قَبِلُوا كَلِمَةَ اللهِ. وَلَمَّا صَعِدَ بُطْرُسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، خَاصَمَهُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، قَائِلِينَ: «إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَالٍ ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ»».

(2) جاء في **رسالةِ بولُس لغلاطية** 2: 6 ـ 10: «وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ مَهْمَا كَانُوا، لاَ فَرْقَ عِنْدِي، اَللهُ لاَ يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ فَإِنَّ هؤُلاَءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُس عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُس لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ، وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ. غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ. وَهذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ».

وفي ترجمةٍ أخرى لهذا المقطع لعلَّها أوضح: «أما الذين كانوا يُعتبرونَ من كبارِ المؤمنين ـ ولا فرْقَ عندي ما كانت عليه مكانَتُهُم لأنَّ اللهَ لا يُحابي أحداً ـ فما أضافوا شيئاً، بل رأوا أنَّ اللهَ عهدَ إليَّ في تبشيرِ غيرِ اليهود، كما عهدَ إلى بُطْرُس في تبشيرِ اليهود، لأنَّ الذي جعَلَ بُطْرُس رسولاً لليهود، جعلني رسولاً لغيرِ اليهود. ولمَّا عرَفَ يعقوب وبُطْرُس ويوحنَّا، وهم بمكانةِ عُمداء الكنيسة، ما وهبني اللهُ من نعمةٍ، مدُّوا إليَّ وإلى برنابا يمينَ الاتِّفاق، على أنْ نتوجَّهَ نحنُ إلى غيرِ اليهود وهُمْ إلى اليهود. وكلُّ ما طلبوهُ منَّا أنْ نتذكَّرَ الفقراءَ. وهذا ما بذلْتُ في سبيلِهِ كلَّ جُهدٍ».

أقول: ما جاء في هذه الرِّسالةِ يتعارضُ مع ما جاءَ في أعمالِ الرُّسُل (كما رأينا في الهامش السَّابق)، فبولُس في هذه الرِّسالة يدعي أنَّ بُطْرُس معنيٌّ ببشارةِ اليهود، مع يعقوب ويوحنَّا، في حين أنَّه وبرنابا معنيَّان ببشارةِ غير اليهود. لكن في أعمالِ الرُّسُل، يؤكد كاتبُهُ لوقا، أنَّ بُطْرُس كان يُبشِّر غير اليهود. فهل أرادَ بولُس في رسالتِهِ إسباغ الشَّرعية، بل واحتكار شرعية دعوة غير اليهود، لنفسِهِ؟! هذا ما يبدو.=

وتمَّت المناقشاتُ الحادَّةُ بين الطَّرفين، ولعَبَ بُطْرُس دورَ الوسيط الذي يُقرِّب بين وجهاتِ النَّظَر، إلى أنْ انتهوا - على ما يبدو - إلى تسويةٍ. فقد جاءَ في سِفْرِ أعمال الرُّسُل: «فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هذَا الأَمْرِ. فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُس وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإنجيل وَيُؤْمِنُونَ. وَاللهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضاً. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ. فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟ لكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولئِكَ أَيْضاً». فَسَكَتَ الْجُمْهُورُ كُلُّهُ. وَكَانُوا يَسْمَعُونَ بَرْنَابَا وَبولُس يُحَدِّثَانِ بِجَمِيعِ مَا صَنَعَ اللهُ مِنَ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ فِي الأُمَمِ بِوَاسِطَتِهِمْ.

= بل يزايدُ بولُس بعد ذلك على بُطْرُس، ويتَّهِمُهُ بالنفاقِ أو الرِّياء، كما يتَّهِمُ برنابا بالانقيادِ إلى هذه الأجواء أيضاً، فقد جاءَ في **رسالتِهِ إلى غلاطية** 2: 11 - 14: «وَلكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُس إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً. لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِم! لكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإنجيل، قُلْتُ لِبُطْرُس قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيّاً لاَ يَهُودِيّاً، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟»».

وفي ترجمةٍ أخرى للمقطعِ نفسِهِ: «وعندما جاءَ بُطْرُس إلى أنطاكية، قاومتُهُ وجهاً لوجهٍ لأنَّه كان يستحقُّ اللَّومَ. فقبْلَ أنْ يجيءَ قومٌ من عندِ يعقوب، كان بُطْرُس يأكُلُ مع غيرِ اليهود. فلمَّا أنْ وصلوا تجنَّبَهُم وانفصَلَ عنهم خوفاً من دُعاةِ الختان. وجاراهُ سائرُ اليهودِ في رِيائِهِ. حتى إنَّ برنابا نفسَهُ انقادَ إلى رِيائِهِم. فلمَّا رأيتُ أنَّهم لا يسيرونَ سيرةً مستقيمةً مع حقيقةِ البشارة، قُلْتُ لِبُطْرُس بمحضَرِ منهم كُلِّهم: «إذا كنْتَ أنتَ اليهودي تعيشُ كغيرِ اليهود لا كاليهود، فكيفَ تُلزِمُ غير اليهود أنْ يعيشوا كاليهود؟»».

وصارَ بولُس متَّهماً عند اليهود غير المسيحيِّين في أورشليم بأنَّه لا يكتفي بمطالبةِ المسيحيِّين غير اليهود بعدمِ الالتزام بشريعةِ موسى، بل كان يحثُّ المسيحيِّين اليهود المقيمينَ بين سائرِ الشُّعوب على تركِ شَريعة موسى، وعدمِ ختْنِ أولادِهِم! (**سفر أعمال الرُّسُل** 21: 20 - 26) لذا كانوا - وما زالوا - يمقتونَهُ أشدَّ المقت، ربَّما لا لهذا السَّبب فحسب، بل لنجاحِهِ في نشْرِ المسيحية في العالم (التي صارت تُهدِّدُ الوجودَ اليهودي)، لكن اتُّخِذَت هذه التُّهمة ذريعةً للانتقام منه، الأمر الذي اضطرَّ بولُس لرفعِ دعواهُ للقيصرِ لحمايتِهِ من اليهود، بوصفِهِ مواطناً يحملُ هوية الدَّولَة الرُّومانية (**سِفْر أعمال الرُّسُل** 25).

لاحظ أنَّ بولُس انتقل من حالةِ التطرُّف في التشبُّثِ بالناموس عندما كان فريزيّاً، إلى حالةِ التطرُّف في رفْضِ الناموس عندما اعتبرَ نفسَهُ رسولَ المسيح واصطدَمَ باليهود، بل حتى بيعقوب الصدِّيق وجماعتِهِ.

وَبَعْدَمَا سَكَتَا أَجَابَ يَعْقُوبُ قَائِلاً: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، اسْمَعُونِي. سِمْعَانُ قَدْ أَخْبَرَ كَيْفَ افْتَقَدَ اللهُ أَوَّلاً الأُمَمَ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْباً عَلَى اسْمِهِ. وَهذَا تُوافِقُهُ أَقْوَالُ الأَنْبِيَاءِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ... لِذلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لَا يُثَقَّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ، بَلْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ، وَالزِّنَا، وَالْمَخْنُوقِ، وَالدَّمِ»[1].

على أساسِ ذلك، يبدو أنَّ يعقوب قبِلَ جُزْئياً برأي بولُس الذي أكَّدَ على عدمِ فرْضِ الشَّرائعِ اليهوديَّة بعد اليوم على معتنقي المسيحيَّة، وهو ما سنُشيرُ إليه في بحثِنا عن الشَّعائرِ والأحكامِ في المسيحيَّة. لكن في المقابل، نجَحَ يعقوب بفرْضِ بعض التَّنازُلات على الهلِّينيِّين عند اختلاطِهِم بالمسيحيِّين اليهود، إذْ عليهم عدمُ ارتكابِ الزِّنا، وألَّا يأكلوا المَيْتَةَ والدَّمَ وما أُهِلَّ لغيرِ الله. وأرسَلَ مجْمعُ أورشليم مع بولُس وبرنابا: يهوذا (= برسابا)[2]، وسيلا[3]، وكانا ممَّن لهم مكانةٌ رفيعةٌ في الكنيسةِ الوليدةِ، كسُفراءَ ومُراقبينَ ومُوجِّهينَ لعمليةِ التبشير[4].

هكذا لم يعُد الإيمانُ المسيحيُّ مرتبطاً باليهوديَّة، فأصبحت الكنيسةُ فعلاً عَالميّاً، وكان للتلاميذِ (الحواريِّين) الدَّورَ المهمّ والمُؤثِّر في نشْرِ المسيحيَّة خارجَ حدود فلسطين[5].

وقد توجَّهَ التَّبشيرُ المسيحيُّ إلى الغرب؛ فيُقالُ إنَّ مرْقِس[6] أُرسِلَ إلى مصْر (في بداياتِ النِّصف الثاني من القرْن الأول)، ودعا هناكَ إلى الإنجيلِ الذي كتبَهُ، وأسَّسَ كنائسَ أولاً في

---

(1) **أعمال الرُّسُل**، 15: 6 ـ 21.

(2) كان يخدِمُ مع التلاميذ في أورشليم، فرجع يهوذا المُلقَّب برسابا وحده إلى أورشليم، وقدَّمَ للتلاميذ تقريراً مفصَّلاً عن مهمَّته هو وسيلا، وطمأنهم على الكنيسةِ الحديثةِ في أنطاكية، وأخبرهم برغبة سيلا في الخدمةِ بأنطاكية. بعد ذلك مكثَ في أورشليم قريباً من التلاميذ، يخدِمُ حسبما يوجِّهُونَهُ.

(3) اسمٌ يونانيٌّ مأخوذٌ عن الأصلِ الآرامي لفظة «شئيلا» أو «شاول» ومعناهُ «المسؤول»، كان مواطناً رومانياً، ولذا فقد دُعِيَ أحياناً باسمه اللاتيني «سلوانس»، وقد رافق سيلا **بولُس** بعد انفصالِ برنابا عنه.

(4) **أعمال الرُّسُل**، 15: 22 ـ 29.

(5) الرَّسائلُ المُلْحقةُ بالعهدِ الجديد تُبالِغُ في إبرازِ دور بولُس، على حسابِ بقية التلاميذ، وكأنَّ المسيحيَّةَ لم تنتشر في العالَمِ إلا بفضْلِ بولُس. نعم لا شكَّ أنَّ لبولُس دوراً مهمّاً في نشْرِ المسيحية في تركيا وأوروبا، لكن تبدو لي المبالغَة واضحةٌ جداً.

(6) حتى تعرفَ طبيعة التحالفات بين أتباعِ المسيح الأوائل، من المناسبِ أنْ تعرفَ أنَّ بولُس عندما بدأ رحلته التبشيرية الثانية، أصرَّ برنابا أنْ يأخُذَ مرقس، أما بولُس فرفَضَ، حتى فارقَ أحدُهُما الآخر، فانطلقَ بولُس ومعه سيلا، أما برنابا فأخذَ مرقس وكرَزا في قبرص (**أعمال** الرُّسل 13: 4 ـ 5).

الإسكندرية نفسِها، ومنها إلى باقي نقاط أفريقيا. لذا ترى الكنيسةُ القِبْطيةُ في مصْر أنَّ مرْقِسَ هو مُؤسِّسُها.

وقيل إنَّ متَّى ذهَبَ إلى إثيوبيا، ودعا هناكَ إلى المسيحيَّة. وقيل إنَّ الذي ذهبَ إلى إثيوبيا لم يكن متَّى وإنَّما كان مِتْياس، الذي اختِيرَ من الاثني عشر بعد خيانةِ يهوذا الأسخريوطي، ليُكمِلَ النَّقْصَ في عددِ التلاميذ.

وذهبَ توما (= يهوذا الحواري، وهو غير يهوذا الأسخريوطي)، إلى الهند، وبشَّر بها[1]، لذا ينتسِبُ المسيحيُّون الهنود إليه.

ولبولُس بصْمةٌ واضحةٌ في نشْرِ المسيحيَّةِ في آسيا الصُّغرى (تركيا) وأوروبا. لقد دخلت الدَّعوةُ إلى أوروبا حوالي سنة 50م. ويجمَعُ التاريخُ المسيحيُّ بين بُطْرُس وبولُس في كنيسةِ روما، فهُما ـ كما يُقال ـ مُؤسِّساها. كما يُقالُ إنَّ روما هي المكان الذي قُتِلا فيه، وفيها نجدُ قبريهِما. ولذا فإنَّ دورَ البابا في الكنيسةِ الكاثوليكية مرتكزٌ على أنَّ أسقُف روما هو خليفةُ بُطْرُس.

وهناك حدثانِ حاسِمانِ يمكنُ الإشارةُ إليهِما في حياةِ الكنيسة في القرْنِ الأوَّل، هما:

1. طُغيانُ واضْطهادُ الإمبراطور الرُّوماني نيرون سنة 64م، وهي حالةٌ طالت أهمَّ رجالِ المسيحيَّة، وقضَت على حياةِ بعضِ التلاميذ والأتباع، مثل بُطْرُس وبولُس وغيرهم من المؤمنينَ بالمسيح وتعاليمِهِ. حيثُ يُقالُ إنَّ الحُلْمَ قد راوَدَ نيرون لإعادةِ بناءِ روما، فتعمَّدَ إحراقَها، وحرَقَ معها الآلافَ من سُكَّانِها. ثمَّ بحَثَ عن أكباشِ فداءٍ، فكان المسيحيُّونَ هم أكباشَ الفداء، واستمرَّت معاناتُهُم مع جُنونِهِ حتى انتحارِهِ سنة 68م. ففي عهدِ نيرون، «كان القانونُ يعفي اليهودَ من أنْ يعبُدُوا الإمبراطور، ونالَ المسيحيُّون في أوَّلِ أمرِهِم هذه الميزة، لأنَّه لم يكن يُستطاعُ التفريق بينهم وبين اليهود. ولكن مقْتَل بُطْرُس وبولُس، وحرْق المسيحيِّين ـ ليزيدَ حرْقُهُم ألعابَ نيرون بهاءً ـ بدَّلا هذا التَّسامُحَ المتبادَل المشوب بالاحتقارِ من الجانبين إلى عداءٍ دائماً، وحرْبٍ تندلعُ نارُها بين الفينةِ والفينة»[2].

---

(1) وفقاً لسفر أعمال توما، انظر الأناجيل: **النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، 2008، ص466 ـ 557.

(2) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص371.

2. تدميرُ أورشليم على يدِ الحاكم الرُّوماني ثيطُس سنة 70م، الذي سجَّلَ شرْخاً في حياةِ الكنيسةِ الناشئة. فقد ثارَ اليهودُ على الرُّومان بقصْدِ الخلاص والتحرُّر من الحُكمِ الرُّوماني، وإقامةِ دولةٍ مستقلَّةٍ تعبُدُ اللهَ بحسَبِ شريعة الأجداد. فاشتعلَت حربٌ تسبَّبَت في خرابِ المدينةِ وتدميرِ الهيكلِ. وعندما بدأت الثورةُ، هاجرت الجماعةُ المسيحيَّةُ أورشليم إلى شرْقِ الأردن. وقد قضى دمارُ الهيكلِ على آخرِ علاقةٍ للمسيحيِّين باليهود.

وفي نهايةِ القرْن الأول، وبدايةِ القرْن الثاني، كانت المسيحيَّةُ قد قرَّرت الانتشارَ غرْباً نحو الإمبراطورية الرُّومانية، بشكلٍ أكثرَ جدِّية من ذي قبل. ومع أنَّ بلادَ فارس والهند بُشِّرَت باكراً، إلا أنَّ الحاجزَ السِّياسي والعسكري الذي أقامَتْهُ الإمبراطوريةُ الفارسيةُ كان عائقاً في وجهِ هذا التبشير (ناهيكَ عن حاجزِ اللُّغة). لذلك أخذت المسيحيَّةُ تُفكِّرُ بعمُقٍ في العالَمِ الرُّوماني (حيثُ كانت بلادُ الشَّام وتركيا ومصْر خاضعةً له، واللُّغةُ اليونانية سائدةً فيه). فأصبحَ العالَمُ الرُّوماني أوَّلَ حقلٍ مهمٍّ واستراتيجيٍّ للتبشير. ومن خلالِ هذا الانتشار سيقَعُ أهمُّ حدثٍ في تأريخِ المسيحيَّةِ التبشيري، والذي سيُلقي بظِلالِهِ على حياةِ الكنيسةِ بشكلٍ كامل، إذ من خلالِها ستُصبِحُ المسيحيَّةُ أهمَّ ديانةٍ في الإمبراطورية[1].

الكنيسة:

جاءَ في قاموسِ الكتاب المُقدَس: «كنيسة» اسمٌ سرْيانيٌّ معناهُ: مَجْمَع. أما الكلمةُ اليونانيةُ المستعملةُ في العهدِ الجديد «اكليزيا»، فإنَّها تعني مَجْمَعُ المواطنين في بلادِ اليونان، التي كانت الحكومةُ تدعوهم للتَّشريعِ أو لأمورٍ أخرى[2].

وقد استعمَلَ الكُتَّابُ المُلْهمونَ الكلمةَ نفسَها للدَّلالةِ على مَجْمَعِ المؤمنين الذين يعترفونَ أنَّ يسوعَ المسيح هو رأسُهُم الأعلى، الذين كانوا يجتمعونَ في أوقاتٍ منتظمةٍ معيَّنة، أو كما تسْمَحُ الفُرَصُ للعبادةِ والصَّلاة[3].

---

(1) على الشيخ، **دروس في المسيحية**، ص30 ـ 39.

(2) **سفر أعمال الرُّسُل** 19: 32، 41.

(3) **إنجيل متى** 16: 18، 18: 17، **سفر أعمال الرُّسُل** 2: 47، 5: 11، **رسالةُ أفسس** 5: 23، 25.

ولمَّا تكاثَرَ عددُ أتباع يسوع في مُدُنٍ مُتعدِّدة، بدأوا باستعمالِ كلمة «كنائس» بصيغةِ الجَمْع للدَّلالةِ عليهم. وكانت الجماعةُ الواحدةُ في كلِّ بلدٍ تُدْعى «كنيسة»[1].

ولم تُستعمَل الكلمةُ بوضوحٍ في العهدِ الجديدِ للدَّلالةِ على البناءِ الذي يجتمعُ فيه المسيحيُّونَ للعبادة.

والكنيسةُ غير المنظورة تتألَّفُ من كلِّ الذين اتَّحدوا حقّاً بالمسيح[2]، أما الكنيسةُ المنظورةُ فإنَّها تتألَّفُ من جميعِ الذينَ يعترفونَ أنَّهم مُتَّحدونَ بالمسيح[3].

وتستمدُّ الكنيسةُ الكاثوليكيةُ في روما شرعيَّتَها من بُطْرُس، استناداً إلى ما وردَ على لسانِ المسيح في إنجيلِ متَّى: «وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً: أَنْتَ بُطْرُس، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْني كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ»[4].

أمَّا الكنيسةُ القبْطيةُ في مصْر، فتستمدُّ شرعيَّتَها من مرْقس[5]، على أساسِ أنَّ والدتَهُ كانت من النِّساءِ اللَّواتي خدمْنَ المسيح من أموالِهِنَّ، وكانت قد فتحَت بيتَها ليأكُلَ المسيحُ الفصْحَ مع تلاميذِهِ في العِلْية[6]، فصارَ من البيوتِ الشَّهيرةِ في تاريخ المسيحيَّةِ المُبكِّر،

---

(1) **سفر أعمال الرُّسُل** 9: 31، 5: 41، **رسالة روما** 16: 4، **رسالة كورنثوس الأولى** 7: 17، **رسالة تسالونيكي الأولى** 2: 14.

(2) **رسالة كورنثوس الأولى** 1: 2، 12: 12، 13، 27، 28، **رسالة كورنثوس الأولى** 1 : 24، **رسالة بُطْرُس الأولى** 2: 9، 10.

(3) **قاموس الكتاب المقدس**، ص788.

(4) **إنجيل متى** 16: 18 ـ 19.

(5) كان مرقس يمُتُّ بصلةِ قرابة لبُطْرُس (والدُهُ كان ابنُ عمِّ زوجة بُطْرُس أو ابنُ عمَّتِها)، ويمُتُّ بصلةِ قرابة لبرنابا (ابنُ أختِهِ أو ابنُ عمِّهِ).

(6) **أعمال الرُّسُل** 1: 13.
ذكر بعضُ مفسِّري الكتاب المقدَّس أنَّ التلاميذَ كانوا يجتمعون في العِلْيةِ التي في بيتِ مريم أُمّ مرْقس. ويبدو أنَّ البيتَ كان متَّسِعاً جدّاً وأيضاً العِلْية، إذْ قيل: «كانوا يُقيمونَ فيها». ربَّما كانت النُّسوةُ يُقِمْنَ في الدَّورِ الأسفل، بينما كان التلاميذُ يُقيمونَ في العِلْية».
أيضاً بعضُ آخرَ من مُفسِّري الكتاب المُقدَّس «من الأقباط» قالَ تفسيرِ «العِلْية»: هي غرفةٌ فوقَ السَّطْح في البيوتِ اليهودية، تُستعمَلُ كغُرْفهِ صلاةٍ وخلوة. وكان هذا المنزلُ هو منزلُ مريم أُمُّ مرْقس. وفي هذه العِلْية أقامَ يسوع العشاءَ الأخير، فحُسِبَت أوَّلُ كنيسةٍ في العالَم. ويبدو أنَّها كانت متَّسعةً فشملت التلاميذ وغيرَهُم.

وهناكَ غسَلَ المسيحُ أقدامَ التلاميذ[1]، وسلَّمَهُم سرَّ الإفخارِسْتِيَّا[2]، فصارت أوَّلُ كنيسةٍ مسيحيَّةٍ في العالَمِ دشَّنَها المسيحُ بنفسِهِ. على هذا الأساس، يؤمنُ الأقباطُ أنَّ بيتَ مرْقس كان هو أوَّلُ كنيسةٍ مسيحيةٍ في العالَمِ اجتمَعَ فيها المسيحيُّونَ في زمان التلاميذ.

لكن من الواضح أنَّ الكنيسةَ الكاثوليكيةَ في روما، التي تستمدُّ شرعيَّتَها من بُطْرُس، وكذلك الكنيسةَ القبْطيةَ في مصْر، التي تستمدُّ شرعيَّتَها من مرْقس، تتجاهلانِ معاً يعقوبَ الصدِّيق، وتتشبَّثانِ ببولس كعدَسَةٍ يروْنَ من خلالِها يسوع.

الآن لنعُد قليلاً إلى الوراء، لنُدقِّقَ في أهمِّ الاتِّجاهات التي ظهرت داخلَ الجماعة المسيحيَّة الناشئة.

الأبيونيُّون:

«ظلَّتْ المسيحيَّةُ اليهوديَّةُ قائمةً مدى خمسة قرون، بين طائفةٍ قليلةٍ من المسيحيِّينَ السَّرْيان، المُسمّين بـ «الأبيونيِّين» (الفقراء)، الذين كانوا يجمْعونَ بين التقشُّفِ المسيحي والناموسِ اليهودي الكامل. فلمَّا كان آخر القرْن الثاني الميلادي، حكمَتْ عليهمُ الكنيسةُ المسيحيَّةُ بالكُفْر، وأخرجَتْهُم من حظيرَتِها»[3].

يهودُ القرْن الميلادي الأول المُتنصِّرين، من أتباع المذْهب الآبيوني، يرونَ أنَّهم امتدادٌ لتعاليم يعقوب الصدِّيق، فهم آمنوا بالمسيحِ ابنِ مريم وأنكروا أُلوهيتَهُ. إلا أنَّ بعضَ الباحثينَ المسيحيِّين المعاصرين يُميِّزونَ بين يعقوب الصدِّيق من ناحية والآبونيِّين من ناحيةٍ أخرى.

كتَبَ ج. ويتْلر: «لقد جرى التَّمييز، داخل اليهوديَّة/ المسيحيَّة، بين اتِّجاهين: المعتدل والرَّاديكالي. وكان يتمثَّل الأوَّل بالنَّصْرانيِّين، الذين كانوا ينْسبون أنفُسَهُم إلى الرَّسولِ يعقوب. لقد كانوا إسرائيليِّين مخلِصين، ولكنَّهم نجحوا في أنْ يجمعوا الكمالَ الإنجيلي إلى الالتزامِ الدَّقيقِ بوصايا الناموس القديم. هذا ولم يُؤدِّ خرابُ أورشليم ودمارُ الهيكلِ (في العام 70م) إلى القضاءِ على نزعتِهِم القومية وحلْمِهِم المسيحاني. كانت المدينةُ المقدَّسةُ

---

(1) **إنجيل يوحنَّا** 13: 5.

(2) سرُّ الإفخارسِتيَّا، أو سرُّ التَّناول، أو القُرْبان المُقدَّس، هو أحدُ الأسرار السَّبعة المقدَّسة في الكنيستينِ الكاثوليكيةِ والأرثوذكسيةِ، أو أحدُ السِّرَّينِ المُقدَّسينِ في الكنيسةِ البروتستانتية. وهو تذكيرٌ بالعشاءِ الأخيرِ الذي تناولَهُ يسوع بصُحْبةِ تلاميذِهِ عشيَّةَ آلامِهِ.

(3) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص245.

مركزَهُم، وكان لديهم أسقُفٌ فيها، وقد اختفى الأسقُفُ الأخير خلالَ قمْع الرُّومان لتمرُّدِ بار- كوشيبا (135م). ولقد كان يستعينونَ بإنجيلٍ مكتوبٍ بالآرامية، ضاعَ نصُّهُ للأسف. يمكنُ اعتبارُ النَّصْرانيِّين مستقيمي العقيدة، أي إنَّهم لم يكونوا ينْبذونَ أيّاً من مبادئِ المسيحيَّة.

ولكن الاتِّجاهُ اليهودي/ المسيحي الآخر، اتِّجاه الآبيونيِّين، كان هرْطوقياً بوضوح. وأصْلُ اسْمِهِم، المشتقُّ بلا ريب من الكلمةِ العبرية «إبيون»: «فقير»، لم يتم إلقاءُ الضَّوءِ عليه. ولقد كانوا... يعتبرونَ الختانَ والممارسات النَّاموسية (أي الشَّرعية) شرْطاً ضرورياً للخلاص. فضلاً عن ذلك، كانوا يرفضونَ التصوُّرَ الفائقَ للطَّبيعةِ وأُلوهيةِ المسيح الذي، بولادتِهِ الطَّبيعية من يوسُفَ ومريم[1]، أصبح ابنَ اللهِ عبرَ عمادِهِ في نهرِ الأردن[2] وهم كانوا يقتربونَ من بدْعةِ الأسينيِّين الإسرائيليَّة بتقشُّفِهم الغذائي وإكثارِهِم من الوضوء»[3].

المرْقيونيَّة (المارسيونيَّة):

هذا الاتِّجاهُ منسوبٌ إلى مرْقيون (مرْسيون)، حيث جاءَ بفهمٍ خاصٍّ للمسيحيَّةِ في الفترةِ الواقعة بين 95 - 160م. كان مرْقيون مسيحيّاً أرثوذكسيّاً، لكن لم يُعجِبهُ التَّعارُضَ الواضِحَ بين ما هو مسطورٌ في الكتابِ المُقدَّس (الذي سيُسمَّى: «العهد القديم») وتعاليمِ المسيح التي كانت مُدوَّنةً في أناجيلَ متفرِّقة ورسائلَ الرُّسُل (التي ستُسمَّى: «العهد الجديد»)، مُتأثِّراً بذلك باستاذِهِ السُّوري سردون.

كان والدُهُ أسقُفَ سينوب[4] في البحرِ الأسود، وقد كفَّرَ الوالِدُ ابنَهُ لمَّا رآهُ يُجاهِرُ بآراءٍ تُخالِفُ المسيحيَّةَ المتداولة. وقد هبطَ مرْقيون إلى روما نحو عام 140م، ولمَّا شرَعَ بالتَّعليمِ فيها أقلَقَ الرُّؤساء، فنشَرَ رسالةً بيَّنَ فيها معتقدَهُ، فكانت سبباً في فصلِهِ من الكنيسةِ، وحرمانِهِ وتكفيرِهِ سنة 144م، متهمَّةً إيَّاهُ بالهرْطقة. فشايعتْهُ جماعتُهُ وتكاثرت،

---

(1) بعض الباحثين يقول إنَّ الآبيونيين كانوا ينكرون ولادة المسيح من مريم العذراء بطريقةٍ تتجاوز الطبيعة، بل كانوا يؤمنون بأنَّه وُلِدَ بطريقةٍ طبيعيةٍ من يوسُف ومريم. وبعضٌ آخرَ من الباحثين يقول إنَّهم لم ينكروا ولادةَ المسيح من مريمَ العذراء بطريقةٍ تتجاوزُ الطبيعة. وبعضٌ ثالثٌ قالَ بأنَّ الآبيونيين على اتِّجاهات، فبعضُهُم أنكرَ الولادةَ غير الطبيعية، وبعضُهُم لم يُنكِر ذلك. والله أعلم.

(2) بعبارة أخرى: كون المسيح هو ابناً لله، لا يعني أنَّ ولادتَهُ غير طبيعية، بل يعني أنَّ اللهَ قد اصطفاهُ وتبنَّاه دونَ غيرِهِ، وكان تعميدُهُ بنهر الأردن إيذاناً بهذا الاصطفاء والتبنِّي، فأصبحَ ابناً لله بهذا المعنى.

(3) ج. ويتلر، **الهرطقة في المسيحية: تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية**، ص50.

(4) هي مدينة تقع في أقصى شمال تركيا من جهة البحر الأسود.

فأنشأَ كنيسةً انتشرت انتشاراً سريعاً في مناطِقَ مسيحيَّة عدَّة، وبلغَتْ دعوتُهُ ذروتَها في منتصفِ القرْن الثاني الميلادي (150م)، ثمَّ اضمحلَّت وامتصَّتْها المانوية[1]، وانتهَت تقريباً في القرْنِ الخامس.

يرى مرْقيون أنَّ هذا العالَمَ المادِّي الناقص والمليءِ بالشُّرور هو من صُنْعِ الإله يَهْوَه، وأنَّ إلهَ العهد القديم هذا هو الذي خلَقَ الإنسانَ وفرَضَ عليه الشَّريعةَ، ولكنَ الإلهُ يَهْوَه ليس الإله الأعلى، بل إنَّ هناكَ قوَّةً شموليَّةً عُظْمى تتمثَّلُ في اللهِ الخفي، الآبِ الأعلى، إلهِ المحبَّة. وقد شعَرَ الآبُ الأعلى بالشَّفقةِ على الإنسان، فأرسَلَ ابنَهُ المسيحَ في هيئةِ يسوع النَّاصري ليُخلِّصَ البشرية.

لذا، ألَّفَ مرْقيون كتاباً أسْماهُ الأضْداد (أو «النقائض»)، جمَعَ فيه مقاطِعَ مُتعارِضة، ليستنتِجَ منها تغايُرَ الإلهينِ والشَّريعتين، إله العهد الجديد: إله المسيحيِّين، وهو الإله الأعلى، إله الخير وخالِقِ العالَم المعقول، وإله العهد القديم: إله اليهود، وهو إله العدْل والثَّواب والعقاب وخالِقِ العالَم المادِّي المحسوس من مادَّةٍ أزلية.

على هذا الأساس، يمكنُ القولُ إنَّ علْمَ نشأة الكون لدى المرْقيونية بسيطٌ نسبياً: إنَّ الإلهَ الصَّانع، خالِقَ العالَم المرْئي، هو الإلهُ العادلُ والقاسي للعهدِ القديم، الذي يُكافِحُ صنيعَهُ المشْؤوم إلهُ الإنجيل الطيِّب والرَّؤوف. والثُّنائيةُ هنا لا تُعارِضُ الشرَّ بالخير؛ بل العدْلَ بالغفران، والقسْوةَ بالمحبَّة.

إذن ينطلِقُ مرْقيون في تفكيرِهِ من مبدأِ الفصْل التامّ بين تعاليم الكتاب المُقدَّس (العهد القديم) وتعاليم المسيح وتلامذتِهِ (العهد الجديد). لذا فهو يُؤسِّسُ لعقيدةٍ مسيحيَّةٍ مستقلَّةٍ عن التَّوراة، تقومُ على إنجيلِ لوقا فقط في شكلِهِ المُنقَّح والمختصَر من قِبَلِهِ (مقتطِعاً منه مقاطِعَ لها علاقة بالتجسُّد)، وعلى رسائل بولُس.

---

(1) المانوية -أو المنانية كما ذكر ابن النديم في **الفهرست** - ديانةٌ تُنسَبُ إلى ماني الذي ظهَرَ في زمانِ شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور، المولود في عام 216 م في بابل. وقيل إنَّ الوحيَ أتاهُ وهو في الثانية عشرة من عمره، وكان في الأصلِ مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم، وكان يقول بنبوَّةِ المسيح، ولا يقولُ بنبوَّةِ موسى، فنحا منحًى بين المَجوسيَّةِ والمسيحيَّة. حاول ماني إقامةَ صلة بين ديانتِهِ والدِّيانةِ المسيحيَّة، وكذلك البوذية والزرادشتية. ولذلك فهو يعتبِرُ كُلّاً من بوذا وزرادشت ويسوع أسلافاً له. وقد كتَبَ ماني عدَّةَ كُتُب، من بينها إنجيلَهُ الذي أرادَهُ أنْ يكون نظيراً لإنجيلِ يسوع. أتباعُ المانوية كان يطلقُ عليهم لقب «الزَّنادقة».

فبولُس - في رأي مرْقيون - هو الذي فهَمَ الإنجيلَ حقَّ الفهم من دون بقيَّة الرُّسُل، بعد أنْ تجلَّى له المسيحُ على طريقِ دمشق، وأوكلَ إليهِ مهمَّة التَّبشير بالإنجيلِ الحقيقي، فعارَضَ منذُ البداية المسيحيَّةَ/ اليهوديَّة، التي كان يرى أنَّ بُطْرُس وزملاءَهُ يدْعُونَ إليها. فبولُس - بالنِّسبةِ لمرْقيون - هو المؤسِّسُ الحقيقي للشَّريعةِ الجديدة، إذْ إنَّ باقي الرُّسُل ظلُّوا مُتهوِّدينَ جدّاً.

كان مرْقيون شخصاً متعصِّباً ومتقشِّفاً، وطلَبَ من أنصارِهِ عدم أكل اللَّحم، مكتفينَ بالسَّمكِ والخُضار. وكان يُدينُ عمَلَ الجسَد، لذا طالبَ بالامتناعِ عن ممارسةِ الجنْسِ ومنعِ الزَّواج، ليُعجَّلَ في انقراضِ البشرية بأسرَعِ ما يمكن. وكان يعترفُ بالعمادِ والقُرْبان المُقدَّس فقط، لكنَّه عمَّدَ فقط الرَّافضينَ للزَّواج، وإلا فإنَّه ينبغي تأجيلُ العمادةِ إلى اليومِ الذي يُعدُّ فيه المُرشَّحُ للعمادةِ مريضاً دنا أجلُهُ.

تأثَّرَ مرْقيون بالغنوصيَّةِ أو العرْفانيَّةِ التي كانت ترى أنَّ المادَّةَ شرٌّ، وأنَّ الخلاصَ يأتي عن طريقِ المعرفةِ الرُّوحيَّة. وكان يُعدُّ أحدُ ثلاثة مُعلِّمين مسيحيِّين غنوصيِّين ظهروا في القرْنِ الثالث الميلادي؛ وهم: المُعلِّم الأول فلنتينوس[1]، وباسيليد[2]، والثالث هو مرْقيون، الذي زاوَجَ بين المسيحيَّةِ ومفاهيم الغنوصيَّة.

يُعَدُّ مرْقيون أكثرَ الغنوصيِّين مسيحيَّةً، فهو على الرَّغمِ من اتِّفاقِهِ مع الغنوصيَّةِ إجمالاً، إلا أنَّه يؤكِّدُ على عنصرِ الإيمان المسيحي، ويُعليهِ فوقَ العرْفان الغنوصي؛ فالخلاصُ عندَهُ يأتي بالإيمانِ وعن طريقِ يسوع المسيح.

انتشرَت المرْقيونية في إيطاليا ومصْرَ وسورية وفلسطين، وفي قبرصَ وبلادِ فارس وأرمينيا وأماكنَ أخرى. وكان أتباعُها يفتخرونَ منذُ نهايةِ القرْن الثاني بأنَّ لديهم عدداً من الشُّهداءِ أكثرَ ممَّا لدى «الكنيسة الكبيرة». وبعد نهايةِ القرْن الرَّابع، بدأت المرْقيونية بالتراجُعِ والاضمحلال حتى انتهت تقريباً في القرْنِ الخامسِ الميلادي. وكان تِرْتوليانوس (كما سوف نرى) من أبرز المتصدِّين لفكرِ مرْقيون.

مثّلَت الكنيسةُ التي أسَّسَها مرْقيون أكبرَ تهديدٍ للكنيسةِ الرَّسمية، واستمرَّت قويةً فترةً طويلةً

---

(1) الذي وُلِدَ في منطقةِ الدِّلْتا بمصر، لأسرةٍ ذات أصول يونانية نحو عام 100م، وتعلَّمَ بالإسكندرية وعلَّم بها، ثمَّ قصَدَ روما وأقامَ بها ثلاثينَ سنة (126 - 161م)، وهناك انشقَّ عن الكنيسةِ، وكوَّنَ شيعتَهُ الخاصَّة.

(2) الذي أسَّسَ مدرسةً غنوصية بالإسكندرية، فيما بين سنتي 120 - 140م. وسنرى لاحقاً أنَّه كان لا يؤمنُ بأنَّ المصْلوبَ هو يسوعُ المسيح، وإنَّما سِمْعان القيرواني.

بعد وفاةِ مؤسِّسها، خصوصاً في الأطرافِ الشَّرقيةِ لمناطقَ انتشار المسيحيَّة. وكانت المرْقيونية وراءَ تعجيل الكنيسة في إقرارِ الأناجيلِ الأربعة، وتثبيتِ المعتقدِ الرَّسمي في صيغتِهِ النِّهائية.

ويرى بعضُ الباحثينَ اليوم أنَّ تعاليمَ مرْقيون مستبْطَنةٌ بطريقةٍ خفيَّةٍ في المسيحيَّةِ المعاصرة، رغمَ أنَّها عُدَّت هرْطقة آنذاك، لأنَّ المسيحيَّةَ المعاصرة وإنْ اضطُرَّت للقبولِ بالكتابِ المُقدَّس (العهد القديم)، للتأكيدِ على أنَّ يسوعَ المسيح هو المُبشَّر بهِ في نبوءاتِ هذا الكتاب، إلا أنَّهم يؤمنونَ (ولو بنحوٍ خفيٍّ) بأنَّ إلهَ المسيح هو إلهُ الحُبِّ، في حين أنَّ إلهَ العهد القديم هو إلهُ العدْل.

القدِّيس جاسْتِن الشَّهيد Martyr Justin: (بذور المسيحيَّة المعاصرة)

القدِّيس جاسْتِن مارْتِر أو الشَّهيد (100 - 165م)، كان من المُدافعينَ الأوائل عن المسيحيَّةِ. وقد استُشهِدَ جنْباً إلى جنْبٍ مع بعضٍ من تلاميذِهِ، وتمَّ اعتبارُهُ قدِّيساً من قِبَلِ الكنيسةِ الرُّومانيَّةِ الكاثوليكيَّة، والكنيسةِ الأنجليكانيَّة، والكنيسةِ الأرثوذكسيَّةِ الشَّرقيَّة.

وُلِدَ جاسْتِن في فلافيا نيابوليس (اليوم نابلس)، في عائلةٍ وثنيَّةٍ، حيثُ يُعرِّف نفسَهُ بأنَّه أُمَمِي. جدُّهُ، باكيوس، كان يحمِلُ اسْماً يونانيّاً، بينما والدُهُ، بريسكوس، كان يحمِلُ اسْماً لاتينيّاً، ممَّا أدَّى إلى تكهُّناتٍ بأنَّ أجدادَهُ قد استقرُّوا في نيابوليس بعد وقتٍ قصيرٍ من تأسيسِها، أو إنَّهم منحدرونَ من المجتمعِ الرُّوماني «الدِّبلوماسي» الذي كان قد أُرسِلَ إلى هناك.

وصَفَ جاسْتِن تعليمَهُ المُبكِّر، مشيراً إلى أنَّ دراساتَهُ الأوَّلية تركتْهُ غيرُ راضٍ، بسببِ فشل تلك المدارس والاتِّجاهات في توفيرِ نظامٍ للاعتقاد من شأنِهِ أنْ يُوفِّرَ إلهاماً لاهوتيّاً وميتافيزيقيّاً لتلميذِهِم الشَّاب. يقول إنَّه جرَّبَ أولاً مدرسةَ الفيلسوف الرُّواقي، الذي لم يتمكَّن من شرْحِ كينونة الله له. ثمَّ حضَرَ عند فيلسوفٍ متجوِّلٍ، لكن تجنَّبَهُ لأنَّ الفيلسوفَ كان متلهِّفاً جدّاً لأَجْرِهِ. ثمَّ ذهَبَ للاستماعِ إلى فيلسوفٍ فيثاغوريٍّ طالبَهُ بأنْ يتعلَّمَ أولاً الموسيقى والفلَكَ والهندسة، وهذا ما لم يكن يرْغَب جاسْتِنَ في القيامِ به. ثمَّ في محطَّةٍ لاحقةٍ، ركنَ إلى الأفلاطونيَّة بعد أنْ التقى بمفكِّرٍ أفلاطونيٍّ كان قد استقرَّ مؤخَّراً في مدينتِهِ.

وأخيراً صادَفَ شيخاً طاعناً في السِّنِّ، رجَّحَ الباحثونَ أنَّه كان مسيحيّاً سوريّاً، في المنطقةِ المجاورةِ لشاطئِ البحر، ودخَلَ معَهُ في حوارٍ حول الله، فتحدَّثَ هذا الشَّيخُ عن أنَّ شهادةَ «الأنبياء» يمكنُ الاتِّكاءُ عليها أكثرَ من منطقِ الفلاسفة.

كتَبَ جاسْتِن: «كان يوجدُ هناك، قبلَ وقتٍ طويلٍ، رجالٌ معيَّنون أقدَمَ كثيراً من كلِّ

أولئكَ الفلاسفة المحترمين، صالحينَ ومحبوبينَ من قِبَلِ الله، تكلَّموا بالرُّوحِ القُدُس، وتنبَّأُوا بالأحداثِ التي ستقع، والتي تجري الآن. يُطلَقُ عليهم «الأنبياء». هؤلاءِ وحدُهُم رأوا وأعلنوا الحقَّ إلى الناس، لا يُبَجِّلونَ ولا يخافونَ من أيِّ رجُلٍ، غير متأثِّرينَ بالرَّغبةِ في المجْد، ولكن يتحدَّثونَ بتلك الأمور وحدَها التي شاهدوها والتي سمِعُوها، مملوئينَ من الرُّوحِ القُدُس. كتاباتُهُم لا تزالُ موجودةً، وذلك من يقرأها ستُساعِدُ كثيراً في معرفةِ بدايةِ ونهايةِ الأشياء، وفي تلكَ الأمور التي يجبُ على الفيلسوفِ أنْ يعرِفَها، شريطةَ أنْ يُؤمِنَ بها. فإنَّهم لم يتحدَّثوا بالبرهان؛ لأنَّهم أعلى من كلِّ برهان. إنَّهُم شهودٌ عدولٌ عن الحقِّ، وجديرينَ بالتَّصديق؛ فتلكَ الأحداثُ التي حدثَت، وتلك التي تحدُثُ، تدفعُكَ إلى الإيمانِ بالكلامِ الذي قالوهُ، وأيضاً في الواقعِ، إنَّهم يستحقُّونَ الثِّقةَ بسببِ المعجزاتِ التي قاموا بها».

تأثَّرَ جاسْتِن بحُجَّةِ الرَّجُل الشَّيخ، وتخلَّى عن إيمانِهِ الدِّينيِّ السَّابقِ وخلْفيَّتِهِ الفلْسفيَّة، وإختارَ بدلاً من ذلك إعادةَ تكريسِ حياتِهِ لخدمةِ الدِّين. وقد عزَّزَت حياةُ الزُّهدِ لدى المسيحيِّين الأوائل والأمثلةُ البطوليَّة للشُّهداء قناعاتَهُ الجديدةَ، حيثُ أقنعوهُ بالتفوُّقِ الأخلاقي والرُّوحي لتقوى العقيدةِ المسيحيَّة. ونتيجةً لذلك، قرَّرَ جاسْتِن منذُ ذلك الحين أنَّ الخيارَ الوحيدَ بالنِّسبةِ له هو السَّفرُ في جميعِ أنحاء الأرض، ونشْرِ المعرفةِ المسيحيَّةِ باسْمِ «الفلْسفة الحقيقيَّة».

لاحقاً لبسَ ثوبَ الفيلْسوف بنفسِهِ وسافرَ للتدريس. خلالَ عهدِ أنطونيوس بيوس (138 - 161م)، وصَلَ إلى روما، وبدأَ بتشييدِ مدرستَهُ الخاصَّة[1]، كان تاتيان واحداً من تلاميذِهِ. في عهدِ ماركوس أوريليوس، بعد جدالٍ مع كريسكيس الفيلسوف الكلْبي، تمَّ اتِّهامُهُ من قِبَلِ هذا الأخير وسوقُهُ إلى السُّلُطات، وفقاً لكتاباتِ تاتيان ويوسابيوس. حُوكِمَ جاسْتِن، مع ستَّةٍ من تلامذتِهِ، وقُطِعَ رأسُهُ. على الرَّغمِ من أنَّ العامَ المُحدَّدَ لوفاتِهِ غيرُ مؤكَّد، إلا إنَّه من المعقولِ أنْ يُؤرَّخَ وفقاً لفترةِ حكم راستيكوس (الذي حكَمَ من 162 إلى 168م). وقد سجَّلَت بعضُ المصادرِ القديمة بعضَ مجريات المحاكمة:

«الحاكمُ راستيكوس يقول: نهجٌ وتضحيةٌ، إليكم جميعاً، وللآلهة.

يقولُ جاسْتِن: لا أحدٌ في قواهُ العقلية يتخلَّى عن التَّقوى من أجلِ المعصية.

يقولُ الحاكمُ راستيكوس: إذا كنْتَ لا تطيع، سوف يتمُّ تعذيبُكَ دونَ رحمة.

(1) ويعتبرُ جاسْتِن هو المترجم الأول لنظريةِ اللُّوغوس في القرْنِ الثاني.

فردَّ جاسْتِن: هذه هي رغبتُنا، أنْ نُعذَّبَ من أجلِ ربِّنا يسوع المسيح، ومن أجلِ أنْ نُخلَّصَ، لذلك سوف يُعطينا الخلاصَ وثقةً راسخةً في محكمةٍ شاملةٍ أكثرَ فظاعةً من ربِّنا ومُخلِّصَنا.

وقال كلُّ الشُّهداء: افعل ما يحلو لك؛ لأنَّنا مسيحيُّون، ونحن لا نُضحِّي للأصنام.

قرأَ الحاكمُ راستيكوس الجملة: أولئكَ الذين لا يرْغبونَ في التضحيةِ للآلهةِ والانصياعِ وأنْ يُطيعوا الإمبراطور، سوفَ تُقطَع رؤوسُهُم وفقاً للقوانين.

مجَّدَ الشُّهداءُ المُقدَّسينَ اللهَ راهنينَ أنفُسَهُم إلى المكانِ المعروف، حيثُ تمَّ قطعُ رؤوسِهِم واستُشْهِدُوا معترفينَ بمُخلِّصِهِم»[1].

الجديرُ بالذِّكرِ أنَّ اتِّجاهَ جاسْتِن رسَمَ بعضَ معالِم المسيحيَّة اللاحقة، فكان نُقطةَ الوسطِ بين اليهوديَّةِ/ المسيحيَّةِ التي مثَّلَها الاتِّجاهُ الآبيوني، وهو الاتِّجاهُ المسيحيُّ الوليدُ الذي أكَّدَ على ضرورةِ التمسُّك بالعهدِ القديم وتعاليمِ موسى... والاتِّجاهِ المرْقيوني، وهو الاتِّجاهُ المسيحيُّ الوليدُ الذي دعا إلى القطيعةِ مع العهدِ القديم وتعاليمِ موسى... فجاءَ جاسْتِن ليُؤكِّدَ من ناحيةٍ على ضرورةِ التمسُّك بالعهدِ القديم، ليُتاحَ على أساسِهِ إثباتُ حقَّانية دعوة المسيح، وأنَّه هو المُحقِّقُ لنبُوءاتِ الأنبياء الواردة في تلكَ الأسفار المُقدَّسة[2]...

---

(1) كنيسةُ القدِّيس يوحنَّا المعمدان في ساكروفانو، على بُعدِ بضْعة أميال شمالَ روما، تزعُمُ أنَّ لديها بقاياه. وكنيسةُ اليسوعيِّينَ في فاليتا، مالطا، التي تأسَّست بموجبِ مرسومٍ بابويٍّ عام 1592م أيضا تضُمُّ رفاتَ قدِّيس القرْن الثاني.

(2) نبواتُ العهد القديم وتحقيقُها في الجديد:

1- أنَّه من نسْلِ المرأة (تك 3: 15). وتحقيقُها (غلا 4: 4، لوقا 2: 7، رؤ 12: 5).
2- أنَّه من نسْلِ إبراهيم (تك 18: 18. تك 12: 3). وتحقيقُها (أعمال 3: 25، متى 1: 1، لوقا 3: 34).
3- أنَّه من نسْلِ إسحاق (تك 17: 19). وتحقيقُها (متى 1: 2، لوقا 3: 34).
4- أنَّه من نسْلِ يعقوب (عدد 24: 17). وتحقيقُها (لوقا 3: 34، متى 1: 2).
5- أنَّه سيكونُ من سبْطِ يهوذا (تك 49: 10). وتحقيقُها (لوقا 3: 33، متى 1: 2 ـ 3).
6- أنَّه سيكونُ وارثاً لعرْشِ داود (اش 9: 7، اش 11: 1 ـ 5، 2صم 7: 13). وتحقيقُها (متى 1: 1، متى 1: 6).
7- أنَّ مكانَ مولدِهِ بيت لحم (ميخا 5: 2). وتحقيقُها (متى 2: 1 ـ 6، لوقا 2: 1 ـ 20).
8- زمانُ مولدِهِ (دانيال 9: 25). وتحقيقُها (لوقا 2: 1 ـ 2، لوقا 2: 3 ـ 7).
9- أنَّه يُولَدُ من عذراء (اش 7: 14). وتحقيقُها (متى 1: 18 ـ 25، لوقا 1: 26 ـ 38). =

وليُؤكِّدَ من ناحيةٍ أخرى على عدمِ أهميَّة التمسُّك الحرْفي بتعاليمِ موسى، أعني بالواجباتِ والمُحرَّمات، كحفْظِ السَّبْتِ والختانِ واجتنابِ أكلِ الخنزير... وغيرِها من تعاليمِ موسى.

= 10- قتلُ الأطفال (إرميا 31: 15). وتحقيقُها (متى 2: 16، متى 2: 17 ـ 18).
11- الهروبُ إلى مصْر (هوشع 11: 1). وتحقيقُها (متى 2: 14، متى 2: 17).
12- مناداتُهُ بالبشارةِ في الجليل (اش 9: 1 ـ 2). وتحقيقُها (متى 4: 12 ـ 16).
13- بأنَّه سيكونُ نبيّاً (تث 18: 15، 18، 19). وتحقيقُها (يوحنا 1: 45، يوحنا 6: 14، يوحنا 7: 40، أعمال 3: 22).
14- بأنَّه سيكونُ كاهناً على رُتبةِ مَلْكِي صادِق (مز 110: 4). وتحقيقُها (عب 6: 20، عب 5 ـ 6، 7: 15 ـ 17).
15- بأنَّ اليهودَ سيرفضونَهُ (اش 53: 1، 3، مز 2: 2، مز 118: 22). وتحقيقُها (متى 26: 3، 4، يوحنا 1: 11، يوحنا 6: 43، يوحنا 12: 37 ـ 43، لوقا 4: 29، 7: 25، 23: 18).
16- ذكرُ بعض صفاتِهِ (اش 11: 2، مز 35: 7، اش 11: 3 ـ 4). وتحقيقُها (لوقا 2: 52، لوقا 4: 18).
17- دخولُهُ إلى أورشليم منتصراً (زك 9: 9، اش 62: 11). وتحقيقُها (متى 21: 1 ـ 11، يوحنا 12: 12 ـ 16).
18- أنَّ أحد المُقرَّبين إليه هو الذي يُسْلِمُهُ (مز 41: 9). وتحقيقُها (متى 10: 4، متى 26: 14 ـ 16، متى 47 ـ 50، مر 14: 43 ـ 45، لوقا 22: 19 ـ 23).
19- التنبُّؤ بأنَّه سيُباعُ بثلاثين من الفضَّة (زك 11: 12 ـ 13). وتحقيقُها (متى 26: 16، متى 27: 3 ـ 10).
20- التنبُّؤ بأنَّ الفضَّةَ تُعادُ ويُشترى بها حقلُ الفخاري (زك 11: 13). وتحقيقُها (متى 27: 6 ـ 7، متى 27: 3، 5: 8 ـ 10).
21- التنبُّؤ بأنَّ وظيفةَ يهوذا يأخُذها آخر (مز 109: 7 ـ 8). وتحقيقُها (أعمال 1: 18 ـ 20، أعمال 1: 16 ـ 17).
22- التنبُّؤ بقيامِ شهود زور ضدَّ المسيح (مز 27: 12، مز 35: 11). وتحقيقُها (متى 26: 60 ـ 61).
23- صمتُ المسيح أمام من يتَّهمونَهُ (اش 53: 7، مز 38: 13 ـ 14). وتحقيقُها (متى 26: 62، متى 27: 12 ـ 14، مر 15: 3، 4، لوقا 23: 8 ـ 10).
24- التنبُّؤ بأنَّه سيُلْطَم على خدِّهِ ويُتْفَلُ عليه (اش 50: 6). وتحقيقُها (متى 26: 67، متى 27: 30، مر 14: 65، مر 15: 17، يوحنا 19: 1 ـ 3، 18: 22).
25- التنبُّؤ بأنَّه سيُهزأُ به ويُهان (مز 22: 6، 8). وتحقيقُها (متى 27: 39 ـ 44، متى 27: 41 ـ 44، مر 15: 29 ـ 32، لوقا 23: 11، 35).
26- التنبُّؤ بأنَّه يُبغَضُ من دون سببٍ (مز 69: 4، مز 109: 3 ـ 5). وتحقيقُها (يوحنا 15: 23 ـ 25).
27- التنبُّؤ بأنَّه يُقاسي الآلام نيابةً عن البشر (اش 53: 4 ـ 5، اش 53: 6، 12). وتحقيقُها (متى 8: 16 ـ 17، رومية 4: 25، أكور 15: 3).
28- التنبُّؤ بأنَّه يُصلَبُ مع مجرمين (اش 53: 12). وتحقيقُها (متى 27: 38، مر 15: 27 ـ 28، لوقا 23: 32 ـ 34). =

ميليتو أُسْقُف سارْدِس: Sardis of Melito

ميليتو (180م) أُسْقُف مدينة سارْدِس (في تركيا حالياً)[1]، هو واحدٌ من أشهرِ شخصيَّات القرْن الثاني الميلادي. ففي رسالةٍ إلى البابا، فيكتور أُسْقُف روما (189 ـ 199م) ذكرَ «بوليكراتيس الأَفَسُسي» اسْمَهُ من ضمنِ «كواكب الكنيسة في آسيا»، وهو يدْعوهُ «ميليتو البَتُول» (أي غير المتزوِّج) الذي عاشَ بكُلِّيَتِهِ في الرُّوحِ القُدُس، والذي يرْقُدُ في سارْدِس، منتظراً مكافأةَ السَّماء عندما يقومُ من الموت[2]. وإلى جانبِ ما ذُكِرَ في تلك الملاحظةِ القصيرة، لا نعرفُ إلا أقلَّ القليل عن حياتِهِ.

ولقد كان ميليتو كاتِباً غزيرَ الإنتاج، وكتَبَ في عددٍ كبيرٍ من الموضوعاتِ المتنوِّعةِ في النصْفِ الثاني من القرْنِ الثاني (ما بعد 150م).

في حوالي عام 170م، وجَّهَ ميليتو دفاعاً عن المسيحيِّين إلى الإمبراطور ماركس

= 29- التنبُّؤ بأنْ ستُثقَبُ يداهُ وقدماهُ (مز 22: 16، زك 12: 10). وتحقيقُها (يوحنا 20: 27، يوحنا 19: 37، 20: 25).

30- التنبُّؤ بأنَّه سيُقدَّمُ له خلٌّ ومرٌّ (مز 69: 21). وتحقيقُها (متى 27: 34، 48، يوحنا 19: 29).

31- التنبُّؤ بأنَّه سيسْمعُ كلماتٍ نبويَّةً تُعادُ على سمعِهِ استهزاءً به (مز 22: 8). وتحقيقُها (متى 27: 43).

32- التنبُّؤ بأنَّه يُصلِّي لأجلِ أعدائِهِ (مز 109: 4، اش 53: 12). وتحقيقُها (لوقا 23: 34).

33- التنبُّؤ بأنَّ جنْبَهُ يُثقَب (زك 12: 10). وتحقيقُها (يوحنا 19: 34).

34- ذكرُ إلقاء قرعة على ثيابِهِ (مز 22: 18). وتحقيقُها (مر 15: 24، يوحنا 19: 24).

35- لا يُكسَر له عظْمٌ (مز 34: 2، خر 12: 46). وتحقيقُها (يوحنا 19: 31 ـ 36).

36- يكونُ مع غنيٍّ عند موتِهِ (اش 53: 9). وتحقيقُها (متى 27: 57 ـ 60).

37- التنبُّؤ بقيامتِهِ من بين الأموات (مز 16: 10، مت 16: 21). وتحقيقُها (متى 28: 1 ـ 10، لوقا 24: 36 ـ 48، أع 2: 22 ـ 32).

38- التنبُّؤ بصعودِهِ (مز 68: 18). وتحقيقُها (لوقا 24: 50 ـ 51، أعمال 1: 9). راجع: **قاموس الكتاب المقدس**، ص861 ـ 863.

(1) سارْد أو سارْدِس، هي مدينة قديمة واقعة قرب سارت المعاصرة في محافظة مانيسا التركي. وكانت سارْدِس هي العاصمة للمملكة التاريخية القديمة مملكة ليديا، وهي إحدى المدن المهمة في الإمبراطورية الفارسية، ثمَّ مركز القنصل الرُّوماني تحت الإمبراطورية الرُّومانية، وهي المدينة الكبرى في إقليم ليديا في العصْرِ الرُّوماني والبيزنطي اللاحق.
وبصفتها إحدى كنائس آسيا السَّبع، فقد ذُكرت من قِبَلِ كاتب سِفْر رؤيا يوحنَّا بصفاتٍ يبدو أنَّها تومئُ إلى أنَّ سُكَّانَها يتَّصفونَ بنعومةٍ وجُبْنٍ مستهجنين.

(2) **Eusebius. Hist. Eccl.** 5: 24: 5

أوريليوس، ولم يبْقَ منه إلا شذرات حُفِظَت بواسطةِ يوسابيوس وفي كتابِ «Chronicon Pasxhale». وتوجدُ من ضمنِ هذه الشَّذَارت عبارةٌ ذاتُ أهميةٍ بالنِّسبةِ لمفهوم ميليتو عن علاقةِ الكنيسة بالدَّولة، فهو أوَّلُ من دافعَ عن فكرةِ تضامُن المسيحيَّة مع الدَّولة، فالدَّولةُ الدُّنيويةُ والدِّيانةُ المسيحيَّةُ أُختانِ في الرَّضاعةِ، إنَّهما يُشكِّلانِ معاً ثُنائياً. بالإضافةِ إلى أنَّ الدِّيانةَ المسيحيَّةَ تعني البركةَ والرَّخاءَ للإمبراطورية. جاءَ في تلك الشَّذرات:

«إنَّ فلْسفتَنا أصبحت فألاً حسَناً على إمبراطوريَّتِكَ، لأنَّه منذُ ذلك العهد - الذي لأُغسْطُس قيْصر - زادت قوَّةُ روما في الحجْمِ والعظَمة. وأنتَ الآن خليفتُهُ السَّعيد، وسيكونُ هذا أيضاً مع ابنِكَ إذا راعيْتَ الفلْسفةَ التي كبرَت مع الإمبراطوريةِ وبدأت منذُ عهد أغسْطُس، وكان أجدادُكَ يُبجِّلُونَها مع الأدْيانِ الأخرى. أما الدَّليلُ الأكثرُ إقناعاً على أنَّ ازدهارَ ديانَتَنا كان بركةً للإمبراطورية، التي كانت حينَها قد دُشِّنَت بسعادة، هي حقيقة كونها لم تُعانِ من أيَّةِ حوادثَ مؤسِفة منذُ عهد أغسْطُس، بل على العكس، كلُّ شيءٍ قد زادَ من عظمَتِها وشُهرَتِها في توافُقٍ مع الصَّلاةِ العامة»[1].

حتى وقتٍ قريبٍ، لم يكن لدينا من هذا الدِّفاعِ وأعمال ميليتو الأخرى سوى الشَّذرات الصَّغيرة أو العناوين التي حفَظَها كلٌّ من يوسابيوس[2] وأنسْتاسيوس السِّينائي[3]، ولهذا السَّبب كان أحدُ الاكتشافات الحديثة مثيراً للاهتمامِ بشكلٍ كبير، فقد اكتشَفَ «كامبل بونر» مقالاً لميليتو بعنوان «عِظَةٌ عن الآلام»، كاملاً تقريباً، وقد قامَ بنشْرِهِ. وكانت هذه العظةُ حتى ذلك الحين غيرُ معروفةٍ عنواناً، إلا أنَّه كان يوجدُ منها بعضُ شذراتٍ بلا عنوانٍ باللُّغاتِ السِّرْيانية والقبْطية واليونانية[4].

وكما يدُلُّ العنوانُ «عِظَةٌ عن الآلام»، تتناولُ العِظَةُ المُكتشَفةُ حديثاً آلامَ يسوع المسيح. وتُوحي الكلماتُ الافتتاحيةُ أنَّها عبارةٌ عن عِظَةٍ أُلقيت في قُدَّاسٍ بعد قراءةٍ من الكتابِ

---

(1) **Eusebius. Hist. Eccl.** 4: 26: 7 - 8.

(2) **Hist. Eccl.** 4: 26: 2.

(3) **Viae Dux** 12: 13.

(4) وتشَغُل تلك العظة الجزءَ الأخير من مخطوطةٍ برْديةٍ تعودُ إلى القرْنِ الرَّابع الميلادي تحتوي على الفصولِ الأخيرة من سِفْرِ أخنوخ، تنتمي ثماني أوراق منها إلى مجموعةِ تشيستر بيتي والمتحف البريطاني، وستُّ أوراقٍ إلى جامعةِ متشيجان.

المقدَّس، كما أنَّ موضوعَها يتناسبُ مع أسبوعِ الآلام، حتى إنَّ بونر يُطلِقُ عليها «عِظَةُ الجمعة العظيمة»[1].

وقد أُعيدَت فيها صياغةُ قصَّة الخروج - وخاصَّة تأسيس وليمة الفصْح - وفُسِّرت على أساسِ أنَّها رمزٌ لعمَلِ المسيح الخَلاصي، فلقد أصبحَ كلٌّ من الخروجِ والفصْحِ رمزاً لما حدَثَ لاحقاً عندما ماتَ يسوعُ وقامَ مُجدَّداً.

إنَّ آلامَ المسيح وموتَهُ ضمنَت للمسيحيِّ نجاتَهُ من الخطيَّةِ والفناء، كما أنَّ حمْلَ الفصْحِ المذْبوح ضمِنَ للعَبْرانيِّين الهروبَ من مصْر. إنَّ المسيحيِّينَ مثلُهُم مثلُ اليهود، قد خُتِموا كعلامةٍ على خلاصِهِم، لكن اليهودُ قد رفضوا الرَّبَّ وقتلوهُ كما تنبَّأَ الأنبياء. وبالرَّغمِ من أنَّ موتَ الرَّبِّ كان مُحدَّداً مسْبقاً، إلا أنَّ مسؤوليَّتَهُم عنه كانت باختيارِهِم[2].

وتكشِفُ لغةُ هذه العِظَة عن ولَعٍ بالكلماتِ الغريبةِ والشِّعْرية، والأدواتِ البلاغيةِ الأدبية. وأسلوبُ العِظَةِ الأدبي مُتكلِّفٌ للغايةِ ومصْطنع، كما أنَّ الطِّباقَ والجِناسَ لهما فيه مكانةٌ خاصة، وهذا يُفسِّرُ إشارةَ ترتليانوس لامتلاكِ ميليتو عبقرية ولباقة خطابية[3].

إنَّ عقيدةَ ألوهيَّة المسيح ووجودَهُ السَّابق الأزلي يُسيطرُ على تعليمِ ميليتو اللَّاهوتي، فهو يدْعوهُ: «إله»، «كلمة»، «آب»، «ابن»، «بكرُ الله»، «سيِّد»، «ملِكُ إسرائيل»، «ملِكُنا».

---

(1) وبما أنَّ ميليتو كان من أصحابِ وجهة النَّظَر الأربعشرية، إذن كان هذا اليوم يوافقُ يوم الاحتفال بعيدِ الفصْح اليهودي.

(2) مثل هذه التوازيات نلاحظُ أنَّها ستتكرَّرَ في التراثِ المسيحي، مثل:

1- **تشبيهُ سفينة نوح الخشبية التي كان فيها الخلاصُ والنجاةُ بخشبةِ الصَّليب** التي صُلِبَ عليها يسوع ففي الإيمانِ بها الخلاص.

2- **تشبيهُ يسوع في علاقتِهِ بالآب بإسْحاقَ في علاقتِهِ بإبراهيمَ** الذي همَّ بذبحِهِ، حيثُ عزَمَ إبراهيمُ على التَّضحيةِ بولدِهِ، كذلك عزَمَ الآبُ على التَّضحيةِ بابنِهِ يسوع.

3- **تشبيهُ يسوع مع بني إسرائيل بيوسُفَ مع أخوتِهِ من بني إسرائيل**، مكرُهُم به، محاولتُهُم قتلَهُ، سجن هذا مع اثنين وصُلِبَ ذاك مع اثنين... الخ.

4- **تشبيهُه بذبيحةِ الفصْح التي كان فيها نجاةُ بني إسرائيل** مع موسى من فرْعون بيسوع نفسِهِ الذي صُلِبَ كذبيحةٍ في يومِ الفصْح.

مع تجاهُلِ الاختلافات والفروق الكثيرة!

(3) **Jerome De Viris Illus.**: 24.

والحقيقةُ إنَّ استخدامَ لقب «آب» في الإشارةِ للمسيح هو استخدامٌ غيرُ معتاد، هو يأتي في فقرةٍ مهمَّةٍ تشرحُ وظائفَ المسيح المختلفة:

«لأنَّهُ قد وُلِدَ كابْنٍ، وسيقَ كحَمْلٍ، وقُدِّمَ ذبيحةً كشاةٍ، ودُفِنَ كإنسانٍ، قامَ من الموتِ كإلهٍ، كونُهُ بالطَّبيعةِ إنساناً وإلهاً. إنَّه هو كلُّ شيءٍ: هو القانونُ لأنَّه يحكُم، هو الكلمةُ لأنَّه يُعلِّم، هو النِّعمةُ لأنَّه يُخلِّص، هو الآب لأنَّه يلِد، هو الابنُ لأنَّهُ مولودٌ، هو الحمْلُ الذَّبيحُ لأنَّه قد تألَّم، هو إنسانٌ لأنَّه دُفِن، هو إلهٌ لأنَّه قام. هذا هو يسوعُ المسيح الذي له كلُّ المجْدِ إلى دهرِ الدُّهور»[1].

وهذا التطابُقُ الكامل بين المسيح واللَّاهوت نفسِهِ يمكن أنْ يُفسَّرَ في صالح «المودالية»، أي وحدة الرِّئاسة التي تُلْغي تمايُزَ الأقانيم، والتي ظهرت في فترةٍ لاحقة[2]. فإذا كان الأمرُ كذلك، فرُبَّما يُفسِّرُ هذا سببَ إهمال كتابات ميليتو وفقدانِها في آخرِ الأمر.

كليمِنْت الإسْكندري Dalexandrie Clement :

وُلِدَ كليمِنْت سنةَ 150م تقريباً من أبوين وثنيَّين، ثمَّ اهتدى إلى المسيحيَّة. ويمكنُ القولُ بأنَّه أوَّلُ «عالِمٍ مسيحيّ». فبالإضافةِ إلى معرفتِهِ بالكتابِ المُقدَّس، كان ضليعاً بالفلْسفةِ اليونانيَّةِ وآدابِها. وقد سافرَ من أثينا، مسْقطِ رأسِهِ، إلى الإسْكندرية، التي كانت تعتبرُ آنذاك مركزاً علْمياً ومُلتقى لثقافاتٍ مختلفة، حتى قيلَ إنَّ كلَّ المدارس الفلْسفيَّة والدِّينيَّة كانت مُمثَّلةً فيها.

ويمكنُ القولُ بأنَّه كان أوَّلَ عالِمٍ لاهوتيٍّ بادرَ في دفْعِ الكنيسةِ إلى دراسةِ العلوم غير المسيحيَّة، كالفلْسفةِ، واستخدامِها في فهمِ ومعرفة الوحي.

من أهمِّ تعاليمِهِ الكرسْتولوجية[3] هو شرحُهُ لعقيدةِ «اللُّوغوس»[4]. ويعتقدُ كليمِنْت أنَّ

---

(1) Bonner 8 – 10.

(2) انظر: ج. ويتلر، **الهرطقة في المسيحية**، ص69 – 72.

(3) «الكرستولوجيا» هي مجالُ دراسةٍ ضمنَ الثيولوجيا المسيحيَّة، مهتمَّةٌ بدراسةِ طبيعة يسوع، وخاصَّة كيفية ارتباط الألوهية والإنسانية في شخص يسوع.

(4) «اللُّوغوس» هي من أكثر الكلمات أهمية وأكثرها غموضاً في الفكرين الغربيِّين الدِّيني والفلْسفي، إذ تدُلُّ في سياقاتٍ شتَّى على مدلولاتٍ متعدِّدة، كالخطاب، واللُّغة، والعقل الكُلِّي، وكلمةِ الإله، من بين معانٍ أخرى. وقد انتقلت إلى الفلْسفةِ والعرفان الإسلامي، بنحوٍ يرادفُ: العقلَ الأول أو المشيئة أو الحقيقة المحمَّدية، بوصفِهِ أولَ ما صدَرَ عن اللهِ تعالى، وعنه أو منه صدرت الأشياءُ في الكون.

اللُّوغوسَ الذي ظهَرَ بطُرُقٍ عديدةٍ في العهدِ القديم، والذي ظهرَ في نهايةِ الزَّمان في يسوعِ المسيح، هو نفسُهُ الذي كان يُرشِدُ الفلاسفةَ بنفسِ الطَّريقةِ التي كان يُرشِدُ بها أنبياءَ العهدِ القديم تقريباً.

وهذا اللُّوغوس، وفقاً لكليمِنْت، هو الذي خلَقَ العالَمَ. فلا الظُّهورات في العهدِ القديم، ولا عملية التجسُّد كانت بداية وجود اللُّوغوس، بل إنَّه كان موجوداً مع الآبِ قبلَ أنْ توجدَ كلُّ هذه الكائنات.

اتُّهِمَ كليمِنْت بأنَّه دسوتي (يُنكِرُ ناسوتَ يسوع) غنوصِي، أو متأثِّرٌ بالغنوصِيَّة. فمثلاً ادَّعى كليمِنْت أنَّ المسيحَ لم يكن محتاجاً لعمليةِ هضْم الطَّعام، ولا لعمليةِ التبرُّز، ولم يكن يتأثَّر بأيِّ عطَشٍ أو جوعٍ أو ألَم![1].

تِرْتوليانوس Tertulianus:

وُلِدَ تِرْتوليانوس سنةَ 155م من أُسرةٍ وثنيَّةٍ غنيَّةٍ في قرطاجة بشمالِ أفريقيا. درَسَ القانون، ومارسَ مهنتَهُ في روما، وكان واسعَ الاطِّلاع في الفلْسفةِ والتاريخ. وفي نهايةِ القرْن الثاني (195م) اعتنقَ المسيحيَّةَ في روما، وعادَ إلى قرطاجة، وانتُخِبَ هناك شيخاً، وبقيَ في هذه الوظيفةِ إلى آخرِ حياتِهِ سنة 225م تقريباً.

كان تِرْتوليانوس أوَّلَ كاتبٍ من رجالِ الدِّين يكتُبُ باللَّاتينيَّةِ، وذلك أنَّ قادةَ الكنيسةِ الرُّومانيَّةِ ومفكِّريها كانوا يكْتُبونَ باليونانيَّةِ إلى ما بعد عهدِهِ. وأثرُهُ العميق الذي تركَهُ في مؤلَّفاتِهِ جعلَهُ يسْتحقُّ لقَب «أبي علْم اللَّاهوت اللَّاتيني».

له مؤلفاتٌ عديدةٌ، أهمُّها:

1. الأُمَم: وهو كتابٌ يُدافِعُ فيه عن المسيحيَّة.
2. الدِّفاع: وهو أيضاً يُدافِعُ فيه عن المسيحيَّةِ وعقائدِها وشعائرِها.
3. ضدَّ مارْقيون: ويعتبرُ أضخَمَ ما كتبَهُ تِرْتوليانوس من ناحيةِ الحَجْم، كما يُعتبرُ وثيقةً تاريخيةً بالغةَ الأهمية لمعرفةِ هرْطقة مارْقيون. يقعُ هذا الكتابُ في خمسةِ مجلَّدات.

أما أفكارُهُ الكرسْتولوجية، فإنَّ أهمَّ تلك التعليمات هي وصفُهُ لعقيدةِ الكلمة

---

(1) ربما تفنيداً لهذه الادِّعاءات التي تورَّطت في الغلو، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة، 75).

(اللُّوغوس)، ومتى وكيفَ ظهر؟ وقد استعمَلَ كلمةَ «حكمة» Sagesse عند التكلُّم عن الكلمة. و«الحكمةُ» و«الكلمةُ» صفتانِ يوصفُ بهما الأُقنومُ الثاني. إلا أنَّه يُميِّزُ بين الميلادِ الأوَّلِ لهذا الأُقنوم (الحكمة) الذي كان قبلَ الخليقة، وبين الميلادِ الكاملِ في لحظةِ الخليقة عندما نطَقَ اللهُ هذا اللُّوغس (الكلمة). فكان اللُّوغوس ساكناً في اللهِ كحكمةٍ، لكن عند عمليةِ الخلْق خرَجَ وظهَرَ لكي يعمَلَ مع اللهِ في خلْقِ العالَم، فصارَ كلمةً، وبعمليَّةِ الخروج أصبحَ اللهُ آباً واللُّوغوس ابناً.

ويؤمنُ تِرْتوليانوس بالتَّابعيةِ Subordinatianism، أو أولوية الآب على الابن. وتُعتبرُ الكنيسةُ هذا النَّوع من التعاليمِ شرْكٌ. إذْ إنَّه يقولُ بأنَّ خروجَ الابنِ من الآبِ يُشبِهُ تماماً خروجَ شُعاع الشَّمس من الشَّمس، فالشُّعاعُ هو ابنُ الشَّمس. والمصْدرُ هو الآبُ لما وُلِدَ منه. وبما أنَّ الابنَ خارجٌ من الآبِ مولودٌ منه فهو خاضعٌ له، وهو جزءٌ من الآبِ ولكن دون أن يتجزَّأ الآب. وهو يؤكِّدُ على أنَّ للمسيحِ طبيعتين: إلهيَّةٌ وبشريَّة، وقد اتحدَتا دونَ خلْطٍ وامتزاج.

ويُعتبرُ تِرْتوليانوس أوَّلُ من استعمَلَ في الحديثِ عن اللهِ لفْظَي «الأُقنوم» و«الثالوث» في اللَّاتينية، حتى أصبحت الأساسَ في المجْمَعِ النيقاوي بعد ذلك.

ويُقالُ إنَّه ما بين سنتي 202، 205م، آمنَ تِرْتوليانوس في بدعةِ المونتانيِّين[1] Montanism، حيثُ ادَّعى مونتانيوس أنَّه «البارقليط» الموعودُ به في إنجيلِ يوحنَّا، وكان المونتانيون يُحرِّمونَ الزَّواجَ واللَّحمَ والخمر. ولا نعرفُ إنْ كان قد رجَعَ إلى الكنيسةِ الجامعةِ مرَّةً أخرى قبلَ وفاتِهِ أم لا. ويرى القدِّيسُ جيروم أنَّه سيمَ كاهناً قبلَ سقوطِهِ في المونتانيَّة.

أوريجانوس Origene:

وُلِدَ أوريجانوس في الإسْكندريةِ حوالي سنة 185م، في كنَفِ عائلةٍ مسيحيَّة. وقد حفَظَ منذُ نعومةِ أظفارِهِ مقاطِعَ من الكتابِ المُقدَّس. وعندما عصَفَت موجةُ الاضْطهاد ضدَّ المسيحيِّين، أُودِعَ والدُهُ السِّجنَ واستُشهِدَ فيه، فدبَّت في روحِهِ رغبةَ الاسْتشهاد.

كان يميلُ إلى حياةِ التصوُّفِ والزُّهد، إلى درجةِ تطبيقِ ما وردَ في إنجيلِ متَّى حرْفياً:

(1) انظر: ج. ويتلر، **الهرطقة في المسيحية**، ص66 ـ 69.

«يوجدُ خِصْيانٌ خَصَوْا أنفُسَهُم لأجلِ ملَكُوتِ السَّماوات»،[1] الأمرُ الذي كلَّفَهُ الكثيرَ فيما بعد.

لعَبَ دوراً بالغَ الأهميةِ في اللَّاهوتِ المسيحي. فهو تلميذُ كليمِنْت، وقد ترأَّسَ مدْرسةَ الإسْكندرية اللَّاهوتية وهو لا يزالُ شاباً، وكان يقومُ بتدريسِ اللَّاهوت والكُتُب المُقدَّسة والفلْسفة اليونانيَّة والطَّبيعيَّة والحساب والهندسة والفلَك وغيرها.

أهمُّ كتابٍ له في ضبْطِ نصوص الكتاب المُقدَّس، يُدْعى السُّداسي، أو الكتاب المُقدَّس ذو الأعمدة الستَّة. فلقد وضَعَ العهدَ القديم كلَّهُ في أعمدةٍ ستَّةٍ متوازية، وهي: النصُّ العِبْري، النصُّ العِبْري بالحروفِ اليونانية، نصٌّ لترجمةٍ يونانيةٍ منسوبةٍ لمُترجمٍ يُدْعى «أكويلة»، نصٌّ لترجمةٍ يونانيةٍ أخرى، نصٌّ خامسٌ وهو الترجمة اليونانيَّة السَّبْعينيَّة، ونصٌّ سادسٌ هو أيضاً لترجمةٍ يونانيَّةٍ حصلت سنة 180م.

كان أوريجانوس يعتقدُ أنَّ كلَّ شيءٍ يرجِعُ إلى الله، لا إلى اللُّوغوس. وشدَّدَ على حقيقةِ أنَّ اللهَ هو الأوَّلُ، وهو الخالِقُ، الذي عن طريقِ الكلمةِ خلَقَ كلَّ الأشياء. وعمليةُ الخلْقِ كما يراها هي أنَّ الموجوداتَ خلَقَها اللهُ عن طريقِ كلمتِهِ أي «اللُّوغوس». وقد خلَقَ اللهُ في البدايةِ عنصرينِ هامَّينِ في تكوينِ العالَم، ومنهما تكوينُ العالَمِ الذي نحنُ فيه، وهما:

الأول: الأرواح، وهي تتمتَّعُ بحُرِّيةٍ كاملة، ولقد دعى هذه الأرواحَ للاتِّحادِ مع كلمتِهِ اللُّوغوس، وعن طريقِ اتِّحادِها مع اللُّوغوس تتَّحِدُ أيضاً مع الله. وكانت هذه الأرواحُ من جوهرٍ إلهي، لكن كان ينقُصُها شيءٌ واحدٌ، وهو عمَلُ الخير.

الثاني: المادَّة، فهي من مخلوقاتِ الله، ولكن لا هذه المادَّة الثَّقيلة الكثيفة، بل المادَّة الخفيفة المُنيرة. ومن خلالِ سكون الأرواح في هذه المادَّة، وبعد اختيارِها للخيرِ أو الشرِّ، انقسمت إلى ثلاثةِ أقسام:

1. أرواحٌ اختارت بحُرِّيتِها الاتِّحادَ بالله، باللُّوغوس، وتُدْعى «الملائكة».
2. أرواحٌ ثارت على اللهِ وعصَت أوامِرَهُ، وهم «الشَّياطين».
3. أرواحٌ اتَّخذَتْ موقفاً وسطاً، وهي الجماعةُ البشريَّة. ونتيجةُ عدم اتِّحادها باللهِ فقط، سقطَت في جسَدِ العالَمِ الأرضي.

---

(1) **إنجيل متى** 19: 12

ومن هذه المقدِّمة ننتقِلُ إلى فكرةِ التجسُّد عند أوريجانوس، فهو يعتقدُ بأنَّه من المستحيلِ أنْ تتَّحدَ الطَّبيعةُ الإلهيَّةُ بجسَدٍ بشري، ولكن لا بدَّ من وجودِ وسيطٍ لتتمَّ عمليةُ الاتِّحاد الإلهي/ البشري. والوسيطُ هو الرُّوحُ البشري، لأنَّ لها المكانةَ الوسطى، ولهذا فهي تستطيعُ أنْ تتَّحِدَ بالله، وكذلك تستطيعُ أنْ تتَّحِدَ بالجسَد. ولم يوجد بين كلِّ هذه الأرواح الوسطى إلا روحٌ واحدةٌ قد التصَقَت باللُّوغوس التصاقاً لا يقبَلُ الانفصام، لذا فهي لم تسْقُط إلى العالَمِ الأرضي كبقيَّةِ الأرواح. وعندما أرسلَ اللهُ ابنَهُ مولوداً من امرأةٍ، صارت تلك الرُّوحُ روحاً للإنسانِ يسوع بعد التجسُّد. وهذه الرُّوحُ تشبهُ تماماً أرواحَنا، ولكنَّها طاهرةٌ قبلَ وبعدَ اتِّحادِها بجسَدِ يسوع.

ويستعملُ أوريجانوس مثَلَ الحديدِ والنار لكي يشْرح عمليةَ اتِّحاد اللَّاهوت بالناسوت، فإنَّ الحديدَ لا يجْمُر ولا يتحوَّل إلى النارِ إلا بفعلِ النار، وكذلك فإنَّ روحَ وجسَدَ المسيح لم تتألَّه إلا بفضْلِ اللُّوغوس الذي سكنَ فيهِما ورفعَهُما إلى درجةِ الألوهية.

ولهذا اعتبرَ البعضُ تعاليمَ أوريجانوس منحرفةً، لأنَّ في الكثيرِ من كتاباتِهِ ذهبَ إلى تأليهِ جسَد المسيح، فضْلاً عن روحِهِ. ويُؤكِّدُ البعضُ أنَّ آراءَهُ وتعابيرَهُ الموضوعةُ للثالوث، كانت فيما بعد أحد الأسباب لنموِّ هرطقةٍ كاملةٍ في الكنيسة[1].

المسيحيَّةُ والإمبراطوريَّةُ الرُّومانيَّة:

في بدايةِ الأمر عانى المسيحيُّونَ في الإمبراطوريَّةِ الرُّومانيَّةِ من الاضْطهاد، ممَّا دفَعَ بعضَ الأساقفةِ في القرْنِ الثاني إلى كتابةِ رسائلَ إلى الإمبراطور مِرْقس أوريليوس المعروف بـ «الفيلسوف»، مدافعينَ فيها عن المسيحيِّينَ المضْطَهدين، وعرْضِ عقيدتِهِم كحكمةٍ في الحياة، مُبْرزين التوافُقَ المُحيِّر بين قيامِ الإمبراطوريَّة وظهورِ المسيحيَّة.

سهَّلَت الإمبراطوريَّةُ الرُّومانيَّةُ سُرْعةَ التَّبشيرِ بدعوةِ المسيحِ في سائرِ أنحاءِ حوض المتوسِّط، لوحدةِ اللُّغة (اليونانية) ووحدةِ الكيان السِّياسي (دولةٌ مترابطةٌ مترامية الأطراف). في هذا التَّبشير لم تحاول الجماعةُ المسيحيَّةُ أنْ تفرِضَ فيه ثورةً اجتماعية، بل ركَّزَت تعاليمَها على أنَّ جميعَ الناسِ متساوونَ أمامَ الله. وفي عالِمٍ جائرٍ، كان العبيدُ والفقراءُ والنِّساءُ والأطفالُ يشْعرونَ بحاجةٍ إلى من يُنقِذُهُم من هذا الوضْعِ المأساوي. فوجدوا في المسيحيَّةِ كدينٍ جديدٍ ما يشْفي غليلَهُم. فهي تدعو من خلالِ تعاليمِها إلى رفْعِ الفُرُوقاتِ

(1) علي الشيخ، لاهوت المسيح، مركز الأبحاث العقائدية، ص140 ـ 152.

الاجتماعيةِ بين طبقاتِ الشَّعب. وأيضاً من خلالِ رفعِ شِعارِ العدالة، كانت تدعو إلى رفْعِ الظُّلْمِ عن الضُّعفاءِ والفقراءِ، وإعطاءِهِم حقوقاً متساويةً مع الأغنياء.

في ظلِّ هذه الظُّروف، بدأَ عددُ المسيحيِّين يأخُذُ بالازدياد. وقد أصبحوا مُتميِّزينَ عن اليهودِ الذين كانوا ينْعمونَ بوضْعٍ قانونيٍّ خاصّ، ويحاولون أنْ يُفهموا السُّلُطات أنَّ المسيحيِّينَ لم يعودوا بعضاً منهم. وما إنْ بدأَ المسيحيُّون يُشكِّلونَ أقليَّةً ذات أهمية، حتى راحت تدورُ حولَهُم التَّساؤلات.

فالمسيحيَّةُ قادِمةٌ من الشَّرْق، ومعظَمُ المسيحيِّين مهاجرونَ يصْعُبُ فهمُ عاداتِهم. لذا كان العالَمُ الرُّومانيُّ ينظُرُ إلى هؤلاءِ المسيحيِّين بعينِ الارتيابِ والضَّغينة. ومن أجلِ ذلك، تعرَّضوا للاضْطهادِ وتوجيهِ الاتِّهاماتِ لهم.

وهناكَ اتِّهاماتٌ كثيرةٌ وُجِّهَتْ إلى المسيحيِّينَ في الإمبراطوريَّةِ الرُّومانيَّة، ومنها: إنَّهم مُلْحِدون، والدَّليلُ على إلْحادِهِم عدَمُ مشاركتِهم في العباداتِ التَّقليدية، وعبادةِ الإمبراطور، والعباداتِ الخاصَّةِ بالدِّياناتِ الشَّرْقيَّة. وهذا الموقفُ يُعَدُّ ضرْباً من الانحراف، من شأنِهِ أنْ يُهدِّدَ توازُنَ الدَّولة، وأيضاً يؤدِّي إلى أنْ تنتقِمَ الآلهةُ بإطلاقِ الكوارث، كالفيضاناتِ والزَّلازلَ والأوبئةِ وغزوات البرابرة. والرَّأيُ السَّائدُ يقول إنَّ للمسيحيِّينَ عبادةً لا يجوزُ الإعلانُ عنها، هي عبادةُ لصٍّ ماتَ مصْلوباً!

بالإضافةِ إلى ذلك، فإنَّ هناك تُهمةً أخلاقيَّةً وُجِّهَت إليهم، وهي أنَّهم يرتكِبونَ الزِّنا مع المحارِم. فالغرَضُ من اجتماعاتِهِم اللَّيليَّة في الولائمِ إنَّما هو الاستِسْلامُ إلى المجون، وإلى أقبَحِ أنواعِ الفجور بين الأخوةِ والأخوات، والمحارِمِ فيما بينهم.

وأخيراً وُجِّهَتْ إليهم تُهمَةُ أكل لحوم بشريَّة. فالجسَدُ الذي يأكلونَهُ، والدَّمُ الذي يشْربونَهُ، هما جسَدُ ودمُ طفلٍ يُقدِّمونَهُ ذبيحةً بوصفِها شعيرة من الشَّعائر!

وقد انتشرت هذه الاتِّهاماتُ انتشاراً سريعاً، وظلَّ الجميعُ يحتقرونَ المسيحيِّينَ على مدى سنواتٍ طِوال، باعتبارِهِم أُناسٌ سُذَّجٌ يستغِلُّهُم رؤساؤُهُم. ولم يكتَفُوا بذلك، بل ما لبِثَ المُفكِّرونَ أنْ راحوا يتقصَّوْنَ الحقائقَ، ويُطالِعونَ أسفارَهُم، ويكتُبُونَ رُدوداً صارمةً بحقِّ المسيحيَّة. وفي هذه المرَّةِ انتقدوا المسيحيَّةَ من ثلاثِ جهات: اجتماعيةٍ وعقائديةٍ وفكرية. وهي ترتكزُ على أنَّ المسيحيِّينَ جُهَّالٌ وسُذَّج، إذْ انضمَّ إلى المسيحيَّةِ جماعةٌ من الطَّبقاتِ الاجتماعيةِ الدُّنيا، من عُمَّالَ يدويِّينَ مُحتَقَرين. كما كان المُبشِّرونَ يُوجِّهونَ دعوتَهُم إلى النِّساءِ والشَّبابِ والعبيد، مستغلِّينَ سهولةَ تصديقِهِم. ولم تكن المسيحيَّةُ تُقِرَّ

قِيَم الحضارة الرُّومانيَّة، التي كان تُولي المكانةَ الأولى فيها للأغنياءِ فقط. ولذلك اتُّهِمُوا بأنَّهم يريدونَ نقْضَ النِّسيج الاجتماعي للرُّومان بهذه الجهالات.

وأيضاً اتُّهِموا بأنَّهم مواطنونَ أشرار؛ إذْ لم يكن المسيحيُّونَ يُشاركونَ في تقديمِ العبادةِ للدَّولةِ ولا للإمبراطور. أضِفْ إلى ذلكَ رفضُهُم وظائفَ الدَّولةِ والخِدْمةَ في الجيش. فهم إذن غيرُ مهتمِّينَ بالأمورِ السِّياسيَّةِ وبأمنِ الإمبراطوريَّة. وقد كتَبَ أحدُ القادةِ في الجيشِ الرُّوماني إلى الإمبراطور الذي كان يُحارِبُ الألمان على ضفافِ الدَّانوب: «لو أنَّ جميعَ المواطنينَ سلكوا سُلُوكَ المسيحيِّينَ لسقَطَتْ على الفورِ الإمبراطوريَّة». فالمسيحيُّونَ بطريقةِ تفكيرِهِم يُشكِّلُونَ خطَراً على الدَّولة، لأنَّهم يبْتعدونَ عن الدُّنيا والدَّولة، ويهتمُّونَ فقط بالجانبِ الرُّوحي والمعنوي.

وأخيراً فقد انتقَدَ بعضُ المُفكِّرين العقيدةَ المسيحيَّةَ، واعتبروها مناقضةً للعقل، خصوصاً في قضايا عقائدية مهمَّة، مثل عقيدة «التجسُّد» (= الله تجسَّدَ في إنسانٍ وهو يسوع المسيح). فاللهُ الكاملُ وغيرُ القابلِ للتَّغييرِ لا يُمكِنُهُ أنْ يتجسَّدَ طفلاً. ثمَّ لماذا جاءَ التجسُّدُ متأخِّراً؟ وغيرِها من الاعتراضاتِ الأخرى.

أما تعاليمُهُ، فهي نُسْخةٌ مُحرَّفةٌ عن تعاليمِ مصْرَ واليونان القديمة، وليست قيامةُ الأجسادِ سوى أُكذوبةٌ غريبة. ويرى البعضُ في العهدينِ القديمِ والجديد نسيجاً من أقاصيصَ بذيئة تتحدَّثُ عن اللهِ وكأنَّه إنسانٌ. أما أخبارُ آلامِ المسيح في الأناجيلِ الأربعة، فهي تُناقِضُ بعضَها بعضاً، والشَّعائرُ المسيحيَّةُ غير أخلاقية، فالعمادُ يُشجِّعُ على الرَّذيلةِ، إذْ كيف يغفِرُ قليلٌ من الماءِ كلَّ الخطايا وبلْحظةٍ؟

أمامَ هذه الاتِّهامات، كان على المسيحيِّينَ أنْ يُدافعوا عن أنفُسِهِم. فابتغوا في كتاباتِهِم عرْضَ العقيدة المسيحيَّة، والإجابةَ عن الإشكالات.

والواقعُ أنَّ المسيحيِّينَ لم يكونوا عُرْضةً للاضْطهادِ «طوالَ» القرون الثلاثة الأولى في الإمبراطوريةِ الرُّومانية، كما يُصوِّرهُ البعض. فقد أخذَتْ الاضْطهاداتُ أشكالاً مختلفة. ولذا يمكنُ أنْ نقولَ إنَّ المسيحيِّينَ عاشوا طوال القرون الثلاثة الأولى حالةَ عدم أمان محدود، إلى أنْ تغيَّرت الأمورُ بشكلٍ مذهلٍ في بدايةِ القرْن الرَّابع الميلادي، وهذا ما يُعبِّرُ عنه في

المسيحيَّةِ بـ «نشأةِ الكنيسة القسْطَنْطينيَّة»، واعتناقِ الإمبراطور قسْطَنْطين للدِّينِ المسيحي، ممَّا أدَّى إلى انتشارِهِ في كلِّ أنحاء الإمبراطورية الرُّومانيَّة، ومن ثمَّ في جميعِ أنحاء العالَم[1].

«وملاكُ القول إنَّ الاعتقادَ بعودةِ المسيح الثانية هي التي أقامت صرْحَ المسيحيَّة، وأنَّ الأملَ في الدَّارِ الآخرةِ هو الذي أبقى عليها»[2].

قسْطَنْطين وكنيسةُ القسْطَنْطينة:

يمكنُ اعتبارُ اعتناق الإمبراطور قسْطَنْطين للدِّينِ المسيحيِّ في القرْن الرَّابع الميلادي أهمَّ حدَثٍ تاريخيٍّ في حياةِ الكنيسةِ المسيحيَّة؛ إذْ تبدَّلَ حالُ المسيحيِّينَ بعد اهتدائِهِ من أقليَّةٍ مغمورةٍ ومهمَّشةٍ إلى أكثريةٍ ساحقة، لها الحكْمُ والفصْلُ على مدى قرونٍ متمادية، وأصبحَ دينُهُم هو الدِّينُ الرَّسمي للإمبراطوريَّةِ الرَّومانيَّةِ خلالَ هذه الفترة.

كان قسْطَنْطين إمبراطوراً في الغرْب. وأما في شرْقِ الإمبراطوريَّةِ الرُّومانيَّة، فقد كان ليقينيسوس إمبراطورَ الشَّرْق، وهو وثنيٌّ غيرُ مسيحيّ، وقد أغدَقَ على المسيحيِّينَ ليكسَبَ ودَّهُم. ولكن الأمرُ تغيَّرَ في سنةِ 320م، عندما شبَّ الخلافُ بين الإمبراطورين، فلجأَ ليقينيسوس إلى التَّضييقِ على المسيحيِّين، وأمرَ بإبعادِهِم عن البلاطِ والوظائفِ الكبرى. فدُمِّرَت بعضُ الكنائسِ وصادروا الأموالَ وساقوا المؤمنينَ للعمَلِ في المناجِم، بل وحُكِمَ على بعضِهِم بالإعدام.

وفي سنةِ 323م، أعلَنَ قسْطَنْطين حرْباً شعواءَ ضدَّ ليقينيسوس والوثنيَّة. وقد انتصَرَ قسْطَنْطين، وهُزِمَ ليقنيسوس في معركةِ جسْر ملفيوس - على بُعدِ ميلينِ من روما - في 312م، وقُتِل. واستتبَّ الأمرُ لقسْطَنْطين وحدَهُ في الشَّرْقِ والغرب، وذلكَ سنة 324م، فأعادَ الأموالَ المُصادَرة، وأعتَقَ العاملينَ في المناجِم، وقدَّمَ معوناتٍ للكنائسِ من الأموالِ العامةِ للدَّولة. وهنا بدأت الكنيسةُ تتنفَّسُ الصُّعداءَ وتشعُرُ بالحُرِّية.

لكن قسْطَنْطين لم يكن مسيحيّاً مثالياً في الواقع، فإنَّه لم ينَل سرَّ العماد (من دونِهِ لا يعتبرُ مسيحيّاً) إلا على فراشِ الموت سنة 337م. وقد ارتكبَ جرائمَ كثيرةً تدُلُّ على أخلاقٍ بعيدةٍ عن الرُّوحِ المسيحيَّةِ وتعاليمِ يسوع.

---

(1) علي الشيخ، **دروس في المسيحية**، ص39 - 41.

(2) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص291.

ويمكنُ اعتبارُ هذا التاريخ البدايةَ الحقيقيَّةَ للإمبراطوريَّةِ المسيحيَّة، إنْ صحَّ التعبير[1].

وُلِدَ قسْطَنْطين سنةَ 280م، وهو ابنُ قسْطَنْسيوس كلورس، الذي كان إمبراطوراً متسامحاً، وأمُّهُ هيلانة الزَّوجةُ المسيحيَّة. اعتنقَ قسْطَنْطين المسيحيَّةَ في عام 312 أو 313م، أما الظُّروفُ التي دفعَتْهُ لاعتناقِ هذا الدِّين، فليست واضحةً إلى يومِنا هذا.

كتَبَ وِلْ ديورانت: «تُرى هل كان قسْطَنْطين حين اعتنَقَ المسيحيَّةَ مُخلِصاً في عملِهِ هذا؟ وهل أقدَمَ عليه عن عقيدةٍ دينيَّة؟ أو هل كان ذلك العمَلُ حركةً بارعةً أملَتْها عليه حكمتُهُ السِّياسية؟ أكبرُ الظنِّ أنَّ الرَّأيَ الأخير هو الصَّواب»[2].

روما والقسْطَنْطينية:

قرَّرَ قسْطَنْطين أنْ يَبْقى في الشَّرْق، ويُؤسِّسَ عاصمةً جديدةً للإمبراطوريَّة، فاختارَ مدينةً صغيرةً تُدْعى «بيزنطة» في تركيا، وشيَّدَ فيها مقرَّ الحُكْم، فأصبحَ اسْمُها «القسْطَنْطينيَّة»[3]. ويُقالُ إنَّ اللهَ هو الذي أوحى إليه بهذا الموقعِ في الحُلْم. وتمَّ الاحتفالُ بالتأسيسِ في سنة 330م.

وكان لتغييرِ العاصمة نتائجَ هامَّة، أثَّرَتْ في الإمبراطوريةِ وفي الكنيسةِ على السَّواء. فقد ادَّعتْ القسْطَنْطينية أنَّها روما الثانية، أي الكنيسةُ الثانيةُ بعد كنيسةِ روما. واستقطبَتْ حولَها جميعَ المسيحيِّينَ ذوي الثَّقافةِ اليونانيَّة. أيضاً كان تأسيسُ العاصمةِ الجديدةِ يحتوي على بذْرةِ تقسيم الكنيسة، الذي تمَّ فيما بعد.

ومنذُ سنة 315م، ظهرَت في النُّقودِ العلاماتُ المسيحيَّةُ (أحرُف اسْم المسيح). وكانت العُمْلةُ في تلكَ الأيام أداةَ دعايةٍ عالميَّة. وكان الإمبراطورُ يعتبرُ نفسَهُ مساوياً لتلاميذِ المسيح. وأخذَ المسيحيُّونَ يتقبَّلونَ ما للإمبراطور من طابعٍ مُقدَّس، ويعتبرونَهُ رئيساً للأمَّةِ المسيحيَّةِ، فهو موسى الجديد، وداود الجديد، وبهذه الصِّفة كان يدعو إلى عقْدِ المجامِعِ الرَّسميَّةِ للكنيسة.

ولأنَّه كان يهَبُ لهم مبانيَ رسْميَّة وقصورَ لتُستعمَلَ استعمالاً دينيّاً، كان المسيحيُّونَ

(1) علي الشيخ، **دروس في المسيحية**، ص41 ـ 42.

(2) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص387.

(3) وشيَّد فيها التحفة المعمارية: كاتدرائية «آيا صوفيا» الشَّهيرة في اسطنبول بتركيا، التي تحوَّلت إلى مسجد، ثمَّ تحوَّلت إلى متحف، وتطالبُ بعضُ الجمعيات المسْلِمة بإعادتهِ مسجداً.

يعترِفونَ بفضْلِهِ عليهم. كما أمَرَ ببناءِ أماكِنَ رائعة للصَّلاة، ككنيسةِ القدِّيس بُطْرُس في الفاتيكان، وكنيسةِ القبْر المُقدَّس (كنيسة قيامة المسيح)، وكنيسةِ بيتْ لَحَم (موقع ميلاد المسيح)، وجميعِ كنائس القسْطَنْطينيَّة. وأهدى للأساقفةِ هدايا كثيرة، وكانت الجماعاتُ المسيحيَّةُ تقبَلُ الهِباتَ المُقدَّمة من الإمبراطور. فجمعَتْ الكنيسةُ ميراثاً ضخْماً، وحصَلَ رجالُ الدِّينِ على امتيازاتٍ قانونيَّة، واعتُبِرَ الأساقفةُ مساوين للحُكَّام.

وكانت الأدْيانُ القديمةُ لا تزالُ موجودةً، بل كان الدِّينُ التقليديُّ مُتأصِّلاً بقوَّةٍ في الحياةِ الثَّقافيةِ والاجتماعيةِ في الإمبراطوريَّة. وفي القرْنِ الرَّابع بدأت المسيحيَّةُ تُضيِّقُ الخِناقَ على الدِّينِ القديمِ يوماً بعدَ يوم. إذْ إنَّ الأباطرةَ، وتحت ضغْطِ المسيحيِّين، كانوا يُحرِّمونَ شيئاً فشيئاً إقامةَ الطُّقوس الوثنيَّة. فقد قامَ قسْطَنْسيوس بتحريمِ تقديم الذَّبائح للأصْنام، وإغلاقِ المعابد الوثنيَّة، وإصدارِ عقوبة الإعدام بحقِّ المخالفين، وذلك سنةَ 356م.

ولكن سُرعْانَ ما استعادَت الوثنيَّةُ قوَّتَها على عهدِ الإمبراطور يوليانس 361 – 363م، الذي لقَّبَهُ المسيحيُّونَ بـ«الجاحِد». فقد تربَّى تربيةً مسيحيَّة، لكنَّه ارتدَّ إلى الوثنيَّةِ حين أصبحَ إمبراطوراً. وكان مولَعاً بالأدبِ الكلاسيكي، فحاولَ أنْ يُحْيي الدِّينَ التقليدي، ونَدَّدَ بالمسيحيَّةِ في كتابِ الرَّدُّ على الجليليِّين، باعتبارِهِم أتباعَ المسيح المُنْحدرينَ من مدينةِ الجليل.

وبعد وفاتِهِ، اتَّخَذَ خلفاؤهُ الكثيرَ من التَّدابيرِ لمُحاربةِ الوثنيَّة، فقد أعلنَ ثيودوسيوس في سنةِ 380م أنَّ الدِّينَ المسيحي الكاثوليكي هو دينُ الدَّولة، وأخذَ يُلاحِقُ أهلَ البِدَعِ والوثنيِّين. وحُرِّمَت في سنةِ 392م كلَّ ممارسةٍ وثنيَّة. فكانت هذه هي الضَّربةُ القاضيةُ التي أُصيبَ بها الدِّينُ القديم. وكفُّوا عن الاحتفالِ بالأعيادِ الوثنيَّة، ودُمِّرَت المعابدُ كلُّها تقريباً مع نهايةِ القرْن الرَّابع، وأصبحَ المُضْطَهدونَ مُضْطَهِدين، والعكسُ بالعكس. وبعدَ أنْ كانت سُلْطةُ الدَّولةِ في خدمةِ الوثنيَّة، صارت اليومَ في خدْمةِ المسيحيَّة.

كتَبَ وِلْ ديورانت: «وقُصارى القول إنَّ الدُّنيا جعلَت المسيحيِّين رجالَ دُنيا، في الوقتِ الذي هدَت فيه المسيحيَّةُ العالَمَ إلى ذلك الدِّين، وأظهرت الدُّنيا ما في الفطْرةِ البشريَّةِ من غرائِزَ وثنيَّة. وقامت الرَّهبنةُ المسيحيَّةُ احتجاجاً على هذا التَّوفيقِ المتبادَل بين الرُّوحِ والجسْم»[1].

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص390.

ومنذُ سنة 325م، أصبحَ يومُ الأحد يوم عُطْلةً رسْميةً. وكذلك أصبحَ من أعيادِ المسيحيَّةِ الكبرى.

وفي القرْنِ الرَّابع، ظهَرَ عيدانِ في يومينِ ثابتَيْن. ففي الشَّرْق، احتُفِلَ بعيدِ الظُّهور، في اليومِ السَّادسِ من يناير/ كانون الثاني، بظهورِ اللهِ على الأرض، أي بميلادِ المسيح، وكان هذا اليومُ يومَ «رَعْ» عيدُ إلهِ الشَّمس في مصْر. وفي الغرْب، أخذوا يحتلفونَ في يومِ 25 ديسمبر/ كانون الأول بميلادِ المسيح، وكان ذلك اليومُ يومَ الاحتفال الوثَني بالشَّمسِ غير المهزومة، حين كان النَّهارُ يأخُذُ في الطُّول. وفي نهايةِ القرْن الرَّابع، كان العيدانُ يُقامانِ في الغرْبِ وفي الشَّرق، وحسبَ التواريخ المختلفة هذه، وما زالت هذه الأعيادُ بهذا الشَّكلِ إلى يومِنا هذا.

وخلاصةُ الأمرِ أنَّ المسيحيَّةَ انتشرت داخلَ حدود الإمبراطوريَّة، وأصبحت المُدُنُ مسيحيَّةً في أغلبيَّتِها، بل جميعِها. ونسِيَ المسيحيُّون عندما كان أجدادُهُم مضْطَهَدين، فكانوا في بعضِ الأحيان يُدمِّرونَ ما بقِيَ من المعابدِ الوثنيَّة. وركَّزَ الأساقفةُ جهودَهُم على تبشيرِ الرِّيف، فكان المُبشِّرونَ يقْطعونَ الأشجارَ ويحرِقونَ المعابدَ ويُشيِّدُونَ على رمادِها الكنائسَ الكبيرةَ والصَّغيرة.

وهناك قصَّةٌ في القرآنِ أشارت إلى هذه المسألة، أي بيان أنَّ المسيحيِّينَ كانوا أقليَّةً مضْطَهدة في يومٍ ما، ثمَّ تحوَّلوا إلى أكثريةٍ ساحقة، وذلك من خلالِ سرْدِهِ لقصَّةِ أصحاب الكهف، وقد اختَلَفَ المُفسِّرون في التاريخِ الدَّقيقِ لهذهِ القصَّة[1].

هل امتزجَتْ المسيحيَّةُ بالوثنيَّة؟

يرى كثيرٌ من الباحثينَ اليوم أنَّ المسيحيَّةَ سرعانَ ما امتزجَتْ في القرونِ الأولى لنشأَتِها بالوثنيَّة.

---

(1) علي الشيخ، **دروس في المسيحية**، ص42 ـ 44.

أقول: وقالوا إنَّ قصَّةَ أصحاب الكهف القرآنية هي مقتبسةٌ من قصَّةٍ تراثيةٍ قديمةٍ عُرفت باسْم «قصَّة النِّيام السَّبْعة». وتعليقاً على هذا القول، إليكَ هذا التقرير الموجز.

كتَبَ الباحثُ فراس السوَّاح ـ المُتخصِّص في الميثولوجيا والأدْيان القديمة ـ قائلاً: «لا يوجدُ في كتابِ العهدِ القديم، أو في كتابِ العهدِ الجديد خبرٌ عن أصحابِ الكهف. فهذه قصَّةٌ مسيحيَّةٌ متأخِّرة، جرى تداوُلها في العصْرِ الذي صارت فيه المسيحيَّةُ ديناً رسْميّاً للإمبراطوريةِ الرُّومانيَّة، بعد تحوُّل الإمبراطور قسْطنطين (306 ـ 337م) إلى الدِّينِ المسيحي. وأوَّلُ نصٍّ مُدوَّنٍ لهذه القصَّة هو نصٌّ سرْيانيٌّ، يعودُ بتأريخِهِ إلى أواخرِ القرْن الخامس الميلادي. ويبدو أنَّه قد اعتمَدَ مرويَّاتٍ شفهيَّةٍ متداولة أكثرَ قِدَماً». =

تجسَّدَ هذا المعتقدُ العامُّ في القرْنِ التاسِع عشر على يدي الكاتبينِ كيرسي غريفز

= ثمَّ تحدَّثَ الباحثُ عن «مناسبةِ نزول الوحي» بالقصَّةِ على نبيِّ الإسلام، ونقَلَ ما قالَهُ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه، ومنه أنَّ النبيَّ محمَّداً (ص) قد سُئِلَ عن خبَرِ أصحاب الكهف، فأجابَ (ص) بعد تأخُّرِهِ خمسةَ عشَرَ يوماً عن الموعدِ الذي وضعَهُ لنفْسِهِ بنصٍّ يشتمِلُ على شكلٍ معيَّنٍ لقصَّتِهم، ومن ضمنِهِ نهيُ القرآن لمحمَّدٍ (ص) عن قول ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. (الكهف، 23 ـ 24). راجع: السوَّاح، **أهلُ الكهفِ بين الأدبِ السُّرْياني والقرآن**.

وجاءَ في الموسوعةِ الكاثوليكيَّةِ عن «قصَّة النِّيام السَّبْعة في أفَسُس»: «القصَّةُ هي واحدةٌ من أمثلةٍ عديدةٍ للأُسطورةِ التي تتحدَّثُ عن رجُلٍ ينامُ لسنين، ثمَّ يصحو بعد ذلك ليجِدَ العالَمَ قد تغيَّر. قد تمَّ سرْدُها باليونانيَّةِ بواسطةِ Symeon Metaphrastes في كتابِهِ Lives of the Saints، ونقلَها Gregory of Tours إلى اللاتينية. وهناك نُسْخةٌ سرْيانيَّةٌ بواسطةِ James of Sarug (ت 521م)، والتي منْها نُقِلَت النُّسَخ باللُّغاتِ الشَّرْقية». **الموسوعة الكاثوليكية** في http://www.newadvent.org/cathen/05496a.htm بعنوان The Seven Sleepers of Ephesus.

وهنا أرى من الضَّروري الالتفات إلى الملاحظاتِ التالية:

1- أنَّ القصَّةَ الواحدة قد صيغت بطُرُقٍ مختلفةٍ جدّاً، إلى درجةٍ يصْعُبُ معها اعتبارها قصَّةً واحدة، بل يستحيلُ علْمياً إثباتُ أنَّ هذه الصِّيغةَ من القصَّةِ هي الواقعية دون تلك. وربَّما لهذا السَّبب قالَ القرآنُ موصياً النبيَّ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف، 22).

2- لا شكَّ أنَّ قصَّةَ أصحاب الكهف القرآنية شبيهةٌ بقصَّةِ النِّيام السَّبْعة.

3- لا شكَّ بأنَّ العقلَ يصعُبُ عليه أنْ يُصدِّق بها للوهلةِ الأولى، وقد يحسبُها من الأساطير، لذا قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف، 9)، حتى يكسِرَ سَوْرَةَ الاستبعاد.

4- وفقاً لبعضِ المعطيات التاريخية، لا شكَّ أنَّ قصَّة النِّيام السَّبْعة أقدَم من الناحيةِ التاريخيَّةِ من القصَّةِ القرآنية. والقرآنُ يعترفُ بذلك ضمْنيّاً عندما يقول: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (الكهف، 22).

5- قصَّةُ النِّيام السَّبْعة لم ترِد في الكتابِ المُقدَّس، لا في العهدِ القديم، ولا في العهدِ الجديد، لأنَّها ببساطة قصَّةٌ يُفترَضُ أنَّها وقَعَت بعدَ عصْرِ المسيح، وقبلَ نزول القرآن.

6- هذا التَّشابه يمكن أنْ يُفسَّرَ بنحوين: التَّفسيرُ الأول أنَّ القرآنَ قد اقتبَسَ تلك القصَّةَ من مصْدرٍ سابقٍ كتابيٍّ أو شفوي، والتَّفسيرُ الثاني أنَّ القصَّةَ القرآنيةَ هي وحيٌ خالصٌ من السَّماء.

7- تأخُّر النَّبي محمَّد (ص) في الإجابةِ عن أصحابِ الكهف، من الطَّبيعي أنْ تُثيرَ شكوكاً لدى كلّ من لم يُؤمِن بنُبوَّتِه. فلا يمكن أنْ يتأخَّرَ بالإجابةِ وهو يعلَمُ مسبقاً بتلكَ القصَّة.

8- يبقى السُّؤالُ الأساسي: إنْ كان من وجَّهَ للنبيِّ محمَّد (ص) السُّؤالَ قد استهدَفَ تعجيزَهُ واختبارَهُ، ما هو احتمالُ أنْ ينجَحَ النَّبي (ص) بالظَّفَرِ بمصْدرٍ كتابيٍّ أو شفويٍّ يقتبِسَ منه تلك القصَّة خلال خمسةَ عشَرَ يوماً فقط؟

9- لو كانت قصَّةُ النِّيام السَّبْعة متداولةً على الألسُن، أو موجودةً في مصادرَ يسْهُل الظَّفَر بها، لما حاولَ خصومُهُ تعجيزَهُ واختبارَهُ بالسُّؤالِ عنها. =

(1883م) Kersey Graves وجيرالد ماسي (1907م) Gerald massey؛ إذْ نادى غريفز في كتابِهِ المُخلِّصونَ السِّتَّة عشَر المصْلوبونَ لتخليصِ العالَم أنَّه كانت هناك قصَصٌ عديدةٌ على مرِّ عصور العالَم، لأكثرِ من إلهٍ مُخلِّصٍ مصْلوبٍ قامَ من الأموات! وصرَّحَ ماسي في كتابِهِ التكوينُ الطَّبيعي أنَّ قصَّةَ الإله المِصْري حورُسْ تُشبِهُ في تفاصيلَ كثيرة يسوع الذي في الأناجيل.

وفي القرْنِ العشْرين، انتشرَتْ ادِّعاءاتٌ شبيهةٌ جدّاً على يدِ عالَمِ الأنثروبولوجيا السِّير جيمس جورج فريزر في كتابِهِ الغصْن الذَّهبي: دراسةٌ في السِّحرِ والدِّين. وكانت هذه الكتاباتُ بصدَدِ التأثيرِ في كُتَّابٍ لاحقين، مثل ميردوك، لنشْرِ الخطِّ نفسَهُ من الاستنتاج. غيرَ أنَّ دراسات علماء بارزين دحضَتْ هذه الادِّعاءات[1].

وِلْ ديورانت سارَ في اتِّجاهِ المُتَّهِمين، حيثُ قال: «إنَّ المسيحيَّةَ لم تقْضِ على الوثنيَّة، بل تبنَّتْها؛ ذلك أنَّ العقلَ اليوناني المحتَضِر عادَ إلى الحياةِ في صورةٍ جديدةٍ في لاهوتِ الكنيسةِ وطُقُوسِها، وأصبحتْ اللُّغةُ اليونانيَّةُ التي ظلَّت قُرُوناً عدَّة صاحبةَ السُّلْطان على السِّياسةِ أداةَ الآداب، والطُّقُوس المسيحيَّة، وانتقلت الطُّقُوسُ اليونانيَّةُ الخفِيَّةُ إلى طُقُوسِ القُدَّاسِ الخفيَّةِ الرَّهيبة، وساعدَتْ عدَّةُ مظاهِرَ أخرى من الثَّقافةِ اليونانيَّةِ على إحداثِ هذه النَّتيجة المتناقضة الأطراف. فجاءت من مصْرَ آراءُ الثالوث الأقدس[2]... ومنها جاءت عبادةُ

= 10- من ناحيةٍ، التَّشابه بين القصَّتين واضح، وهو يلُحُّ علينا بتقديم تفسيرٍ له. لكن من ناحيةٍ أخرى، لا توجدُ أي قرينة خارجية تدُلُّ على إمكانيَّةِ أنْ يظفَرَ النبيُّ (ص) بمصدرٍ خارجي (كتابي أو شفوي) يقتبسُ القصَّةَ منه.

11- مصدُرُ القصَّةِ إنْ كان سرْيانياً، فالمصادرُ السّرْيانية غير متوفِّرة بالجزيرةِ العربية.

12- المُتخصِّصونَ في القراءةِ بالسِّرْيانية غير متوفِّرين في الجزيرةِ العربية.

13- طلَبُ مصادر القصَّة من مظانِّها يتطلَّبُ وقتاً (لا أقلّ من شهرٍ إلى شهرين)، خصوصاً مع عدم توفُّر المواصلات السَّريعة، أو التكنولوجيا الحديثة في نقْلِ المعلومة.

14- لو استعانَ آنذاك بعالِمٍ من عُلماءِ أهل الكتاب، لانكشَفَ على الأرجح وانفضَحَ على الفور.

15- كون العقل الحديث يَنظُرُ إلى القصَّةِ على أنَّها مجرَّدُ أسطورة، لا يعني أنَّها أسطورة لا واقعيَّةَ لها.

16- القصَّةُ القرآنيَّةُ أرَّخَتْ بنحوٍ خفيٍّ، وفنِّيٍّ للغاية، مرحلةَ ما قبل وما بعد اعتناق الرُّومان للنَّصْرانية، بحيث صارَ هذا التحوُّل هو المشْهد الخلْفي للقصَّة.

(1) رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، ص131.

(2) ويبدو أنَّ عقيدةَ التَّثليث كانت منتشرةً بنحوٍ ما بين الهنودِ والمصريين والفُرْس واليونانيين والرُّومانيين وغيرهم من الوثنيِّين. =

أمّ الطِّفل... ومن مصْرَ أيضاً استمدَّت الأدْيرةُ نشأتَها، والصُّورةُ التي نُسِجَت على منوالِها... وقُصارى القولُ أنَّ المسيحيَّةَ كانت آخرَ شيءٍ عظيمٍ ابتدعَهُ العالَمُ الوثنيُّ القديم»[1].

كتَبَ الباحث فراس السوَّاح: «كان الميثريُّون[2] يتَّهِمُونَ المسيحيِّينَ باقتفاءِ أثَرِهِم واقتباسِ معتقداتِهِم، والمسيحيُّونَ بدورِهِم يرُدُّونَ الاتِّهامَ بمثلِهِ. ولعلَّ أثراً من آثارِ ذلكَ العِراكِ الطَّويلِ ما زالَ ماثلاً حتى أيَّامَنا هذه. فالعالَمُ المسيحي، ومن ورائِهِ العالَمُ

= فالهندوس مثلاً يعتقدون أنَّ للإلهِ ثلاثةَ أقانيم رئيسية، تُدعى «الثالوث الهندوسي»، وهي براهما، وفشنو، وسيفا. فهو براهما من حيثُ هو خالِق، وهو فشنو من حيثُ هو حافظ، وهو سيفا من حيثُ هو مُهلِك. ويرمزون لهذه الأقانيم الثلاثة بثلاثةِ أحرف، وهي «أوم»، ولا ينْطِقونَ بها إلا في صلواتِهِم، ويحترمونَ رمزَها في معابِدِهِم احتراماً عظيماً.

وجاء في أحدِ الكُتُب الهندية أنَّ عابداً توجَّهَ إلى الآلهةِ براهما وفشنو وسيفا، وسألهم: أيُّكُم الإلهُ الحقُّ لأُقرِّبَ له نذْري وصلاتي؟ فأجابوا جميعاً: اعلم أيُّها العابد، أنَّه لا يوجدُ فرْقٌ بيننا نحنُ الثلاثة، فإنَّ الإلهَ الواحدَ يظهرُ بثلاثةِ أشكال، بأعمالِهِ من خلْقٍ وحفْظٍ وإعدام، ولكنَّه في الحقيقةِ واحدٌ، فمن يعبُدُ أحدَ الثلاثة فكأنَّه عبدَها جميعاً، أو عبَدَ الواحدَ الأعلى.

وقد وُجِدَ في أنقاضِ أحد الهياكل بالهند صنماً له ثلاثةُ رؤوس على جسَدٍ واحد، والمقصودُ منه التعبيرُ عن الثالوث. انظر: محمد الصادقي، **عقائدنا**، ص88 ـ 90، حيثُ يتحدَّث هذا الكتاب عن الثالوثِ في البوذيةِ والطَّاوية، وعند الصِّينيِّين واليونان والرُّومان والفُرْس، والفنْلنديِّين والإسكندنافيِّين والمكسيكيين... الخ، ص87 ـ 96.

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص275 ـ 276.

(2) من الجديرِ بالذِّكر، أنَّ مثرا هو إله للحرارة والحياة والخصوبة في الأساطير الفارسية، وهو الوسيط بين الآلهة والناس، والمساعد الأول لإله الخير «أهورا مزدا» في حربه ضد الروح الشرير «أهرمان». وفي الفترة فيما بين 1400 ق. م حتى 40 م، كان الفرس والهنود والرومان واليونان جميعاً يعبدون الإله مثرا، الذي ربما كان في الأصل إلهاً للشمس باسم مترا Mitra الذي يذكر فعلاً في الريج فيدا الهندية. وخلال الفترة الرومانية انقلبت عبادة مترا إلى ديانة سرية، فعبده الجنود وموظفو الإمبراطورية في روما.

ويبدو أن «مثراً الإله الآري الأصل، كان يُعبد في إيران كإله للعقود واتفاقيات. وكلمة «مترا» تعني فعلاً العقد أو الاتفاق. وهو يوصف بأنه محارب قوي جبر، فهو الذي يتعبد له المحاربون وهم على ظهور جيادهم في ذهابهم إلى المعركة. وبوصفه حارساً للحقيقة في قاضي الأرواح بعد الموت. وبوصفه الحافظ للعقود والاتفاقات والعهود فهو الذي يحدد متى تنتهي فترة حكم الشيطان. وينتظر قدومه «وسط مظاهر الخنوع والذل» في أيام النصر.

وكان مثرا إلهاً شعبياً هاماً في تاريخ إيران، وكان الملوك يتضرعون إليه في النقوش التي بقيت لهم. كما كانت الملوك والعامة يركبون أسماءهم من اسم «مثرا»، مثل «مثرادئيس»، وهو لا يزال يشغل مكاناً هاماً في الطقوس الزرادشتية. كتب عنه الشاعر الإنجليزي «رديارد كبلنج» قصيدة عنوانها «أغنية إلى مثرا» تدور حول قوته وجبروته، وتتغنى بمساعدته للجنود في المعارك، ويشيد بذبحه للثور. =

الحديث، الذي يتَّبعُ في تاريخِهِ التقويمَ المسيحي، يحتفلُ بميلادِ المسيح يوم 25 ديسمبر/ كانون الأول، وهو يومُ الانقلاب الشّتوي، حيثُ تصلُ الشَّمسُ في آخرِ مدًى لها في الميَلانِ عن كبَدِ السَّماء، وحيثُ يصلُ النَّهارُ آخرَ أشواطِهِ في القُصْر، ويبدأُ بعد ذلك بالامتدادِ على حسابِ اللَّيل. فهذا اليومُ بالذَّات، اعتُبِرَ دوماً في الدِياناتِ الشَّمْسيَّة عيد ميلادٍ للشَّمْس، فيه تتجدَّدُ قوَّتها وتستعيدُ عزْمَها لمقارعةِ قوى الظَّلام. وقد اقترنت عبادةُ أدونيس في سورية وأوزوريس في مصْرَ في فتراتٍ متأخِّرةٍ بالشَّمْس، فيُحدِّثُنا السيِّد Frazer في كتابِهِ The Golden Bough أنَّ السُّوريِّينَ ليلة 25 ديسمبر/ كانون الأول يحتفلونَ بمولِدِ أدونيس، فيجتمعونَ في المعابِد، ويصْرُخونَ عند منتصَفِ اللَّيل: «لقد أنْجَبَت العذْراءُ ابناً. والنورُ ينْتشر». والمقصودُ بالعذْراءِ طبعاً هو إلهةُ الشَّرْق الكبرى، عشْتار أو عسْتارت، التي يدْعوها السَّاميُّونَ بالسيِّدةِ السَّماويَّةِ أو ملكة السَّماوات. فالعذْراءُ لقَبُها والعُذْريَّةُ جوهَرُها، رغمَ كونِها إلهةُ الحبِّ، لأنَّها معطاءَ دون أنْ تنْقُص.

ويومُ 26 ديسمبر/ كانون أول بالذَّات، عيدُ ميلادِ «ميثْرا»، فهو إلهُ الضَّوءِ والخير، والشَّمْسُ رمزُهُ، الشَّمسُ التي لا تُقهَر، والتي تبدأُ في هذا اليومِ بالصُّعودِ إلى كبِدِ السَّماء دافعةً قوى الشَّرّ والظَّلام أمامَها.

أما فيما يتعلَّق بميلادِ المسيح، فإنَّ الأناجيلَ لم تذكُرُ تاريخاً مُحدَّداً له. ولذلك فإنَّ الكنيسةَ الأولى لم تحتفل بميلادِهِ. ولكن لسببٍ ما، بدأَ مسيحيُّو مصْر يحتفلونَ بميلادِ المسيح يوم 6 يناير/ كانون الثاني. وانتشرت هذه العادةُ حتى عمَّت في إبانِ القرْن الثالث للميلادِ كافَّةَ الأصقاع الشَّرْقية للإمبراطوريَّةِ الرُّومانية. ولكن مع نهايةِ القرْن الثالث، قامت الكنيسةُ الغربيَّةُ، التي لم تحتفل حتى ذلك التاريخ بميلادِ المسيح، بتبنِّي يوم 25 ديسمبر/ كانون الأول تاريخاً رسْمياً لعيدِ الميلاد، وتبعَتْها في ذلك الكنيسةُ الشَّرْقية، وجرى الاحتفاظُ

= ولقد لاحظ عالم النفس كارل يونج جوانب الشبه بين ديانة مثرا والديانة المسيحية، ويقول إن ذبح مثرا للثور هو أساساً تضحية بالنفس ما دام الثور، وهو الثور العالمي الذي يتحد في النهاية مع مثرا نفسه. كما لاحظ ترتليان من قبل أن الديانة الوثنية تحتوي على العماد، كما يقوم الكهنة باستخدام الخبز والخمر والماء، مما يجعل هناك أوجه شبه بين ديانة مثرا والديانة المسيحية. كما لاحظ المفكر الفرنسي رينان في القرن التاسع عشر أن نمو المسيحية لو كان قد توقف لعبد العالم كله ديانة مثرا.
وديانة مثرا، قمعها الإمبراطور قسطنطين بعد اعتناقه المسيحية، وكانت المسيحية قد استقرت في روما. وإن كان الزرادشتيون لا يزالون يعبدون مثرا في يومنا الراهن على أنه إله. راجع: إمام عبد الفتاح إمام، **معجم ديانات وأساطير العالم**، مج2، ص424 ـ 425.

بيوم السَّادسِ من يناير/ كانون الثاني على أنَّه «عيدُ الغِطاس». إنَّ تبنِّي الكنيسةَ لهذا التاريخ بالذَّات، لا يمكنُ تفسيرُهُ إلا على ضوءِ صراعِها مع الدِّيانةِ الميثْرويَّة، والتَّكتيكِ الذي اتبعَتْهُ في صراعِها مع الدِّياناتِ القائمةِ في ذلك الوقت. ولعلَّ عيدُ الفصْحِ يُعطينا مثلاً آخرَ على تبنِّي المسيحيَّة للمناسباتِ والأعيادِ الخاصَّة بدياناتِ الأسرار. فعيدُ الفصْحِ، وهو عيدُ قيامةِ المسيح من بين الأموات، بعد أنْ عانى ما عاناهُ يومُ الجمعةِ الحزينةِ على دَرْبِ الآلام. وقد تبنَّت الكنيسةُ يوم 25 مارس/ آذار عيداً للفصْح، وبذلك يكونُ بعْثُ السيِّد المسيح هو بعثٌ ربيعيٌّ، شأنُهُ في ذلك شأن آلهة الخصْب القديمة والمخلصين الأوائل، وخصوصاً أدونيس وآليس، الذي كان يحتفِلُ عُبَّادُهُ بقيامتِهِ فيما بين يوم 24 و 25 مارس/ آذار.

وبعيداً عن هذينِ العيدينِ الرَّئيسيَّين، فإنَّا نجدُ أعياداً وثنيَّةً أخرى قد حُوِّرَت وأُسْبِغَت عليها الصِّفةُ المسيحيَّة. فعيدُ الإلهة ديانا قد أصبحَ عيدَ صعودِ السيِّدة العذْراء. وعيدُ الأمواتِ قد أصبحَ عيدَ جميع القدِّيسين. والأمثلةُ على ذلكَ كثيرةٌ.

أما الأمُّ الكبرى، أو القوَّةُ الإخصابيَّةُ الكونيَّة، المتمثِلة بإلهةِ الحبّ العذْراء، فقد حلَّت محلَّها السيِّدةُ مريم العذْراء، التي دُعِيَت بسيِّدةِ السَّماوات، وهو اللَّقبُ الرَّئيسيُّ للإلهةِ عشْتار. وحتى وقت قريب، كانت السيِّدةُ مريم تُدْعى في بعضِ المناطقِ الرِّيفيَّةِ في إيطاليا الجنوبية: بـ «أفروديتسا»، نسبةً إلى أفروديت. كما كانت تماثيلُ الإلهة ديمتر، الباقيةُ في بعضِ الخرائبِ العتيقة، تُعبَدُ على أنَّها السيِّدة مريم ذاتها.

وليس الصَّليبُ نفسُهُ كرمزٍ للسيِّدِ المسيح، بالرَّمز الجديدِ في عالَمِ الدِّياناتِ القديمة. فقد اقترَنَ الصَّليبُ بعدَدٍ من آلهةِ الخصْب الشَّرْقية القديمة. فهو رمزُ الإله «أندارا»، أحدُ أشكال الإله بَعَل أو حَدَد. والذي تُصوِّرُهُ الأعمالُ الفنيَّةُ السُّومريَّةُ جالساً على عرشِهِ، وبين يديهِ وتحتَ قدميهِ جراراً، ينفجرُ منها ماءُ الحياة. والصَّليبُ أيضاً رمزُ الإلهة الفينيقيَّة «بارات» إلهةُ مدينة بيروت، وأحدُ أشكال إلهة الخصْب عشْتار أو عشْتروت، نراهُ في كلِّ منحوتةٍ أو صورةٍ لها، مُمْسِكةً به بيدِها أو منقوشاً على عرْشِها. وشكلُ الصَّليبِ هو الاصطلاحُ الدَّالُّ على الخصْبِ في اللُّغةِ السُّومريَّة....

والواقعُ أنَّ الذي أعطى للمسيحيَّةِ هذا الطَّابع الجديد المنْفصِل عن اليهودية، والقريب من الدِّياناتِ الشَّرْقية السرِّية، كان القدِّيس بولس، الذي كان كلَّما تعمَّقَ بالتَّفكير، وكلَّما ازدادَ بالتَّبشيرِ والاحتكاكِ بجماهيرِ الناس في الإمبراطوريةِ الرُّومانية، كلَّما اتَّجَهَ في تفسيراتِهِ

للمسيحيَّةِ نحوَ الأفكار التي تعرَّفْنا عليها سابقاً في الدِّياناتِ الشَّرْقيةِ البَعَليَّة، والمُتعلِّقة بالخَلاصِ والفِداء....»[1].

وأخيراً جاءَتْ هذه الاتِّهاماتُ على هيئةِ روايةٍ أدبيَّةٍ أثارَتْ ضجَّةً في العالَمِ المسيحي، وهي روايةُ شِيفْرةُ دافِنْشي، لمُؤلِّفِها دانْ براوْن، الذي قالَ في تلكَ الرِّواية إنَّ قسْطَنْطين كان «وثنيّاً طوالَ حياتِهِ، ولم يتمّ تعميدُهُ إلا وهو على سَريرِ الموت، حيثُ كان أضعَفَ من أنْ يعترِضَ على ذلك. في عصْرِ قسْطَنْطين، كان الدِّينُ الرَّسْميُّ في روما هو عبادةَ الشَّمس، أو بالأصحِّ عبادةَ الشَّمسِ التي لا تُقهَر، وكان قسْطَنْطينُ هو كبيرُ كهَنَتِها. لكن لسوءِ حظِّهِ، كان هناك اهتياجٌ دينيٌّ متزايدٌ يجتاحُ روما. فقد كان عددُ أتْباع المسيح قد تضاعَفَ بشكلٍ مهول، وذلك بعد ثلاثةِ قُرُونٍ من صلْبِهِ.

عندئذٍ بدأَ المسيحيُّونَ والوثنيُّونَ يتحارَبون، وتصاعدَتْ حدَّةُ النزاعِ بينَهُم حتى وصلَتْ إلى درجةٍ هدَّدَتْ بانقسامِ روما إلى قسْمين. فرأى قسْطَنْطين أنَّه يجبُ اتِّخاذُ قرارٍ حاسِمٍ في هذا الخصوص. وفي عامِ 325م قرَّرَ توحيدَ روما تحتَ لواءِ دينٍ واحدٍ، ألا وهو المسيحيَّة...

كان قسْطَنْطين رجلُ أعمالٍ حادَّ الذَّكاء، فقد استطاعَ أنْ يرى أنَّ نجْمَ المسيحيَّةِ كان في صعود، فقرَّرَ ببساطةٍ أنْ يُراهِنَ على الفرَسِ الرَّابحة. ولا زالَ المُؤرِّخونَ حتى اليومَ يتعجَّبونَ لذكاءِ قسْطَنْطين، في الطَّريقةِ التي اتَّبَعَها في تحويلِ الوثنيِّينَ عن عبادةِ الشَّمسِ إلى اعتناقِ المسيحيَّة. حيثُ إنَّه خلَقَ ديناً هجيناً كان مقبولاً من الطَّرفين، وذلك من خلالِ دمْجِ الرُّموز والتواريخ والطُّقوس الوثنيَّة في التقاليدِ والعاداتِ المسيحيَّة الجديدة...

فآثارُ الدِّينِ الوثَني في الرُّموزِ المسيحيَّةِ شديدةُ الوضوح، ولا يمكنُ نُكرانُها. فأقراصُ الشَّمسِ المصْرية، أصبحت الهالات التي تُحيطُ برؤوسِ القدِّيسين الكاثوليكيِّين. والرُّموزُ التَّصويريةُ لإيزيس وهي تحضُنُ وتُرضِعُ طفلَها المعجزة حورُس[2]، أصبحت أساسَ صوَرِنا الحديثة لمريمَ العذْراء تحتضِنُ المسيحَ الرَّضيع. وكلُّ عناصر الطُّقوس الكاثوليكيَّة، مثلُ تاج الأسْقُف والمذْبح والتَّسبيح والمناولة وطقْس «طعام الرَّبّ»، كلُّها مأخوذةٌ مباشرةً من أدْيانٍ قديمةٍ وثنيَّةٍ غامضة...

---

(1) فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى**، دار علاء الدين، ط10، دمشق، ص370 ـ 373.

(2) حورُس Horus: الإله الصَّقر في الدِّيانة المصرية القديمة. وقيل إنَّ المصريين كانوا يُقدِّسون آلهةً متعدِّدة، رع (أو آمون كما كان يُسمِّيهِ أهلُ الجنوب)، وأوزير، وإيزيس، وحورس. ولمَّا تقادمَ العهدُ، امتزجَ رع وآمون وإلهٌ آخر هو فتاح، فأصبحت ثلاثُ صورٍ أو مظاهر لإلهٍ واحدٍ أعلى.

ليس هناك أيُّ شيءٍ أصيلٍ في الدِّينِ المسيحي. الإلهُ الفارسي مِثْرا Mithras مثلاً الذي يعودُ إلى ما قبلِ المسيحيَّةِ - والذي كان يُلقَّبُ أيضاً بابنِ الرَّبّ ونورِ العالَم - كان قد وُلِدَ في الخامسِ والعشْرينَ من ديسمبر/ كانون الأول، وعندما ماتَ دُفِنَ في قبرٍ حجريٍّ، ثمَّ بُعِثَ حيّاً بعد ثلاثةِ أيام. وبالمناسبةِ، إنَّ الخامسَ والعشْرينَ من ديسمبر/ كانون الأول هو ذكرى ميلاد أوزيريس وأدونيس وديونيزوس أيضاً. والرَّضيعةُ كريشْنا تجلَّت مُزيَّنةً بالذَّهبِ ومُعطَّرةً بالمُرِّ والبخور. وحتى يومَ العُطْلة الأسبوعية الدِّينية في المسيحيَّةِ، كان قد سُرِقَ من الوثنيِّين عابدي الشَّمس. ففي البدايةِ، كان المسيحيُّونَ يعبدونَ اللهَ في نفْسِ يوم اليهود: السَّبت، لكن قسْطَنْطين غيَّرهُ ليتوافَقَ مع اليومِ الذي يقومُ فيه الوثنيُّونَ بعبادةِ الشَّمس Sunday. حتى هذا اليوم يرتادُ معظمُ الناسِ الكنيسةَ صباحَ كلَّ أحدٍ لحُضورِ القُدَّاس، دونَ أنْ تكونَ لديهم أيَّ فكرةٍ أنَّه كان يومَ احتفالِ الوثنيِّين بالشَّمسِ المُقدَّسة أو يومِ الشَّمس.

أثناءَ عمليةِ دمْج الأدْيان تلك، كان قسْطَنْطين بحاجةٍ لتوطيدِ التعاليمِ المسيحيَّةِ الجديدة، وقامَ بعقْدِ الاجتماع المسْكوني المشْهور الذي عُرِفَ بـ «المَجْمَع النِّيقاوي»، نسْبةً إلى مدينةِ نيقية. ففيهِ تمَّت مناقشةُ العديدِ من مظاهرِ المسيحيَّةِ، والتَّصويتُ عليها، مثل اليوم الذي سيتمُّ فيه الاحتفال بعيدِ الفصْح ودور الأساقفة وإدارة الأسرار المُقدَّسة وأخيراً أُلوهيةُ يسوع المسيح.

فحتَّى تلكَ اللَّحظة من تاريخِ البشريَّة، كان المسيحُ في نظَرِ أتباعِهِ نبيّاً فانياً، رجُلاً عظيماً ذا سُلْطةٍ واسعة، ومع ذلك كان - في نظرهم - رجلاً إنساناً. إلا أنَّ فكرةَ ابن الرَّبّ كانت قد اقتُرِحَت رسْمياً وتمَّ التصويتُ عليها من قِبَلِ المجلس النِّيقاوي. فكانت أُلوهيَّةُ المسيح نتيجةَ تصويت! وبالمناسبةِ، كان الفرْقُ في الأصواتِ يكادُ لا يُذكَر. غيرَ أنَّ تأكيدَ فكرة أُلوهيَّة المسيح كان ضروريّاً جدّاً لتوطيدِ الوحدةِ في الإمبراطوريَّةِ الرُّومانيَّة، ولإقامةِ القاعدةِ الجديدةِ لسُلْطةِ الفاتيكان. ومن خلالِ المصادقةِ الرَّسميةِ على كونِ المسيح ابناً للرَّبِّ، حوَّلَ قسْطَنْطين المسيحَ إلى إلهٍ مُترفِّعٍ عن عالَمِ البشر... كينونةٍ تتمتَّعُ بسُلْطةٍ لا يمكنُ تحدِّيها أبداً. وهذا الأمرُ لم يعمَل على وضْعِ حدٍّ لتحدِّياتِ الوثنيِّين للمسيحيَّةِ فحسْب، بل بسببِ ذلك لن يتمكَّن أتباعُ المسيح الآن من التحرُّرِ من الخطايا إلا بواسطةِ طريقٍ مقدَّسةٍ جديدة، وهي الكنيسة الكاثوليكيَّة الرُّومانيَّة.

إنَّ المسألةَ كلَّها كانت مسألةَ سُلْطةٍ ونفوذٍ لا أكثر. إنَّ المسيحَ كمُخلِّصٍ كان ضرورياً لتفعيلِ وظيفة الكنيسة والدَّولة.

يدَّعي الكثيرُ من الباحثينَ أنَّ الكنيسةَ الأولى قامَتْ بسرِقَةِ المسيحِ حرْفياً من أتباعِهِ الأصليِّين، وذلك بمصادرةِ رسالتِهِ الإنسانية، ودفعِها في عباءةٍ لا يمكنُ اختراقُها من الأُلوهيَّةِ الكاذِبة، التي استغلُّوها لتوسيعِ نفوذِهِم. إنَّ قسْطَنْطين قامَ باستغلالِ تأثيرِ المسيح الهائل وأهميَّتِهِ العظيمةِ في العالَم، وبذلك شكَّلَ وجْهَ المسيحيَّةِ كما نعرِفُها الآن.

وبما أنَّ قسْطَنْطين قد قامَ برفْعِ منزلةِ المسيحِ بعدَ مُضيِّ حوالي أربعةِ قُرُونٍ على موتِهِ، فقد كانت هناكَ آلافُ الوثائق التي قد سجَّلَت حياتَهُ على أنَّها حياةُ إنسانٍ فان. عرَفَ قسْطَنْطين أنَّه لكي يتمكَّنَ من إعادةِ كتابة التاريخ، كان بحاجةٍ إلى ضرْبةٍ جريئة. ومن هنا وُلِدَت أهمُّ لحظةٍ في التاريخِ المسيحي. فقد أمرَ قسْطنطين بإنجيلٍ جديد، وقامَ بتمويلِهِ، أبطَلَ فيه الأناجيلَ التي تحدَّثَت عن السِّماتِ الإنسانيةِ للمسيح، وزيَّنَ تلك التي أظهرَت المسيحَ بصفاتٍ إلهية، وحرَّمَ الأناجيلَ الأولى وتمَّ جمْعُها وحرْقُها.

وكان كلُّ من يُفضِّلُ الأناجيلَ الممنوعة على نُسْخةِ قسْطَنْطين، يُتَّهَمُ بالهرطقة. وكلمةُ «مُهرطِق» تعودُ إلى تلك اللَّحظةِ التاريخية. فالكلمةُ اللاتينيةُ «هيريتيكوس» تعني «الاختيار». لذا فإنَّ أولئكَ الذين «اختاروا» التاريخَ الأصْلي للمسيحِ كانوا أوَّلَ «المُهرْطقين» في التاريخ. ولحُسْنِ الحظِّ أنَّ بعضَ الأناجيل التي حاولَ قسْطَنْطين محوَها من الوجودِ تمكَّنَت من النَّجاة»[1].

وقد كُتِبَت ردودٌ كثيرةٌ على روايةِ شِيفْرة دافِنْشي، ورفَضَ علماءُ الدِّين المسيحيِّ المعاصرونَ هذه الاتِّهاماتْ بشدَّة، وحاولوا تفنيدَها.

فمثلاً رايس بروكس يرى أنَّ جُزْءاً من الدَّافعِ وراءَ ربْط المسيحيَّة بأساطيرَ وثنيَّة يأتي من منطلَقِ إنكار ما هو فائقٌ للطَّبيعة، والذي برَزَ بعد صعودِ المُشكِّكينَ في القرْنينِ التَّاسع عشَر والعشْرين، حيثُ كان العُلَماءُ في ذلك الوقتِ يُنكرونَ إمكانيَّةَ أيِّ تدخُّلٍ فائقٍ للطَّبيعةِ في العالَم.

ويرى بروكس أنَّ المُتشكِّكينَ عادةً يلوِّحون بقائمةٍ طويلةٍ ممَّا يُدَّعى توازيات يسوع، لكن ما يُفتقَرُ إليه على نحوٍ فاضحٍ مراراً وتكراراً هو المصادرُ الأصليةُ لهذه الادِّعاءاتِ الخيالية. فعادةً ما يأتي المُتشكِّكونَ بتصريحاتٍ من العدم، أو يقتبسونَ من كُتَّابٍ سابقينَ قدَّموا الادِّعاءَ نفسَهُ، لكنَّهم فشلوا في الإشارةِ إلى أيِّ مصْدرٍ أصلي.

(1) دان بروان، **شيفرة دافنشي**، ص360 ـ 263.

ويرى بروكس أنَّ أنصارَ الأسطورة يعانونَ من «هوس التوازيات»، ولا سيَّما ميلُهُم إلى المناداةِ بأنَّ تشابُهاتٍ معيَّنةٍ ما بين مصادرَ وثنيَّة ومسيحيَّة تُثْبِتُ أنَّ المسيحيِّينَ نسخوا القصَصَ الوثنيَّة. غيرَ أنَّ تلك التوازيات تفتقرُ إلى أيِّ مضْمونٍ حقيقي، فهي إمَّا سطحيةٌ جدّاً، وإما تأتي من وثائقَ جاءت بعد المسيحيَّةِ بقُرُون.

ويقومُ كروس بتفنيدِ تلك الادِّعاءات والتوازيات واحداً بعد الآخر: كريشْنا، ميثْرا، أوزوريس... بل يدَّعي في النِّهايةِ أنَّ النَّسْخَ لم يكن استعارةَ المسيحيِّين الأوائل من قصَصِ قُدماء المصْريِّين أو الإغريق أو الفُرْس، بل العكس، فقد حثَّ النَّجاحُ الضَّخمُ للكنيسةِ الأولى ونمُوُّها أنصارَ الأدْيان الباطنية ليُعيدوا روايةَ قصَّتِهم مستخدمينَ الصُّورَ والأفكارَ المسيحيَّة[1].

ويبدو لي أنَّ الأمرَ بحاجةٍ إلى مزيدٍ من البحثِ. وعلى أيِّ حال، نَقْدُ المسيحيَّةِ لا يتوقَّفُ على اتِّهامَها بالاقتباسِ من الوثنيَّة، خصوصاً إذا كان هذا الاتِّهامُ يرتكزُ على توازياتٍ وتشابُهاتٍ جاءَتْ بالصُّدْفةِ، أو كانت لا تقفُ على أرضٍ صلْبةٍ، ومعطياتٍ كافية.

آريوس والآريوسيَّة:

يُعتبرُ آريوس، والحركة الآريوسيَّة عموماً، من أهمِّ الحركات التي اتُّهِمت بالهرطقةِ وظهرَت في زمنِ حُكْمِ قسْطَنْطين، أي في أوائلِ القرْن الرَّابع الميلادي، من حيثُ القوَّةِ والاتِّساعِ والدَّيمومة. إنَّ نجاحَ الحركة الآريوسيَّة في أوساطِ رجالِ الكنيسة «يُفسِّرُهُ واقع أنَّ المبدأَ الإيماني المُتمثِّل بالتَّثْليثِ لم يكن قد وُضِعَ بدقَّةٍ بعد، في تلكَ الحُقْبة. ومعروفٌ أنَّ تعبيرَ «الثَّالوث» لم يكن موجوداً مادِّيّاً في العهدِ الجديد»[2].

الآن، طلَباً للإيجاز، سأسْتعينُ بما ذكَر وِلْ ديورانت في قصَّةِ الحضارة. حيثُ كتَب: «في هذه السِّنين نفسِها، شهدَت الإسكندريةُ قيامَ أخطَر حركة إلحادية في تاريخِ الكنيسة![3]

---

(1) رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، ص123 ـ 144.

(2) ج. ويتلر، **الهرطقة في المسيحية**، ص77.

(3) ولهذه الحركة جذور، حيث ظهرت شخصيات دعت إلى بشرية المسيح ونفي ألوهيته، منها:

1- كيرنثوس: كان يهودياً مصرياً، قدم أورشليم أيام التلاميذ، وعاصرهم، وكان يقول إنَّ المسيح ليس إلا إنسانٌ بارز، ورفض الإيمان بقيامة المسيح، ورفض الأناجيل عدا إنجيل متى، وتمسك بالختانِ والسَّبت.

2- آبيون: تُنْسَبُ إليه الطائفة الآبيونية، وقد ظهرَ بعد خرابِ أورشليم، وقد أكَّدَ على أنَّ المسيحَ ليس=

ذلك أنَّ قِسّاً مِصْرِيّاً[1] تقدَّمَ إلى أسقُفِهِ حوالي عام 318م بآراء غريبةٍ عن طبيعةِ المسيح، ويصِفُهُ مُؤرِّخٌ كاثوليكيٌّ عالِمٌ وصفاً كريماً فيقول: «كان آريوس... طويلَ القامةِ، نحيلَ الجسْمِ، مكتئبَ المظْهَرِ، ذا منظرٍ تبدو فيه آثارُ خشونةِ العيش، وكان معروفاً بأنَّه من الزُّهَّاد، كما يُستدَلُّ على ذلك من ملْبَسِهِ - وهو جلبابٌ قصيرٌ من غيرِ كمينٍ تحتَ ملْحفةٍ يستخدِمُها عباءَةً. وكانت طريقتُهُ في الحديثِ ظريفةً، وخُطَبَهُ مقنعةً. وكانت العَذارى اللاتي نذَرْنَ أنفُسَهُنَّ للدِّين، وهُنَّ كثيراتٌ في الإسكندرية، يُبجِّلْنَهُ أعظَمَ التَّبجيل، وكان له من بينِ رجالِ الدِّينِ عددٌ كبيرٌ من المُؤيِّدين».

ويقولُ آريوس إنَّ المسيحَ لم يكن هو والخالِقُ شيئاً واحداً، بل كان هو الكلِمة، أوَّلَ الكائناتِ التي خلَقَها اللهُ وأسْمَاها[2]. واحتجَّ الأسْقُفُ ألكسَنْدَر على هذا القول. لكن آريوس أصرَّ عليه وقال إنَّه إذا كان الابنُ من نسْلِ الآب، فلا بدَّ أنْ تكونَ ولادتُهُ قد حدثَتْ في زمنٍ،

= إلهاً، بل كان إنساناً وُلِدَ بالطَّبيعةِ من مريمَ ويوسف، وأنَّ الإيمانَ بلا حفظ ناموس موسى، كالختانِ والسَّبت، لا يفيد شيئاً.

3- أمونيوس السقاص: أستاذُ أوريجانوس وأفلوطين، كان يقولُ إنَّ المسيحَ إنسانٌ خارقٌ للعادة.

4- كربوكراتس: كان تليمذاً لكورنثوس ومعلِّماً بجامعةِ الإسكندرية، وكان يقولُ إنَّ يسوعَ وُلِدَ من مريم ويوسف، وتمسَّكَ بأنَّه مجرَّدُ إنسانٍ لا أكثر.

5- أرطيماس: وكان يرى ما يراهُ آبيون وبولُس السميساطي.

6- أوريجانوس: وقد تحدَّثنا عنه في المتن.

7- بولُس السميساطي: بطريرك أنطاكية من 260 ـ 268م، كان يعتقدُ بأنَّ المسيحَ في طبيعتِهِ إنسانٌ، وقد أنكرَ الكلمةَ بمعنى «اللُّوغوس»، وقال بأنَّ يسوع ليس له وجودٌ أزليٌّ سابق، وأنكرَ تعليم الثالوث.

8- لوقيانوس: أسقُف أنطاكية (ت 312م)، خُنق بالحبْسِ بأمرِ الإمبراطورية، وقد اشتهر عنه أنَّه كان أباً للآريوسية.

انظر: د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2016م، ص13 ـ 16.

(1) وُلِدَ في قورينا (ليبيا حالياً) عام 270م، أو 256م، وقيل وُلِدَ في الإسكندرية.

(2) فيسوع - في نظر آريوس - كائنٌ وسيطٌ بين الله والإنسان، ليس من جوهر الله، وهو عبدٌ مخلوقٌ غير أزليٍّ، وكان كثيراً ما يُكرِّرُ هذا السُّؤال بكُلِّ جرأة: أيمكنُ أنْ يوجدَ ولدٌ قبلَ أنْ يولد؟!

انظر: د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، ص19.

ويمكن تلخيصُ تعاليم آريوس في النقاط التالية:

1- أنَّ اللهَ إلهٌ واحدٌ غيرُ مولود، وأما الابنُ فهو ليس أزليّاً، إذْ أنَّه وُجِدَ وقتٌ ما لم يكن الابنُ موجوداً فيه. ومع أنَّ وجودَ الابنِ سبَقَ خلْقَ العالَم، ولكنَّه ليس أزلياً. =

وعلى هذا لا يمكنُ أنْ يكونَ الابنُ متَّفقاً مع وجودِ الآب في الزَّمن. يُضافُ إلى هذا أنَّه إذا كان المسيحُ قد خُلِقَ، فلا بدَّ أنْ يكونَ خلْقُهُ من لا شيء، أي من غيرِ مادَّةِ الآب، لأنَّ المسيحَ والآب ليسا من مادَّةٍ واحدة. وقد وُلِدَ الرُّوحُ القُدُس من الكلمةِ، وهو أقلُّ أُلوهيةً من الكلمةِ نفسِها.

نحنُ نرى في هذه العقائدِ استمراراً للأفكارِ المنحدرةِ من أفلاطون عن طريقِ الرَّواقيِّين، وفيلون، وأفلوطين، وأُريجن إلى آريوس. وبذلك أصبحت الأفلاطونيَّةُ - التي كان لها أعظَمَ الأثَرِ في اللَّاهوتِ المسيحي - في نزاعٍ مع الكنيسة.

وارتاعَ الأسْقُفُ ألِكسَنْدَر من هذه الآراء، وارتاعَ أكثرَ من هذا من سُرْعةِ انتشارِها بين رجالِ الدِّينِ أنفُسِهم. ولهذا دعا مجلِساً من الأساقفةِ المصْريِّين إلى الاجتماعِ في الإسْكندرية، وأقنَعَ أعضاءَهُ بأنْ يحكُمُوا بتجريدِ آريوس وأتباعَهُ[1]، وأبلَغَ المجلِسُ سائرَ

= 2- أنَّ هذا الابنَ غيرَ الأزلي، وغيرَ المولودِ من جوهرِ الآب، خرَجَ من العدم، مثل كلّ الخلائق الأخرى، بحسبِ قصْدِ اللهِ ومشيئتِهِ.
3- أنَّ المسيحَ ليس إلهاً، ولا يملِكُ الصِّفاتَ الإلهية: كُلِّي العلْم، كُلِّي القدرة، عديم التغيُّر... إلخ.
4- أنَّ معرفةَ الابن محدودةٌ وليست مطلقة، ولا يستطيع أنْ يُعلِنَ لنا الآب بطريقةٍ كاملة (أي الإعلان وكشْف حقيقة ذات الله وكنهِهِ).
5- الابنُ مخلوقٌ مثلُ كلّ الخلائق، متغيِّرٌ غيرُ أزلي، وقد كان حرّاً أنْ يظلَّ صالحاً كما خرَجَ من بين يدي الله، أو أنْ يرتدَّ إلى الشَّرِّ مثلُ الشَّيطان. على أنَّ اللهَ قد قرَّرَ بأنْ يسلُكَ الابنُ في طريقِ الصلاح، ولهذا منحَهُ مجداً إلهياً.

انظر: علي الشيخ، **لاهوت المسيح**، ص157 - 158.

مع ذلك، ذهبَ بارت إيرمان إلى أنَّ آريوس وإلِكْسَنْدر كلاهُما كان يُؤمِنُ بأنَّ المسيحَ هو ابنُ الله، بل كان كلاهُما يُؤمِنُ بأنَّ المسيحَ هو الله؛ الله الذي خلقَ الكون. نقطةُ الخلافِ إنَّما ترتكزُ حول نُقطةٍ محدَّدةٍ، وهي: بأيِّ «معنى» كان المسيحُ هو الله؟ (صرَّحَ بذلك في مقالةٍ له مرفوعة على موقعِهِ على الانترنت).

أقول: لا أدري ما هي المصادر التي استندَ إليها إيرمان في هذه الدَّعوى؟! فهي مخالفةٌ لما تسالَمَ عليه الباحثون.

(1) عندما سمَعَ ألكسندر بتعاليم آريوس، استدعاهُ وناقشَ معه هذه الآراء، وعندما أصرَّ آريوس على آرائِهِ، طلَبَ ألكسندر عقْدَ مجمَع (سنودس) حوالي سنة 320 - 321م، وقد حضرَهُ ما يقرُب من مئةِ أسقُف مصْري وليبي.

وقد كان الكثيرُ من أتباعِ لوقيانوس الأنطاكي (أستاذ آريوس) يميلونَ إلى تعاليم آريوس وعقائدِهِ. وصنَّفَ آريوس في هذه الفترةِ كتابَهُ المعروف «الثالية» thalia، الذي يتضمَّنُ آراءَهُ في الثالوث. وقد راجَ هذا الكتابُ في بعضِ الأوساط رواجاً ملموساً. وقد نظَّمَ بعضَ الترانيم العقائدية بصورةِ قصائد شعرية، وأناشيد وأغان رائعة، انتشرت بين جميعِ طبقات المجتمع المصْري، بل وامتدَّت إلى بلادٍ كثيرةٍ في الشرق.

الأساقفة بالإجراءاتِ التي اتَّخذَها، فاعترَضَ عليها بعضُهُم، وأظهرَ بعضُ الفلاسفةِ عطْفاً على آريوس. واختلفت آراءُ رجالِ الدِّينِ والدُّنيا في الولاياتِ الآسيويةِ في هذه المشكلة، وتردَّدتْ في المدائنِ أصداءُ الضَّجيجِ والاضْطراب... حتى كان الدِّينُ المسيحيُّ - كما يقولُ يوسبيوس - «موضوعَ السُّخريةِ الدَّنِسة من الوثنيِّين، حتى في دُورِ التَّمثيلِ نفسِها».

ولمَّا جاءَ قسْطَنْطين إلى نقوميديا بعد أنْ هزَمَ ليسْتبوس، سمَعَ هذه القصَّةَ من أسقُفِها، فأرسَلَ إلى ألِكْسَنْدر وإلى آريوس رسالةً شخصيَّةً يدعوهُما فيها إلى أنْ يتخلَّقا بهُدوءِ الفلاسفة، وأنْ يُوفِّقا بين آرائِهما المختلفة في سلام، فإنْ لم يفعلا فلا أقلَّ من أنْ يُخفِيا جدَلَهُما عن آذانِ الجماهير. ويكشِفُ هذا الخطابُ، الذي نقلَهُ لنا يوسِبْيوس، في صراحةٍ عن قلَّةِ اهتمامِ قسْطَنْطين بعُلُومِ الدِّين، وعن الهدَفِ السِّياسي الذي كان يبْتغيهِ من سياستِهِ الدِّينية:

«لقد اقترَحْتُ أنْ أرُدَّ جميعَ آراء الناس في اللهِ إلى صورةٍ واحدة، لأنِّي قويُّ الاعتقاد بأنِّي إذا استطعْتُ أنْ أُوَحِّدَ آراءَهُم في هذا الموضوع، سهَلَ عليَّ كثيراً تصريفَ الشُّؤون العامة. لكنِّي مع الأسفِ الشَّديد أسمَعُ أنَّ بينكما من الخلافِ أكثرَ ممَّا كان قائماً في أفريقية من وقتٍ قريب. ويبدو لي أنَّ سببَ هذا الخلاف بينكما صغيرٌ تافِه، غيرُ جديرٍ بأنْ يُثيرَ هذا النِّزاعَ الشَّديد.

فأنتَ يا ألِكْسَندر، تريدُ أنْ تعرِفَ رأي قساوسَتِكَ في إحدى النّقاط القانونيَّة، في جُزْءٍ من سُؤالٍ هو في حدِّ ذاتِهِ عديمَ الأهمية.

وأما أنتَ يا آريوس، فقد كان الواجبُ عليك، إذا كانت لديكَ أفكارٌ من هذا القبيل، أنْ تظلَّ صامتاً... ولم يكن ثمَّةَ حاجة إلى إثارةِ هذه المسائل أمامَ الجماهير... لأنَّها مسائلُ لا يُثيرُها إلا من ليسَ لديهم عمَل يشْغلونَ به أنفُسَهُم، ولا يُرجى منها إلا أنْ تزيدَ عقول الناس وحدة...

تلك أعمالٌ سخيفةٌ، خليقةٌ بالأطفالِ العديمي التَّجربة، لا برجالِ الدِّين أو العُقلاءِ من الناس».

ولم يكن لهذه الرِّسالةِ أثرٌ ما، لأنَّ مسألةَ اتِّفاق الآب والابن في المادَّة، لا مجرَّدَ تشابُههُما، كانت في نظَرِ الكنيسةِ مسألةً حيويةً من الوجهتينِ الدِّينيَّة والسِّياسيَّة. وكانت ترى أنَّه إذا لم يكُن المسيحُ إلَهاً، فإنَّ كيانَ العقيدةِ المسيحيَّةِ كلَّها يبدأُ في التصدُّع. وإذا ما سمَحَت باختلافِ الرَّأي في هذا الموضوع، فإنَّ فوضى العقائد قد تقضي على وحدةِ الكنيسة وسُلْطانِها. ومن ثمَّ على ما لها من قيمةٍ بوصْفِها عوناً للدَّولة.

ولمَّا انتشَرَ الجدَلُ في هذه المسألةِ، واشتعلَتْ نيرانُ الخلافِ في بلادِ الشَّرْق اليوناني،

اعتزَمَ قسْطَنْطين أنْ يقضي عليه بدعوةٍ أوَّل مجلس عام للكنيسة[1]. ولهذا عقَدَ مجلِساً من الأساقفة عامَ 325م في نيقية البيثينية بالقُرْبِ من عاصمةِ نقوميديا. وأعدَّ ما يلزم من المالِ لنفقاتِهم. وحضَرَ الاجتماعَ عددٌ لا يقِلُّ عن 318، يصحَبُهُم - كما يقولُ واحدٌ منهم - حشدٌ كبيرٌ من رجالِ الدِّين الأقلِّ منهم درجةً. وهو قولٌ يدُلُّ على مقدارِ نماء الكنيسة العظيم. وكان معظمُ الأساقفةِ من الولاياتِ الشَّرْقية، لأنَّ كثيراً من الأبرْشيات الغربية تجاهلَت هذا الجدَل. واكتفى البابا سِلْفِسْتَر الأول Silvester 1 بأنْ مثَّلَهُ بعضُ القساوسة، لأنَّ المرضَ حالَ بينَهُ وبين حضورِ الاجتماع بنفسِهِ.

واجتمَعَ المجلسُ في بهوِ أحد القصور الإمبراطورية، تحتَ رياسةِ قسْطَنْطين، وافتتحَ هو المناقشات بدعوةٍ موجزةٍ وجَّهَها إلى الأساقفةِ، يطلُبُ إليهم فيها أنْ يُعيدوا إلى الكنيسةِ وحدَتَها[2]. ويقولُ يوسَبْيوس إنَّ قسْطَنْطين كان يستمعُ بصبْرٍ عظيمٍ إلى المناقشات، ويُهدِّئ من عُنْفِ الجماعاتِ المتنازعة، ويشتركُ في المناقشاتِ بنفسِهِ.

وأكَّدَ آريوس من جديد رأيَهُ القائل بأنَّ المسيحَ مخلوقٌ، لا يرقى إلى منزلةِ الآب، ولكنَّه مُقدَّسٌ بالاشتراكِ معه، لا غير. وقد أرغمَتْهُ بعضُ الأسئلةِ الحاذقةِ على أنْ يعترِفُ بأنَّه إذا كان المسيحُ مخلوقاً، وأنَّ له بداية، فإنَّ في مقدورِهِ أنْ يتحوَّلَ، وأنَّه إذا استطاعَ أنْ يتحوَّل، فقد ينتقل من الفضيلةِ إلى الرَّذيلة. وكانت إجاباتُهُ عن الأسئلةِ منطقيةً، صريحةً، قاطعة.

وقد أوضحَ أثَناسْيُوس Athanasius، رئيسُ الشَّمامسةِ البليغ المشاكس، الذي جاءَ به ألِكسَنْدر معه ليقطَعَ به لسانَ معارضيه، أنَّه إذا لم يكن المسيحُ والرُّوحُ القُدُسُ كلاهُما من مادَّةِ الآب، فإنَّ الشِّرْكَ لا بدَّ أنْ ينتصِر. وقد سلَّمَ بما في تصويرِ أشخاصٍ ثلاثةٍ في صورةِ إلهٍ واحدٍ من صعوبة، ولكنَّه قالَ بأنَّ العقلَ يجب أنْ يخضَعَ لما فيه الثالوث من خفاءٍ وغموض.

---

(1) يُعبَّر عنه بأول «مجْمَع مسْكوني».

(2) يمكنُ تقسيمُ المجتمِعين في هذا المجمَع إلى ثلاثةِ أحزاب:

1- الحزْبُ المصْري، وعلى رأسِهِ ألكسندر وأثَناسيوس الشمَّاس.

2- حزبُ آريوس اللُّوقيانوسيون (أتباع لوقيانوس)، وعلى رأسِهِ الأسقُف يوسَبْيوس النيقوميدي (الذي صارَ مقرَّباً من القيصر قسطنطين)، والبعضُ من أعضاءِ المجمَع المتحمِّسين.

3- الحزْبُ المحايد، وعلى رأسِهِم يوسَبْيوس القيصري، مؤرِّخُ الكنيسةِ، الذي كان يميلُ إلى آراءِ لوقيانوس، لكنَّه لم يكن متحمِّساً كالحزْبِ الثاني.

ويُنقَلُ عن بعضِ المؤرِّخين قولُهُم بأنَّ أغلبية الأساقفة الذين كانوا يُمثِّلونَ الكنائسَ في هذا المجمع، كانوا على درجةٍ متوسِّطةٍ من العلْم.

ووافقَ جميعُ الأساقفةِ على رأي أثناسْيُوس، عدا سبْعةَ عشَرَ منهم، ووقَّعوا قراراً يُعْلنونَ فيه هذا الرَّأي. ورضِيَ مؤيِّدو آريوس أنْ يُوقِّعوا معهم إذا سُمِحَ لهم بأنْ يُضيفوا إلى هذا الإعلان نُقطةً واحدة، وهي أنْ يستبدلوا كلمةَ «هُمويوسيون Homoiousion» (أي مماثلاً في الجوهر) بكلمةِ «همؤوسيون Homoousion» (أي من جوهر واحد)[1]. ولكن المجلِس رفضَ هذا التعديل، وأصدَرَ بموافقةِ الإمبراطور القرارَ التالي:

«نحنُ نؤمنُ بإلهٍ واحدٍ، وهو الآبُّ القادرِ على كلِّ شيء، خالِقِ الأشياءِ كلِّها، ما ظهرَ منها وما بطَن، وبسيِّدٍ واحدٍ هو المسيحِ ابنِ الله، المولود... غيرِ المخلوق من نفْسِ جوهرِ الآب... وبأنَّه من أجلِنا نحنُ البشر ومن أجلِ نجاتِنا نزَلَ وتجسَّدَ وصارَ إنساناً، وتعذَّبَ، وقامَ مرَّةً ثانيةً في اليومِ الثالثِ، وصعَدَ إلى السَّماء، وسيعودُ ليُحاسِبَ الأحياءِ والأموات...».

ولم يرفُض توقيع هذه الصِّيغة إلا خمسةٌ من الأساقفة، نقصوا آخرَ الأمرِ إلى اثنين. وحكَمَ المجلسُ على هذينِ الأُسْقُفين، وعلى آريوس الذي لم يتزحزح عن عقيدتِهِ أو يتوبَ عمَّا صدرَ منه، حكَمَ عليهم باللَّعنةِ والحرمان[2]، ونفاهُم الإمبراطورُ من البلاد. وصدَرَ

---

(1) الكلمةُ الأولى كان يستخدُمها آريوس، والكلمةُ الثانيةُ كان يستخدُمها ألكسندر.
انظر: د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، ص20.
ويعتقدُ البعضُ أنَّ مستشارَ قسْطنطين هو الذي أدخلَ الاصطلاح الثاني، وعبارة «مساوٍ للآبِ في الجوهر»، لأنَّه كان مُقرَّباً من قسْطنطين. وقد اعترَضَ أتباعُ آريوس بأنَّ هذه العبارةَ «مساوٍ للآبِ في الجوهر» لا توجدُ في الكتابِ المُقدَّس، بل هي غريبةٌ عليه، وبناءً على ذلك يجبُ رفضُها. ولكن أثناسيوس، وأتباعُ الحزْب المصْري، قالوا بأنَّه صحيحٌ أنَّ هذا الاصطلاح غيرُ موجودٍ حرفياً في الكتابِ المُقدَّس، لكنَّه معنوياً مأخوذٌ منه.

(2) جاءت قراراتُ مجمَع نيقية في عشرين قراراً، وتمثَّلت القراراتُ التي صدرت بشأنِ الآريوسيين ومن عاوَنَهُم في النحو التالي:
1- إثباتُ ألوهية المسيح، وتقريرُ عقيدة التثليث.
2- تكفيرُ من يذهب إلى القولِ بأنَّ المسيحَ إنسانٌ.
3- تكفيرُ آريوس وحرمانُهُ وطردُهُ.
4- إحراقُ جميعِ الكُتُب التي لا تقولُ بألوهيةِ المسيح، أو تحريمُ قراءَتِها. ومن هذه الكُتُب أناجيلُ فِرَق التوحيدِ التي تُقرِّرُ بشرية المسيح في أنَّه رسولٌ فقط. وتمَّ اختيارُ أربعة أناجيل على أساسِ التَّصويت، هي: متَّى ومرقس ولوقا ويوحنَّا.
5- حرْقُ كُتُب الآريوسية كاملةً، بحيث لا يبقى لها ذكرٌ أو أثر، وإدانةُ من يقوم بإخفائِها، والحكمُ عليه بالموت. وعلى رأسِ هذه الكُتُب، كتاب «الثاليا» لآريوس. =

مرسومٌ إمبراطوريٌّ يأمُرُ بإحراقِ كُتُب آريوس جميعُها، ويجعَلُ إخفاءَ أيّ كتابٍ منها جريمةً يُعاقَبُ عليها بالإعدام[1].

واحتفَلَ قسْطَنْطين بانفضاضِ المجلس، بأنْ دعا جميعَ الأساقفة الذين حضَرُوهُ إلى وليمةٍ ملَكيَّةٍ، ثمَّ صرَفَهُم بعدَ أنْ طلَبَ إليهم ألَّا يُمزِّقَ بعضُهُم أجسادَ بعض.

ولكنَّهُ أخطأَ إذْ ظنَّ أنَّ النِّزاعَ قد وقفَ عند هذا الحدِّ، أو أنَّه هو لن يُغيِّرَ رأيَهُ فيه. غيرَ أنَّه كان على حقٍّ حينَ اعتقدَ أنَّه خطا خطوةً كبيرةً في سبيلِ وحدةِ الكنيسة. فلقدَ أذاعَ المجلسُ عقيدةَ الكثرةِ العُظْمى من رجالِ الدِّين، وهي أنَّ نظامَ الكنيسةِ وبقاءَها يتطلَّبانِ تحديدَ العقائدِ بطريقةٍ ما. وقد أتْمَرَ آخرَ الأمر ذلك الإجماعُ العمَليُّ على العقيدةِ الأساسية التي اشتُقَّ منها اسْمُ الكنيسةِ في العصورِ الوسطى، وهو «الكنيسة الكاثوليكية». وكان في الوقتِ نفسِهِ إيذاناً باستبدالِ المسيحيَّة بالوثنيَّة، وجعلِها المظهَرَ الدِّيني والعضُدَ القويّ للإمبراطوريةِ الرُّومانية. واضطُرَّ قسْطَنْطين أنْ يكونَ أكثرَ تصميماً من ذي قبْل على التَّحالُفِ مع المسيحية. وهكذا

= 6- نفيُ صديقين لآريوس إلى بلادِ الغال، هما أوسابيوس أسقف نيقوميديا، ويثوجنس أسقف نيقية، لإيوائِهما آريوسيِّين منقطعينَ عن الشّركة، وعُيِّنَ مكانَهُما أسقُفينِ آخرين.

7- حرمانُ ميليتوس أسقف ليكوبوليس من ترسيمِ رجالِ الدِّين، واحتفاظُهُ بلقب أسقُف كلقَبٍ شرَفيٍّ فقط.

8- عدمُ قبول أصحاب بولُس السميساطي، ومن كان في درجتِهم، إلا إذا اعتمدوا في الكنيسة، لأنَّ عمادَهُم الذي نالوهُ من هيئةِ الهراطقة لم تتوفَّر فيه كلُّ الشُّروط، خصوصاً الإقرار بالثالوثِ الأقدس.

انظر: د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، ص30 ـ 31.

وقد جاء في نصِّ اللعنة: «أما أولئكَ الذين يقولون: كان هناك وقتٌ لم يكن الابنُ موجوداً فيه، أو إنَّه لم يكن موجوداً حين لم يكن قد وُلِدَ بعد، أو إنَّه صُنع من العدم، أو أولئكَ الذين يقولون عن ابنِ الله إنَّه من أقنوم آخر، أو جوهر، أو مخلوق، أو متغيِّر وغير ثابت، فالكنيسةُ الكاثوليكيةُ تلعَنُهُم»! انظر: ج. ويتلر، **الهَرطقة في المسيحية**، ص82.

لذا، هذا المجمَع قد وضَعَ اللَّبنة الأولى لحرمانِ الآباء والأساقفة المخالفين لعقيدةِ الكنيسة ونفيِهِم، بل وقتْلِهم إذا اقتضى الأمر. وأصبحَ ذلك سُنَّةً اتَّبعَها الآباءُ في المجامعِ المسكونيةِ اللاحقة.

(1) ويبدو أنَّ القرآنَ يشيرُ إلى هذا المجْمَع المسْكوني الأول في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ * قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ۖ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ * سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الزخرف، 79 ـ 84).

بدأت حضارةٌ جديدة، مؤسَّسةٌ على دينٍ جديد، تقومُ على أنقاضِ ثقافةٍ مضعضعةٍ وعقيدةٍ محتضِرة. لقد بدأت العصورُ الوسطى»[1].

ويمكنُ القول إنَّ مجْمَعَ نيقية لم يضَع حدّاً لمعركةِ آريوس والآريوسيَّة، بل كان هذا المجْمَعُ في واقعِ الأمر بدايةَ المعركة الحقيقيَّة التي واجهَت الكنيسة، رغمَ الحُكمِ بالإدانةِ والحرْمانِ واللَّعنة.

فقد عادَ الأساقفةُ والآباءُ الذين وقَّعوا على مسودَّةِ نيقية خوفاً من بطْشِ الإمبراطور، وبدأوا من جديدٍ بنشْرِ تعاليم آريوس في كنائِسِهم، ممَّا أدَّى إلى بروزِ اضْطراباتٍ كرِسْتولوجية طالَ أمرُها حتى نهايةِ القرْن الخامس الميلادي، حيثُ أُثيرت إشكالاتٌ كثيرةٌ حولَ طبيعة المسيح وذاتِهِ، فقد أصبحَ سِرُّ لاهوتِهِ المشكلةَ الأولى والعُظْمى أمامَ العقل المسيحي المُثقَّف، وكثُرَت في ذلك الآراءُ والمذاهب.

وقد استطاعَ بعضُ الأساقفةِ المُقرَّبين إلى قسْطَنْطين -من أتباعِ تعاليمِ آريوس- إقناعَ الإمبراطور في العفوِ عن آريوس. فقَبِلَ الإمبراطورُ ذلك، فأرجعَهُ من المنفى في سنةِ 328م. واستطاعَ الآريوسيُّون البروزَ مجدَّداً، وتمكَّنوا من تنصيبِ بعض الأساقفة من حزْبِهِم، واشتدَّ الصِّراعُ بين آريوس وأتباعِهِ مع أثَناسْيُوس (الذي انتُخِبَ أُسْقُفاً للإسكندريةِ خلَفاً لألِكْسَنْدر سنة 328م)[2] وأتباعِهِ من جهةٍ أخرى. وتُوفِّيَ آريوس سنة 336م، وهو شيخٌ في الثمانيةِ والثمانين من عمرِهِ بعد تنصيبِهِ رسْمياً أُسْقُفاً على مدينةِ أورشليم. وقد تضاربت الآراءُ في سبَبِ موتِهِ[3].

ومن بعد قسْطَنْطين، الذي انتهى به المطافُ إلى تبنِّي العقيدة الآريوسيَّة، جاءَ من بعدِهِ ابنُهُ قسطَنْطيوس، وأصبحت هذه العقيدةُ الدِّيانةَ الرَّسميَّةَ للدَّولة. ثمَّ تراوحت هذه العقيدةُ الآريوسيَّة في انتشارِها وانحسارِها بين مدٍّ وجَزر، لكنَّها استمرَّت حاضرةً حتى عهدِ هِرَقِل، في القرْنِ السَّابع، بدليلِ أنَّ النبيَّ محمَّداً (ص) حين وجَّهَ خطابَهُ لهِرَقِل، حمَّلَهُ ذنْبَ الأريسيِّين لو لم يُسْلِم[4]. فقد جاءَ في نصِّ الرِّسالة - كما تذكُر كتُبُ التواريخ والسِّيَر - ما يلي:

«بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم: من محمَّدِ بنِ عبدِ الله، إلى هِرَقِل عظيم الرُّوم، سلامٌ على من اتَّبَعَ الهُدى، أما بعدُ، فإنِّي أدْعوكَ بدعايةِ الإسلام؛ أسْلِم تَسْلَم، يُؤْتِكَ اللهُ أجرَكَ مرَّتين، فإنْ

---

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص392 - 396.

(2) وكان عمره آنذاك ثلاثون سنة فقط، وهي سابقة ملفتة لها دلالتها.

(3) علي الشيخ، **لاهوت المسيح**، ص164 - 165.

(4) انظر: د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، ص38.

تولَّيْتَ فإنَّما عليكَ إثْمُ الأريسيِّن، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1]»[2].

(1) سورة آل عمران، الآية 64.

(2) علي أحمدي، **مكاتيب الرسول**، دار صعب، بيروت، ج1، ص105.

الفصل الرَّابع:

أهمُّ اعتقادات المسيحيِّين

أستعرِضُ في هذا البابِ أهمَّ اعتقادات المسيحيِّين، وتتمثَّلُ فيما يلي: تأليهِ المسيح، والتَّثليثِ، وعقيدةِ الفداء، والمجيءِ الثاني للمسيح، والمَعَاد.

أولاً: تأليهُ المسيح

يسوع ابنُ مريم، في نظرِ المسيحيِّين، هو اللهُ المُتجسِّدُ على الأرض. الإيمانُ بهذهِ الحقيقةِ بالنِّسبةِ إليهم بالغَ الأهمية، وعدمُ الإيمانِ بها وإنكارُها يُؤدِّي إلى الهلاك.

ويرى المسيحيُّونَ أنَّ الحديثَ عن يسوع بوصفِهِ مجرَّد معلِّمَ أخلاقٍ، أو حتى نبيّاً، هو انتقاصٌ كبيرٌ من قدْرِهِ، وإساءةٌ إلى شخصيَّتِهِ، إذا نُفِيَت عنه صفةُ الأُلوهية. إما إذا أُثبِتَتْ له صفةُ الأُلوهية، وأنَّهُ يشترُكُ مع اللهِ الآب في جوهرٍ واحد، فهو بالإضافةِ إلى كونِهِ كذلك، هو أيضاً ابنُ الله، ونبيٌّ، ومسيحٌ، ومخلِّصُ العالَم، والسيِّد، وابنُ الإنسان، والباب، ورأسُ الكنيسة، وخبزُ الحياة، والكلمةُ، وحمْلُ الله، والرَّاعي الصَّالح.

وشبَّه بعضُهُم اشتراكَ الله الآب مع يسوعِ المسيح في جوهرٍ واحدٍ، بالقضيبِ الحديدي الذي استمدَّ الحرارةَ من النَّار. فيسوعُ المسيح بمثابةِ القضيب الذي وُضِعَ على النَّارِ حتى احمرَّ من الحرارة. فاشترَكَ القضيبُ مع النَّارِ في جوهرٍ واحد، وهو الحرارة. والقضيبُ قبلَ أنْ يوضَعَ على النَّار، لا يحْرِق، وإنَّما قد يكْسِرُ يدَ البشَر فيما لو ضُرِبَ به. لكن بعدما احمرَّ من الحرارة، يُصبِحُ له أثران: الكسْر والإحراقُ. فكذلكَ يسوعُ المسيح له أثرٌ بوصفِهِ إلهاً، وله أثرٌ آخرَ بوصفِهِ بشَراً. فهو إلهٌ «تجسَّدَ» في بشَرٍ، له كلُّ صفاتِ الإله، وله كلُّ صفات البشر، باستثناءِ الخطيئة، لأنَّها ليست صفةٌ أصيلةٌ في الإنسان، وإنَّما مكتسبة، اكتسَبَها باختيارِهِ. فيسوع المسيح عندما يمشي على رجليْهِ، ويُمسِكُ بيدِهِ المريضَ ويتكلَّم بلسانِهِ، فهو يُعبِّرُ عن ناسوتِهِ. لكن عندما يمشي على الماءِ ويشْفي المريضَ بلمْسةٍ أو كلمةٍ، فهو يُعبِّرُ عن لاهوتِهِ. وعندما صُلِبَ كان يتألَّم من حيثُ

النَّاسوت، لكنَّه لم يكن يتألَّم من حيث اللَّاهوت. وكذلك عندما ماتَ على الصَّليب؛ من ماتَ هو الإنسان (حيثُ انفصلت روح يسوع عن جسَدِهِ)، أما الله فهو حيٌّ لا يموت.

واستدلُّوا على تأليهِ المسيح بأدلَّةٍ نقليَّةٍ من العهدِ الجديد، من تصريحاتٍ منْسوبةٍ إليه، حيثُ جاء في إنجيلِ يوحنَّا:

1. «لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ»[1].

وكلمةُ «أنا هو» يُفسِّرُونَها حسبَ سِفْر أشعيا: «اِسْمَعْ لِي يَا يَعْقُوبُ، وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي دَعَوْتُهُ: أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ»[2].

2. «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. أَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأبدِ، وَلَا يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالآب وَاحِدٌ»[3].

ويرى المسيحيُّون أنَّ عبارةَ «أَنَا وَالآب وَاحِدٌ»، ظاهرةٌ في إثباتِ ألوهيةِ يسوع.

3. «لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً، وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ». قَالَ لَهُ تُومَا: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآب إِلَّا بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ». قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآب وَكَفَانَا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآب، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآب؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآب وَالآب فِيَّ؟ الْكَلَامُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآب الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآب وَالآب فِيَّ، وَإِلَّا فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا»[4].

---

(1) **إنجيل يوحنا** 8: 24.
(2) **سفر أشعيا** 48: 12 ـ 13.
(3) **إنجيل يوحنا** 10: 27 ـ 30.
(4) **إنجيل يوحنَّا** 14: 1 ـ 11.

ويرى المسيحيُّون أنَّ هذه العبارات: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآب، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآب؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآب وَالآب فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآب الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآب وَالآب فِيَّ»، ظاهرةٌ في إثباتِ ألوهيةِ يسوع.

كما استدلُّوا أيضاً على ألوهيةِ يسوع بأدلَّةٍ، منها:

1. **ميلادُهُ الفريد**: فميلادُهُ من دونِ أبٍّ، دليلٌ على أنَّ يسوعَ ليس له أبٌّ سوى الله. وإلا لو كان يسوعُ مجرَّدَ إنسانٍ، فلِمَ لم يُولَد كما يُولَدُ سائرُ البشر؟

لذا، يسوع هو الكائنُ البشريُّ الوحيد الذي لم يرِثْ خطيئةَ آدم، في حين أنَّ كلَّ البشر ورثوا الخطيئة، لأنَّهم توارثوا دمَ آدم الذي أفسدَتْهُ الخطيئة.

2. **آياتُهُ البيِّنةُ الخارقة**: كالخلْقِ والإبراءِ من المرَضِ والإحياءِ من الموت. ويرونَ أنَّ هناكَ فارقاً أساسيّاً بين آياتِ يسوع وآياتِ بقيَّة الأنبياء؛ وهو أنَّ آيات يسوع جاءت بقوَّتِهِ الذَّاتية، بخلافِ آيات بقيَّة الأنبياء فقد جاءت بإذنٍ وتسديدٍ من اللهِ.
3. **كونُهُ غافِراً للخطايا**: وهذه الصِّفةُ مختصَّةٌ باللهِ وحدَهُ، واستدلُّوا على ذلكَ بقولِ يسوع للمفْلوج الذي جاءَ إليه: «يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ»[1]، ثمَّ جاءَ بنحوٍّ مُكرَّر في رسائلِ بولُس ما فُهِمَ منه أنَّ يسوع هو يغفرُ الخطايا[2].
4. **كونُهُ كلِّيَّ العِلْم**: وهذه الصِّفةُ مختصَّةٌ باللهِ وحدَهُ، واستدلُّوا على ذلكَ بما جاءَ في إنجيلِ يوحنَّا على لسانِ التلاميذ: «الآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ»[3].
5. **كونُهُ سرْمديّاً**: وهذه الصِّفةُ مختصَّةٌ باللهِ وحدَهُ، واستدلُّوا على ذلكَ بما جاءَ في إنجيلِ

---

(1) **إنجيل متى** 9: 2، **إنجيل مرقس** 2: 5. ويلاحظ هنا أنَّ غفرانَ الخطايا ـ في لسان يسوع ـ مبنيٌّ للمجهول، ولم ينْسِب غفرانَ الخطايا لنفسِهِ، فلا يصحُّ الاستدلالُ بمثلِها. ويبدو أنَّ القومَ قد خلطوا بين «غفرانِ الخطايا» و«استغفار الخطايا». فالمسيحُ يستغفرُ خطايا أتباعِهِ، بمعنى أنَّه يشفع لهم عند الله. لا أنَّه يغفرُ الخطايا، لأنَّه لا يغفرُ الخطايا إلا الله تعالى.

(2) **رسالة بولُس إلى أهل كولوسي** 2: 13، 3: 13.

(3) **إنجيل يوحنا** 16: 30.

الموجبة الكلية ينقضها السالبة الجزئية. على هذا الأساس ينقضُ هذا الادِّعاء تصريحُ المسيح بعدم علْمِهِ بزمنِ قيام السَّاعة، حيثُ قال: «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الابْنُ، إِلَّا الآبُ». (**إنجيل مرقس** 13: 32).

يوحنَّا: «أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازاً فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا»[1].

6. **قيامتُهُ**: فالإنسانُ عندما يموت، يصبحُ عاجزاً تماماً عن إحياءِ نفسِهِ. لكن يسوع انتصَرَ على الموت، فبعدما انفصَلَت روحُهُ عن جسدِهِ، تمكَّنَ من إقامةِ نفسِهِ من الأموات. وهذا الأمرُ لا يستطيعُ القيامُ به إلا إله.

الموقفُ من هذا الأصْل:

يرِدُ على تأليهِ المسيح سلْسلةٌ من الإشكالاتِ الدَّاخليةِ، منها ما وَرَدَ في الأناجيل:

1. قول يسوع: «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»[2].

وهذا يعني أنَّ يسوع أقلُّ شأناً من الآب، فكيفَ يصُحُّ القولُ بتساوي الجوهر الإلهي في الآبِ والابن؟

2. وَرَدَ في حوارِ أحدِهِم مع يسوع: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلَاحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟» فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ»»[3].

في هذه العبارة، نفى يسوعُ الألوهيَّةَ عن نفسِهِ، ورفضَ بنحوٍ صريحٍ أنْ يُدْعى «صالحاً»، معتبراً أنَّ هذا الوصفَ للهِ فقط.

3. قول يسوع: «إِلهِي وَإِلهِكُمْ»[4].

---

(1) **إنجيل يوحنا** 8: 56 ـ 59.
وهذه العبارة إنْ صحَّت، فيمكن حملُها على الأسبقية الرُّتبية لا الزَّمانية، كالحديثِ المروي عن النبيِّ (ص): «كُنْتُ وآدمُ بين الماءِ والطِّين»، بمعنى أنَّ نورَهُ ومشيئةَ خلقِهِ سبَقَ نور ومشيئةَ خلْق غيرَهُ. والأسبقيةُ الرُّتبية لا تستلزمُ السَّرمديةَ أبداً، ولا تنفي الفقرَ والحاجةَ عنهم. والله أعلم.

(2) **إنجيل يوحنا** 14: 28.

(3) **إنجيل متى** 19: 16 ـ 17، **إنجيل مرقس** 10: 17 ـ 18، **إنجيل لوقا** 18: 18 ـ 19.

(4) **إنجيل يوحنا** 20: 17.

وهذا يعني أنَّ اللهَ هو إلهُ يسوع[1].

4. القولُ المنْسوبُ له وهو على الصَّليب: «إلهي، إلهي، لماذا تركْتَني؟»[2].

فهل يحتاجُ الإلهُ إلى إلهٍ غيرَهُ؟ وهل يتوسَّلُ ويتضرَّعُ إلهُ إلى إلهٍ آخر؟ ومن كان يُنادي إنْ كان هو الله يُمثِّلانِ أقنومانِ لجوهرٍ واحد؟

5. قول بُطرُس: «فَإِذْ كَانَ نَبِيّاً، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ «يُقِيمُ» الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا رَأَى جَسَدُهُ فَسَاداً. فَيَسُوعُ هذَا «أَقَامَهُ اللهُ»، وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهُودٌ لِذلِكَ»[3].

وهذا تصريحٌ منسوبٌ إلى بُطْرُس بأنَّ من أقامَ يسوع هو الله، ولم يُقِمَ هو نفسَهُ من الأموات.

وإذا أردْنا نقدَ ألوهيَّة يسوع نقداً خارجياً، من خلالِ بيانِ وجهة نظر القرآن، فيمكنُ سرْدُ النّقاط التالية:

- **ولادتُهُ الخارقةُ آيةٌ لا تُبرِّر تأليهَهُ**: فالقرآنُ يؤكِّدُ على أنَّ ولادتَهُ آيةٌ، قالَ تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[4].

فهي وهو آيةٌ للهِ تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

لكن في النِّهايةِ هو بشَرٌ. وما يُميِّزُهُ عن بقيَّةِ الأنبياء والرُّسُل أنَّه خُلِقَ بكلمةِ «كُنْ»، التي تنخرطُ في الأسبابِ الطَّبيعية لتُوجِدَ منها ما لا يوجدُ عادةً.

وهو في هذه الناحيةِ يُشْبِهُ آدمَ؛ فكلاهُما لم يكُن ثمَّ كان، وكلاهُما مخلوقٌ من ترابٍ،

---

(1) ويقترب هذا كثيراً إلى ما ورد في القرآنِ على لسانِهِ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران، 51).

(2) **إنجيل متى** 27: 46، إنجيل مرقس 15: 34.

(3) **أعمال الرُّسل** 2: 31 ـ 32.

(4) سورة مريم، الآيات 19 ـ 21.

(5) سورة الأنبياء، الآية 91.

وكلاهُما نفخةٌ من اللهُ، ثمَّ قالَ له «كُنْ» فكان: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

- **اللهُ لم يلِد له ولَدٌ:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2] فإنْ كان القولُ بأنَّ يسوع هو ابنُ الله، واللهَ تعالى هو الآب، ناشئاً من سوءِ فهمٍ واشتباهٍ في ترجمةِ الأناجيلِ القديمةِ من الإغريقية واللاتينية، فهذا مفهومٌ.

لكن أنْ يُعبَّرَ عن ذلك بعقيدةٍ تَنْسِبُ إلى اللهِ تعالى الوَلَد، فهذا الأمرُ - في نظرِ القرآن - خطيرٌ وغيرُ مقبول، وجُرْأةٌ على اللهِ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[3].

- **تأليهُ المسيحِ يُورِّطُ الإنسانَ في الكُفْر:** بل هو خلافُ تعاليمِهِ أيضاً: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[4].

فالقدرةُ المطْلقة، والمالكيَّةُ المطْلقة هي للهِ وحدَهُ، والضَّعفُ والافتقارُ هو مكتوبٌ على جبينِ كلّ مخلوق، وهذا يشْملُ المسيح وأمَّهُ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[5].

- **النَّهيُ الشَّديد عن الغُلُوِّ في المسيح:** جاءَ في القرآن: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...﴾[6].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 59.
(2) سورة الإخلاص، الآيات 1 ـ 4.
(3) سورة مريم، الآيات 88 ـ 93.
(4) سورة المائدة، الآية 72.
(5) سورة المائدة، الآية 17.
(6) سورة النساء، الآية 171.

فالمسيحُ ابنُ مريمَ هو كلمةُ «كُنْ» ألقاها إلى مريمَ، وهو روحٌ صادرةٌ منه، نفخَهَا روحُ القُدُسِ فيها.

وإلا، إذا استثنيا ولادتَهُ الخارقةَ للعادةِ، وآياتَهُ الخارقةَ للعادةِ، واستثنيا كونَهُ نبيّاً رسُولاً يُوحى إليه: فهو بشَر، من لحْمٍ ودمٍ، يحتاجُ هو وأمُّهُ الطَّعامَ. فهو يجوعُ ويضْعُف بدَنُهُ إنْ لم يتناولَ الطَّعام، والطَّعامُ يسيرُ في دورةٍ طبيعيَّةٍ إلى جهازِهِ الهضمي، ثمَّ يتحوَّلُ إلى طاقةٍ، كبقيَّةِ البشر. ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

ومن أنماطِ الغُلُو الذي ظهَرَ في تاريخِ المسيحيَّة، فرقةٌ غلَت في مريم، سُمِّيَت بـ«المرْيمية». ويبدو أنَّها اندثرت، لأنَّ العقيدةَ المسيحيَّةَ الرَّائجةَ تنفي عن نفسِها الغُلُوَّ في مريمَ والاعتقادَ بألوهيَّتِها.

مع ذلك القرآنُ أشارَ إلى هؤلاء، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[2].

- **آياتُهُ البيِّنات بإذنٍ من اللهِ وليس بقوَّتِهِ الذَّاتية:** فالقرآنُ دون أنْ يتطرَّق مباشرةً إلى اعتقادِ المسيحيِّين بقوَّةِ المسيح الذَّاتيَّة عند القيامِ بالآياتِ الخارقة، يُكرِّرُ «بإذني»، ليُؤكِّدَ على حقيقةِ أنَّ كلَّ شيءٍ يقعُ في الكونِ بإذنِهِ، ويستمدُّ القوَّةَ والقُدْرةَ منه[3]: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[4].

ثانياً: التَّثْليث

التَّثليثُ يعتبرُ من أهمِّ أصول المسيحيَّة الرَّائجة. وهي عقيدةٌ ترتبطُ بذاتِ اللهِ، وتشيرُ

(1) سورة المائدة، الآية 75.
(2) سورة المائدة، الآية 116.
(3) الأمر الملفت أنَّ مثل هذا التأكيد والتكرار لا نجِدهُ في القرآن عند ذكر بقية آيات الأنبياء الخارقة.
(4) سورة المائدة، الآية 110.

- في نظَرِهم - إلى حقيقةٍ تفوقُ الوصْفَ، وليست في متناولِ عقْل الإنسان. على هذا الأساس، لا بدَّ للإنسانِ أنْ يُؤمِنَ بها إيماناً، حتى لو لم يتعقَّلْها.

طبعاً هذا لا يعني أنَّ المسيحيِّينَ يقولون بوجودِ ثلاثةِ آلهةٍ مستقلَّة، كما يتوهَّم الكثيرون. بل شعارُهُم - كالمسلمينَ واليهود - لا إله إلا الله، فهذه الأديانُ السَّماويةُ الثلاثةُ هي دياناتٌ توحيدية. لكن هم يقولون إنَّه إلهٌ واحدٌ له أقانيمُ[1] ثلاثةٌ: الآب، والابنُ، وروحُ القُدُس[2]. وإنْ كان لازمُ كلامِهِم هو الاعتقادُ بثلاثةِ آلهة، لكنَّهم يُؤكِّدونَ على أنْ ليس هناكَ سوى الله، واحدٌ فقط!

وثمَّة اتِّهامات بأنَّ عقيدةَ التَّثليث تمَّ إقحامُها في العهدِ الجديد، كما أكَّدَ المحقِّقونَ الغربيُّونَ بعد مقارنةِ النُّسَخ الخطِّية بعضَها ببعض. من بينِ هؤلاء - يا للغرابة - الفيزيائي الشَّهير إسحاق نيوتن. وبالتَّحديد، في رسالةٍ يوحنَّا الأولى، الإصْحاح الخامس (6 - 8)، جاءت هذه الفقرات: «**هذَا هُوَ الَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ. لَا بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. وَالرُّوحُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ، لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الأَبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلَاثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ**».

في حين أنَّ الأصْلَ هكذا: «**والَّذينَ يشْهدُونَ ثلاثة: الرُّوحُ والماءُ والدَّمُ، وهؤلاء الثَّلاثة متَّفِقُون**». فحُرِّفَتْ وقُسِّمَت الشَّهادةُ إلى سماويةٍ وأرضية، وأُضيفَ التَّثليثُ بوصفِهِ شهادةً سماوية، في حين أنَّ الأصلَ يتحدَّث عن شهادةٍ واحدةٍ، هي شهادة الرُّوح والماء والدَّم.

كتَبَ نيوتن حول هذا النَّصّ: «في الأمم الشَّرْقية، ولوقتٍ طويلٍ في الغرْب، كان الإيمانُ مستمرّاً بدون نصِّ الثَّالوث، إلا أنَّ جعلَ الدِّينِ الآنَ يتَّكِئُ على عصى هشَّة، يُشكِّلُ خطراً على الدِّينِ أكثرَ من كونِهِ ميزة. لا توجدُ هنالكَ خدْمةً للحقيقةِ أكثرَ من تطهيرِها من الزَّيف...

---

(1) «أقنوم» تعريبٌ للكلمةِ السِّريانيَّة «قنوما - Qnoma»، وبالإنجليزيَّةِ هي Hypostasis، وجمعُها «أقانيم». وكلمةُ «أقنوم» تُفيدُ المعاني التالية: شخْصٌ، ذاتٌ، عينٌ، حقيقةٌ، جوهرٌ، أصْلٌ، ماهيَّةٌ، طبيعةٌ مُفْرَدَةٌ، كائنٌ حيٌّ قائمٌ بذاتِهِ (أي إنَّه يستمدُّ أعمالَهُ من ذاتِهِ، وليس من آخر). واختُصَّت الكلمةُ بأقانيمِ الثالوث: الآب والابن والرُّوح القُدُس. وهي في اليونانية ὑπόστασις (هيبوستاسيس).

(2) لاحظ أنَّ الأقنوم الثالث: روح القُدُس عند المسيحيِّين ليس من الملائكة، وليس هو جبرائيل، كما يفهم كثيرٌ من المسلمين. والقرآنُ من جهتِهِ قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء، 85). فإنْ كان المقصودُ بـ«الرُّوح: في هذه الآيةِ الرُّوح القُدُس، فالقرآنُ كما يبدو فضَّلَ عدم التَّفصيل في هذا الأمر، واكتفى بما ذَكَر.

تاريخُ تحريفِ النَّصِّ باختصارٍ كالتالي: أولاً، قامَ بعضُ اللَّاتينيِّين بتفسيرِ الرُّوح، الماء والدَّم، بأنَّهُم كنايةً عن الآب، الابن والرُّوح القدُس، لإثباتِ أنَّ هؤلاءِ الثلاثة هم واحدٌ. ثمَّ قامَ جيروم، لنفْسِ الغرض، بإدْخالِ تلك الكلمات المُعبِّرة على الثَّالوثِ في نُسختِهِ.

وبعد وفاةِ جيروم بأربعةٍ وستِّين عاماً، بدأ الأفارقةُ بالاحتجاجِ بهذا النَّصِّ ضدَّ الواندال Vandals[1]. بعد ذلك دوَّنَ اللاَّتينيُّونَ تعليقَ جيروم في كُتُبِهِم. وبدأَ التَّغييرُ يتسلَّلُ ببطءٍ إلى النَّصِّ أثناءَ النَّسْخ. وكان ذلك بشكلٍ أوضح في القرْنِ الثاني عشر وفي القرونِ اللَّاحقة، عندما تمَّ إعادةُ إحياءِ النِّزاعِ القديمِ بين الباحثين.

وعندما ظهرت الطِّباعةُ، تسلَّلَ النَّصُّ من اللاتينيَّةِ إلى النُّسخةِ اليونانيةِ المطبوعةِ ضدَّ شهادة جميع المخطوطات اليونانية والنُّسخ القديمة. وبعد وقتٍ قصيرٍ، انتقلَ من دورِ النشْر في فينيسيا إلى اليونان»[2].

بل إنَّ نيوتن يتحدَّث عن تحريفٍ لنصٍّ آخرَ يتعلَّقُ بعقيدةِ تجسُّد الآب في الابن، استناداً إلى عبارةٍ في رسالةِ لبولس، جاءَ فيها: «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلَائِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ»[3].

حيثُ كتب: «ما فعلَهُ اللَّاتينيُّونَ لهذا النَّصِّ - نصِّ التَّثليث - فعلَهُ اليونانيُّونَ برسالةِ القدِّيس بولُس إلى تيموثاوس... والتي يقْرؤُونَها الآن: «**عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَد**»، في حين أنَّ كلَّ الكنائسِ لأوَّلِ أربعة أو خمسة قرون، وكلَّ كُتَّاب كلّ الطَّبعات القديمة، مثل جيروم، والآخرين أيضاً، قرأُوها «**عظيمٌ هو سِرُّ التَّقوى، الذي ظهَرَ في الجَسَد**». ولهذا فإنَّنا نجدُ أنَّ تلك هي القراءةَ المتنشرةَ في النُّسَخِ الإثيوبية، السِّريانية، واللَّاتينية، حتى يومَنا هذا، وحتى مخطوطات جيروم؛ لأنَّها لم تُتَح له الفرْصةُ لتصحيحِ اللَّاتينية القديمة في ذلك الموضِع»[4].

---

(1) قبائلُ من أصلٍ جرْماني، استوطنتْ إسبانيا، وغزتْ شمالَ إفريقيا في بداياتِ القرْن الخامس، ويعتقدُ أنَّ كلمةَ «الأندلس» العربية مشتقَّة من اسمِهِم. تحوَّلوا إلى الآريوسية، وكانوا يسخرون من الكاثوليك القائلين بأنَّ الآب والابن واحد في الجوهر.

(2) إسحاق نيوتن، وصف تاريخي لتحريف نصَّين مهمَّين من الكتاب المقدَّس: **التَّثليث والتجسُّد**، ترجمة هيثم سمير، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2016م، بيروت، ص43 - 44.

(3) **رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس** 3: 16.

(4) إسحاق نيوتن، **وصف تاريخي لتحريف نصَّين مهمَّين من الكتاب المقدَّس: التَّثليث والتجسُّد**، ص93.

على أيِّ حال، كلمةُ «التَّثليثِ» لم ترِدْ بنحوٍ صريحٍ في الكتابِ المُقدَّس. ويُظَنُّ أنَّ أوَّلَ من صاغَها واستعملَها هو تِرْتوليانوس في القرْنِ الثاني الميلادي. في مقابلِ هذا الاتِّجاه نحوَ التَّثْليث، تصدَّى لهذه العقيدة آريوس الذي نادى بأنَّ الآب وحدَهُ هو الأزلي، بينما الابن وروح القُدُس مخلوقان.

وقُلْنا فيما مضى، إنَّ العلماءَ المسيحيِّينَ افترقوا، بعد نقاشٍ طويلٍ وجدلٍ عنيفٍ، بين مُؤيِّدٍ لآريوس الذي نفى ألوهيَّة المسيح والتَّثليث، ومُؤيِّدٍ لأثَناسيوس المُدافِع عن ألوهيةِ المسيح والتَّثليث، فاضطرَّ الإمبراطورُ الرُّوماني قسْطَنْطين إلى الدَّعوةِ لعقدِ أوَّل مجْمَع مسْكوني سنة 325م في نيقية. وبعد نقاشٍ وجدلٍ استمرَّ أكثرَ من شهر، أبرموا عقيدةَ التَّثليث، وقد نصَّت عقيدةُ التَّثليث على ما يلي:

«نحنُ نعبدُ إلهاً واحداً في الثَّالوث، والثَّالوثُ في التَّوحيد، لأنَّ هناك شخصاً للآبِ، وآخرَ للابنِ، وآخرَ لرُوحِ القُدُس. إنَّهم ليسوا ثلاثةُ آلهة، ولكن إلهٌ واحدٌ، فكُلُّ الأشخاصِ الثلاثة هم أزلِيُّونَ معاً ومتساوون معاً، وهكذا فإنَّ الإنسانَ النَّاجي هو ذلك الذي يعتقدُ بالثَّالوث»!

وقد ترسَّخَت عقيدةُ التَّثليثِ بعدَ عقودٍ قلائِلَ سنة 381م[1]، وسنة 431م[2]، ثمَّ صارت سنة 451م[3] عقيدةً رسْميةً لا تقبَلُ المناقشة. وصارَ الكلامُ ضدَّ الثالوث كُفْرٌ، ومن يتورَّط فيه فإنَّه يستحقُّ العقوبةَ أو حتى الموت.

الإيمانُ بتألِيهِ يسوع، والإيمانُ بالثَّالوث، يستبطانِ الإيمانَ بأنَّ يسوعَ هو ابنُ الله، بل هو الابنُ الحقيقيُّ الوحيدُ لله. نعم، البشَرُ أبناءٌ للهِ بالمحبَّةِ والتبنِّي والإيمان. هم أبناءٌ للهِ بالمجازِ والاعتبار، لكن بُنُوَّة يسوع للهِ هي بُنُوَّةٌ حقيقيَّة.

---

(1) في المجْمَع المسْكوني الثاني الذي عُقِدَ في القسْطنطينية، عقدَهُ الإمبراطور ثاودوسيوس الكبير، لمواجهةِ أصحاب مقدانيوس، الذي نادى بأنَّ روحَ القُدُس مخلوقٌ.

(2) في المجْمَع المسْكوني الثالث الذي عُقِدَ في أفَسُس، عقدَهُ الإمبراطور ثاودوسيوس الصَّغير، لمواجهةِ أصحاب نسْطور، الذين كانوا يرفضونَ القولَ عن العذراء مريم: «والدةُ الله»، لأنَّ هذا القول ينفي ناسوتَ المسيح.

(3) في المجْمَع المسْكوني الرَّابع الذي عُقِدَ في خلْقيدونية، عقدَهُ الإمبراطور مرْقيانوس، لمواجهةِ أصحاب أوطيخيوس وديسقوروس ويعقوب. وفي هذا المجمع انقسمت الكنائس إلى كنائس خلْقيدونية، وهي التي حضرت أو وافقت على قراراته، وكنائس غير خلْقيدونية ولم تحضر أو لم توافق على قراراته. الأولى صارت كاثوليكية، والثانية صار بعضُها الأرثوذكس.

الموقفُ من هذا الأصل:

جاءَ في إنجيلِ مرْقس المقْطَع التالي: «فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَناً، سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى»»[1].

على هذا الأساس، من الغريبِ حقّاً أنْ يؤمنَ الإنسانُ بالتَّوارةِ ووصاياها العشْر (التي جاءَ في أوَّلِ وصيَّتينِ منها: التأكيدُ على توحيدِ الله ونفي ألوهيَّةِ غيرِهِ، والتَّحذيرُ من التورُّطِ في عبادةِ غيرِهِ)، ثمَّ يُتورَّطُ بعد ذلكَ بتأليهِ المسيحِ والتَّثليث.

القرآنُ من جهتِهِ رفضَ هذه العقيدةَ رفضاً كاملاً، واعتبرَها تحريفاً خطيراً لدينِ اللهِ. فقد جاءَ في القرآنِ بعد أنْ نهى عن الغُلُوِّ في المسيح: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا * لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾[2].

وقالَ محذِّراً أئمةَ التَّثليث: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3].

أما المجْمَع المسْكوني الأوَّل (إلى الثَّالث) الذي أبرَمَ عقيدةَ التَّثليث، وأنَّ المسيحَ هو ابنُ اللهِ، وهو أزليٌّ أيضاً، فيبدو أنَّ القرآنَ أشارَ إليهم في قولِهِ:[4] ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ * أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ * قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ *

---

(1) **إنجيل مرقس** 12: 28 ـ 30.

(2) سورة النساء، الآيتان 171 ـ 172.

(3) سورة المائدة، الآيتان 73 ـ 74.

(4) وقيل إنَّ المقصودَ هم كفَّارُ قريش الذين أرادوا النيلَ من النبيِّ (ص).
وقيل إنَّ المقصودَ هم المنافقون الذي أرادوا اغتيالَ النبيِّ (ص) مع عودَتِهم من تبوك.
وقيل أيضاً إنَّ المقصودَ هم أولئكَ الذين اتَّفقوا في الكعبة على الانقلابِ على إعلانِ غديرِ خم.
لكن سياق الآيةِ يُرجِّحُ بقوَّةٍ أنَّ المقصودَ هو ما أبرمَهُ المجمَعُ المسْكوني الأوَّل، الذي كان له عواقب وخيمة جداً في تحريفِ مسارِ دينِ اللهِ في الأرض. =

سُبْحَانَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

ثالثاً: عقيدةُ الفداء

وهي من أصولِ المسيحيَّة الرَّائجة، ومن أهمِّ العقائدِ فيها، فهي جوهرُ البِشارة (الإنجيل). فالمسيحيُّون يعتقدونَ أنَّ المهمَّةَ الأساسيَّةَ لمجيءِ المسيح هي فداءُ البشريَّةِ وخلاصُها، من خلالِ تقديمِ نفسِهِ ورُوحِهِ قُرْباناً للبشريَّة.

عقيدةُ الفداءِ مرتبطةٌ بعقيدةٍ أخرى، هي عقيدةُ توارُث خطيئة آدم. فالمسيحيُّونَ يعتقدونَ أنَّ الإنسانَ قد قطَعَ علاقتَهُ مع اللهِ بسببِ هذه الخطيئة، فهبَطَ وانفصَلَ عن العالَمِ العُلْوي. هذا الانفصالُ، وتوارُثُ الخطيئة، أدَّى لموتٍ روحيٍّ لكلِّ إنسان. فهذا الإنسانُ يُولَدُ وهو حاملٌ لهذه الخطيئة، ولا يحيا ويتطهَّر ويظفَر بالخلاصِ إلا من خلالِ الاعتقاد بأنَّ المسيحَ - من خلالِ آلامِهِ وما تحمَّلَهُ في الصَّلْب - قد فدى البشريَّةَ عن خطاياها، وهو يحمِلُ تلك الخطايا عنهم.

لقد فُتِحَت أبوابُ الملكوتِ بمجيئِهِ، ولا يتمُّ الخلاصُ والمصالحةُ بين اللهِ والإنسانِ إلا من خلالِ الإيمان بأنَّ المسيحَ هو ابنُ الله، وأنَّه صُلِبَ من أجلِ الفداء.

كان بولُس هو أوَّلُ من تكلَّمَ عن الخطيئةِ الأصلية، وأنَّ البشريَّةَ كلَّها قد تلوَّثَتْ بسببِ هذه الخطيئة. ولا نجدُ لهذه الفكرة أثراً في العهدِ الجديد! فقد جاءَ في رسالةِ بولُس إلى أهلِ روما: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ»[2].

الجديرُ بالذِّكر أنَّ عقيدةَ الفداءِ ترتكزُ على الإيمانِ بصلْبِ المسيح.

= ويُؤيِّدُ هذا سياقُ الآيات التالية من سورة مريم: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۖ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (مريم، 34 - 38).

(1) سورة الزخرف، الآيات 79 - 84.

(2) **رسالة بولُس إلى أهل روما** 5: 12.

الموقفُ من هذا الأصل: القرآنُ رفضَ أساساً القولَ بقتْلِ المسيحِ أو صلْبِهِ. وهذا يعني أنَّه أسقطَ العمودَ الأساس الذي تقومُ عليه عقيدةُ الفداء.

ففي سياقِ تنديدِهِ باتِّهاماتِ اليهود لمريمَ وافتخارِهِم بأنَّهم قتلوا المسيح، قال: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

أيضاً رفضَ القرآنُ ربْطَ النَّجاة يومَ القيامة بالتمسُّكِ بمثْلِ هذه الاعتقادات، خصوصاً إنْ استخدمت كذريعةٍ للتهرُّبِ من الالتزام بالأعمالِ الصَّالحة. فعقيدةُ الفداء قد تتحوَّلُ إلى محفِّزٍ للفسادِ وذريعةٍ لارتكابِ الخطايا، طالما أنَّ النَّجاةَ مضمونةٌ من خلالِ الاعتقاد بهذه العقيدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

فهنا، في مقامِ مخاطبتِهِ للنَّصارى، كأنَّه يقولُ لهم: إنْ كُنْتُم تقولونَ: نحنُ أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤُهُ، لأنَّا نؤمنُ بأنَّ المسيحَ قد افتدى ذنوبَنا بصلْبِهِ، إذن لم يُعذِّبكُم بذُنوبِكُم، بدليل أنَّكم تهرعون إلى القسِّيس للتوبةِ والتماسِ الغُفْران من خلالِ الاعتراف بالذَّنب. وهذا يستبطنُ الإيمانَ الفطْري بأنَّ الإنسانَ رهينُ عملِهِ.

بل حذَّرَ القرآنُ المسلمينَ أيضاً من هذا النَّمطِ من التفكير، فلا يتوهَّموا أنَّ التمسُّكَ باعتقادٍ ما، بمجرَّدِهِ، ودونَ القيام بالعملِ الصَّالح، سوف يُؤدِّي إلى النَّجاةِ في الآخرة، فقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[3].

أما خطيئةُ آدم فهي خاصَّةٌ به، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4]، ولم ينكر القرآنُ أنَّ بنيهِ مُعرَّضونَ للوقوعِ فيما وقعَ فيه، لذا حذَّرَهُم من ذلك: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ

---

(1) سورة النساء، الآيات 156 ـ 158.
(2) سورة المائدة، الآية 18.
(3) سورة النساء، الآية 123.
(4) سورة الزمر، الآية 7. كما وردت في سورة الأنعام، الآية 164، سورة الإسراء، الآية 15، سورة فاطر، الآية 18، سورة النجم، الآية 38. (بل سبق سورة النجم أن هذا المعنى موجود في صحف موسى).

أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

بل عقيدةُ الفداء، وتحمُّلُ شخصٍ آخرَ لمسؤوليةِ أفعالِنا، لا تنسجِمُ حتى مع تعاليمِ العهدِ القديم، ورَدَ فيه:

«وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لَا يَحْمِلُ الابْنُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ؟ أَمَّا الابْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً. حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةً يَحْيَا. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لَا يَمُوتُ. كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لَا تُذْكَرُ عَلَيْهِ. فِي بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا»[2].

ولنا أنْ نتساءَل هنا على أساسِ ما ذكروهُ من توارثِ الخطيئة: هل ورثَت مريمُ العذْراء هذه الخطيئة؟

فإنْ قالوا نعم، قيلَ لهم: قد يُقال إنَّ يسوع ورَثَها أيضاً من مريم.

وإنْ قالوا: لا، فهذا يعني فيه احتمالين: إما أنَّ يسوع ليس وحدَهُ الذي لم يتنجَّس بخطيئةِ آدم، بل أمُّهُ مريم أيضاً لم تتنجَّس بها. وهنا يُنقَلُ الكلامُ إلى مريم، هل ورثَت الخطيئةَ من أبويها أو لا؟ وهذا يعني طهارةَ كلّ آباء وأجداد يسوع من طرَفِ أُمِّهِ، من الخطيئةِ، وليس يسوع وحدَهُ.

والاحتمالُ الثاني أنَّ يسوعَ لم يرِث الخطيئةَ من أمِّهِ، فهنا نتساءَل: هل يتمُّ توارُث الخطيئة من طرَفِ الأبِ فقط؟ وما الدَّليلُ على ذلك؟

ومن ناحيةٍ أخرى، إنْ ورَثَت مريمُ هذه الخطيئة، فهذا يعني أنَّها ورَّثَتها ليسوع، وهذا ينفي الألوهيَّة عنه. وإنْ لم ترِثُها فهذا يستدعي تأليهَها كما تمَّ تأليهُ ابنِها يسوع، إنْ كان مبرِّرُ التأليهِ هو عدمُ سريان الخطيئة.

رابعاً: المجيءُ الثَّاني للمسيح

كتَبَ ديورانت: «كانت ثمَّة عقيدة مشتركة وحَّدَت الجماعات المسيحيَّة المنتشرة في

(1) سورة الأعراف، الآية 27.

(2) سفر حزقيال 18: 19 ـ 22.

أنحاءِ العالَم: هي أنَّ المسيحَ ابنُ الله، وأنَّه سيعودُ لإقامةِ مملكتِهِ على الأرض، وأنَّ كلَّ من يؤمنُ به سينالُ النَّعيمَ المقيم في الدَّارِ الآخِرة. ولكن المسيحيُّونَ اختلفوا في موعِدِ عودةِ المسيح. فلمَّا أنْ ماتَ نيرون، وخرَّبَ تيطُس الهيكلَ، ولمَّا أنْ دمَّرَ هدرْيان أورشليم، رحَّبَ كثيرونَ من المسيحيِّينَ بهذه الكوارث، وعدُّوها بشائِرَ بعودةِ المسيح.

ولمَّا أنْ هدَّدت الفوضى الإمبراطورية في أواخرِ القرْن الثاني، ظنَّ ترْتليان وغيرُهُ أنَّ آخرةَ العالَم قد دنَت. وسارَ أحدُ الأساقفةِ السُّوريِّينَ على رأسِ قطيعِهِ إلى الصَّحراءِ ليلتقي بالمسيحِ في منتصفِ الطَّريق. وأفسَدَ أسْقُفٌ آخرَ في پنطس نظامَ أتباعِهِ، بأنْ أعلنوا أنَّ المسيحَ سيعودُ خلالَ عامٍ واحد. ولمَّا لم تصْدُق كلُّ هذه العلامات، ولم يعُد المسيح، رأى عقلاءُ المسيحيِّين أنْ يُخفِّفوا من وقْعِ هذه الخيبة بتفسيرِ موعدِ عودتِهِ تفسيراً جديداً، فقيلَ في رسالةٍ معزوَّةٍ إلى برنابا إنَّه سيعودُ خلالَ ألفِ عام... ثمَّ نُقِلَ الملكوتُ آخِرَ الأمر من الأرضِ إلى السَّماء، ومن حياةِ الناسِ في هذه الدُّنيا إلى الجنَّةِ في الدَّارِ الآخرة. بل إنَّ الاعتقادَ بعودةِ المسيح بعد ألفِ عامٍ أصبحَ لا يلْقى تشجيعاً من الكنيسة، وانتهى الأمرُ بأنْ صارت تُقاوِمُهُ وتحكُمُ على القائلينَ به بالزَّيغِ والضَّلال.

وملاكُ القولِ إنَّ الاعتقادَ بعودةِ المسيحِ الثانية هي التي أقامت صرْحَ المسيحيَّة، وإنَّ الأملَ في الدَّارِ الآخرة هو الذي أبقى عليها»[1].

من جانبٍ آخر، تتَّفِقُ الأدْيانُ التوحيديَّةُ الثلاثة: اليهوديَّة، المسيحيَّة، والإسلام، حولَ عقيدة المُنْجي والمُصْلِح العالَمي الذي سيأتي في آخرِ الزَّمان، والتي تعتبرُ من العقائدِ المُهمَّة.

وعلى الرَّغمِ من هذا التوافقِ بين الدِّياناتِ التوحيديَّة، إلا أنَّ هناك اختلافاً في تفاصيلِ هذه العقيدة من دينٍ لآخر؛ فاليهودُ يعتقدونَ بأنَّ المُنْتظَرَ الموعود هو من نسْلِ إسحاق، بل من نسْلِ داود بالتَّحديد، ويُسمُّونَهُ «المسيَّا» أو «المسيح»، وهم ينتظرونَهُ لتحقيقِ حُلْمِهِم في إعادةِ مجدِ مملَكَتِهِم التي وهبَها اللهُ لهم، وهي إقامةُ دولة إسرائيل الكبرى، ويتمسَّكونَ ببعضِ نبوءات العهد القديم، وأهمُّها النُّبوءة المذكورة في سِفْر زكريا، وهي قولُهُ:

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص290 ـ 291.

«اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ»[1].

والمسيحيُّونَ أيضاً ينتظرونَ بشوقٍ كبيرٍ المجيءَ الثاني للمسيح، الذي صرَّحَ به المسيحُ نفسُهُ في أسفارِ العهدِ الجديد. وقد أعطى علامات هذا المجيء. وأهمُّ سِفْرٍ تناولَ هذه الأحداث، هو سِفْرُ رؤيا يوحنَّا، الذي يتحدَّثُ عن آخرِ الزَّمان بشيءٍ من التَّفصيل. وكلُّ ذلك من خلالِ كلماتٍ ورموز يصعُبُ تفسيرُها أو فهمُها بشكلٍ واضح.

والمسلمون كذلك، يعتبرونَ هذه العقيدة من الأمورِ المُتسالَم عليها، وأنَّه لو لم يبْقَ لهذه الدُّنيا إلا يومٌ أو ساعةٌ واحدةٌ لأطالَ اللهُ هذا اليومَ والسَّاعةَ حتى يأتي المهدي الموعود ليملأَ الأرْضَ قسْطاً وعدلاً، كما مُلِئَت ظُلْماً وجوراً.

واستدلُّوا على مَجيءِ المسيحِ الثاني بنُصوصٍ وردت في العهدِ الجديد، منها:

- «وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ»[2].
- «وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ، وَقَالاَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ»[3].

وبالمناسبة، هناك رواياتٌ تُنقَلُ عن النبيِّ محمَّد (ص) حولَ مجيءِ المسيح، ونزولِهِ إلى الأرضِ بعد ظهورِ الإمام المهدي، منها:

- عن النبيِّ (ص): «كيف أنتُم إذا نزلَ ابنُ مريمَ فيكُم وإمامُكُم منكم»؟[4].
- عن النبيِّ (ص) في حديثٍ طويلٍ عن الدجَّال: «فبينما هو كذلك، إذْ هبطَ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام بشرْقي دمشق، عند المنارةِ البيضاء، بين مهرُودَتيْنِ، واضعاً يديه على أجنحةِ ملكيْنِ، إذا طأطأ رأسَهُ قطَرَ، وإذا رفعَهُ تحدَّرَ منه جُمَّانٌ كاللؤلؤ، قال ولا يجدُ ريحَ

(1) **سفر زكريا** 9:9.
(2) **إنجيل متى** 24: 30.
(3) **سفر أعمال الرُّسُل** 1: 10 ـ 11.
(4) **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير.

نفسِهِ يعني أحداً إلا ماتَ، وريحُ نفسِهِ منتهى بصرِهِ، قال فيطلُبُهُ حتى يُدْرِكَهُ بابِ لُدٍّ فيقتُلَهُ»[1].

- وفي روايةٍ عن النبيِّ (ص) جاءَ فيها: فقالت أمُّ شريكٍ بنتُ أبي العكَر: يا رسولَ الله، فأينَ العربُ يومئذٍ؟ قال: هم يومئذٍ قليلٌ، وجُلُّهُم ببيتِ المقدِس، وإمامُهُم رجلٌ صالحٌ، فبينما إمامُهُم قد تقدَّمَ يُصلِّي بهم الصُّبحَ، إذْ نزلَ عيسى ابنُ مريمَ الصُّبحَ، فرجعَ ذلك الإمامُ ينكُصُ يمشي القهقرى، ليتقدَّم عيسى يُصلِّي بالناس، فيضعُ عيسى يدَهُ بين كتفيهِ ثم يقولُ له: تقدَّم فصلِّ، فإنَّها لكَ أقيمت، فيُصلِّي بهم إمامُهُم، فإذا انصرفَ قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيُفتحُ ووراءَهُ الدجَّالُ معه ألفَ يهوديٍّ كلُّهُم ذو سيفٍ مُحلًّى وساج، فإذا نظرَ إليه الدجَّالُ ذابَ كما يذوبُ الملحُ في الماء، وينطلِقُ هارباً، ويقولُ عيسى عليه السلام: إنَّ لي فيكَ ضربةً لن تسبقني بها، فيُدْرِكَهُ عند بابِ اللُّدِّ الشَّرْقيِّ، فيقتُلُهُ فيَهزِمُ اللهُ اليهودَ..[2].

بل قد يُستدَلُّ على ذلك بالقرآن، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[3] ولهذه الجُملةِ تفسيران:

التَّفسيرُ الأول: وما من أحدٍ من أهلِ الكتابِ من اليهودِ أو النَّصارى إلا ليُؤمِنَ بالمسيحِ ابن مريم قبلَ موتِ المسيح، وذلكَ عند نُزُولِهِ من السَّماءِ إلى الأرضِ في آخِرِ الزَّمان، فعندها يؤمنُ اليهودُ والنَّصارى بأنَّ المسيحَ كان عبدَ اللهِ ورسولِهِ. فضميرُ «بِهِ» يعودُ على المسيح، وضميرُ «موتِهِ» يعودُ على المسيحِ أيضاً.

ويبدو لي أنَّ هذا التفسير هو الراجح، فالضَّمائرُ السَّابقةُ كُلُّها تشيرُ إلى المسيحِ (وهي ثمانية). فمن البعيدِ أنْ يختلفَ الضَّميرُ في «موتِهِ» عنها[4].

التَّفسيرُ الثاني: ما من أحدٍ من أهلِ الكتابِ من اليهودِ أو النَّصارى إلا ليُؤمِنَ بالمسيحِ ابنِ

---

(1) **سنن الترمذي**، كتاب الفتن عن رسول الله (ص)، باب ما جاء في فتنة الدجَّال.

(2) **سنن ابن ماجة**، كتاب الفتن، أنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال.

(3) سورة النساء، الآية 159.

(4) مضافاً إلى ما رُوِيَ في **تفسير القُمِّي** عن شهرِ بنِ حوشب قال: قالَ لي الحجَّاج: يا شهر، آيةٌ في كتابِ اللهِ قد أعيَتْني، فقُلْتُ: أيُّها الأمير أيَّةُ آيةٍ هي؟ فقال: قولُهُ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، واللهِ إنِّي لآمُرُ باليهودي والنصراني فيُضرَبُ عنقُهُ، ثمَّ أرمِقُهُ بعيني، فما أراهُ يُحرِّكُ شفتيهِ حتى يخمَدَ، فقُلْتُ: أصلَحَ اللهُ الأميرَ، ليس على ما تأوَّلْتَ، قال: كيف هو؟ قُلْتُ: إنَّ عيسى ينزِلُ قبلَ يوم القيامةِ=

مريم قبلَ موت هذا الأحد من أهلِ الكتاب. فضميرُ «بِهِ» يعودُ على المسيح، وضميرُ «موتِهِ» يعودُ على أحد. وقد جاءَ في بعضِ الرِّوايات أنَّ كلَّ إنسانٍ عندما يُعاني سكرةَ الموت ينكشِفُ له الحقُّ عمَّا كان يعتقدُهُ في دارِ الدُّنيا. وهذه الآيةُ تشهَدُ بالصَّحةِ لتلكَ الرِّوايات، حيثُ دلَّت بظاهِرِها على أنَّ كلَّ كتابيٍّ يهودياً كان أو نصرانياً لا بدَّ أنْ يُؤمِنَ إيماناً صحيحاً بالمسيح بعد سكرةِ الموت.

أيضاً قد يُستدلُّ بقولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[1]: ولهذه الجُملةِ تفسيران:

التَّفسيرُ الأول: أنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ بنُزولِهِ الأرضَ في آخرِ الزَّمان، لعِلْمٌ يُعلَمُ به أنَّ الساعةَ قريبةٌ، لأنَّه من علاماتِها. فلا تشُكُّوا ولا ترتابوا في قِيامِها أبداً، واتَّبعوا هُدايَ لأنَّ الذي آمُرُكُم به هو طريقٌ مستقيمٌ يؤدِّي إلى سعادةِ الدَّارين: الدُّنيا والآخرة.

التَّفسيرُ الثاني: أنَّ المسيحَ بولادتِهِ من غيرِ أبٍ وبإحيائِهِ الموتى، لعلْمٌ يُعلمُ بِهِ أنَّ الساعةَ ممكنة.

قالَ المجلِسي في بحارِ الأنوار: «الأخبارُ الدَّالَّةُ على أنَّ عيسى ﷺ ينزِلُ ويُصلِّي خلْفَ القائم (عج) كثيرةٌ، وقد أوردَتْها الخاصَّةُ والعامَّةُ بطُرُقٍ مختلفة، وسيأتي بعضُها في كتابِ الغيبة»[2].

وعلَّقَ على ذلك الشَّيخ محمد آصف المُحْسني: «فإنِّي لم أجِدْ في الرِّواياتِ عاجلاً روايةً أو روايات معتبرة الأسانيد أثِقُ بها»[3].

على أيِّ حالٍ، استدلَّ المسيحيُّونَ على علاماتِ مجيئِهِ الثاني، بنُصوصٍ وردَت في الكتابِ المُقدَّس. من تلك العلامات: حدوثُ كوراث طبيعيَّة ومجاعة وحروب، وتدميرُ هيكلِ سليمان، وقوع حوادث كونيَّة (الشَّمْس والقمر ستظْلِم والنُّجوم تتساقط)، وظهورُ مسحاء كذَبة، وكون مجيئِهِ مفاجئاً، ووقوع معركة هَرْمَجِدُّون (أي تَلْ مَجِدُّون)[4].

= إلى الدُّنيا، فلا يبْقى أهلُ ملَّةٍ، يهوديٌّ ولا غيرُهُ، إلا آمنَ بِهِ قبلَ موتِهِ، ويُصلِّي خلْفَ المهدي، قال: ويحكَ أنَّى لكَ هذا، ومن أينَ جئْتَ به؟ فقُلْتُ: حدَّثني به محمَّدُ بنُ عليّ بنُ الحسين بنُ علي بنُ أبي طالب ﷺ، فقال: جئْتَ واللهِ بها من عينٍ صافية.

(1) سورة الزخرف، الآية 61.

(2) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج14، ص349.

(3) محمد آصف المحسني، **معجم الأحاديث المعتبرة**، ج1، ص430.

(4) **سفر زكريا** 12: 11، **سفر يوحنَّا اللاهوتي** 16: 16. ومكان مجدّون الآن هو تلُّ المتسلم الذي يقع على مسافة عشرين ميلاً جنوبي شرق حيفا، في الطرف الجنوبي من سلسلة الجبال، التي تنتهي بجبل الكرمل في الشَّمال.

كما استدلُّوا على حوادِثَ ستقع بعد المجيءِ الثاني، بنُصوصٍ وردَت أيضاً في الكتابِ المُقدَّس. من تلك الحوادث: رفعُ المؤمنين إلى السَّماء، واستقرارُ العالَم في ألفيَّةٍ سعيدةٍ بعدْلٍ وسلام[1].

خامساً: المعاد

من العقائدِ الأساسيَّةِ في الأدْيانِ الإبراهيميَّة التوحيديَّة، عقيدةُ البعثِ والقيامة، أو ما يُسمَّى بـ «المعاد». والمسيحيَّةُ تُؤكِّدُ على هذه العقيدةِ بنحوٍ كبير. وقد أشارَ المسيحُ في كثيرٍ من تعاليمِهِ إلى هذه العقيدةِ المهمَّة، وفي أغلَبِ الأحوالِ على هيئةِ أمثال. فملكوتُ السَّماوات هو الجزاءُ الموعودُ في دعوةِ المسيح للطيِّبينَ الصَّالحينَ من الناس، وأنَّه لا يدْخُلهُ إلا من عملَ له في هذه الحياةِ الدُّنيا، وآثرَ صلاحَ روحِهِ على مطالبَ جسدِهِ. وقد حاولَ المسيحُ أنْ يُوضِّحَ لهم هذه العقيدةَ من خلالِ عظاتِهِ وأمثالِهِ التي ذكرَتْها الأناجيلُ الأربعة، في بيانِ كيفيَّةِ الثوابِ والعقابِ في الحياةِ الأخرويَّة[2].

ومن خلالِ الأمثلة التي ضرَبَها المسيحُ يمكنُ الاستفادةُ منها أنَّ المعادَ الذي يتحدَّثُ عنه، وفيه النَّعيمُ والعذاب، هو معادٌ جِسْماني، أي إنَّ الإنسانَ سيعيشُ في تلك النشْأَةِ برُوحِهِ وجِسْمِهِ، كما هو الحالُ في هذه الدُّنيا. ومن تلك الأمثلة، قصَّةُ أليعازر الفقير التي ذكرَها المسيحُ ونقَلَها إنجيلُ لوقا[3].

ولكن آباءُ الكنيسةِ يتمسَّكونَ بالقولِ إنَّ الأمثلةَ التي ضرَبَها المسيحُ هي مجازيةٌ لا حقيقية، ويستدِلُّونَ على أنَّ المعادَ هو غيرُ جِسْماني من بعضِ أقوالِ المسيح أيضاً[4].

وقد أخذَ الشِّعْرُ الدِّينيُّ المسيحيُّ مكانَهُ أيضاً في بيانِ أحوالِ وأهوالِ الجحيم، وكان الشَّاعرُ الإيطالي دانتي (1321م) أبرعَ الشُّعراءِ الذي جالوا في هذا الميدان، فكتَبَ «المَلْهاة» (أو المَلْهاةُ المُقدَّسة)، وهي رحلةٌ في العالَمِ الأخروي. والقصيدةُ مؤلَّفةٌ من ثلاثةِ أناشيد، في كلِّ نشيدٍ ثلاثٌ وثلاثونَ أغنيةٍ (تُقابِلُ سِنِي حياة المسيح على هذه الأرض)، تُضافُ إليها

---

(1) علي الشيخ، **دروس في المسيحية**، ص147 ـ 157.

(2) انظر مثلًا: **إنجيل متى** 5: 3 ـ 9. **إنجيل متى** 10: 28. **إنجيل متى** 13: 24 ـ 30. **إنجيل متى** 13: 36 ـ 43. **إنجيل متى** 24: 37 ـ 44. **إنجيل متى** 25: 31 ـ 46.

(3) **إنجيل لوقا** 16: 19 ـ 30.

(4) **إنجيل متى** 22: 23 ـ 32.

أغنيةٌ أخرى في النَّشيدِ الأول، فتكونُ عدَّتُها مئةٌ كاملة. وموضوعُها هو حالُ الأرواح بعد الموت، من حيثُ تعرُّضِها للثَّوابِ والعقاب[1].

ومن خلالِ ذلك يمكنُ القول إنَّ العهدَ الجديدَ أقرَبَ بكثيرٍ من العهدِ القديمِ إلى القرآنِ في إثباتِ حقيقة المعاد، وتصويرِهِ بصورةٍ محسوسةٍ للنَّعيمِ والملكوتِ الأبدي، وأيضاً للعذابِ والجحيمِ في الآخرة[2].

(1) انظر ترجمتها بعنوان: **الكوميديا الإلهية**، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، القاهرة، 1955. المجلد الأول بعنوان: «الجحيم»، والثاني بعنوان «المَطْهَر»، والثالث بعنوان «الفردوس».

(2) علي الشيخ، **دروس في المسيحية**، ص99 ـ 104.

الفصل الخامس:

أهمُّ الشَّعائرِ والأحكام عند المسيحيِّين

ترتكزُ الأديانُ السَّماويةُ على أعمدةٍ ثلاثة: العقائد، والأخلاق، والشَّريعة. فالعقائدُ تُمثِّلُ الأساسَ النَّظري للدِّين، والشَّريعةُ تُمثِّلُ البرنامجَ العملي، والأخلاقُ تُمثِّلُ روحَ العقائدِ والشَّرائع.

ومن الأمورِ المُلْفتةِ في المسيحيَّةِ الرَّائجةِ اليوم، إهمالُ وإلغاء الشَّريعةِ بعد المسيح، والاكتفاءُ بالوصايا الأخلاقية العشْر (بل ببعضِها)، مع استحداثِ بعض الطُّقوس الجديدة. فلا يوجدُ في المسيحيَّةِ أعيانٌ نجِسةٌ ومُطهِّرات، ولا طريقةٌ محدَّدةٌ لتذكيةِ الحيوان، ولا يوجدُ نظامٌ جزائيٌّ وعقوباتٌ محدَّدة، ولا أحوالٌ شخصيَّةٌ تفصيليَّةٌ تُنظِّمُ عمليةَ الطَّلاق. وقد رفضَت الكنيسةُ مبدأَ تعدُّد الزَّوجات وحرَّمَت الطَّلاقَ.

في قبالِ ذلك، توجدُ في المسيحيَّةِ بعضُ الشَّعائرِ والأحكام، أستعرِضُ أهمَّها في هذا الباب، ثمَّ أستعرِضُ الموقِفَ منها. تتمثَّلُ تلك الشَّعائر والأحكام فيما يلي: المعْموديَّة، الأحد، سِرُّ التوبةِ والاعتراف، صلاةُ الشُّكْر (أو العشاء الربَّاني، أو سِرُّ الإفخارِسْتِيَّا أو التَّناول)، نظامُ الرَّهْبَنة.

بعضُ ذلك يعتبرُ من أسرارِ الكنيسةِ السَّبعة. والأسرارُ السَّبعة هي:

1. **المعموديَّة.**
2. **المَيْرون: التَّثبيت، أو المسْحة بالزَّيتِ المُقدَّس، التي تعمَلُ على تقويةِ إيمان من نالَ التَّعميد.**
3. **التَّوبةُ والاعتراف.**
4. **الإفخارِسْتِيَّا** أو التَّناول أو صلاة الشُّكر.
5. **مسْحة المرضى،** بالزَّيت لشفائِهم.

6. **الزِّيجة**، وهو ميثاقُ الزَّواجِ الغليظ دون طلاق.
7. **الكهنوت** خادمُ الأسرارِ كلِّها، وفي الكهنوتِ ثلاثُ درجات: الشَّماسية[1]، القسِّيسية[2]، الأسقُفية[3]، فلا يُمارِسُ أيَّ سرٍّ إلّا كاهنٌ شرعيٌّ غيرُ محكومٍ عليه.

أولاً: المعموديَّة

الختانُ يعتبرُ من أهمِّ شعائرِ الشَّريعة الموسوية. وقد بدأَ التخلِّي عن الشَّريعةِ الموسويَّةِ عندما تنازلَ المسيحيُّونَ - بضغْطٍ من بولُس - عن واجبِ الختان، بعدما دخلَ عددٌ كبيرٌ من غيرِ اليهود في المسيحيَّة، نتيجةَ عمليات التَّبْشير التي قامَ بها التلاميذُ وأتباعُهُم، وخيفَ من إلزامِ غير اليهود بهذا الواجب، الأمرُ الذي قد يدْفَعُهُم - في حالِ الإلزام - إلى ترْكِ الدِّينِ أصْلاً.

كانت هذه المسألةُ من أهمِّ المسائلِ التي اشتعلَ فيها الخلافُ الشَّديدُ بين اليهودِ والمسيحيِّينَ الجُدُد. فاليهودُ يرونَ أنَّ المسيحيِّينَ الأوائل، الذين كانوا من اليهودِ أصلاً، تخلَّوا عن هذا الواجبِ المهمّ، وهذا يعني أنَّهم أخَلُّوا بعهدِهِم مع الله، لأنَّ الختانَ هو علامةُ العهدِ مع اللهِ.

في المقابلِ تحلَّلَ بولُس من واجبِ الخِتان[4]، وذهبَ إلى أنَّ المهمَّ في الدِّينِ هو طهارةُ القلْبِ لا البدن. ثمَّ تحلَّلَ بعد ذلك من الختانِ، الغالبيةُ السَّاحقةُ من المسيحيِّين، تبعاً لبولُس.

لكن في المسيحيَّةِ المبكِّرة، ذهبَ فريقٌ من اليهودِ المتنصِّرين إلى أنَّ حفظَ هذه السُّنَّة

---

(1) الشمَّاس Deacon هو الخادمُ الذي يقومُ ببعضِ الأعمال إلى جانبِ القسِّيس والأسْقُف، من خلالِ إدارة الصَّلاة: القُدَّاس، في يوم الأحد مثلاً.

(2) القسِّيس أو الكاهِن Priest هو الذي يقومُ بإدارةِ أمور الكنيسة.

(3) الأسْقُف Bishop هو الذي يتولَّى إدارةَ مجموعة الكنائس، ويعتبرُ أعلى سُلْطة في الكنيسة. فمن بينِ الأساقفة يتمُّ انتخابُ البابا، الذي يُعتبرُ الأُسْقُف الأعظم.

(4) انظر في العهد الجديد:
- **أعمال الرسل**، الإصحاح 7، 51. الإصحاح 15، فهو كله حول نقاش المسيحيِّين في إسقاطِ الختان.
- **رسالة بولُس إلى أهل رومية**، الإصحاح 2، 25 - 29. الإصحاح 3، 1. الإصحاح 4، 9 إلى آخره.
- **رسالة بولُس إلى كورنثوس**، الإصحاح 7، 18 - 20.
- **رسالة بولُس إلى غلاطية**، الإصحاح، 2، كله. الإصحاح 5، 1 - 12. الإصحاح 6، 11 - 15.
- **رسالة بولُس إلى قليبي**، الإصحاح 3، 1 - 10.

ضروريٌّ للخلاصِ والنَّجاة. وسأستعرضُ هذا الموضوع لاحقاً بقدْرٍ من التَّفصيل (في البابِ السَّابع: مسيحيَّةُ بولُس).

في مقابلِ ترْكِ الختان، التزمَ المسيحيُّونَ بطقسٍ آخر، هو المعموديَّة (أو التَّعميد). وبحسَبِ الاعتقاد المسيحي، فإنَّ أهمَّ عِمادٍ في التاريخِ كان عمادُ المسيحِ على يدِ يوحنَّا المَعْمَدان في نهرِ الأردن.

يتمُّ «تعميدُ» الطِّفلِ بماءٍ عند الولادة، ثمَّ «تثْبيتُهُ» بمسْحةِ زيتٍ على الرَّأسِ. والطِّفلُ المُعمَّدُ يُخلَّصُ من الخطيئةِ الأصليَّةِ، التي هي خطيئةُ آدم وحواء، ويدخُلُ الحياةَ كإنسانٍ جديدٍ مرَّةً أخرى.

والشَّخصُ الذي يجري تعميدُهُ يصبحُ تابعاً ليسوع المسيح، وتابعاً للكنيسةِ المسيحيَّة. والعِمادُ يُمثِّلُ قيامةَ يسوع المسيح في الحياةِ الجديدةِ، بعد موتِهِ على الصَّليب.

وقد اختلفت وجهاتُ نظَر المسيحيِّينَ حول المعموديَّة، وكان الجدالُ حول قضيَّتين: نوعُ المعموديَّة، ومعموديَّةُ الأطفالِ أو الكبار. فبعضُ المسيحيِّين من البروتستانت، مثلُ الكنيسة المَعْمَدانية وتجديديَّة العِماد، يرونَ أنْ لا لزومَ لتعميدِ الأطفال، وأنَّ التَّعميدَ للمؤمنينَ فقط، أي الذين تعدَّوا مرحلةَ الطُّفولةِ وبلغوا سِنَّ الرُّشْد، بحيث يمكنُ لهم فهْمُ الخلاصِ والتوبةُ والاعتراف. وبالرَّغمِ من وجودِ أقليَّةٍ ترفُضُ معموديَّةَ الأطفال، إلّا أنَّ أغلبيةَ المسيحيِّين تعتبرُ معموديَّةَ الصِّغارِ واجبةٌ ما داموا أطفالاً لمؤمنين. وذلك علامة على الميثاقِ بين اللهِ وبينهم، بحسَبِ المعتقدات المسيحيَّة. وهكذا استُبدِل الختانُ كعلامةٍ على الميثاق، بالمعموديةِ كعلامةٍ عليه!

الطَّوائفُ المسيحيَّةُ الشَّرقيَّةُ ترى أنَّ المعموديَّةَ لا تصُحُّ إلا بتغطيسِ الإنسانِ كاملاً تحتَ الماء، لأنَّها تشيرُ إلى أنَّ المُعتَمَدَ - بحسَبِ التقاليد المسيحيَّة - دُفِنَ مع يسوع وقامَ معه، بناءً على المقْطعِ من رسالةِ بولُس القائل: «أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ»[1] أو بتغطيسِهِ ثلاث مرَّات على اسْمِ الثَّالوث الأقدَس، وليس مرَّةً واحدة.

(1) رسالة بولُس إلى أهل روما 6: 3.

في حين تكتفي الطَّوائفُ المسيحيَّةُ الغربيَّةُ برَشِّ الماءِ على الوجه، لأنَّ المقصودَ من وضْعِ الماء هو الإشارةُ إلى غسْلِ الرُّوح القُدُس.

واستناداً للمعتقداتِ المسيحيَّة، يُعتبرُ العِمادُ ختْماً أبديّاً. وعلى هذا الأساس، كلُّ شخصٍ نالَ سرَّ المعمودية يبْقى مسيحيّاً حتى الممات.

ويعتبرُ سرُّ المعموديَّةِ، أحد الأسرار السَّبْعة المقدَّسة في الكنيسةِ الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة، وأحد السِّرَّينِ المُقدَّسينِ في الكنائسِ البروتستانتية.

ثانياً: الأحد

السَّبْتُ هو العيدُ الأسبوعيُّ عند اليهود، ومدَّتُهُ من غُرُوبِ شمسِ يومِ الجُمُعة إلى غُرُوبِ شمسِ يومِ السَّبْت. وأهمُّ شعائرِهِ الكفُّ عن أيِّ عمَل. ومِنْ ضمنَ الكلام عن الوصايا العشْر، الوصيةُ بحفْظِ يومِ السَّبْت، لأنَّ اللهَ (وفقاً للكتابِ المُقدَّس) قد فرَغَ من الخِلْقةِ في ستَّةِ أيَّامٍ واستراحَ في هذا اليومِ (السَّابع). وقد علَّمَ اللهُ البشَرَ أنَّه ينبغي على الإنسانِ أنْ «يُقدِّسَ» هذا اليوم، بأنْ يستريحَ فيه للعبادةِ لله، ولا ينْشغِلَ بالسَّعيِ في حاجاتِهِ الشَّخصية.

اليهودُ يأخذونَ على المسيحيِّينَ أنَّهُم انتهكوا واحداً من أهمِّ الوصايا العشْر، وهو أنْ يحفظوا السَّبْتَ ويعتبروهُ يومَ راحة، يتركونَ الطَّبيعةَ في حالِها، ولا يقومون بأيِّ عمل، من صيدٍ أو ذبْحٍ أو شويٍ للحمٍ على النار أو غيرِ ذلك من الأنشطة، فاستبدلوهُ بيومٍ آخرَ، هو يوم الأحد.

والمسيحيُّونَ يرُدُّونَ بأنَّكُم فهمْتُهم السَّبْتَ بمعنى حرفي، وهذا هو الخطأُ المنْهجي الذي اعتدْتُم على التورُّطِ به. السَّبْتُ رمزٌ لضرورةِ أنْ يكُفَّ الإنسانُ أذاهُ، فلا يؤذي حيواناً أو إنساناً، ويُفترَضُ أنْ يفعلَ ذلك طوالَ أيَّامِ الأسبوع، وليس يوماً واحداً، ليُمارِسَ شرورَهُ كما يحلو له طوالَ أيَّام الأسبوع.

اليهود يرُدُّونَ بأنَّ فلْسفةَ السَّبْت تكمُنُ في أنَّ اللهَ سخَّرَ لنا الطَّبيعةَ طوال أيام الأسبوع، لكن طلَبَ منَّا الكفَّ عن العمَلِ وترْكَ الطَّبيعة في حالِها يوماً واحداً، لأسبابٍ مُتعدِّدة، منها أنْ نتشبَّهَ به حيثُ استراحَ في اليومِ السَّابعِ من خِلْقةِ الكون، وحتى نُقدِّرَ قيمةَ النِّعم التي سخَّرها لنا في بقيَّةِ الأيام. يرى المسيحيُّونَ أنَّ اليهودَ، مع الوقتِ، جعلوا السَّبْتَ هدفاً، فصاروا يعبُدُونَ السَّبْتَ بدلاً من عبادةِ الله! إلى أنْ جاءَ يسوعُ المسيح، فحارَبَ فكرةَ عبادة

يوم الرَّاحة، وأكَّدَ على أنَّ الإنسانَ هو سيِّدُ اليوم وليسَ العكسُ، حيثُ قالَ لهُم: «السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لَا الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. إِذاً ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً»[1]، إلى أنْ صُلِبَ يسوعُ المسيح يومَ الجُمُعة، وفي يومِ السَّبْتِ استراحَ جسَدُهُ في القبرِ، واستراحَ اليهودُ من وجودِ المسيحِ في وسَطِهِم، فكانت استراحةُ يسوع في قبرِهِ راحةً رمزية، وكانت راحةُ اليهودِ وهميَّة. ويقولُ المسيحيُّون إنَّ الكنيسةَ قد استراحت راحةً حقيقيَّةً عندما قامَ يسوعُ المسيح من الأمواتِ فجْرَ الأحد، وفرِحَ التلاميذُ إذ رأَوْهُ. لذا جعلَت الكنيسةُ يومَ الأحدِ، بدلاً من يومِ السَّبْتِ، يومَ راحة، لأنَّهُ في هذا اليوم تحققَّت الرَّاحةُ الحقيقيَّةُ لكُلِّ من آمنَ بيسوعِ المسيح.

وجاءَ في سفْرِ أعمال الرُّسُل، الذي يحكي قصَّةَ الكنيسةَ الأولى (بلِسانِ لوقا ومنْظورِ بولُس)، أنَّهُم كانوا يجتمعونَ يومَ الأحد: «وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ إِذْ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِيَكْسِرُوا خُبْزاً، خَاطَبَهُمْ بُولُسُ وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمْضِيَ فِي الْغَدِ، وَأَطَالَ الْكَلَامَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ»[2].

وصارَ المسيحيُّونَ الجُدُد، بدلاً من أنْ يذْهبوا إلى المَجْمَع (المعْبَد اليهودي) يومَ السَّبْت، يذْهبونَ إلى الكنيسةِ يومَ الأحد.

ثالثاً: سرُّ التوبة والاعتراف

التزمَ المسيحيُّون بأهميَّةِ التوبةِ من خلالِ الإقرار والاعتراف بالذَّنبِ عند الأساقفةِ والكهَنة. هذا الاعترافُ يمنحُ المُذْنِبَ - في اعتقادِهم - الغُفْرانَ وإمكانيةَ العودة إلى الله.

سرُّ التوبةِ، ويُعرَفُ أيضاً بـ«سرِّ الاعتراف»، أو سرِّ المصالحة، أي المصالحة مع الله، هو أحدُ الأسرارُ السَّبْعة المُقدَّسة في المسيحيَّة. يقومُ هذا السرُّ على أساسين: الاعتراف بالذَّنبِ، وطلَبِ الصَّفْحِ من الله. وطبقاً لوصايا الكتاب المُقدَّس، اللهُ وحدَهُ هو غافرُ الذَّنب. والاعتراف بالذَّنبِ وطَلَبُ الصَّفْحِ من اللهِ يتحقَّقُ بسَماعِ كاهنٍ مُعرَّفٍ بغيةَ الحصول على إرشادٍ روحيٍّ ونفسيٍّ صحيح، ومن ثمَّ تكفيرُ الإثمِ بأعمالِ البِّر.

(1) **إنجيل مرقس** 2: 27 - 28. أيضاً: **إنجيل متى** 12: 8. **إنجيل لوقا** 6: 5.
(2) **أعمال الرُّسل** 20: 7.

وتنُصُّ الوصايا الكنَسيَّةُ على أنْ يتمَّ الاعترافُ بالذَّنبِ مرَّةً في السَّنةِ كحدٍّ أدنى. ويجبُ الاعتراف بالخطايا الكبرى، أو التي تُدْعى بلُغةِ الكنيسة «مُميتة». صيغةُ الحلِّ، في الكنيسةِ الرُّومانيَّةِ الكاثوليكيَّة، هي كالتالي:

«ليُظهِرَ لكَ اللهُ أبونا، رحمتَهُ، هو الذي صالَحَ العالَمَ بموتِ ابنِهِ وقيامتِهِ، وأرسَلَ الرُّوحَ القُدُسَ لمغفرةِ الخطايا. ولِيَهب لكَ الصَّفْحَ والسَّلامَ بواسطةِ الكنيسةِ وخدَمَتِها».

رابعاً: صلاةُ الشُّكر أو سرُّ الإفخارِسْتيَّا

الصَّلاةُ في المسيحيَّةِ عموماً قد تكونُ فرْديةً أو جماعية. الصَّلاةُ الفرْديةُ يُؤتى بها بنحو فرْدي أينما كان الإنسانُ المسيحيُّ (في بيتِهِ، سيارتِهِ، عملِهِ، مدرستِهِ أو جامعتِهِ، في الطَّائرةِ، أو البحر أو في أيِّ مكانٍ آخر). والصَّلاةُ الجَماعيةُ، وهي غالباً ما تكونُ ضمْنَ لقاءِ مجموعةٍ من المسيحيِّينَ في اجتماعٍ يُدْعى «اجتماع الصَّلاة».

ولا توجدُ شروطٌ محدَّدةٌ للصَّلاةِ، كغسْلِ اليدينِ مثلاً، أو عددِ ركعاتٍ معيَّنة، أو ذِكْرٍ محدَّد.

ولا وقتَ محدَّدَ لها، لذا، يمكنُ لكُلِّ كنيسةٍ أنْ تُحدِّدَ موعداً أو وقتاً معيَّناً يلتقي فيه المسيحيُّونَ للصَّلاةِ في الكنيسة. كما يمكنُ لأيِ مسيحيٍّ أو مجموعةٍ من المسيحيِّينَ أنْ يُصلُّوا في أيِّ وقتٍ يروقُ لهم.

ويمكنُ للمُصلِّي أنْ يتوجَّهَ في صلاتِهِ إلى أيِّ اتِّجاه. فلا قبلةَ محدَّدة للصَّلاةِ، كبيتِ المقْدِس عند اليهود، أو مكَّةَ عند المسلمين.

لكن توجدُ صلاةٌ محدَّدة، التزم بها المسيحيُّون، تُعرَفُ بـ «صلاةِ الشُّكر»، وهي ترمُزُ للعشاءِ الأخير، حيثُ ناولَ المسيحُ تلامذتَهُ (كما تروي الأناجيل) كسْرةً من الخُبْزِ والكأسَ، إيذاناً بالعهدِ الجديد، وعزمِهِ على الفداءِ والتَّضحية[1].

ويأتي المُصلِّي بهذا الطَّقْسِ شكراً للهِ على نعمةِ الفداء، من خلالِ تناوُلِ كسْرةِ خبْزٍ (تُعرَفُ بـ «البرشان») وشيءٍ من الخمْر. فالخبزُ يرمُزُ إلى جسدِ المسيح، والخمْرُ يرمُزُ إلى دمِهِ، وعند تناوُلِ هذا وذاك، يتحوَّل الخبزُ والخمْرُ - في اعتقادِهِم - إلى لحمِ ودمِ المسيحِ، يسْري في أوصالِ من يقومُ بهذا الطَّقْس.

---

(1) **إنجيل متى** 26: 26 - 30. **إنجيل مرقس** 14: 22 - 26. **إنجيل لوقا** 22: 14 - 23.

هذا الطَّقْسُ هو بديلٌ عن القُرْبانِ الحيواني، الذي كان اليهود يُقدِّمونَهُ في الهيكل، ويأكلونَ منه، قبلَ تدميرِ الهيكل سنة 70م، الذي استُبدِلَ عندَهُم بعد التَّدميرِ بالصَّلاةِ والأذكار. لكن عند المسيحيِّين، وعلى أساسِ وجودِ عهدٍ جديد، تمَّ استبدالُهُ قبلَ صلْبِ يسوع، في العشاءِ الأخير بهذا الطَقس. فهذا الخبْزُ وهذا الخمْرُ، يرْمُزانِ إلى قُرْبانٍ جديد. فهو خبْزٌ وخمْرٌ ابتداءً، لكنَّهما «يستحيلانِ» إلى لحْمِ ودمِ المسيح. وهذه الاستحالةُ حقيقيَّةٌ (على المستوى الرُّوحي لا المادِّي) في نظَرِ الكاثوليك والأرثوذكس، ورمزيَّةٌ في نظَرِ البروتستانت.

ويُطلَقُ على هذا الطَّقسِ: «سرُّ الإفخارِسْتِيَّا»، أو سرُّ التَّناول، أو القُرْبان المُقدَّس، هو أحدُ الأسرار السَّبعة المقدَّسة في الكنيستينِ الكاثوليكيةِ والأرثوذكسيةِ، أو أحدُ السِّرَّينِ المُقدَّسينِ في الكنيسةِ البروتستانتية. وهو تذكيرٌ بالعشاءِ الأخيرِ الذي تناولَهُ يسوع بصُحْبةِ تلاميذِهِ عشيَّةَ آلامِهِ[1]، ويُحتفلُ بذلك في جماعةٍ لأنَّها التعبيرُ المرْئي للكنيسة. وعلى هذا الأساس، هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين هذا السِّر وسرِّ الكهنوت، فلا يقومُ بالمناولةِ إلا قسِّيسٌ أو كاهِن، ولا يُناوِلُ إلا من كان مُهيَّأً وجديراً لذلكَ بالتوبةِ والاعتراف، وإلا صارَ تناوُلَهُ وبالاً عليه.

خامساً: نظامُ الرَّهْبَنة

شجَّعت الكنيسةُ على الرَّهْبَنة. وتعني الرَّهْبَنةُ التخلِّي عن الزَّواجِ وكثيرٍ من مُتَع الحياة، والانعزالَ والاعتكافَ الدَّائمِ في عبادةِ اللهِ والانقطاعِ إليه (ولا ينافي ذلك ممارسةُ التدريسِ أو خدْمةُ الفقراءِ والمحتاجين).

الموقفُ من تلك الشَّعائرِ والأحكام:

لاحظنا ممَّا سبق كيف تمَّ استبدال الخِتان بالمعموديَّة، والسَّبْت بالأحد، وتقديم القرابين بصلاة الشُّكر. وفي الحقيقةِ إنَّ تدميرَ الهيكل سنة 70م إنْ اضطرَّ اليهود إلى تجميدِ طقْس تقديم القرابين (لأنَّه يُشترَطُ أنْ يكونَ في الهيكل)، واستبدالِها بالصَّلوت، فإنَّ استبدالَ الخِتان بالمعموديَّة، والسَّبْت بالأحد، وسَّعَ الفجوةَ بين المسيحيَّةِ الوليدة والدِّينِ اليهودي، فبدأَ كلٌّ منْهُما يأخذُ مساراً مختلفاً تماماً. وبدأت الاتِّهاماتُ تُكالُ للمسيحيَّةِ بأنَّها قد تأثَّرت بالدِّياناتِ الوثنيَّةِ السَّابقة.

---

(1) **إنجيل متَّى** 26: 26، **إنجيل مرقس** 22:14، **إنجيل لوقا** 22: 19، **رسالة كورِنْثوس الأولى** 23:11 ـ 25.

كتَبَ فراس السوَّاح: «التقت المسيحيَّةُ أيضاً في كثيرٍ من طُقُوسِها بطُقُوسِ الدِّياناتِ البَعْليَّةِ السَّابقةِ عليها، كطَقْسِ المعمودية بالماء، الشَّائع لدى معظم ديانات الأسرار، والذي كان يقصدُ إلى تجديدِ الفرْدِ وغسْلِ ماضيهِ لإدخالِهِ في النِّحلةِ الجديدة. وطقْسِ القُرْبانِ المُقدَّس، الذي كان يقصدُ إلى الاتِّحادِ بالإلهِ عن طريقِ أكلِ جسَدِهِ وشُرْبِ دمِهِ رمزياً، كما رأينا بوضوح في طُقُوسِ الدِّيانةِ الدِّيونوسيسيَّة. يقولُ السيِّدُ المسيح: «أنا هو خبزُ الحياة»، «من يأكُل جسَدي ويشْرَب دمي فلَهُ حياة أبديَّة»، كما تُعطينا بعضُ العبارات الطَّقْسيَّة المسيحيَّة دليلاً على انبثاقِ المسيحيَّة من دياناتِ الخصْبِ القديمة في الشَّرْقِ الأوسط. فصيحةُ «هيلولويا» المستعملةُ في الأناشيدِ الطَّقْسية، ليست إلا الصَّيحة التي كانت رمزاً لعُبَّادِ الإله «ديونيسيوس»، والتي كانت على فَمِهِم دائماً: «إيلوليو» Eleleu، حتى لقد دعاهُم الناسُ في أحيانٍ كثيرةٍ بـ «الإيلوليِّين» نسْبةً لصيحَتِهِم المُتعبِّدة هذه»[1].

القرآنُ من جهتِهِ، يعترفُ بأنَّ المسيحَ جاءَ بإباحةِ بعض ما كان مُحرَّماً على بني إسرائيل. يقول: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2] لكن هذا لا يعني التحلُّلَ التَّدريجي من الشَّريعةِ الموسويَّةِ بأسْرها، بحيث يُستعاضُ عن الأوامرَ والنَّواهي الإلزامية بأوامرَ ونواهٍ مبتدعة، أو مأخوذة من دياناتٍ مُصْطنعة.

- فبالنِّسبةِ إلى الخِتان، رفضَ المسيحيُّونَ الخِتانَ بذريعةِ أنَّ المهمَّ في الدِّينِ هو أنْ لا يكونَ القلْبُ أغلفَ، وإنْ كان البدنُ كذلك. كان اليهودُ يرُدُّونَ عليهم بتهكُّمٍ وسخرية: نعم نحنُ نهتمُّ بخْتنِ الأبدان، أما قلوبُنا فغُلْف! وجاءَ في القرآنِ حكايةً عن اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

في المقابلِ، توجدُ عباراتٌ في التَّوراةِ، قد يُقالُ إنَّها تُرجِّحُ التَّفسيرَ المسيحي للختان؛ فمثلاً ورد في سفرِ التَّثنية: «**فَاخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ**، وَلَا تُصَلِّبُوا رِقَابَكُمْ بَعْدُ.»[4].

---

(1) فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى**، دار علاء الدين، ط10، دمشق، ص374. أيضاً لمزيد من التفصيل حول جذور ما يعرف بـ «سر التناول»، راجع: جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص243 ـ 247.

(2) سورة آل عمران، الآية 50.

(3) سورة البقرة، الآية 88.

(4) **سفر التثنية**، الإصحاح 10، 16.

كما ورَدَ بالمعنى نفسِهِ تقريباً لكن في سياقِ قبول التوبة: «**وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا**»[1].

بل وردَت عبارة «غُلْف القلوب» في التَّوراةِ صراحةً عدَّة مرَّات، للدَّلالةِ على القُلُوبِ المُغلَقة أمام وصايا الله[2].

لكن هذا كُلُّهُ لا يُبرِّرُ التخلِّي عن هذا الطَّقْسِ الهامّ

وبالنِّسبةِ إلى المعموديَّةِ، الذي قد يكونُ في الأصلِ نحواً من أنحاءِ الغُسْل، لا يمكنُ تأسيسُ طقْسٍ دينيٍّ على أساسِ عباراتٍ لبولُس. أمَّا تعميدُ يوحنَّا المعْمَدان ليسوع، فنحنُ لا نعرفُ كيفيَّتَهُ ولا الهدفَ منه، ولا يمكنُ التحليقُ يميناً وشمالاً في افتراضِ حِكَمٍ لطقْسٍ لا نعرفُ عن تفاصيلِهِ شيئاً. والاختلافاتُ الفقهيَّةُ بين المذاهبِ المسيحيَّةِ حول هذا الطَّقس كاشفةٌ عن غموضِ مستندِهِ ومقاصدِهِ.

ويرى القرآنُ أنَّ توحيدَ اللهِ والتعلُّقَ بهِ والتوجُّهَ إليهِ أمرٌ فطْريٌّ، اصطبَغَت به شخصيَّةُ الإنسانِ مع نشأتِهِ وتكوُّنِهِ، دون حاجة للمعْموديَّة. قالَ تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[3].

- وبالنِّسبةِ ليومِ الأحد، ثمَّة ملاحظتان لا بدَّ من التأكيدِ عليهما.

الملاحظةُ الأولى أنَّ يسوعَ في الأناجيلِ لم يهتِك السَّبْتَ أبداً، بل كان حريصاً على حفْظِهِ. وإنَّما كان يقومُ بخدماتٍ للناس، اعتبرَها رؤساءُ اليهودِ آنذاك انتهاكاً للسَّبْت. فالنِّزاعُ بين يسوع المسيح ورؤساءِ اليهود حولَ السَّبْت هو نزاعٌ صُغْرويٌّ، لا كُبْرَويّ. نزاعٌ في بعضِ الأفعال فيما إذا كانت تُمثِّل انتهاكاً، وليس نزاعاً في أصْلِ وجوبِ حفْظ السَّبْت. بعبارةٍ أخرى، جدلُ يسوع مع اليهودِ حولَ السَّبْتِ يتمثَّلُ فيما يلي: الأفعالُ التي قمْتُ بها ليست مُحرَّمةً يومَ السَّبْت، أو قد تكونُ مُحرَّمةً بالعنوانِ الأوَّلي لكنَّها تُصبِحُ مباحةً أو واجبةً بالعنوانِ الثانوي لتزاحُمِها مع أمرٍ أهمّ.

الملاحظةُ الثانية: أنَّ الكنيسةَ اتُّهِمَت بأنَّها ـ بعدما تخلَّتْ عن شعيرةِ الخِتان ـ جاءتَ

(1) **سفر التثنية**، الإصحاح 30، 6

(2) انظر مثلًا: **سفر إرميا**، 9: 26. **سفر حزقيال**، 44: 7.

(3) سورة البقرة، الآية 138.

لتتخلَّى أيضاً عن حفْظِ السَّبْت، والأدْهى من ذلكَ أنَّها استَبْدَلَتْهُ بيومٍ آخرَ، هو يوم الأحد، بذريعةٍ واهية، ودون أساس شرعي.

بل اتُّهِمَت أيضاً بأنَّ تقديسَها لهذا اليوم جاءَ مُتأثِّراً بالشَّعائرِ الوثنيَّةِ القديمةِ الرَّائجةِ عند الرُّومان، فيومُ الأحد هو يومُ الشَّمْسِ Sunday، وعبادَتها. لكن المسيحيُّونَ يرْفضونَ هذه الاتِّهامات، ويُؤكِّدُونَ على أنَّهم يستريحونَ يومَ الأحد، ويتفرَّغونَ فيهِ للصَّلاةِ والعبادة (بنحوٍ مرِنْ)، لأنَّ هذا اليوم مرتبطٌ بيومِ قيامة المسيح، ليس إلَّا.

- وبالنِّسبةِ لصلاةِ الشُّكر، لا يمكنُ تأسيسُ صلاةٍ على أساسِ فعْلٍ ليسوع (ولو صدَرَ منه هذا الفعلُ فعلاً). فنحنُ لا نعرفُ الهدفَ منه، ولا يُعقَل أنْ نُحلِّقَ يميناً وشمالاً في افتراضِ أنَّ الخُبْزَ والخمْرَ سيتحوَّلانِ إلى لحْمِ يسوع ودمِهِ ليَسْري ذلك في عُرُوق المُصلِّي. ولا نفهم معنى أنْ يتحوَّلا تحوُّلاً حقيقيّاً معنوياً، مع بقائِهما على طبيعَتِهما المادِّية.

هذا مع التحفُّظِ على اقحامِ شُرْبِ الخمْرِ في الصَّلاة! لقد كان يُذكَر عن يوحنَّا المعْمدان ويعقوبِ الصدِّيق (جيمس البارّ) أنَّهُما كانا لا يشْربان الخمر، فالادِّعاءُ بأنَّ يسوع كان يشْرَبُ الخمْرَ، بل دعا إلى ذلكَ بوصفِهِ جُزْءاً من طقْسِ التَّناول، لا ينْسَجِمُ مع سُلوكِ من سبقَهُ ومن لحقَهُ من الأبرار[1].

- أما سرُّ التوبةِ، فلا حاجةَ لافتراضِ ضرورة وجود وُسَطاء بين المُذْنِبِ واللهِ الغافرِ للذُّنوب[2].

- أما بالنِّسبةِ إلى نظامِ الرَّهْبَنة، فهذا النِّظامُ وإنْ كان يستهدفُ رضوانَ الله، إلا أنَّهُ

---

(1) مضافاً إلى ما روى الكليني في الكافي في روايةٍ معتبرةٍ عن زُرارة قال: قال أبو عبد الله ﷺ: ما بعَثَ اللهُ عزَ وجلَّ نبيّاً قطُّ إلا وفي عِلْمِ الله أنَّه إذا أكمَلَ دينَهُ، كان فيه تحريمُ الخمْر. ولم تزَل الخمْرُ حراماً، وإنَّما يُنقَلونَ من خصْلةٍ إلى خصْلة. ولو حُمِلَ ذلكَ عليهم جُمْلةً لقطَعَ بهم دونَ الدِّين. قال: وقال أبو جعفر ﷺ: ليس أحدٌ أرفَقُ من اللهِ عزَّ وجل، فمن رفقِهِ تباركَ وتعالى أنَّه نقلَهُم من خصْلةٍ إلى خصْلة، ولو حمَلَ عليهم جُملةً لهلكوا.
أقول: وقريب منها جداً مرويٌّ في روايةٍ معتبرةٍ عن إبراهيم بن عمر اليماني. الكليني، **الكافي**، ج12، ص669 ـ 670، باب أنَّ الخمْرَ لم تزل مُحرَّمة، ح3.

(2) وكما ورَدَ في دعاءِ زينِ العابدين ﷺ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أُنادِيهِ كُلَّما شِئْتُ لِحاجَتِي، وأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حاجَتِي، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعائِي، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي لا أَرْجو غَيْرَهُ وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لأَخْلَفَ رَجائِي، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي وَكَلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي وَلَمْ يَكِلْنِي إِلى النّاسِ فَيُهِينُونِي».

مخالفٌ لغريزةِ الإنسانِ وطبيعتِهِ. ولكونِهِ كذلك، صارَ باباً للنّفاقِ والفساد، بحيث أظهرَ الكثيرون الرَّهبانية، ليظفروا بمزايا الرَّاهب ومقامِهِ الاجتماعي وتأثيرِهِ المعنوي، لينفلِتَ في الباطنِ بالمعاصي. ورغمَ كون هذا النِّظام مبتدعاً، إلا أنَّ اللهَ سيجزي المُخْلصينَ منهم بإخلاصِهِم في الانقطاعِ إليه.

وقد أشارَ القرآنُ إلى هذا النِّظامِ في قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1].

وتشيرُ بعضُ المصادر إلى أنَّ الرَّهبانيَّةَ لم تكن موجودةً في القُرُونِ الأولى في التاريخِ المسيحي، بل ظهرت بعد القرْنِ الميلادي الثالث في حُكْم الإمبراطور الرُّوماني ديسيوس، الذي قاتلَ أتباعَ المسيح قتالاً شديداً ولاحقَهُم. ونتيجةً لما لحَقَ بهم من الأذى، لجأوا إلى الجبالِ والصَّحاري والكهوف[2].

(1) سورة الحديد، الآية 27.

(2) للتفصيل أنظر: مكارم الشيرازي، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، ج18، ص63 ـ 66. وقد وردَ عن النبيِّ (ص): «لا رهبانيةَ في الإسلام».

الفصل السَّادس:

الفِرَق المسيحيَّة

تمهيد:

لم يكُن العالَم المسيحي يعرِفُ سوى كنيسةً مسيحيَّةً واحدة، ولم تنْقَسِم الكنيسةُ إلى فِرَقٍ وشِيَعٍ بنحوٍ واضحٍ إلا بعد انقسامِ الإمبراطورية الرُّومانية إلى شرْقيةٍ وغرْبية. ولهذا يرى بعضُ الباحثين أنَّ أسبابَ تقسيم الكنيسة هي في الأساس سياسيَّة، قبلَ أنْ تكون دينيَّة عقائديَّة. لكن هذا لا يعني عدم وجود اتِّجاهات فكريَّة ودينيَّة وعقائديَّة متباينة، منذُ رفْع المسيح، وبالتالي وجود فِرَق مسيحيَّة مختلفة. ولكن هذه الفِرَق والآراء سُرْعانَ ما اضمحلَّت - بالتدريج ابتداءً من القرْنِ الثاني إلى الرَّابع - أمامَ قوانين الكنيسة.

وكان للمجامِع المسْكونيَّة دورٌ كبيرٌ في انشقاقِ الكنيسة، وذلك من خلالِ القوانين العقائديَّة التي كانت تُقرِّرُها. فكان يقبَلُها فريقٌ ويرْفُضُها آخر، وبذلك نشأَت فِرَقٌ ومذاهبَ عقائديَّة كثيرة، كـ «النَّساطِرة» و«اليعاقبة». أما النّساطرةُ فقد ظهروا في القرْنِ الخامس، ورفضوا قرارات المجْمَع المسْكوني الثالث الذي عُقِدَ سنة 431م في أفَسُس، برعاية الإمبراطور ثاودوسيوس الصَّغير، لمواجهةِ أصحاب نسْطور، حيثُ كانوا يرفضونَ القولَ عن العذراءِ مريم: «والدةُ الله»، لأنَّ هذا القول ينفي ناسوتَ المسيح، لذا أنكرَ النَّساطرةُ وجودَ اتِّحادٍ بين طبيعتَي المسيح اللَّاهوتيَّة والنَّاسوتيَّة، وأنَّ ما بينهما هو مجرَّدُ صِلة. وانتشروا - بعيداً عن هيمنةِ الرُّومان - في فارس وجنوب العراق والسَّاحل الشَّرْقي من الجزيرةِ العربية، وأما «اليعاقبة» فقد رفضوا قرارات المجْمَع المسْكوني الرَّابع الذي عُقِدَ سنة 451م في خلْقيدونية، برعايةِ الإمبراطور مرْقيانوس، لمواجهةِ أصحاب ديسْقوروس وأوطيخيوس، وأيضاً اليعاقبة، نسْبةً للمَطْرانِ السَّرْياني يعقوب البرادْعي، الذي عاشَ في القرْنِ السَّادس، ودافَعَ عن الطَّبيعةِ الواحدةِ للمسيح.

والحدثُ الأهمُّ في انشطارِ الكنيسة المسيحيَّة، كان قد وقعَ نتيجةَ التَّنافُر بين كنيسةِ روما والقَسْطَنْطينيَّة، الذي بدأ من القرْنِ الخامس، وبالتَّحديد سنة 451م في مجْمَع خلْقدونيَّة (المجْمَع المسْكوني الرَّابع)، وازدادَ التَّنافُرُ بالتدريج، إلى أنْ انتهى بانفصالٍ نهائيٍّ بينهما سنةَ 1054م، ويُسمَّى بـ «الانشقاقِ العظيم»، حيثُ انفصَلَ الشَّرْقُ اليوناني عن الغرْبِ اللاتيني انفصالاً تاماً.

ويُذكَرُ أنَّ سببَ الانفصال هو أنَّ الكارْدينال هومبرتو - الذي كان السَّاعد الأيمن لبابا روما، والمشْهور بكراهيَّتِهِ للكنيسةِ اليونانيَّة - وصَلَ إلى القسْطَنْطينيَّة لغرَضِ التَّفاوضِ مع الكنيسةِ الشَّرْقية. وبعد مفاوضاتٍ حادَّةٍ بينهما، انتهى الأمرُ إلى إعلانِ الكارْدينال أنَّ كنيسةَ القسْطَنْطينيَّة متمرِّدة، وأنَّها خارجةٌ عن طاعةِ البابا في روما، ودخَلَ كنيسةَ آيا صوفيا (وتعني الحكمة الإلهية)، ووضَعَ قرارَ حُرْمانَها على مذْبحِ الكنيسة، وهي علامةٌ على تمرُّدِها.

وكانت هناك أسبابٌ عقائديَّةٌ وغيرها تُعتبرُ من أهمِّ نقاط الاختلاف بين الكنيستين. منها على سبيلِ المثال، الحقوق البابويَّة، وأيضاً مشكلة الخُبْز في العشاءِ الربَّاني: هل يجب أنْ يكونَ مُختَمِراً أو لا؟ وبذلك نشأت الكنيسةُ الغربيَّة، التي تُسمَّى أيضاً بـ «الكاثوليك»، والكنيسةُ الشَّرْقيَّة، التي تُسمَّى بـ «الأرثوذكسيَّة». وفي القرْنِ السَّادِس عشَر، ظهرَت حركةٌ إصلاحيَّةٌ في الكنيسةِ الكاثوليكية، عُرِفَت بـ «البروتستانت». وإليكَ بعضُ التَّفصيل.

أولاً: الكاثوليك

أصلُها من كلمةِ Khatholikos، بمعنى العامّ أو العالَمي، أي الكاثوليكيَّة هي الكنيسةُ العامَّةُ التي يجبُ أنْ تخضَعَ لها بقيَّةُ الكنائس (الخلْقيدونية)، أو هي الدِّيانةُ المسيحيَّةُ العالميَّة.

ويُنْسَبُ إلى هذه الفرْقةِ عامَّةُ المسيحيِّينَ في الغرْب، ولذا تُسمَّى كنيسَتُها الكنيسةُ الغربيَّة أو اللاتينيَّة أو البُطْرُسيَّة، نِسْبةً إلى بُطْرُس حواري المسيح. وهذه الفرْقةُ ترى نفسَها وارثة لبُطْرُس، وتتَّبع النِّظامَ البابوي، والبابا هو المُشرِّع بعدَ المسيح، وجميع بابوات روما خُلفاؤُهُ. والبابا في نظَرِ الكاثوليكيِّين معصومٌ، لا يصدُرُ عنه الخطأ، فإرادَتُهُ إرادةٌ إلهيَّة، وأوامِرُهُ أوامرُ إلهيَّة يجبُ اتِّباعُها بدون مناقشة. وكلمةُ «البابا» مأخوذةٌ من أصلِ كلمة Pope اللاتينيَّة، ويُقالُ لها في اليونانيَّة: بطْرَيارك Patriarch. وتتدرَّجُ الألقابُ الكهنوتيَّةُ على النَّحوِ التالي: شمَّاس، قسِّيس، أسقُف، مُطْران، بطْرَيارك، بابا.

وفي عام 425م، كان عدَدُ البابوات في العالَمِ المسيحي خمسة: أربعةٌ منهم في الشَّرْق، وهي القسْطَنْطينيةَّ، وأورشليم، وأنطاكية، والاسْكندرية، والخامس في روما.

ولمَّا ضعَفَت الكنائسُ الشَّرْقية لأسبابٍ عدَّة، ازدادَ نفوذُ كنيسة روما، حتى صارَ البابا فيها مُمثِّلاً لجميعِ الكنائس المسيحيَّة، بُحجَّةِ أنَّه مُجاورٌ لمرْقَدِ الحواري بُطْرُس، الذي قُتِلَ في روما.

ويُعتبرُ البابا التِّلميذُ الأكبرُ للمسيحِ على الأرض، وكأنَّ المسيحَ بعد رفعِهِ، جعلَهُ في مقامِهِ، لتوضيحِ وتفسيرِ العقيدة والشَّريعة. ورئيسُ هذه الكنيسةِ في الوقتِ الحاضر هو رئيسُ دولة الفاتيكان.

والبابا من حقِّهُ نسْخُ الشَّريعة، وله أنْ يُلْغي جميعَ الأحكام المذكورة في العَهْدَيْنِ القديم والجديد. ومن واجباتِهِ: إرسالُ المُبشِّرينَ إلى أقطارِ العالَم. وكان من حقِّ البابا في القرونِ الوسطى إصدارُ صُكُوك الغُفْران من الذُّنوب، ما مضى منها وما هو آتٍ. فإذا أرادَ البابا أنْ يجمَعَ مالاً لأمرٍ من أمورِ الدِّين، يطبَعُ الصُّكوك ويُوزِّعُها على أتْباعِهِ، ليبيعَها كما تُباعُ الأسهُمُ في الشَّركات.

ونُقِلَ عن البعضِ نموذجاً عن صكِّ الغُفْران، هذا نصُّهُ:

«ربُّنا يسوعُ المسيحُ يرْحَمُكَ يا....، ويُحلِّلُكَ باستحقاقاتِ آلامِهِ الكُلِّيةِ القُدْسية، وأنا بالسُّلْطانِ الرَّسولي المُعطى لي، أُحلِّلُكَ من جميعِ القِصاصات والأحكام والطَّائلات الكنيسيَّة التي استوجَبْتَها، وأيضاً من جميعِ الإفراط والخطايا والذُّنوب التي ارتكَبْتَها، مهما كانت عظيمةً وفظيعة، ومن كلِّ علَّةٍ وإنْ كانت محفوظةً لابنِنا الأقدس البابا، وللكرْسي الرَّسولي، وأمحو جميعَ أقذار الذُّنوب، وكلّ علامات الملامة، التي ربَّما جلَبْتَها على نفسِكَ في هذه الفرْصة. وأرفَعُ القِصاصات التي كُنْتَ تلتزمُ بمكابدَتِها في المظْهَرِ باسْمِ الآب والابن والرُّوح القُدُس».

وأهمُّ عقائدِ الكاثوليك:

1. تؤمنُ هذه الفرْقةُ بأنَّ روحَ القُدُس انبثَقَ من اللهِ الآب والابن معاً، بخلافِ الأرثوذكس.
2. تعتقدُ هذه الكنيسةُ بالمساواةِ الكاملة بين الإلهِ الآب والإلهِ الابن في الطَّبيعةِ والجوهرِ الإلهي، مثلُ بقيَّة الفِرَق، لكن تختلفُ معها في تفسيرِ وبيانِ هذه المساواة.

3. تعتقدُ هذه الكنيسةُ بأنَّ للمسيحِ طبيعتينِ ومشيئتين، يعني اللَّاهوتيَّة والنَّاسوتيَّة[1].
4. يعتقدُ هؤلاء بوجودِ «المطْهَر»، أي بوجودِ جحيمٍ صغيرٍ بمكانٍ في قلْبِ الأرض، تحترقُ فيه الأنْفُسُ التي ارتكبَتْ في حياتِها خطيئةً، حتى تتطهَّر من أوزارِها، وتُصبِحُ أهلاً للدُّخولِ في الفرْدوس السَّماوي.
5. إنَّ صلوات آباء الكنيسة والكهنة ترفَعُ العذابَ عن النُّفُوسِ المتألِّمة. ومن هنا نشأت عقيدةُ الغُفْران، وهي أنَّ ممثِّلي الكنيسة قادرون على تخليصِ الأرواح الهالكة في العذابِ بالدُّعاءِ لها والصَّلاةِ عليها.
6. الاعترافُ، وهو أنْ يبوحَ الإنسانُ لقسِّيسٍ بما فعَلَ من آثام، ثمَّ يُظهِر له النَّدَمَ، ويُؤكِّدُ له عدمَ العود إليها. فيقْبَلُ القسِّيسُ منه ذلك، ويدْعوهُ إلى ترتيلِ بعض الأدْعية والصَّلوات لمغفرةِ الذُّنوب. وهذه العقيدةُ لم تكن معروفةً في أوائلِ المسيحيَّة، بل جُعِلَت أمراً إلزامياً في الصَّلاة، وذلك في المجْمَع الثاني عشر سنة 1215م، وتقرَّرَ فيه أنَّ البابوية تملِكُ حقَّ الغُفْران وتمنَحهُ لمن تشاء.
7. تُحرِّمُ الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ الطَّلاقَ تحريماً باتّاً، ولا تُبيحُ فسْخَ الزَّواج لأيِّ سببٍ مهما عظُمَ شأنُهُ. ولا تسْمَحُ للمُطلِّقِ من الزَّوجينِ أنْ يتزوَّجَ شرْعاً مرَّةً أخرى.

وتُعتبرُ روما عاصمةُ العالَم المسيحي الغرْبي الكاثوليكي، تلك المدينةُ التاريخيَّةُ التي تقَعُ على ضفافِ نهر التِّيبْر، وتضُمُّ بين جنباتِها الفاتيكان (وهي أصغَرُ دولةٍ في العالَم، تقِلُّ مساحَتُها عن نصْفِ كيلو متر، أُنشِأَت سنة 1929م، في عهدِ موسوليني)، مركزُ الرِّئاسة الدِّينيَّة لبابا روما، الذي يدينُ بالولاءِ له أكثر من مليار مسيحي كاثوليكي في العالَم.

وينتشرُ الكاثوليك في كلِّ أنحاء العالَم تقريباً، ومركزُهُم الأساسي في أوروبا الغربية، مثل إيطاليا، وألمانيا، وبلجيكا، وكذلك لها أتباعٌ في كلٍّ من أمريكا وآسيا.

ثانياً: الأرثوذكسيَّة

وهي كلمةٌ يونانيَّةٌ مركَّبةٌ من كلمتين، إحداهُما Orthos، بمعنى الحقّ، والثَّانية Doxa، بمعنى المذْهب، يعني المذْهب الحقّ. وتُسمَّى كنيسَتُهُم «الكنيسةُ الشَّرْقيَّة» أو «اليونانيَّة»، لأنَّ أكثرَ أتْباعَها من الرُّومِ الشَّرْقيِّين ومن البلادِ الشَّرْقية. وقد انفصلت هذه الكنيسةُ عن الكنيسةِ

(1) فمثلاً عندما كان يسوع يقومُ بالآياتِ كانت طبيعتُهُ لاهوتيَّة، وعندما كان يأكُلُ وينام كانت طبيعتُهُ ناسوتيَّة.

الكاثوليكيَّة سنةَ 1054م، فيما يُعرَف بـ «الانشقاقِ الكبير»[1]، وهي تتَّبعُ نظامَ الأكليروس، ويبدأُ من البطْرَيرك، وينتهي بالقساوسة.

وأتباعُ هذه الفرْقةِ منْتشرونَ في الشَّرْقِ وفي بلادِ اليونان، وتركيا، وروسيا. ولهم في الوقتِ الحاضرِ تسْعةُ بطاركة: بطْرَيرك في القُسْطَنْطينيَّة، وهو أكبَرُهُم، والثاني بطْرَيرك الإسْكندريَّة، والثَّالث بطْرَيرك إنطاكية، والرَّابع بطْرَيرك أورشليم، والخامس بطْرَيرك روسيا، والسَّادس بطْرَيرك صرْبيا، والسَّابع بطْرَيرك رومانيا، والثَّامن بطْرَيرك بلغاريا، والتَّاسع بطْريرك جورجيا. ولها ستَّةُ كنائسَ مستقلَّة، هي: قبرص، اليونان، تشيكوسلوفاكيا (سابقاً)، بولندا، ألبانيا، وجبل سيناء.

أهمُّ عقائدِ الأرثوذكس:

1. تذهبُ هذه الكنيسةُ إلى أنَّ رُوحَ القُدُسِ منْبثقٌ عن الآبِ وحده.
2. تُبيحُ الكنيسةُ الأرثوذكسيَّةُ الفصْلَ بين الزَّوجينِ في حالةِ الخيانةِ الزَّوجية، مع تحريمِها الزَّواج بين المُطلِّق والمُطلَّقة.
3. ترى الكنائسُ الأرثوذكسيَّةُ أنَّ للمسيحِ طبيعةً واحدةً، وهي الطَّبيعةُ الإلهيَّة. هذه العقيدةُ تعني أنَّ هناك اتِّحاداً بين الطَّبيعةِ البشريَّةِ واللَّاهوتية. في حين تدَّعي الكنائسُ الأخرى أنَّ للمسيحِ طبيعتين: إلهيَّة لأنَّه ابنُ الله، وناسوتيَّة لأنَّه ابنُ إنسانٍ، فاجتمعَ فيه اللَّاهوتُ

---

(1) الانشقاقُ الكبير وهو انشقاقُ كنائس الشَّرق والغرب الخلْقيدونية عن بعضِها البعض، مُشكِّلةً بذلك فرْع غربي لاتيني (كاثوليكي)، وفرع شرقي بيزنطي (أرثوذكسي) وعادةً يرجع تاريخ هذا الانشقاق إلى عام 1054 م. والانقسامُ بين الشرقِ والغرب جاء نتيجة فترة طويلة من الجفاءِ بين المسيحيَّة اللاتينيَّة واليونانيَّة. والسَّببُ الرَّئيسي للنزاعات التي أدَّت للانشقاق، هو الخلافُ حول قرار البابا ليو التاسع، والذي طالبَ بأنْ يكون له سُلْطة على البطاركة اليونان الأربع في الشرق، وأيضاً رغبة الغربيِّين بإضافةِ عبارة على قانون الإيمان النيقاوي، حول انبثاق الرُّوح القُدُس من الابنِ أيضاً إضافةً للآب. رأى الشَّرقيون بأنَّ سُلْطةَ بابا روما هي شرفية، وهو يملِكُ سُلْطةً روحيةً في نطاقِ رعيَّتِهِ فقط، وهو لا يملِكُ الحقَّ لتغيير قرارات المجامع المسْكونية. بالإضافةِ لتلك الأسباب، وجدت أيضاً عوامل ومؤثِّرات أقلّ أهمية أدَّت لحدوث الانشقاق، كالممارساتِ الطَّقْسية وغيرها.
انقسمت الكنائس الخلْقيدونية عقائدياً ولُغوياً وسياسياً وجغرافياً، وقامت في القرونِ اللاحقة لقاءات ومحاولات للصُّلْحِ والوحدة، كمجمع ليون الثاني عام 1274م، ومجمع بازل عام 1439م ولكنَّها باءَت كُلُّها بالفشل. اليوم هناك اتصالاتٌ ولقاءات جادَّة تُعقَد بين الطَّرفين بعد قرونٍ من القطيعة، كان أبرَزُها زيارة البابا بينيدكت السَّادس عشر للبطريرك المسْكوني برثلماوس رئيس أساقفة القسْطنطينية في اسطنبول 2006م.

والنَّاسوت، واتَّحدَتا لاحقاً. الأرثوذكس يرونَ أنَّ القولَ بـ «طبيعتينِ» للمسيحِ يُوازي القول بـ «شخصيَّتين».

4. تعتقدُ هذه الفرْقةُ أنَّ للمسيحِ مشيئةً وإرادةً واحدة، تبعاً لطبيعتِهِ الواحدة، بخلافِ الكاثوليك.

ثالثاً: البروتستانت (المُحتَجُّون)

كانت المسيحيَّةُ تتهيَّأُ لإصلاحٍ دينيٍّ عامٍّ على نطاقٍ واسع، تخلُّصاً من إفراطِ الكنيسةِ منذُ القرْن التَّاسع عشر. فظهرت عدَّةُ جماعاتٍ في كثيرٍ من البلادِ المسيحيَّة، كانت كُلُّها متأثرةً بروحِ الانشقاق على الكنيسةِ الرُّومانية. ولا سيَّما في بداياتِ القرْن السَّادس عشر، حيثُ ظهرت في إيطاليا حركةٌ عُرِفَت باسْمِ «حركة الأدب الإنساني»، وانتشرت في أغلبِ مناطق أوروبا. وكانوا يتوقونَ إلى دينٍ أكثرَ روحانيَّة وإنسانيَّة، بعدما شاهدوهُ من ممارساتِ البابوات والكهنة في الكنيسة، ومظاهر الأُبَّهَة التي كانوا يعيشونَها. ومن هنا نشأَ الانفصالُ عن كنيسةِ الكاثوليك وبابا روما.

وقد اشتدَّت شوكةُ المصْلِحين المسيحيِّين في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وتبِعَهُم خلْقٌ كثير، إلى أنْ ظهَرَ مارتن لوثر في ألمانيا، وكان قد وُلِدَ سنةَ 1483م، من أبوينِ فقيرين، ولكن أباهُ أجهدَ نفسَهُ، وأرادَ له أنْ يكون قانونياً، فأرسلَهُ إلى الجامعة، إلا أنَّ الابنَ لم يجِد من نفسِهِ رغبةً كافيةً في متابعةِ هذه الدِّراسة، لشدَّةِ ميلِهِ إلى دراسةِ اللَّاهوت. ثمَّ سيطرت عليه نزْعةٌ دينيَّة، فأخذَهُ رجالُ الكنيسةِ ووضعوهُ تحتَ رعايتِهم، فانخرَطَ في سلْكِ الرَّهْبَنة سنةَ 1505م، ونالَ شهادةَ الدُّكتوراه في اللَّاهوت، ثمَّ عُيِّنَ مُدرِّساً للكتابِ المُقدَّس والفلْسفة سنة 1513م.

وقد دفعَتْهُ النَّزْعةُ الدِّينيَّةُ لأنْ يذْهبَ إلى روما للحجّ. لقد توقَّعَ أنْ يرى النُّسُكَ والعبادةَ والزُّهدَ والتعفُّف، فوجدَ مدينةَ روما المُقدَّسة غارقةً في اللَّهو، ورجالَها منْغمسينَ في الرَّذيلةِ، زاعمينَ أنَّ بيدِهِم مفاتيحَ الملكوت في السَّماواتِ والأرض، وأنَّهُم يملكونَ قبولَ التوبةِ فيغْفِرُونَ لمَنْ يشاؤونَ ما يشاؤون. فبدأَ يُعلِنُ براءَتَهُ من سلوكِ رجال الكنيسة، ويدعو إلى إنكارِ عصْمة البابا، وحقِّهِ في إصدارِ صُكوكَ الغُفْران، ويقول: إنَّ أحداً من الخلْقِ مهما بلَغَ من القُدْسيَّةِ لا يملِكُ حقَّ الغُفْران لأحد، ولا أنْ يسْتُرَ له ذنباً قد ارتكبَهُ.

وكان قد صرَّحَ سنةَ 1519م بقولِهِ: أكادُ لا أشكُّ في أنَّ البابا هو المسيحُ الدجَّال! ولم تكن الكنيسةُ صامتةً، فطلبَتْهُ للمحاكمةِ لتجاسُرِهِ على البابا، فلم يحضَر للمحاكمةِ أمامَهُ،

فأصدرَ البابا قراراً بحرمانِهِ من جميعِ المناصب الدِّينية. وكذلك أصدرَ الإمبراطور قراراً سنةَ 1520م، بحُرْمانِهِ من جميعِ حقوقِهِ المدنيَّة. فاشتدَّ غضَبُ لوثر على تصرُّفاتِ البابا، وأخذَ كتابَ الحرْمان وألقاهُ في النارِ أمامَ حشْدٍ من مناصريه، وبدأَ يُنادي بالجهادِ ضدَّ استبداد الكنيسة علَناً. ومن هنا سُمِّيت هذه الفرْقةُ «البروتستانت»، أي المحتجِّين أو المعارضين. وبعد ذلك انتشرت في أماكنَ كثيرة، وأنشأت كنائسَ جديدة، سُمِّيت فيما بعد «الكنائس البروتستانتيَّة».

وتتلخَّصُ تعاليمُ لوثر في التأكيدِ على أنَّ الكتابَ المُقدَّسَ هو المصدرُ الوحيدُ للإيمانِ المسيحي. وبذلك نبَذَ التقليدَ للبابا أو غيرِهِ من العُلماء، ورفَضَ تعليمَ الكنيسةِ عن ضرورةِ البتوليَّة والعزوبيَّة للكهنة، والنُّذورَ للرُّهبان، ولم يُبْقِ من الأسرارِ السَّبعةِ سوى التَّعميد والعشاء الربَّاني أو ما يُسمَّى بـ «التَّناول».

وقد أصدَرَ في سنةِ 1517م، نشرةً من 95 بنداً، أدرَجَ فيها هذه الاعتراضات على الكنيسةِ الكاثوليكيَّة. وأهمُّ انتقادٍ له كانَ على صكوكِ الغُفْران، التي اعتبرَها تُشكِّلُ خطراً على إيمانِ المسيحيِّين وتقواهُم. وقد نشَرَ أفكارَهُ في ثلاثةِ مؤلَّفات: نداءٌ إلى الأشرافِ المسيحيِّينَ في الأمَّةِ الألمانية، أسرارُ الكنيسةِ في بابل، حريَّةُ المسيحي.

وانتشرَ الشِّعارُ الذي رفعَهُ لوثر في أرجاء أوروبا، وهو: الخلاصُ يتِمُّ بالإيمانِ وحده، دونَ أيَّة علاقة بالأعمالِ الصَّالحة أو القيام بأيِّ عملٍ للتكفيرِ عن الخطايا، والذي أصبحَ شعارَ الكنيسةِ البروتستانتيَّة إلى يومِنا هذا.

أهمُّ عقائدِ البروتستانتيَّة:

1. ليس لأيِّ كنيسةٍ سُلْطانٌ على كنيسةٍ أخرى. فكلُّ كنيسةٍ حرَّةٌ في رئاسَتِها وتصرُّفاتِها، وربْطُها بالكنيسةِ المركزيةِ هو بمثابةِ ربط الإدارات بالوزارة.
2. الكتابُ المُقدَّسُ هو المصدرُ الوحيدُ للإيمانِ المسيحي الصَّحيح.
3. يجوزُ لكُلِّ مسيحيٍّ أنْ يدرُسَ الكتابَ المُقدَّسَ، ويفْهَمَ معانيه، بعد الحصولِ على القواعدِ الأساسية لمعرفةِ الكتاب المُقدَّس. فلا حاجةَ للكنيسةِ والبابا كوسيطٍ للفهم.
4. ليس للكنيسةِ أو البابا حقّ الغُفْران، إذ هذا من اختصاصِ الله وحده. وعمليَّةُ بيع صُكوك الغُفْران مخالفةٌ لتعاليمِ المسيح.
5. المسيحُ لا يحِلُّ في بدَنِ كلّ من يأكُل العشاء الربَّاني؛ فالخُبْزُ لا يستحيلُ إلى جسَدِ

المسيح، والخمْرُ لا يستحيلُ إلى دمِ المسيح. والعشاءُ الربَّانيُّ هو لمجرَّدِ التذكير بما قامَ به المسيحُ من فِداءٍ للخليقةِ، فهو يحمِلُ المعنى المجازي لا الحقيقي الواقعي.

6. تُنكِرُ هذه الفرْقةُ جميعَ ما تُقيمُهُ الكنائسُ الأخرى للسيِّدةِ مريم العذراء من طُقُوسٍ واحتفالاتٍ وعباداتٍ وأعياد. وترى أنَّ كلَّ ذلكَ جديدٌ في تعاليمِ المسيحيَّة.
7. لا يجوزُ إقامة الصُّوَر والتَّماثيل في الكنائس، إذ هي من مظاهِرِ الوثنيَّة التي حاربَتْها الكنيسةُ الأولى.
8. لا تصحُّ الصَّلاةُ بلُغةٍ غير مفهومة عند المُصلِّي، لأنَّ الصَّلاةَ دعاءٌ من العابدِ للمعبود، وانصرافُ القلْبِ إليه، فيجبُ أنْ تكونَ بألفاظٍ يفهَمُها المؤمن، فهي تجوزُ بأيِّ لُغةٍ كانت ما دام المُصلِّي يفهَمُها.
9. الخضوعُ لبعضِ قرارات المجامِع المسْكونية، ورفضُ بعضِها. فما وافقَ الكتابَ المُقدَّس يُؤخَذُ به، وما عارضَهُ يُضرَبُ به عرضَ الجدار.
10. لا تختلفُ هذه الفرْقةُ عن غيرِها في عقيدةِ التَّثليث وأُلوهيةِ المسيح وبُنُوَّتِهِ وصلْبِهِ وقيامتِهِ وتكفيرِهِ عن خطيئةِ البشَرِ الأزليَّةِ التي ارتكبَها آدم.

وقد انتشرت البروتستانتيَّة في كثيرٍ من البلادِ الأوروبية، منها: إنجلترا، وألمانيا، والدَّانمارك، وسويسرا، وهولندا، والنَّرويج، والولايات المتحدة الأمريكية. ونظراً لإمكانيَّاتِها الهائلة، بدأت تغزو كثيراً من معاقلِ الكاثوليكيَّة في آسيا وأفريقيا والصِّين واليابان. ولهُا مُبشِّرونَ في البلادِ الإسلامية.

رابعاً: المذْهب الأنجليكاني

كان الملِكُ هنري الثامن 1491 ـ 1547م ملِكُ إنجلترا كاثوليكيّاً، فأخَذَ على عاتقِهِ إصلاحَ سوء التصرُّفات في كنيسةِ إنجلترا، لأمانتِهِ للكنيسةِ الكاثوليكيَّة، وغيرتِهِ على المسيحيَّة، فألَّفَ كتاباً يدْحَضُ فيه تعاليمَ لوثر، وسُمِّي لذلك «المُدافِع عن الإيمان»، أي عن الإيمانِ الكاثوليكي.

وحوالي سنة 1530م، نشَبَ خلافٌ حادٌّ بينَهُ وبين البابا كليمندس السَّابع 1523 ـ 1534م، لأنَّ هذا الأخيرَ رفضَ إعلان بُطْلان زواجِهِ من زوجتِهِ كاترين الأرغوانية الإسبانية الأصْل، والتي لم تُنْجِب له سوى بنْت. فما كان من الملِكِ إلا أنْ أجبرَ رئيسَ أساقفة كانْتَرْبَري على فسْخِ زواجِهِ، وتزوَّجَ مرَّةً ثانيةً في سنةِ 1533م من آنْ يولين، إحدى وصيفات الملِكة

كاترين. فأعلَنَ البابا كليمندس أنَّ هذا الزَّواجَ باطلٌ، وحرُمَ الملِك هنري[1]، فرَّدَ الملِكُ على الحُرْمِ بالخروجِ من سُلْطةِ الكرْسي الرَّسولي هو وجميعُ شعبِهِ. وفي سنة 1534م، حصَلَ من البرلمان على لقَبِ الرَّئيس الأعلى لكنيسةِ إنجلترا.

ثمَّ حلَّ كلَّ الرَّهْبانيَّات المتواجدة على أرضِ مملكتِهِ، وصادَرَ جُزْءاً من أملاكِها، وضمَّهُ إلى أملاكِ العرْش، وباعَ الباقي. ولم يعترض الشَّعبُ على تلك الإجراءات، لأنَّ الرَّأيَ العامَّ منذُ زمنٍ بعيدٍ كان قد أخَذَ ينفُرُ من تصرُّفاتِ الكرْسي الرَّسولي، ويُعادي الرُّهبان.

وبالرَّغمِ من عدائِهِ لسُلْطةِ البابا، كان الملِكُ هنري الثامن يُجاهِرُ بإيمانِهِ الكاثوليكي، ولكن في الوقت نفسِه يأمُرُ بإعدامِ كلّ من يُنْكِرونَ عليه رئاسةَ كنيسة إنجلترا، كما فعَلَ بمستشارِهِ الخاصّ توماس مور (1535م) وتعذيب من يعتنقونَ اللُّوثرية.

وبعد موتِ هنري الثَّامن سنة 1547م، تعاقبَ على العرْشِ أولادُهُ الثلاثة، الذين فرضوا على المملكةِ إيمانَهُم ومعتقدَهُم الخاصّ. فإدوارد السَّادس 1537 – 1553م اعتلى العرْشَ في سنِّ العاشرة، ثمَّ الملِكة ماري الأولى تودور 1516 – 1558م ابنة هنري الثَّامن من زوجتِهِ الأولى، ثمَّ خلَفَتْها الملكةُ إليزابيث الأولى 1533 – 1603م ابنةُ الزَّوجة الثانية، فعرَضَت على شعبِها ديانةً هي أشبهُ بخليطٍ من الكاثوليكيَّة والبروتستانتيَّة، عُرِفَت باسْم «الإنجليكانية»، واتَّخذَت لقَب «حاكمة المملكة المُطْلقة في الأمورِ الرُّوحية والزَّمنية».

خامساً: فرْقةُ شُهُود يَهْوَه

ظهرت جماعةُ شُهُود يَهْوَه على مسْرَحِ الحياةِ الدِّينية، في بداياتِ القرنْ العشْرين،

---

(1) الحُرْمُ أو الحرْمان الكنسي، هو عقوبةٌ تُنزِلُها الكنيسةُ بحقِّ البعضِ من أبنائِها «بهدفِ الحضِّ على التوبة»، وينتهي الحُرْم بإعلانِ التوبة.
ماهيةُ الحُرْمِ، يُفْضي إلى قطْعِ الشِّرْكة بين الشَّخصِ والكنيسة، وبالتالي الشَّراكة في الإيمانِ مع سائرِ المسيحيِّين.
يُقسَّمُ الحُرْمُ إلى نوعين: الحُرْمُ الصَّغير، وبموجبِهِ يُمنَعُ المرْء من التقدُّم لنيلِ أحد الأسرار السَّبْعة، لكن تقامُ عليه أشباه الأسرار بما فيها صلاة الجنازة. الحُرْمُ الصَّغير يكَون تلقائياً، فنُصْحُ شخصٍ بالإجهاض أو حضّهُ على الانتحار مثلاً، يؤدِّي تلقائياً إلى الحُرْمِ الصَّغير وقطْع الشِّرْكة مع الكنيسةِ الجامعة. أما الحُرْمُ الكبير، فيُمنعُ بموجبِهِ المرءُ من أيِّ عملٍ كنسيٍّ أو روحاني، حتى إشهار التوبة، ويكونُ شخصياً، ويضعهُ البابا أومجمع مسكوني؛ غير أنَّه قد يكونُ عاماً أيضاً، فمثلاً حكمت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ على أتباعِ الأحزاب الشُّيوعية الذين أنكروا اللهَ وحاربوا الدِّينَ بالحُرْمِ الكبير، لا يُفسح منه سوى البابا.

خاصَّةً إبَّان الحرْب العالميَّة الأولى والثَّانية. وقد أقامت لنفْسِها ملكوتاً خاصّاً تأسَّسَ سنة 1914م، ادَّعَت أنَّهُ ملكوتُ الله، وشكَّلَت له حكومةً ثُيوقراطيَّة، عِددُ أعضائِها 144 ألفاً، دعَتْهُم: «الصَّفّ السَّماوي»، يقودونَ جماعاتٍ من شُهودِ يَهْوَه سمَّوْها: «الصَّفّ الأرْضي».

إنَّ القُرُونَ التي تلَتْ عصْرَ الإصلاح الإنجيلي، الذي قادَهُ مارتن لوثر، شهدَت بروز حركات لاهوتية، أهمُّها الحركةُ التَّوحيديَّة، التي زرَعَ بُذُورَها ميخائيل سرفيتس (طبيبٌ، تخلَّى عن عقيدةِ التَّثليثِ وأُلوهيَّةِ المسيح) 1511 ـ 1557م، وطوَّرَها في الولاياتِ المتَّحدة ثيودور باركر 1810 ـ 1860م، الذي بدورِهِ انتقدَ عقائدَ مسيحيَّة هامَّة، كعقيدةِ الفِداء والكفَّارة والعقاب الأبدي، ويُعتبَرُ أوَّلَ راعٍ لكنيسةٍ توحيديَّةٍ في أمريكا في سنة 1837م. وظهورُ هذه الفرْقة التَّوحيديَّة كان لها دورٌ واضحٌ في ظهورِ حركة شُهُود يَهْوَه.

كذلك لا بدَّ من الإشارةِ إلى طائفتينِ برزتا نحوَ منتصف القرْن التَّاسع عشر، كان لهُما دورٌ أيضاً في نشأةِ هذه الفرْقة، هما:

أُولاهُما: طائفةُ المجيئِيِّينَ السَّبْتيِّين، الذين اتَّفقوا مع التَّوحيديِّينَ في كثيرٍ من القضايا العقائدية، وتميَّزوا بإضافةِ عقيدة مجيء المسيح الوشيك. كان وليم ميلر قائدَ هذه الفرْقة، حيثُ حدَّدَ سنةَ 1843 أو 1841 سنة أكيدة لمجيءِ المسيح، إلا أنَّه اضطرَّ لتعديلِ هذا الموعد مراراً عديدة.

وثانيهُما: شيعةُ إخوة المسيح، التي أسَّسَها يوحنَّا توماس 1805 ـ 1871م، الذي رفَضَ التَّسْمية التَّقليدية لأتْباعِ يسوع المسيح بـ «المسيحيِّين». وقد رفَضَ توماس عقيدةَ الثَّالوث، كما فعَلَ التَّوحيديُّونَ من قبلِهِ. وفيما بعد، أصبحت عقيدةُ «عودة المسيح ثانيةً إلى الأرضِ ليملِكَ مُلْكاً منظوراً»، جوهر عقيدة التُّوماسيِّين.

ويُعتبرُ تشارلز رَسِل 1852 ـ 1916م من مدينةِ بِنْسِلْفانيا، المؤسِّسُ والرَّئيسُ الأوَّل لجماعةِ برْج المراقبة، وهو الاسمُ الذي أُطلِقَ على جماعةِ شُهُود يَهْوَه بادئ ذي بدء.

وتبدأُ قصَّةُ نشوء جماعة شُهُود يَهْوَه منذُ أنْ كان رَسِل في الثَّامنةَ عشرَة من عمرِهِ، عندما بدأَ يتردَّد على الاجتماعاتِ الدِّينيَّة، التي كانت تعقِدُها جماعةُ السَّبْتيِّين المجيئِيِّين في مدينةِ أليغني. ويُصرِّحُ رَسِل قائلاً: «هناك ولأوَّلِ مرَّة سمِعتُ شيئاً عن مجيءِ المسيح الثاني بواسطةِ جوناس ويندل». ففي أجواء تلك الاجتماعات المثيرة وُلِدَت الفكرةُ عند

تشارلز رَسِل، التي بدأ يصوغُها بقالَبٍ آخرَ جديد، خاصَّةً بعد أنْ فشَلَ السَّبْتيُّونَ بتحديدِ موعدٍ لمجيءِ المسيح الثاني.

وما تزالُ هذه الفرْقةُ إلى يومِنا هذا تقومُ بأعمالٍ تبشيريَّةٍ كبيرةٍ في مختلفِ نقاط العالَم، ولا سيَّما في أمريكا والعالَم الغربي. وتعتبرُها أغلَبُ الكنائس المسيحيَّة فرْقةً منحرفةً عن التَّعليمِ المسيحي القويم، وأَلَّفوا كُتُباً كثيرةً في الرَّدِّ عليها.

أهمُّ عقائدِ شُهُود يَهْوَه:

1. رفضُ عقيدة التَّثليث، التي تقولُ بها الكنيسةُ وجميعُ الفِرَق المسيحيَّة الأخرى.
2. الاعتقادُ بأنَّ المسيحَ، وإنْ كان بمرتبةِ إلهٍ، لكنَّه أقلُّ شأناً من الآب، الذي هو الإلهُ الحقيقي، وهو الذي أعطى المسيحَ صفةَ الأُلوهية.
3. الاعتقادُ بقُرْبِ مجيء المسيح الثاني، بل إنَّه أتى، ولكن بشكلٍ غير منظور، أي لم ترهُ البشرية.

واعتقاداتٌ أخرى ترفُضُها بقيَّةُ الكنائس المسيحيَّة[1].

سادساً: فرْقة المُورْمُون

تعتبرُ فرْقةُ المُورْمُون Mormonites /Mormonism نفسَها جُزْءاً من **الدِّينِ المسيحي**، وهي ديانةٌ ظهرَتْ في الولاياتِ المتَّحدةِ الأمريكية، أشاعَها **جوزيف سميث** Joseph Smith في أواسِط القرْن التاسع عشر.

ففي بلْدةِ شارون، بمقاطعةِ وندسور التابعة لولايةِ فرمونت Vermont، وفي 23 ديسمبر / كانون الأول من عام 1805م، وُلِدَ جوزيف سميث. وفي سنِّ العاشرة، رحَلَ مع والدِهِ إلى مدينةِ بالميرا Palmyra في ولاية نيويورك. وفي الرَّابعةِ عشرة من عمرِهِ، عادَ الانتقالَ مع أهلِهِ إلى مانشستر، في المقاطعةِ ذاتِها. نشأَ جوزيف سميث في أثناءِ فترة نهضة دينيَّة، سُمِّيَت «الصَّحوة الكبرى الثانية»، وكانت عبارةً عن ردَّةِ فعلٍ مسيحيَّةٍ على التوجُّهِ العَلْماني لعصْرِ التَّنوير. ولما بدأت أفكارُهُ الدِّينيَّة بالتبلْور، وجدَ أتباعَ دينِهِ من المسيحيِّينَ البروتستانت منقسمينَ إلى فِرَق وطوائفَ شتى. فشعَرَ بالتَّشتُّت والقلق.

وبينما كان في ربيعِ 1820م، يُصلِّي مُنفرِداً في غابة، طالباً من اللهِ الهداية، ادَّعى أنَّه

(1) علي الشَّيخ، **دروس في المسيحية**، ص159 ـ 173.

شاهدَ نوراً يسْطَعُ فوقَ رأسِهِ، وتجسَّدَ النورُ في شخصين، هُما كما قال: الرَّبّ وابنِهِ يسوع، اللَّذانِ نهيَاهُ عن اتِّباعِ أيٍّ من هذه الفِرَق، وقامَ يسوعُ بمسْحِ كافَّة خطايا جوزيف. وهذه الحادثةُ ليست جديدةً في عائلةِ سميث، فوالِدُ جوزيف كان يدَّعي أنَّه - وأبوهُ من قبْلِهِ - كانا يتواصلان مع الرَّبّ، من خلالِ التجلِّيات والأحلام. ولما أخبرَ جوزيف الناسَ برُؤياه، تعرَّضَ للسُّخريةِ والاضْطهاد.

ولكن الحادثةُ الفارقة - كما يدَّعي - كانت في مساءِ 21 سبتمبر/ أيلول 1823م، عندما نزَلَ ملاكٌ من السَّماءِ، اسْمُهُ «موروني» Moroni، وأخبرَ جوزيف بأنَّ عليه الاستعدادَ لمهمَّةٍ إلهيَّةٍ يجبُ إنجازُها، وأخبرَهُ الملاكُ عن صحائِفَ من ذهب، نُقِشَت عليها أخبارُ أوائل مستوطني القارَّة الأمريكية، والأحداث التي جرت بينهم، وهي أثرُ النَّبيِّ موزمون، الذي كان آخر من بقيَ على قيدِ الحياة، بعد حرْبٍ طويلةٍ بين اللَّامانيِّين (الأشرار) Lama-nites والنافيِّين (الأخيار) Naphites، وقال: إنَّها مدفونةٌ في تلٍّ كومورة قُرْب بلْدة مانشستر، وحذَّرَهُ من إعلامِ أحدٍ عن هذه الصَّحائف، أو إخراجِها قبلَ أربع سنوات. وفي عامِ 1825م، ذهبَ مع صديقِهِ أوليفر كودري Oliver Cowdery إلى الغابة، حيثُ هبَطَ عليهما - كما يدَّعيان - يوحنَّا المعْمدان، وأمرَهُما بأنْ يُعمِّدَ كلٌّ منهُما الآخر، ورسَمَهُما لرعايةِ كنيسةِ الرَّبّ. وفي عام 1827م، قصَدَ جوزيف التلَّ، حيثُ كانت الصَّفائح، فسلَّمَها له الرَّسول، وظلَّت معه حتى أكمَلَ ترجمَتَها، ثمَّ أعادَها إلى الرَّسول.

وفي عامِ 1827م، ترَكَ جوزيف ولايةَ نيويورك، وانتقَلَ إلى مقاطعةِ سوسكويهانا بولايةِ بنْسلفانيا، واستوطَنَ مدينةَ هارموني، حيثُ تزوَّجَ من إيما هيل، التي سيجدُ من أبيها سنداً قويّاً لترويجِ أفكارِهِ الدِّينية. وهناك قامَ بتحريرِ كتاب مورمون The Book of Mormon، بمساعدةِ مارتن هاريس، أحد الشُّهود الثلاثة. وقد اكتملَ عام 1829م، بمساعدةِ أوليفر كودري.

وفي عام 1830م، أعلَنَ عن تأسيسِ كنيسة يسوع المسيح لقدِّيسي الأيَّام الأخيرة. ورحَلَ جوزيف وأتباعُهُ إلى مدينةِ كيرتلاند، المجاورة لمدينةِ كليفلاند بولايةِ أوهايو، حيثُ شيَّدَ هيكلاً عظيماً، كما أنَّه قامَ بعملٍ تبشيريٍّ واسِعَ النِّطاق في تلكَ المنطقة وما جاوَرَها. ولكن جوزيف وأتباعُهُ تعرَّضوا للاضْطهاد، ممَّا اضطرّهم لترْكِ منازِلِهم ومزارِعِهم والرَّحيلِ إلى ولايةِ إلينوي، حيثُ اشتروا المسْتنقعات الشَّاسعة المهجورة على شاطئِ المسيسيبي، وقاموا بإصلاحِها، وبنوا فيها بلْدة نوفو.

وأعلَنَ سميث أنَّ وحياً أمرَهُ باتِّخاذِ عدَّةِ زوجات، إلا أنَّ المناداةَ بتعدُّد الزَّوجات نبَّهَت

السُّلُطات المدنيَّة، فأوقفَتْ جوزيف مع شقيقِهِ هايرم سميث. وفي 27 يونيو/ حزيران 1844م - ولعدَّةِ اتِّهاماتٍ وُجِّهَت إليه - سُجِنَ جوزيف وأخيهِ في مدينةِ كارسيج بولايةِ إلينوي، فدخَلَ عليهما مُسلَّحان، قتلاهُما بالرَّصاص، وانتهت بذلك حياةُ نبيِّ المورْمون.

بعد ذلك مباشرةً، تسلَّمَ النُّبوَّةَ وزعامةَ الطَّائفة بريجهام يونج Brigham Young، الذي أمرَ بالرَّحيلِ إلى جبالِ روكي الوسطى في ولايةِ يوتاه Utah. وقد عمَدَ بريجهام يونج، وكان منُظِّماً نشيطاً، إلى نقْلِ البدْعةِ عبرَ الغرْب البعيد Far West (الذي كان حكراً على الهنودِ الحُمر)، وما وراء الجبال الصخريَّة، وصولاً إلى ضفافِ بُحيرة أوتاه المالحة. في تلكَ الصَّحراء المُجدِبة، أسَّسَ يونج نوعاً من الدَّولةِ الثِّيوقراطية، فنشأت مدينةُ سولت ليك Salt Lake، التي عاشَتْ مستقلَّةً حتى احتلال القوَّات الأمريكية، في العام 1858م. ونتيجةَ فشَلَ المورْمون في بناءِ صهيون المنشودة ضمْنَ الفضاء الأمريكي، بدؤوا ببناءِ مجتمعٍ خاصٍّ بهم كمسْتوطنينَ لمنطقةٍ صحراويةٍ، تُعرَفُ اليوم بـ«الممَرِّ المورْموني». وقد تُوفِّيَ يونج في العام 1877م، تاركاً ثروةً هائلةً لزوجاتِهِ السَّبْع عشرة وأولادِهِ الستَّة والخمسين.

وتتابَعَ أنبياؤُهُم الذين هم رؤساءُ الكنيسة. وإلى الأمس القريب، كان نبيُّهُم ورئيسُ الكنيسة المورْمونية هو توماس س مونسون (ولد سنة 1927م)، ابتداءً من عام 2008م. إلا أنَّه تُوُفِّيَ في يناير/ كانون الثاني 2018م، وخلفَهُ في منْصِبِهِ رَسِلْ نيلْسون Russell Nelson.

أهمُّ عقائدِ وأحكامِ المورْمون:

إنَّ عقيدةَ المُورمونيِّين قليلةَ الوضوح. ولا سيَّما أنَّ الوحيَ مستمرٌّ بالنِّسبةِ إليهم. ويمكِنُهُ أنْ يتجلَّى بلا انقطاعٍ بحضورِ الله المرئي أو غير المرئي، وبرسائِلَ ينقُلُها الملائكة. ومع ذلك، يمكنُ إيجازُها بالنِّقاطِ التالية:

1. يرى المورمون أنفُسَهُم أنَّهُم أتباعُ كنيسةٍ مسيحيَّة، يؤمنُ أعضاؤُها بالكتابِ المُقدَّس، بشِقَّيهِ: العهد القديم والجديد (كما يؤمنُ به كلُّ المسيحيِّين)، وأنَّ المسيحَ نزَلَ من السَّماءِ في أرضِ أمريكا بعد قيامتِهِ، و هو الذي أوحى بكتابِ مورمون، الذي يتضمَّنُ تعاليمَهُ وخُطَّتَهُ لخلاصِ البشرية، ويُشكِّلُ الحجَرَ الأساسَ للعقائدِ والتَّشريعِ لدى المورْمون.
2. يؤمنُ المورْمون بأنَّ جوزيف سميث هو رسولٌ ونبيٌّ، مثلُ النَّبيّ موسى، استلَمَ ألواحاً ووحياً ربَّانياً، وأنَّه شاهَدَ الخالِقَ الأعظم والمسيحَ والملائكة، وأنَّه كُلِّفَ باستعادةِ العقيدةِ المسيحيَّةِ التي تبدَّلَت بعد موتِ رُسُلِ المسيح.

3. تُبشِّرُ الكنيسةُ المورمونيَّة بعبادةِ الإلهِ الواحدِ الصَّحيحِ والحيّ، بخلافِ عقيدةِ الثالوث الأقدس لدى المسيحيِّين. والمبدأُ السَّائدُ حول الأُلوهيَّةِ في المورْمونيةِ هو أنَّ الآبَ والابنَ وروحَ القُدُس يُشكِّلونَ ثلاثَ كينونات منفصلة، وأنَّ الآبَ والابنَ لهم صفاتٌ جسَدية، بينما الرُّوح القُدُس هي كينونةٌ روحية، من خلالِها يتَّحدُ الآبُ والابن. كما تعتقدُ المورْمونية بأنَّ يَهْوَه Jehova المذكورُ في العهدِ القديم، لا يُشيرُ إلى اللهِ الآب، بل إلى الابن، مُخلِّص البشرية.

4. تعتقدُ الكنيسةُ المورمونيَّة أنَّ بدايةَ وجود الشَّخص لا تكونُ من لحظةِ ولادتِهِ على الأرض، بل للشَّخصِ وجودٌ سابقٌ على الولادة، بل سابقٌ على خلْقةِ الأرض. وعلى ضوءِ ذلك يتمُّ تفسير الكثيرَ من القضايا المرتبطة بشروطِ وغايات الوجود الأرضي، ويُحدِّدُ هذا الاعتقاد رُؤيتَهُم الكونيَّة. ولا يؤمنُ المورْموني، بتناسُخ الأرواح، كما يؤمنُ الهندوسي والبوذي.

5. يُمارِسُ المورْموني الصَّومَ بالامتناعِ عن الأكلِ والشُّرْبِ مدَّةَ وجبتينِ متتابعتين، وبذلك يصومون أربعاً وعشرينَ ساعة. وهم يُحرِّمونَ الخمْرَ، وكلَّ المُسْكرات، مع التَّبْغِ بكلِّ أشكالِهِ. كذلك يمتنعونَ عن شُرْبِ القهوةِ والشَّاي (وكلّ ما يحتوي على الكافيين)، ويبتعدونَ عن تناول المرطِّبات والمشْروبات الغازية، ويُحذِّرونَ من الإكثارِ من أكلِ اللَّحم، ويُشجِّعونَ على تناولِ الفواكه والخُضَر والبُقول.

6. الممارساتُ الشَّائعةُ للمُورْمُوني تشمَلُ دفْعَ العُشُور، والامتناع عن العلاقاتِ الجنْسيَّةِ قبلَ الزَّواج، والمشاركة في قيادةِ الكنيسة، والامتناع عن العملِ يومَ الأحد عندما يكونُ ذلك ممكناً، أُمسيات الأسرة في المنزلِ والتَّبْشير. وتشجِّعُ المُورْمونيَّة على الرَّوابطِ الأُسريَّة وصِلَةِ الرَّحِم، وتعطيها مكانةً خاصَّةً. ويظهَرُ ذلك في تخصيصِ أمسية السَّبْت والاثنين لِلَمِّ شمْلِ الأسرة. كما تُشجِّعُ أيضاً على إنجابِ البنين وتكوين أُسَر كبيرة. وتتكرَّر هذه النَّصائح الأخلاقية في كتابِ مورْمون: أطْعِم الجائِع، عُدِ المريض، اكْسُ العُرْيان.

7. من أبرَزِ مشاكِلِهم مع مجتمَعِهِم المسيحي، هي إباحَتُهُم تعدُّدَ الزَّوجات. وقد مارَسَ جوزيف سميث هذا الحقَّ، وكذلك معظمُ أتباعِهِ حتى عام 1890م، عندما أنهَتْ الكنيسةُ المورْمونيَّة رسْمياً هذا التقليد.

تتكوَّنُ كنيسةُ المورْمون من رئيسٍ واثنين من المعاونين، يُسمَّوْن «الرُّسُل» أو

«الحواريِّين»، ويكونُ عمَلُهُم بإشرافِ مجلس الكنيسة المؤلَّف من اثني عشرَ شخصاً. ولكن أعلى الهيئات في الكنيسةِ المورْمونيَّة هو مجلسُ السَّبْعين، الذي يتمثَّلُ فيه جميعُ كنائسِ المورْمون في العالَم. وفي كلِّ ولايةٍ أو منطقةٍ، يوجدُ رئيسٌ عامٌّ للكنيسة.

التَّسْميةُ الرَّسْميةُ التي يعتمِدُها المورْمونيُّون لكنيسَتِهم هي: «كنيسةُ يسوع المسيح لقدِّيسي الأيَّام الأخيرة»[1]، ويتْبَعُ هذه الكنيسةَ الآن أكثرَ من 18 مليون عضو، منتشرينَ في مختلَفِ أنحاءِ العالَم. ويعودُ هذا الانتشارُ إلى حملاتٍ وبرامج مُنظَّمة للدَّعوة. ويُشكِّل المورْمونيُّون نحو 61% من سُكَّان يوتا، ويشكِّلون نحو 1.7% من سُكَّان الولايات المتَّحدة. كما يتواجدون بكثافةٍ في ولايةِ نيفادا وأريزونا وايومنغ، بالإضافةِ إلى أعدادٍ كبيرةٍ في ولايةِ كولورادو ومونتانا وواشنطن وأوريغون، وألاسكا وهاواي وكاليفورنيا. وفي العالَمِ العربي، لهم كنائس في لبنان والأردن ومصْرَ ودبي.

الجديرُ بالذِّكر أنَّ ثمَّةَ تشابهاً واضحاً بين العقائدِ المورْمونيَّة والعقائدِ اليهودية الصَّهيونية، فكلتا العقيدتينِ تقومانِ على فكرةِ شعب الله المُختار. وكلتاهُما تتبنَّى فكرةَ العودة المُقدَّسة إلى أرضِ الميعاد. وقد ورَدَ في أقوالِ جوزيف سميث: إنَّ أمريكا هي صهيون الحقيقيَّة. على هذا الأساس، يتوقَّعُ المرْمونيُّون أنْ يتمَّ العملُ على بناءِ أورشليم الجديدة، في ولاية ميسوري، قبلَ مجيءِ المُخلِّص. وبالتالي فإنَّ رؤيةَ المورْمون تفترضُ غيابَ السُّكَّان الأصلِيِّين لأمريكا، وهي مثلُ الرُّؤية الصَّهيونية للفلسطينيِّين، الذين تمَّ طرْدُهم من فلسطين، كذلك قبائلُ الهنود الحُمر الذين كانوا يُعدُّونَ بالملايين، قد أُبيدَت أغلبيَّتُهُم السَّاحقة. فقد جاءَ في كتابِ مورْمون، أنَّ قبائلَ إسرائيل العشْر التي لم تعُد إلى اليهوديَّة، بعد أسْرِ بابل، كانت قد هاجرَت إلى أمريكا الشَّمالية، وانقسمَت هناك إلى شعْبين: النافيُّونَ واللَّامانيُّون. فالنافيُّون الذي هم نسبةً لاسْمِ «نافي» - حيثُ كان اسْماً لعددٍ من أنبيائِهم - كانوا غالباً مؤمنينَ مطيعينَ لوصايا الرَّبّ متمسِّكينَ بالسَّلام، ولا يعتدونَ على أحدٍ، مع أنَّهم أبطالٌ ومحاربينَ شُجْعان. أما اللَّامانيُّونَ فهم على العكسِ تماماً، ونادراً ما يهتدونَ للرَّبِّ، ويكونونَ صالحين، وقد تمَّ وصْفُهُم في كتابِ مورْمون بأنَّهُم «صاروا متوحِّشينَ ومفْترسينَ ومتعطِّشينَ للدِّماء، مملوئينَ ولَعاً بعبادةِ الأصنام والقذارة»[2]. ومن الواضح بأنَّ هذا الوصفَ هو للهنودِ الحُمر، وأنَّهُم همُ المقصودون باسْمِ «اللَّامانيين». بل يبدو أنَّ كتابَ مورْمون قد

---

(1) day Saints._The Church of Jesus Christ of Latter

(2) كتاب مورمون، **سفر أنوش** 1: 20. وفي الترجمة تجد الفقرة في ص160.

شمَلَ الزُّنوجَ الأمريكيِّين ضمْنَ شعب اللَّامانيِّين. وما كان ربْطُ المورْمون للونِ البشْرة الأسمر بالشَّرِّ إلا تبريراً لاستعبادِ الزُّنوج، وإبادةِ الهنود الحُمر السُّكَّان الأصليِّين لأمريكا، من قِبَلِ الأوروبيِّين البيض. فالزُّنوجُ أو السُّمْر ممتلئونَ بالغدْرِ والدَّهاء. ولم يكتفِ كتابُ مورْمون بذلك، بل كرَّسَ الفصْلَ العُنْصُري باسْمِ الرَّبّ، الذي قال: «إنَّ هذه اللَّعنةَ ستُصيبُ كلَّ من اختلَطَ بهم»! ويعتقدُ كثيرٌ من الباحثين بأنَّ كتابَ مورْمون يُشبِهُ كتابَ التلْمود اليهودي في كلِّ شيء، حتى كأنَّه نسْخة عنه. ومن المؤكَّد أنَّ أجزاءَ كاملة منه مُشْتقَّة من الكتابِ المقدَّس، وبالتَّحديد من سِفْري أشعيا وملاخي.

الكنائسُ المسيحيَّةُ الرَّئيسيَّةُ لا تعُدُّ أتباعَ المورْمون من ضمْن المسيحيِّين، ويُعدِّدونَ أسباباً كثيرةً لذلك، منها ما يتعلَّق بأساسِ العقيدة المسيحيَّة، كتفسيرِ المورْمون الخاصّ للثالوثِ المقدَّس، ومنها ما يتعلَّقُ بمظاهرِ هذه العقيدة، كتقديسِ الصَّليب الذي لا يعُدُّهُ المورْمون رمزاً كباقي المسيحيِّين، ويقولونَ بأنَّ الصَّليبَ هو رمزٌ لموتِ المسيح، ورسالةُ مورْمون هي إعلانُ المسيح الحيّ. كما لا يُؤمِنُ المورْمون بتعميدِ الأطفال، ويرونَ أنَّهُم بلا خطيئة. كذلك فهم لا يختِنُونَهُم. إضافةً إلى ذلك، فإنَّ من أهمِّ أسباب ابتعاد المورْمون عن الكنيسةِ المسيحيَّةِ هو ما تُبشِّرُ به كنيسةُ المورْمون بأنَّ كلَّ الكنائس الأخرى مرتدَّة.

وفي كتابِ مورْمون ـ وهو يُؤرِّخُ لأزمنةٍ تسبِقُ المسيحَ بعدَّةِ قرون ـ نجدُ أنَّ الأفكارَ الأساسيَّةَ للمعتقدِ المسيحي ناضجةً ومتبلورة، بشكلٍ لم تبلُغهُ إلا بعد سنواتٍ طويلةٍ بعد المسيح. فهو يقولُ مثلاً عن يسوع المسيح: ابنُ الإله، والمسيح المُخلِّص، ويتحدَّثُ عن بهجةِ المسيح، والامتلاءِ بالرُّوحِ القُدُس. وكُلُّها تعابير لم تتبلور إلا بعد زمنٍ طويلٍ من زمنِ المسيح. وتبلُغُ الغرائبيَّةُ أقصاها في كتابِ مورْمون عندما يذكُرُ أنَّه في حوالي القرْن الخامس قبل الميلاد، علِمَ المهاجرونَ من أورشليم بالمسيح، وبملكوتِهِ الآتي. ثمَّ تجلَّى الملاكُ لنافي، وظهَرَت له السيِّدة العذراء وطفلَها، ويقولُ له: هذا حَمَلُ الله. ثمَّ يرى نافي الرُّسُل الاثني عشر وهم يتَّبعونَ هذا الوليد.

مقابلُ تقديس الطَّائفة لكتابِ مورْمون، على أنَّه وحيٌ إلهيٌّ، فإنَّ كثيراً من النُّقَّاد يُؤكِّدونَ على أنَّ جوزيف سميث قد اختلَقَ هذا الكتاب، وأنَّ بعضَ أجزائِهِ منحولةٌ من كتاباتٍ

متنوِّعة، اطَّلَعَ عليها، منها: طبعة الملِك جيمس من الكتابِ المُقدَّس[1]، وكتابُ عجائب الطَّبيعة المنشور عام 1826م، وكتابُ وجهة نظر عن العبْرانيِّين تأليف إيثان سميثو المنشور عام 1823م[2].

(1) جوزيف سميث أعطى لنفسِهِ الحقَّ في إجراءِ تعديلاتٍ على هذه الترجمة، حيث أبدى تعليقاتَهُ عليها على هيئةِ هوامش، قدَّمتْها أرملتُهُ إلى الكنيسةِ الخاصَّة بهم بعد وفاته، لكن ارتأى الأنبياءُ اللاحقون للمورمونية عدم إدخال تلك التعليقات على المتن، حتى لا تنقطع الصِّلة بينهم وبين بقيةِ المسيحيِّين.

(2) **كتاب مورمون**، مقدمة د. منذر الحايك، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 017، دبي، ص9 ـ 32.

أيضاً: ج. ويتلر، **الهرطقة في المسيحية: تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية**، ص231 ـ 233.

أيضاً: Jana Riess & Christopher Kimball Bigelow, **Mormonism**, Wiley Publishing, Inc, 2005, Indiana, USA.

البابُ الثاني:

المسيحيَّة بنظرةٍ فاحصة

الفصل السَّابع:

مسيحيَّةُ بولُس

كنْتُ قد تحدَّثتُ عن بولُس في الفصْلِ الثالث، عندما تناولتُ المسيحيَّةَ المُبكِّرة. في هذا الفصل، سنأخُذُ جولةً أكثرَ تفصيلاً في سيرةِ بولُس ورسائلِهِ.

كتَبَ طابور: عندما كان يجري قتْلُ قائد حركة مسائحيَّة بعُنْف، يمكنُ للإنسانِ أنْ يتوقَّعَ حدوث فوضى واضْطراب، وأنَّ التمزُّقَ سوفَ يتْبعُ ذلك. وأتى يوسيفوس على ذِكْرِ عددٍ كبيرٍ من أصحابِ التطلُّعات المسائحيَّة الآخرين في القرْنِ الأوَّل الميلادي، وقادةِ ثوراتٍ قامَ الرُّومانُ بإعدامِهِم. وفي كلِّ حالةٍ كانت الحركةُ التي بدأوا فيها إما سُحِقَت، أو أنَّها تلاشَتْ. ومن الواضح أنَّه كان هناكَ شيءٌ مختلفٌ حولَ حركةِ يسوع. فهي بعد كلِّ شيءٍ قد فقدت قائدَيْها: أوَّلاً يوحنَّا (المعْمدان)، ثمَّ يسوع، وهما المسيحان اللَّذانِ توفَّرت فيهما كثيراً من الآمال. لكن الحركة لم تمُتْ، لا بل هي بالحقيقةِ بدأت تنمو وتنْتشِر.

وإنني سوف أعزو بقاء حركة يسوع وانتعاشِها إلى ثلاثِ حقائق:

كان أُولاها، وجودُ يعقوب (جيمس) نفسِهِ، وكذلك أمّ يسوع وإخوتِهِ...

وكانت الحقيقةُ الثانيةُ هي الرِّسالةُ التي بشَّرَ بها كلٌّ من يوحنَّا ويسوع، أي «الأخبار الطيِّبة عن ملكوتِ الرَّبّ»...

وكانت الكتلةُ الأساسيةُ من أتْباعِ يسوع، بما في ذلك الذين كانوا مع الحركةِ المسائحيَّةِ منذ الأيامِ التي كان يوحنَّا المعْمدان قد بدأ فيها عملَهُ، كانت قد اجتمعت في القُدْس...

وكان الذي حدَثَ بعد ذلك، واحدةً من أعظَمِ القَصَصِ التي «لم تُرْوَ» ممَّا وقَعَ خلال الألفي عام الماضيَيْن. فمعظمُ الناسِ يتذكَّرونَ الأثرَ المرْوي بأنَّ بُطْرُس قد تولَّى قيادةَ الحركةِ كرئيسٍ للاثني عشر. وليس بعد ذلك بوقتٍ طويل، التحَقَ بولُس، المُتحوِّل حديثاً إلى الدِّيانةِ المسيحيَّةِ من «اليهوديَّةِ» ببطُرْس، ووقفَ إلى جانبِهِ. ومع بعضِهِما أصبحَ بُطْرُس وبولُس

«العمودانِ» التوأمانِ للدِّيانةِ المسيحيَّةِ الظَّاهرة إلى الوجود، حيثُ بشَّرا بالإنجيلِ إلى جميعِ العالَم الرُّوماني، وماتا بشكلٍ مجيدٍ، كشهيدينِ في روما، التي غدت المركزَ القياديّ الجديد للكنيسة[1].

فمن هو بولُس هذا، الذي كان له أبلغُ الأثرِ في صياغةِ المسيحيَّةِ الظَّاهرة في العالَم؟

كتَبَ طابور: كان شاول الطَّرطوسي، المعروف أكثر باسْمِهِ الرُّوماني «بولُس»، رجُلاً شابّاً عندما انتهى دور يسوع على الأرض، ولرُبَّما كان مثلُ يسوع، في الثلاثيناتِ من عُمرِهِ. واسْمُ «شاول» اسْمٌ عبْرانيٌّ، اتُّخِذَ تشريفاً لذكرى الملِك الأوَّل لإسرائيل (المعروف في القرآنِ بـ «طالوت»). واسْمُ «بولُس» الذي كان لقَبُهُ الرُّوماني، يعني «صغير».

كان أبواهُ يهوديَّان، لكنَّه امتلَكَ المواطَنة الرُّومانيَّة، التي ورِثَها من أبويه بموجِبِ حقّ الولادة. كان أبوهُ من الجشّ Gischala في الجليل، وكانت الجشُّ بلْدةً يهوديَّةً على مسافةِ حوالي أربعين كيلومتراً إلى الشَّمالِ من الصَّفورية، وكان بولُس قد وُلِدَ هناك[2]، وكان قريباً بالسِّنِّ من يسوع. وإنَّه لمن المهمِّ التفكير بأنَّ أُسرة بولُس وأُسرة يسوع كانتا تعيشانِ على بُعدِ كيلومترات من بعضِهما البعض، وكانتا قد تأثَّرتا بالثَّوراتِ في الجليل، بطُرُقٍ مختلفة. فقد انتقلت مريم ويوسُف إلى النَّاصرة، أو ربَّما كما يُحتمَل قد نُفِيا مع بقيَّةِ سُكَّان الصَّفورية. في حين أُرغِمَ بولُس مع والديهِ على مغادرةِ البلاد، بعد موتِ هيرودُس الكبير، بعدما وقعوا بالأسْرِ، وأُرسِلُوا إلى طرْسوس. ومن الممكنِ أن يُلْقي الأصْلُ الجليليُّ لأُسرةِ بولُس بعضَ الضَّوءِ على دوافعِ بولُس الأخيرة. فبولُس وأسرتُهُ بعدما شاهدوا الخرابَ الهائلَ والدَّمارَ الشَّاملَ الذي لحَقَ بالذين كانوا في الجليلِ واليهوديَّة، بسببِ سعيهم للوقوفِ بوجهِ روما، من المحتمَلِ أنَّهُم تعلَّموا التكيُّفَ مع الحقائقِ الاجتماعيَّةِ والسِّياسيَّةِ لعالَمِهِم الرُّوماني.

وقد قالَ لوقا بأنَّ بولُس كان «صانِعَ خِيَم»[3]، وهي حرْفةٌ قد تعلَّمَها بولُس من أبيهِ، وهي حرْفةٌ كانت مُقدَّرةً كثيراً من قِبَلِ الجنود والبحَّارة للحصولِ على الدِّفءِ. ويبدو أنَّ أُسرةَ بولُس كانت تمتلكُ الإمكانات والعزيمةَ والنُّفوذَ لإرسالِ ابنِها إلى أورشليم للدِّراسةِ عند غَمَالَائِيلَ، الذي كان الحاخامَ الفريزي القيادي في ذلكَ الوقت. وامتلَكَ بولُس علاقات

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص293 ـ 295.

(2) يعتمد طابور في ذلك على رواية جيروم، ويراها مرجحة أكثر مما جاء في أعمال الرُّسُل، الذي يروي على لسانِ بولس بأنه وُلِدَ في طرسوس.

(3) **أعمال الرُّسُل** 18: 3.

مع أُسرةِ حنَّان الكاهن الأعلى، وتعاونَ معها في الجهودِ من أجلِ قمْعِ أتباع يسوع بعد صلْبِهِ، لا بل أسهَمَ حتى في اعتقالِهِم.

وفي حوالي العام 36م، امتلَكَ بولُس تجرُبةَ «مُحادَثة»، ادَّعى فيها أنَّه «رأى» يسوع القائمَ من الأموات، وقالَ بأنَّه تسلَّمَ كُلّاً من الوحيِ والتَّكليفِ، وأنَّ عليه أنْ يُبشِّرَ الأُمِّيِّينَ بالأخبارِ الطيِّبة حولَ الخلاص من خلالِ الإيمان بيسوع. وقد بدأَ ينظُرُ إلى نفسِهِ على أنَّه التِّلميذ أو الحواري الثالث عشر، وأنَّه ليس أقلّ شأناً منهم. بل كان يفتخرُ بادِّعائِهِ، في أنَّه لم يكن مثلُ يعقوب الصدِّيق (جيمس البارّ) وبقيَّة الاثني عشر، الذين عرَفوا يسوعَ «تبعاً للجسَدِ»، لأنَّه تسلَّمَ هو سُلْطَتَهُ وتكليفَهُ مباشرةً من يسوع السَّماوي. وعلى هذا الأساس، هو لم يكن بحاجةٍ إلى موافقةٍ أرضيَّةٍ أو تفويضٍ بشري. فقد كتَبَ إلى أتباعِهِ في كورنثوس: «إِذاً نَحْنُ مِنَ الآنَ لَا نَعْرِفُ أَحَداً حَسَبَ الْجَسَدِ»[1].

وفي مرحلةٍ متأخِّرةٍ من حياتِهِ، امتلَكَ بولُس الوسائلَ ليرْفعَ التماساً إلى الإمبراطور نيرون، من أجلِ محاكمةٍ قانونيَّة، تتعلَّقُ بالتُّهَمِ التي قُدِّمَت ضدَّهُ. وقد سمحَت له مواطنَتُهُ الرُّومانيَّة بعبورٍ آمنٍ وحماية، حتى وإنْ كان تحتَ الاعتقال[2].

وهناك «مسيحيَّتانِ» منفصِلتانِ تماماً ومتميِّزتان، متجسِّدتانِ في العهدِ الجديد. الأولى هي معروفةٌ تماماً، وأصبحت صيغةَ الإيمان المسيحي، التي عُرِفَت من قِبَلِ بلايين الناس في الألفي عام الماضيين، وهذه المسيحيَّةُ كان بولُس هو المقترِحُ الأساسي لها. أما المسيحيَّةُ الثانيَّة فقد نُسِيَتْ، ومع نهايةِ القرْن الأوَّل هُمِّشَت بشكلٍ فعليٍّ، وقُمِعَت من قِبَلِ المسيحيَّةِ الأخرى. وحتى في باطنِ وثائق العهد الجديد نفسِهِ، على الباحثِ أنْ ينظُرَ بدقَّةٍ وحرْصٍ وأنْ يتقصَّى حضورَها ويُفتِّشَ عنها. ولم يكن بطَلُ هذه المسيحيَّة واحداً غير يعقوب الصدِّيق (أو جيمس البارّ) أخي يسوع، وقائد حركة يسوع بعد غيابِهِ. وإنَّ صيغتي «الإيمان» مختلفتانِ تماماً ومتميِّزتانِ، في كلٍّ من القِيَمِ والمُمارسات[3].

دعونا ندرُسُ سيرةَ بولُس وأفكارَهُ، كما جاءَت في العهدِ الجديدِ من الكتابِ المُقدَّس. وبالتَّحديد، كما جاءَت في سِفْرِ أعمال الرُّسُل (الذي كتبَهُ صديقُهُ لوقا)، وبقيَّةِ الرَّسائل التي أرسَلَها بولُس إلى مناطقَ مختلفة من أرجاءِ العالَم.

---

(1) **رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس** 5: 16.

(2) **أعمال الرُّسل** 23: 23 ـ 24، 25: 11.

(3) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص311 ـ 315.

بدأَ بولُس بالظُّهورِ لأوَّلِ مرَّةٍ في العهدِ الجديد باسْم «شاول»، وذلك في الإصْحاحِ السَّابع من سِفْرِ أعمالِ الرُّسُل، في سياقِ سرْدِ أحداث شهادة شهيد المسيحيَّة الأوَّل «اسْتِفانوس»، حيثُ ذُكِرَ كما يلي:

«وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ. وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُل»[1].

بولُس في سِفْرِ أعمال الرُّسُل:

هذا السِّفرُ يُكمِلُ سرْدَ الأحداث في الإصْحاحِ الثَّامن، كما يلي:

«وَكَانَ شَاوُلُ رَاضِياً بِقَتْلِهِ. وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا الرُّسُلَ. وَحَمَلَ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ اسْتِفَانُوسَ وَعَمِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً.

وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ[2]، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ»[3].

ثمَّ يأتي الإصْحاحُ التَّاسع من هذا السِّفْر، ليستغرِقَ الكلامُ عن شاول القسْمَ الأكبرَ منه، حيثُ جاءَ فيه:

«أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّداً وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاساً مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتاً قَائِلاً لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ»[4] فَقَالَ وَهُوَ

---

(1) **أعمال الرُّسل** 7: 58.

(2) أي يبْطِشُ بها.

(3) **أعمال الرُّسل** 8: 1 ـ 3.

(4) «مناخِس»: الجزءُ الحديدي في نهايةِ العصا، الذي به ينْخَسُ الشَّخصُ الثَّورَ أو الحصانَ، المتواني في سيرِهِ، في مؤخَّرِهِ أو جنْبِهِ ليُثيرَهُ. والمعنى: يستحيلُ على الإنسانِ أنْ يقاومَ اللهَ وخُطَّتَهُ وناموسَهُ. أي لا جدوى من معاندةِ كلمةِ الله. والمعنى شبيهٌ بالمثلِ الحالي «العينُ التي تضْرِبُ المخرَزَ تُفْقَأ».

مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ».

وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَداً. فَنَهَضَ شَاوُلُ عَنِ الأَرْضِ، وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لَا يُبْصِرُ أَحَداً. فَاقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ. وَكَانَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يُبْصِرُ، فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ.

وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تِلْمِيذٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ فِي رُؤْيَا: «يَا حَنَانِيَّا!». فَقَالَ: «هأَنَذَا يَا رَبُّ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى الزُّقَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَاطْلُبْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا رَجُلاً طَرْسُوسِيّاً اسْمُهُ شَاوُلُ. لأَنَّهُ هُوَذَا يُصَلِّي، وَقَدْ رَأَى فِي رُؤْيَا رَجُلاً اسْمُهُ حَنَانِيَّا دَاخِلاً وَوَاضِعاً يَدَهُ عَلَيْهِ لِكَيْ يُبْصِر». فَأَجَابَ حَنَانِيَّا: «يَا رَبُّ، قَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ عَنْ هذَا الرَّجُلِ، كَمْ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَههُنَا لَهُ سُلْطَانٌ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُوثِقَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِكَ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبْ! لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي».

فَمَضَى حَنَانِيَّا وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَوَضَعَ عَلَيْهِ يَدَيْهِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ، قَدْ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ يَسُوعُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ، لِكَيْ تُبْصِرَ وَتَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ». فَلِلْوَقْتِ وَقَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ قُشُورٌ، فَأَبْصَرَ فِي الْحَالِ، وَقَامَ وَاعْتَمَدَ. وَتَنَاوَلَ طَعَاماً فَتَقَوَّى.

وَكَانَ شَاوُلُ مَعَ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ أَيَّاماً. وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ «أَنْ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ». فَبُهِتَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهذَا الاسْمِ؟ وَقَدْ جَاءَ إِلَى هُنَا لِهذَا لِيَسُوقَهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ!». وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَزْدَادُ قُوَّةً، وَيُحَيِّرُ الْيَهُودَ السَّاكِنِينَ فِي دِمَشْقَ مُحَقِّقاً «أَنَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ».

وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ تَشَاوَرَ الْيَهُودُ لِيَقْتُلُوهُ، فَعَلِمَ شَاوُلُ بِمَكِيدَتِهِمْ. وَكَانُوا يُرَاقِبُونَ الأَبْوَابَ أَيْضاً نَهَاراً وَلَيْلاً لِيَقْتُلُوهُ. فَأَخَذَهُ التَّلَامِيذُ لَيْلاً وَأَنْزَلُوهُ مِنَ السُّورِ مُدَلِّينَ إِيَّاهُ فِي سَلّ.

وَلَمَّا جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلَامِيذِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ. فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ. فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ

وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَكَانَ يُخَاطِبُ وَيُبَاحِثُ الْيُونَانِيِّينَ، فَحَاوَلُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ. فَلَمَّا عَلِمَ الإِخْوَةُ أَحْدَرُوهُ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ وَأَرْسَلُوهُ إِلَى طَرْسُوسَ.

وَأَمَّا الْكَنَائِسُ فِي جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْجَلِيلِ وَالسَّامِرَةِ فَكَانَ لَهَا سَلاَمٌ، وَكَانَتْ تُبْنَى وَتَسِيرُ فِي خَوْفِ الرَّبِّ، وَبِتَعْزِيَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ كَانَتْ تَتَكَاثَرُ»[1].

الإصْحاحُ الحادي عشر، يبدأُ بسرْدِ ما سيكونُ من أهمِّ نقاطِ الخلاف بين بولُس وبقيَّةِ التلاميذ، حيثُ تبدأُ شرارةُ الخِلافِ في تبشيرِ بُطْرُس الأميِّين (غير اليهود) برسالةِ يسوع، وقَبُولِهم لها، وأكلِهِ معهم، حيثُ وَرَدَ فيه:

«فَسَمِعَ الرُّسُلُ وَالإِخْوَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ أَنَّ الأُمَمَ أَيْضاً قَبِلُوا كَلِمَةَ اللهِ. وَلَمَّا صَعِدَ بُطْرُس إِلَى أُورُشَلِيمَ، خَاصَمَهُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، قَائِلِينَ: «إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَال ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ».

فَابْتَدَأَ بُطْرُس يَشْرَحُ لَهُمْ بِالتَّتَابُعِ قائلاً: «أَنَا كُنْتُ فِي مَدِينَةِ يَافَا أُصَلِّي، فَرَأَيْتُ فِي غَيْبَةِ رُؤْيَا: إِنَاءً نَازِلاً مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيمَةٍ مُدَلاَةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَتَى إِلَيَّ. فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ مُتَأَمِّلاً، فَرَأَيْتُ دَوَابَّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشَ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ. وَسَمِعْتُ صَوْتاً قَائِلاً لِي: قُمْ يَا بُطْرُس، اذْبَحْ وَكُلْ. فَقُلْتُ: كَلَّا يَا رَبُّ! لأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فَمِي قَطُّ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ. فَأَجَابَنِي صَوْتٌ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ: مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُنَجِّسْهُ أَنْتَ. وَكَانَ هذَا عَلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ انْتُشِلَ الْجَمِيعُ إِلَى السَّمَاءِ أَيْضاً. وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال قَدْ وَقَفُوا لِلْوَقْتِ عِنْدَ الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، مُرْسَلِينَ إِلَيَّ مِنْ قَيْصَرِيَّةَ. فَقَالَ لِي الرُّوحُ أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُمْ غَيْرَ مُرْتَابٍ فِي شَيْءٍ. وَذَهَبَ مَعِي أَيْضاً هؤُلاَءِ الإِخْوَةُ السِّتَّةُ. فَدَخَلْنَا بَيْتَ الرَّجُلِ، فَأَخْبَرَنَا كَيْفَ رَأَى الْمَلاَكَ فِي بَيْتِهِ قَائِماً وَقَائِلاً لَهُ: أَرْسِلْ إِلَى يَافَا رِجَالاً، وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ الْمُلَقَّبَ بُطْرُس، وَهُوَ يُكَلِّمُكَ كَلاَماً بِهِ تَخْلُصُ أَنْتَ وَكُلُّ بَيْتِكَ.

فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ، حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضاً فِي الْبُدَاءَةِ. فَتَذَكَّرْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ: إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَاءٍ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتُعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. فَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَعْطَاهُمُ الْمَوْهِبَةَ كَمَا لَنَا أَيْضاً بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، فَمَنْ أَنَا؟ أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللهَ؟».

---

(1) أعمال الرُّسل 9: 1 ـ 31.

فَلَمَّا سَمِعُوا ذلِكَ سَكَتُوا، وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ: «إِذاً أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضاً التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!»[1].

ثمَّ يأتي الإصْحاحُ الثَّالث عشَر، ليُحاوِلَ إقناعَ القارئِ بأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ هو الذي اختارَ شاول وبرنابا للدَّعوةِ والتَّبشر:

«وَكَانَ فِي أَنْطَاكِيَةَ فِي الْكَنِيسَةِ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ وَمُعَلِّمُونَ: بَرْنَابَا، وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى نِيجَرَ، وَلُوكِيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ، وَمَنَايِنُ الَّذِي تَرَبَّى مَعَ هِيرُودُسَ رَئِيسِ الرُّبْعِ، وَشَاوُلُ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ، **قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: «أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ»**»[2].

بعد ذلك ينطلِقُ هذا الإصْحاحُ في سرْدِ بطولات بولُس وبرنابا في أسفارِهِم، ودعوتِهم الأمميِّينَ (غير اليهود) للإيمانِ بصلْبِ يسوع وقيامِهِ، وغضَبِ اليهود عليهِما، وانتشارِ المسيحيَّةِ على يديهِما.

ثمَّ يستمرُّ الإصْحاحُ الرَّابع عشَر في سرْدِ بطولاتِهما في انطاكية وقونْية، وتصاعُد غضَب اليهود عليه، حتَّى رجموا بولُس وطردُوهُ خارجَ المدينة، وظنُّوا أنَّه مات.

وفي الإصحاحِ الخامس عشَر، يشْرَحُ هذا السِّفْرُ مسألةَ اختلاف بولُس مع بقيَّةِ التلاميذ في مسألةِ ختان غير اليهود، والحلَّ الوسَط الذي توصَّلوا عليه، حيثُ ورد:

«وَانْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ أَنَّهُ «إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا».

فَلَمَّا حَصَلَ لِبولُس وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ، رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بولُس وَبَرْنَابَا وَأُنَاسٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايِخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هذِهِ الْمَسْأَلَةِ. فَهؤُلَاءِ بَعْدَ مَا شَيَّعَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ اجْتَازُوا فِي فِينِيقِيَةَ وَالسَّامِرَةِ يُخْبِرُونَهُمْ بِرُجُوعِ الأُمَمِ، وَكَانُوا يُسَبِّبُونَ سُرُوراً عَظِيماً لِجَمِيعِ الإِخْوَةِ. وَلَمَّا حَضَرُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ وَالرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ مَعَهُمْ.

---

(1) أعمال الرُّسل 11: 1 ـ 18.

(2) أعمال الرُّسل 13: 1 ـ 2.

وَلكِنْ قَامَ أُنَاسٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى».

فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هذَا الأَمْرِ. فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُس وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ. وَاللهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضاً. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ. فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟ لكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولئِكَ أَيْضاً».

فَسَكَتَ الْجُمْهُورُ كُلُّهُ. وَكَانُوا يَسْمَعُونَ بَرْنَابَا وَبولُس يُحَدِّثَانِ بِجَمِيعِ مَا صَنَعَ اللهُ مِنَ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ فِي الأُمَمِ بِوَاسِطَتِهِمْ.

وَبَعْدَمَا سَكَتَا أَجَابَ يَعْقُوبُ قَائِلاً: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، اسْمَعُونِي. سِمْعَانُ قَدْ أَخْبَرَ كَيْفَ افْتَقَدَ اللهُ أَوَّلاً الأُمَمَ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْباً عَلَى اسْمِهِ. وَهذَا تُوافِقُهُ أَقْوَالُ الأَنْبِيَاءِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «سَأَرْجِعُ بَعْدَ هذَا وَأَبْنِي أَيْضاً خَيْمَةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ، وَأَبْنِي أَيْضاً رَدْمَهَا وَأُقِيمُهَا ثَانِيَةً، لِكَيْ يَطْلُبَ الْبَاقُونَ مِنَ النَّاسِ الرَّبَّ، وَجَمِيعُ الأُمَمِ الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ الصَّانِعُ هذَا كُلَّهُ. مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ»[1] **لِذلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لاَ يُثَقَّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ، بَلْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ، وَالزِّنَا، وَالْمَخْنُوقِ، وَالدَّمِ.** لأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَال قَدِيمَةٍ، لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ، إِذْ يُقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ»»[2].

ثمَّ يختتِمُ هذا الإِصْحاحُ بالمشاجرةِ التي جرت بين بولُس وبرنابا في أنطاكية، الأمرُ الذي أدَّى إلى افتراقِهما.

وتستمرُّ بقيَّةُ الإِصْحاحات في سرْدِ بطولات بولُس، وسفراتِهِ في كلِّ الاتِّجاهات، حتَّى كأنَّ هذا السِّفْرَ مخصصٌ من هنا إلى آخرِهِ لسرْدِ سيرتِهِ ومغامراتِهِ. ولعلَّ أهمَّها ما ورَدَ في الإِصْحاحِ الحادي والعشرين، والذي يليه، حيثُ يتناولُ زيارةَ بولُس إلى أورشليم، وتفجُّر الخلاف بينه وبين اليهود فيها، فجاءَ فيه:

---

(1) **سفر عاموس** 9: 11 ـ 12، حسب التَّرجمة السَّبْعينيَّة اليونانيَّة القديمة.

(2) **أعمال الرُّسل** 15: 1 ـ 21.

«وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَنَا الإِخْوَةُ بِفَرَحٍ. وَفِي الْغَدِ دَخَلَ بولُس مَعَنَا إِلَى يَعْقُوبَ، وَحَضَرَ جَمِيعُ الْمَشَايِخِ. فَبَعْدَ مَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ طَفِقَ يُحَدِّثُهُمْ شَيْئاً فَشَيْئاً بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ اللهُ بَيْنَ الأُمَمِ بِوَاسِطَةِ خِدْمَتِهِ.

فَلَمَّا سَمِعُوا كَانُوا يُمَجِّدُونَ الرَّبَّ. وَقَالُوا لَهُ: «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَهُمْ جَمِيعاً غَيُورُونَ لِلنَّامُوسِ. **وَقَدْ أُخْبِرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الأُمَمِ الارْتِدَادَ عَنْ مُوسَى، قَائِلاً أَنْ لَا يَخْتِنُوا أَوْلَادَهُمْ وَلَا يَسْلُكُوا حَسَبَ الْعَوَائِدِ.** فَإِذاً مَاذَا يَكُونُ؟ لَا بُدَّ عَلَى كُلِّ حَال أَنْ يَجْتَمِعَ الْجُمْهُورُ، لأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ. فَافْعَلْ هذَا الَّذِي نَقُولُ لَكَ: عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَال عَلَيْهِمْ نَذْرٌ. خُذْ هؤُلَاءِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ لِيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ، فَيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُخْبِرُوا عَنْكَ، بَلْ تَسْلُكُ أَنْتَ أَيْضاً حَافِظاً لِلنَّامُوسِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الأُمَمِ، فَأَرْسَلْنَا نَحْنُ إِلَيْهِمْ وَحَكَمْنَا أَنْ لَا يَحْفَظُوا شَيْئاً مِثْلَ ذلِكَ، سِوَى أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَمِنَ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا».

حِينَئِذٍ أَخَذَ بولُس الرِّجَالَ فِي الْغَدِ، وَتَطَهَّرَ مَعَهُمْ وَدَخَلَ الْهَيْكَلَ، مُخْبِراً بِكَمَالِ أَيَّامِ التَّطْهِيرِ، إِلَى أَنْ يُقَرَّبَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْقُرْبَانُ. وَلَمَّا قَارَبَتِ الأَيَّامُ السَّبْعَةُ أَنْ تَتِمَّ، رَآهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ مِنْ آسِيَّا فِي الْهَيْكَلِ، فَأَهَاجُوا كُلَّ الْجَمْعِ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ الأَيَادِيَ صَارِخِينَ: «يَا أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، أَعِينُوا! هذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْجَمِيعَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ضِدّاً لِلشَّعْبِ وَالنَّامُوسِ وَهذَا الْمَوْضِعِ، حَتَّى أَدْخَلَ يُونَانِيِّينَ أَيْضاً إِلَى الْهَيْكَلِ وَدَنَّسَ هذَا الْمَوْضِعَ الْمُقَدَّسَ». لأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ تُرُوفِيمُسَ الأَفَسُسِيَّ، فَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ بولُس أَدْخَلَهُ إِلَى الْهَيْكَلِ.

فَهَاجَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا، وَتَرَاكَضَ الشَّعْبُ وَأَمْسَكُوا بولُس وَجَرُّوهُ خَارِجَ الْهَيْكَلِ. وَلِلْوَقْتِ أُغْلِقَتِ الأَبْوَابُ.

وَبَيْنَمَا هُمْ يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، نَمَا خَبَرٌ إِلَى أَمِيرِ الْكَتِيبَةِ أَنَّ أُورُشَلِيمَ كُلَّهَا قَدِ اضْطَرَبَتْ. فَلِلْوَقْتِ أَخَذَ عَسْكَراً وَقُوَّادَ مِئَاتٍ وَرَكَضَ إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَأَوُا الأَمِيرَ وَالْعَسْكَرَ كَفُّوا عَنْ ضَرْبِ بولُس. حِينَئِذٍ اقْتَرَبَ الأَمِيرُ وَأَمْسَكَهُ، وَأَمَرَ أَنْ يُقَيَّدَ بِسِلْسِلَتَيْنِ، وَطَفِقَ يَسْتَخْبِرُ: تُرَى مَنْ يَكُونُ؟ وَمَاذَا فَعَلَ؟ وَكَانَ الْبَعْضُ يَصْرُخُونَ بِشَيْءٍ وَالْبَعْضُ بِشَيْءٍ آخَرَ فِي الْجَمْعِ. وَلَمَّا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَعْلَمَ الْيَقِينَ لِسَبَبِ الشَّغَبِ، أَمَرَ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ. وَلَمَّا صَارَ عَلَى الدَّرَجِ اتَّفَقَ أَنَّ الْعَسْكَرَ حَمَلَهُ بِسَبَبِ عُنْفِ الْجَمْعِ، لأَنَّ جُمْهُورَ الشَّعْبِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ صَارِخِينَ: «خُذْهُ»!

وَإِذْ قَارَبَ بولُس أَنْ يَدْخُلَ الْمُعَسْكَرَ قَالَ لِلأَمِيرِ: «أَيَجُوزُ لِي أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئاً؟» فَقَالَ: «أَتَعْرِفُ الْيُونَانِيَّةَ؟ أَفَلَسْتَ أَنْتَ الْمِصْرِيَّ الَّذِي صَنَعَ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ فِتْنَةً، وَأَخْرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعَةَ الآلاَفِ الرَّجُلِ مِنَ الْقَتَلَةِ؟». فَقَالَ بولُس: «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ طَرْسُوسِيٌّ، مِنْ أَهْلِ مَدِينَةٍ غَيْرِ دَنِيَّةٍ مِنْ كِيلِيكِيَّةَ. وَأَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَأْذَنَ لِي أَنْ أُكَلِّمَ الشَّعْبَ». فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ، وَقَفَ بولُس عَلَى الدَّرَجِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّعْبِ، فَصَارَ سُكُوتٌ عَظِيمٌ. فَنَادَى بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ قَائِلاً:.....[1].

الإصْحاحُ الثاني والعشْرون من هذا السِّفْر، يشْرَحُ قصَّةَ بولُس في أورشليم عن لسانِهِ بالتَّفصيل، وكلامَهُ مع اليهودِ بالعبرانيَّة، ثمَّ يتحدَّث عن ردَّةِ فعلِهم، واضطرارِهِ في النِّهاية لكشْفِ هويَّتِهِ الرُّومانيَّة، حتى يحمي نفسَهُ منهم:

«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ وَالآبَاءُ، اسْمَعُوا احْتِجَاجِي الآنَ لَدَيْكُمْ».

فَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُ يُنَادِي لَهُمْ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ أَعْطَوا سُكُوتاً أَكْثَرَ.

فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلكِنْ رَبِيتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّباً عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ. وَكُنْتُ غَيُوراً للهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمُ الْيَوْمَ. وَاضْطَهَدْتُ هذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ، مُقَيِّداً وَمُسَلِّماً إِلَى السُّجُونِ رِجَالاً وَنِسَاءً، كَمَا يَشْهَدُ لِي أَيْضاً رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الْمَشْيَخَةِ، الَّذِينَ إِذْ أَخَذْتُ أَيْضاً مِنْهُمْ رَسَائِلَ لِلإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ، ذَهَبْتُ لآتِيَ بِالَّذِينَ هُنَاكَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدِينَ لِكَيْ يُعَاقَبُوا.

فَحَدَثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُتَقَرِّبٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحْوَ نِصْفِ النَّهَارِ، بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ... فَسَقَطْتُ عَلَى الأَرْضِ، وَسَمِعْتُ صَوْتاً قَائِلاً لِي: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ فَأَجَبْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ لِي: أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي. فَقُلْتُ: مَاذَا أَفْعَلُ يَا رَبُّ؟ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ، وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا تَرَتَّبَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ. وَإِذْ كُنْتُ لاَ أُبْصِرُ مِنْ أَجْلِ بَهَاءِ ذلِكَ النُّورِ، اقْتَادَنِي بِيَدِي الَّذِينَ كَانُوا مَعِي، فَجِئْتُ إِلَى دِمَشْقَ».

ثُمَّ إِنَّ حَنَانِيَّا رَجُلاً تَقِيّاً حَسَبَ النَّامُوسِ، وَمَشْهُوداً لَهُ مِنْ جَمِيعِ الْيَهُودِ السُّكَّانِ أَتَى إِلَيَّ، وَوَقَفَ وَقَالَ لِي: أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ، أَبْصِرْ! فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِلهُ آبَائِنَا انْتَخَبَكَ

(1) أعمال الرُّسل 21: 17 ـ 40.

لِتَعْلَمَ مَشِيئَتَهُ، وَتُبْصِرَ الْبَارَّ، وَتَسْمَعَ صَوْتاً مِنْ فَمِهِ. لأَنَّكَ سَتَكُونُ لَهُ شَاهِداً لِجَمِيعِ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ. وَالآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِياً بِاسْمِ الرَّبِّ.

وَحَدَثَ لِي بَعْدَ مَا رَجَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَكُنْتُ أُصَلِّي فِي الْهَيْكَلِ، أَنِّي حَصَلْتُ فِي غَيْبَةٍ، فَرَأَيْتُهُ قَائِلاً لِي: أَسْرِعْ! وَاخْرُجْ عَاجِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ، لأَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ شَهَادَتَكَ عَنِّي. فَقُلْتُ: يَا رَبُّ، هُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي كُنْتُ أَحْبِسُ وَأَضْرِبُ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِكَ. وَحِينَ سُفِكَ دَمُ اسْتِفَانُوسَ شَهِيدِكَ كُنْتُ أَنَا وَاقِفاً وَرَاضِياً بِقَتْلِهِ، وَحَافِظاً ثِيَابَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ. فَقَالَ لِي: اذْهَبْ، فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيداً».

فَسَمِعُوا لَهُ حَتَّى هذِهِ الْكَلِمَةِ، ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ قَائِلِينَ: «خُذْ مِثْلَ هذَا مِنَ الأَرْضِ، لأَنَّهُ كَانَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَعِيشَ»!

وَإِذْ كَانُوا يَصِيحُونَ وَيَطْرَحُونَ ثِيَابَهُمْ وَيَرْمُونَ غُبَاراً إِلَى الْجَوِّ، أَمَرَ الأَمِيرُ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ، قَائِلاً أَنْ يُفْحَصَ بِضَرَبَاتٍ، لِيَعْلَمَ لأَيِّ سَبَبٍ كَانُوا يَصْرُخُونَ عَلَيْهِ هكَذَا.

فَلَمَّا مَدُّوهُ لِلسِّيَاطِ، قَالَ بولُس لِقَائِدِ الْمِئَةِ الْوَاقِفِ: «أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَاناً رُومَانِيّاً غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ؟» فَإِذْ سَمِعَ قَائِدُ الْمِئَةِ ذَهَبَ إِلَى الأَمِيرِ، وَأَخْبَرَهُ قَائِلاً: «انْظُرْ مَاذَا أَنْتَ مُزْمِعٌ أَنْ تَفْعَلَ! لأَنَّ هذَا الرَّجُلَ رُومَانِيٌّ». فَجَاءَ الأَمِيرُ وَقَالَ لَهُ: «قُلْ لِي: أَنْتَ رُومَانِيٌّ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ». فَأَجَابَ الأَمِيرُ: «أَمَّا أَنَا فَبِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ اقْتَنَيْتُ هذِهِ الرَّعَوِيَّةَ». فَقَالَ بولُس: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ وُلِدْتُ فِيهَا». وَلِلْوَقْتِ تَنَحَّى عَنْهُ الَّذِينَ كَانُوا مُزْمِعِينَ أَنْ يَفْحَصُوهُ. وَاخْتَشَى الأَمِيرُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ، وَلأَنَّهُ قَدْ قَيَّدَهُ»[1].

بولُس يتحدَّث (في رسائله) عن نفسه:

الآن، أنتقلُ إلى سرْدِ ما تحدَّثَ به بولُس عن نفسِهِ، لكن هذه المرَّة في رسائلِهِ هو. ولهذه الرَّسائل السَّبْعة (من الأربعةِ عشر) التي سأعتمدُ عليها أهميَّةٌ خاصَّة، لسببَيْن: أوَّلُهما أنَّها في نظرِ المُحقِّقين ثابتةُ النِّسْبة إلى بولُس، وثانيهما لأنَّه كتبَها قبلَ أنْ تُكتَبَ الأناجيل. لذا لها قيمةٌ تاريخيةٌ كبيرة، بل تعتبرُ من أهمِّ المصادر التي تُؤرِّخُ للمسيحيَّةِ المُبكِّرة.

فمثلاً يتحدَّثُ بولُس في رسالتِهِ إلى أهل فيلبِّي عن نفسِهِ، قائلاً:

«مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ

(1) أعمال الرُّسل 22: 1 ـ 29.

مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلَا لَوْمٍ»[1].

ويتحدَّثُ عن نفسِهِ في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطيَّة، فيقول:

«فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا. وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي.

وَلكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً وَلَا صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضاً إِلَى دِمَشْقَ.

ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَلكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ. وَالَّذِي أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قُدَّامَ اللهِ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ.

وَبَعْدَ ذلِكَ جِئْتُ إِلَى أَقَالِيمِ سُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ. وَلكِنَّنِي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ: «أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهِدُنَا قَبْلاً، يُبَشِّرُ الآنَ بِالإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتْلِفُهُ». فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ فِيَّ»[2].

جاءَ أيضاً في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطيَّة:

«ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا، آخِذاً مَعِي تِيطُسَ أَيْضاً. وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلَانٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلكِنْ بِالانْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ، لِئَلَّا أَكُونَ أَسْعَى أَوْ قَدْ سَعَيْتُ بَاطِلاً. لكِنْ لَمْ يُضْطَرَّ وَلَا تِيطُسُ الَّذِي كَانَ مَعِي، وَهُوَ يُونَانِيٌّ، أَنْ يَخْتَتِنَ.

وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلَاساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، الَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلَا سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ. وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ مَهْمَا كَانُوا، لَا فَرْقَ عِنْدِي، اللهُ لَا يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ

(1) رسالته إلى أهل فيلبي 3: 5 ـ 6.

(2) رسالته إلى أهل غلاطية 1: 13 ـ 24. ٭

فَإِنَّ هؤُلَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُس عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُس لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ، وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ. غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ. وَهذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ.

وَلكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُس إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً. لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! لكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لَا يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُس قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيّاً لَا يَهُودِيّاً، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟»»[1].

وجاءَ في رسالتِهِ الثانية إلى أهلِ كورِنْثوس، متحدِّثاً فيها عن أَصْلِهِ ومعاناتِهِ في الدَّعوةِ والتَّبشير:

«أَهُمْ عِبْرَانِيُّونَ؟ فَأَنَا أَيْضاً. أَهُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ؟ فَأَنَا أَيْضاً. أَهُمْ نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ؟ فَأَنَا أَيْضاً. أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ، فَأَنَا أَفْضَلُ: فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ، فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ، فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ، فِي الْمِيتَاتِ مِرَاراً كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ، لَيْلاً وَنَهَاراً قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً، بِأَخْطَارِ سُيُول، بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ، بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي، بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ، بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَاراً كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ، الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ»[2].

ويتحدَّث عن معاناتِهِ أيضاً في رسالتِهِ إلى أهلِ فيلِبِّي:

«ثُمَّ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّ أُمُورِي قَدْ آلَتْ أَكْثَرَ إِلَى تَقَدُّمِ الإِنْجِيلِ، حَتَّى إِنَّ وُثُقِي

(1) رسالته إلى أهل غلاطية 2: 1 ـ 14.

(2) رسالته إلى أهل كورنثوس 2، 11: 22 ـ 28.

صَارَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلَايَةِ وَفِي بَاقِي الأَمَاكِنِ أَجْمَعَ. وَأَكْثَرُ الإِخْوَةِ، وَهُمْ وَاثِقُونَ فِي الرَّبِّ بِوُثُقِي، يَجْتَرِئُونَ أَكْثَرَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ بِلَا خَوْفٍ.

أَمَّا قَوْمٌ فَعَنْ حَسَدٍ وَخِصَامٍ يَكْرِزُونَ بِالْمَسِيحِ، وَأَمَّا قَوْمٌ فَعَنْ مَسَرَّةٍ. فَهؤُلَاءِ عَنْ تَحَزُّبٍ يُنَادُونَ بِالْمَسِيحِ لَا عَنْ إِخْلَاصٍ، ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يُضِيفُونَ إِلَى وُثُقِي ضِيقاً. وَأُولئِكَ عَنْ مَحَبَّةٍ، عَالِمِينَ أَنِّي مَوْضُوعٌ لِحِمَايَةِ الإِنْجِيلِ. فَمَاذَا؟ غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ سَوَاءٌ كَانَ بِعِلَّةٍ أَمْ بِحَقّ يُنَادَى بِالْمَسِيحِ، وَبِهذَا أَنَا أَفْرَحُ. بَلْ سَأَفْرَحُ أَيْضاً»[1].

وجاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ تسالونيكي مُتحدِّثاً عن معاناتِهِ في الدَّعوةِ والتَّبشير:

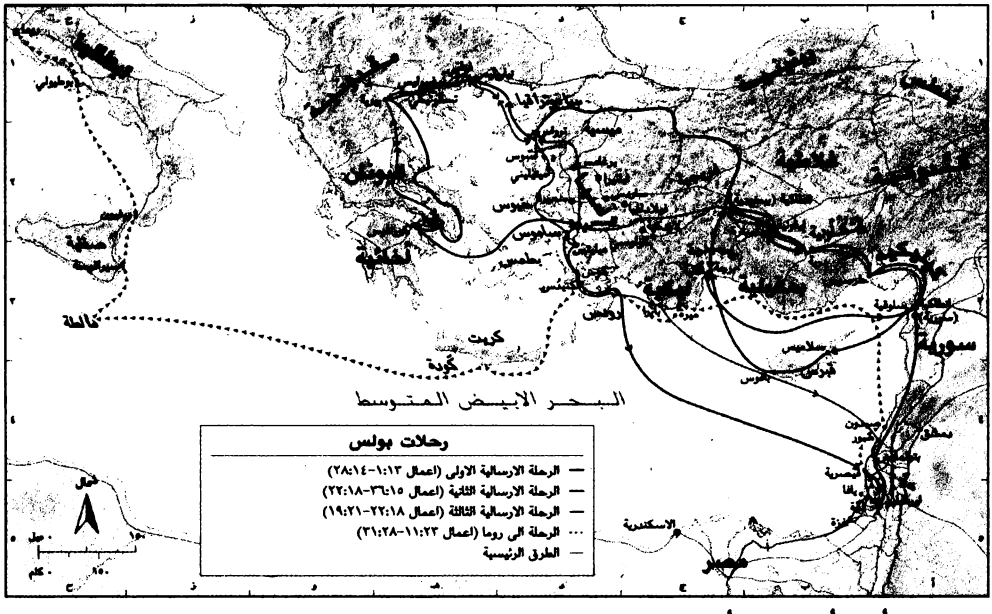
«**لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ تَعْلَمُونَ دُخُولَنَا إِلَيْكُمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَاطِلاً، بَلْ بَعْدَ مَا تَأَلَّمْنَا قَبْلاً وَبُغِيَ عَلَيْنَا كَمَا تَعْلَمُونَ، فِي فِيلِبِّي، جَاهَرْنَا فِي إِلهِنَا أَنْ نُكَلِّمَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ، فِي جِهَادٍ كَثِيرٍ. لأَنَّ وَعْظَنَا لَيْسَ عَنْ ضَلَالٍ، وَلَا عَنْ دَنَسٍ، وَلَا بِمَكْرٍ، بَلْ كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ**، هكَذَا نَتَكَلَّمُ، لَا كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا. فَإِنَّنَا لَمْ نَكُنْ قَطُّ فِي كَلَامِ تَمَلُّقٍ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَلَا فِي عِلَّةِ طَمَعٍ. اللهُ شَاهِدٌ. وَلَا طَلَبْنَا مَجْداً مِنَ النَّاسِ، لَا مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ مَعَ أَنَّنَا قَادِرُونَ أَنْ نَكُونَ فِي وَقَارٍ كَرُسُلِ الْمَسِيحِ. بَلْ كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلَادَهَا، هكَذَا إِذْ كُنَّا حَانِّينَ إِلَيْكُمْ، كُنَّا نَرْضَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ، لَا إِنْجِيلَ اللهِ فَقَطْ بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضاً، لأَنَّكُمْ صِرْتُمْ مَحْبُوبِينَ إِلَيْنَا. فَإِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ تَعَبَنَا وَكَدَّنَا، إِذْ كُنَّا نَكْرِزُ لَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ، وَنَحْنُ عَامِلُونَ لَيْلاً وَنَهَاراً كَيْ لَا نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ»[2].

ويُكمِلُ حديثَهُ عن معاناتِهِ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ تسالونيكي، متَّهماً اليهود بقتْلِ يسوع:

«فَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ اللهِ الَّتِي هِيَ فِي الْيَهُودِيَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لأَنَّكُمْ تَأَلَّمْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً مِنْ أَهْلِ عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الآلَامَ عَيْنَهَا، **كَمَا هُمْ أَيْضاً مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ.** وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ للهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ. يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا، حَتَّى يُتَمِّمُوا خَطَايَاهُمْ كُلَّ حِينٍ. وَلكِنْ قَدْ أَدْرَكَهُمُ الْغَضَبُ إِلَى النِّهَايَةِ»[3].

---

(1) رسالته إلى أهل فيلبي 1: 12 ـ 18.
(2) رسالته إلى أهل تسالونيكي 1، 2: 1 ـ 9.
(3) رسالته إلى أهل تسالونيكي 1، 2: 14 ـ 16.



اعتقاداتُ بولُس وآراؤُهُ:

بعد أنْ استعرَضْتُ بنحوٍ موجزٍ أهمَّ ما ذُكِرَ عن بولُس، أو ما ذكرَهُ هو عن نفسِهِ، أنتقلُ الآنَ إلى استعراضِ أهمّ الاعتقادات التي ظهرَتْ في رسائِلِهِ، والتي ستُؤسِّسُ للمسيحيَّةِ التي يعرِفُها العالَمُ اليوم. قسْمٌ كبيرٌ من هذه الاعتقاداتِ والآراء، أو قسْمٌ كبيرٌ من مضامينِها اللَّاهوتيَّة، لا نجدُ لها أثراً في أقدَمِ مخطوطات الأناجيل الأربعة، أو لنقُل الأناجيل الثلاثة الإزائيَّة على أقلِّ تقدير.

في عقيدةِ الصَّلْب:

عقيدةُ بولُس في صلْبِ المسيح جاءت في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس، فالخلاصُ بالإيمانِ بها، والهلاكُ بالجهلِ بها، قال: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ»[1].

ورغمَ عدم وجود أيّ شاهد في النُّصوصِ اليهوديَّة القديمة يدُلُّ على أنَّ «المسيحَ المنتظر» سيُقتَلُ أو يُصْلَب بوصفِهِ مُجرِماً، بل كان من الشَّائع أنَّ يُعتقَدَ بأنَّه سيأتي ليُصبِحَ ملِكاً على اليهود (مع فُروقٍ في توقُّعات المؤمنين بذلك)، إلَّا أنَّ بولُس في الرِّسالة نفسها،

(1) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 1: 18.

أشارَ إلى أنَّ عادةَ اليهودِ قد جرت على طلَبِ آية من المُدَّعي، في حين أنَّ عادةَ اليونانيِّين - الذين ظهرت في أوساطِهم المدارسُ الفلْسفيَّة المختلفة - قد جرت على أنْ ينتظروا من المُدَّعي حكمة. والنَّتيجةُ أنْ تورَّطَ اليهودُ بصلْب يسوع، فكان صلْبُهُ بالنِّسبةِ لليهودِ خطيئة، وبالنِّسبةِ لليونانيِّين جهالة، قال: «لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، **وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!**»[1].

وفي الرِّسالةِ نفسِها، أكَّدَ بولُس على أنَّه لم يأتِ إلى أهلِ كورِنْثوس بكلام بليغ، أو بحكمةٍ متعالية، وإنَّما جاءَ إليهم ليُؤكِّدَ على صلْبِ يسوع، حيثُ قال: «وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ أَوِ الْحِكْمَةِ مُنَادِياً لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللهِ، **لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً**»[2].

في عقيدةِ القيامة:

العقيدةُ القائلة بأنَّ يسوعَ بعد صلْبِهِ وموتِهِ ودفنِهِ، قد قامَ من الأموات، نجدُها في رسائلِ بولُس. ويؤكِّدُ بولُس في رسائلِهِ على أنَّ يسوعَ، ليكونَ هو المُحقِّق لنبواءتِ الأنبياءِ في الكُتُب، هو من نسْلِ داود من ناحيةِ الجسد، وابنُ اللهِ من ناحيةِ الرُّوح. وكان بولُس قبلَ التَّصريح بهذه العقيدة، يؤكِّدُ على أنَّه رسولٌ من يسوع.

جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما:

«بولُس، عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللهِ، الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ بِأَنْبِيَائِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، عَنِ ابْنِهِ. **الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ**: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا[3].

---

(1) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 1: 22 - 23. جاء في تفسيرِ هذه الجملة المهمَّة ما يلي:
«ما كان يشغَل قلْب الرُّسُل ليسَ صُنْع الآيات والعجائب، ولا تقديم فلْسفات عقلية مجرَّدة، بل الكرازة بصليبِ السيِّد المسيح ليتمتعَّ اليهود كما الأمم بقوَّةِ الخلاص.
تعثُّر اليهود لأنَّهُم لم يجدوا في المسيح المِلكَ الأرضي الذي يصْنَعُ آيات وعجائب من السَّماءِ، ليُقيمَ منهم مملكةً عظيمةً ويُخلِّصَهُم من الاستعمارِ الروماني (إنجيل متى 35:12). جاءَهُم السيِّدُ المسيحُ وديعاً ومتواضعاً، لا يطلُبُ المجْدَ الزَّمني فتعثَّروا فيه.
وحسِبَ اليونانيُّونَ الصَّليبَ غباوة، لأنَّه يُقدِّمُ شخصاً مصلوباً، لا مُعلِّماً يُحاوِرُ في فلسفاتٍ وأفكارٍ مُتغيِّرة. إنَّه من اليهوديَّةِ عاجزٌ عن الدُّخولِ في ركْبِ الفلاسفة».

(2) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 2: 1 - 2.

(3) **رسالته إلى أهل رومية** 1: 1 - 4.

وجاءَ أيضاً في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطيَّة:

«بولُس، رَسُولٌ لَا مِنَ النَّاسِ وَلَا بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ»[1].

أقول: إنْ كان اللهُ الآب هو الذي أقامَهُ من الأموات، فهو إذن لم يُقِم نفسَهُ، بل اللهُ القديرُ هو الذي فعَل، ويسوع كان محتاجاً لمن يُقيمَهُ من الأموات.

مضْمونُ الإنجيل:

إنْ كان الإنجيلُ يعني البشارة، فما هو محتوى ومضمون تلكَ بشارة المسيح؟ بولُس حدَّدَ بنفسِهِ هذا المحتوى والمضْمون، وأكَّدَ على أنَّ النُّقطةَ المركزيَّةَ في الإنجيلِ هو في البشارةِ بأنَّ يسوعَ قد قامَ من الأمواتِ بعد ثلاثةِ أيامٍ من صلْبِهِ ودفنِهِ. هذا الاعتقادُ، الذي سيُعتبرُ الإيمانُ به هو مفتاحُ الخلاص، سيضَعُ الأساسَ لتشييدِ لاهوتٍ يتحدَّثُ عن ربوبيَّةِ يسوع، وعقيدةِ الفداء.

فقد جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضاً تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلَامٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثاً! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: **أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ**، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ. وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا. لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ، أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً لأَنْ أُدْعَى رَسُولاً، لأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ اللهِ»[2].

ورفَضَ بولُس أنْ يكون محتوى ومضْمون بشارة المسيح أيَّ أمرٍ آخر! وأكَّدَ على نسبةِ هذه البشارة إلى المسيح، وحاولَ إقناعَ أهل غلاطيَّة بذلك، بعدما جاءَهُم من يحاولُ إقناعِهُم بأنَّ مضْمونَ البشارةِ شيءٌ آخر، فقد جاءَ في رسالتِهِ إليهم:

«**إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ!**

(1) رسالته إلى أهل غلاطية 1: 1.

(2) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 15: 1 ـ 9.

لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»![1] كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضاً: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا!» أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ. **وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»**[2].

كتبَ متَّى المسكين: وهكذا نشأت مسيحيَّةُ بولُس «كرَدِّ فعل» لما فعلَهُ اللهُ والمسيحُ فيه!... وتأسَّست مسيحيَّةُ بولُس لا على كلمةِ خيرٍ سمِعَها، بل على المسيحِ الحيِّ المُتكلِّمِ معه من السَّماء، والمُتكلِّم فيه، والعامِلِ فيه. فمسيحيَّةُ بولُس لم تقُمْ على مسيحِ التاريخ، بل الرَّبّ، الرُّوح، الحيّ، العامِل والفعَّال في كلِّ كيانِهِ بقوَّةِ عملِهِ وتدبيرِهِ. وهكذا صارت ديانةُ بولُس، الاعتمادَ الكامِلَ على شخصِ المسيحِ الحيِّ العامِلِ فيه[3].

وكتبَ طابور: أشارَ بولُس إلى رسالتِهِ حول المسيح، المُمجَّد سماوياً، وصفحةِ الغفران والحياةِ السَّرْمدية، التي جُعِلَت متوفِّرة بموتِهِ على الصَّليب، باسْم «إنجيلي»، وليس الإنجيلُ الذي جرى التَّبشيرُ به. ودعا «إنجيلَهُ» بأنَّه «وحيٌ لسِرٍّ» أُخفِيَ لمدَّةِ أجيالٍ، ولكنَّه أُبيحَ الآن وكُشِفَ عنه إليه، من قِبَلِ المسيحِ السَّماوي، بحُكم أنَّه رسولٌ إلى الأُمِّيِّين. فبما أنَّه أدركَ أنَّه لا يستطيعُ على الإطلاق بشكلٍ فعَّالٍ الادِّعاءَ بأنَّ يسوعَ «في الجسَد» قد علَّمَهُ الذي يتولَّى التَّبشيرَ به، فقد كان دفاعُهُ الوحيدُ هو الآن أنَّ المسيحَ السَّماوي، قد كشَفَ هذه الأشياء له بمثابةِ «كلمة أخيرة». ونادراً ما ذكَرَ بولُس أيَّ شيءٍ علَّمَهُ إيَّاهُ يسوع، ولم يقُل سوى القليل عن حياةِ يسوع غير الذي ذكرَهُ عن موتِهِ على الصَّليب. وأصبحت الرِّسالةُ التي بشَّرَ بها يسوع، وتحوَّلَت بالنِّسبةِ لبولُس إلى يسوع الذي هو «الرِّسالة»![4].

عقيدةُ الفِداء:

أكَّدَ بولُس في موضعٍ من رسائلِهِ على أنَّ النَّاموسَ، والالتزامَ به، كان ضرورياً قبلَ

---

(1) فليكن أناثيما: يعني فليكن ملعوناً آثيماً.

(2) **رسالته إلى أهل غلاطية** 1: 6 ـ 12.

(3) متى المسكين، **القدِّيس بولس الرَّسول** ط1، 1992، مطبعة الدير القدس أنبا مقار/ وادي النطرون، القاهرة، ص88 ـ 89.

(4) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص317 ـ 318.

مجيءِ يسوع وصلْبِهِ وقيامتِهِ، لأنَّه كان هو المعيارَ في معرفةِ من يمتَثِل ومن لا يمتَثِل لإرادةِ الله، فالنَّاموسُ يكشِفُ المُطيعَ من العاصي.

لكن بعد صلْبِ يسوع وقيامتِهِ، كانت هذه الأحداثُ انعطافاً في مسيرِ البشرية، لأنَّ يسوعَ قد افتدى بصلْبِهِ خطايا البشر، فصارَ المطلوبُ منهم هو الإيمانُ به، لا كنبيٍّ جاء ببشارةٍ فحسْب، بل كرَبٍّ صُلِبَ وقامَ ليفتدي خطايا البشر. هذه هي البشارةُ الحقيقيَّةُ ليسوع، وهذا هو النَّاموسُ الجديد. فإنْ آمنَ المرءُ بذلكَ، فقد أدَّى ما عليه من التزامات، دونَ الحاجةِ للنَّظرِ إلى الوراء، والسَّعيِ للالتزامِ بالنَّاموس.

وقد يُفسَّرُ لسانُ حال بولُس في ربطِهِ لعقيدةِ الفداء بالنَّاموس كالتَّالي: «أيُّها اليهود، نعم لقد شُرِّفْتُم بالنَّاموس، لكنَّكُم لم تحفظوهُ ولم تلتزموا بتعاليمِهِ. فأنْتُم تُذْنبونَ، بدليل أنَّكُم ترونَ ضرورةَ التَّكفير عن ذُنوبِكُم بتقديمِ القرابين. تقديمُ القرابين اعترافٌ ضمنيٌّ بانتهاكِكُم للنَّاموس. النَّاموسُ بحدِّ ذاتِهِ أمرٌ جيِّد، هو مُعبِّرٌ عن إرادةِ اللهِ التَّشريعيَّة... المشكلةُ ليست في النَّاموسِ أبداً، وإنَّما المشكلةُ في الناس. فالناسُ مدْفوعونَ بقوَّةٍ خفيَّةٍ، هي قوَّةِ الخطيئة الأولى التي سرَتْ إليهم. الناسُ أسارى لهذه القوَّة، لذا هُمْ يتجاوزونَ حُدودَ الله، والنَّاموسُ لا يمكن أنْ يضَعَ حدّاً لهذه الخطيئة، ولا يمكن أنْ يحُلَّ المشكلة.

بالتالي، حتى لو امتثلَ الناسُ للناموس، سيظلُّونَ مغتربينَ عن الله. فمثلاً لو ارتكبَ إنساناً جريمةَ قتْلٍ أو زنا، لا يمكن أنْ يُبرِّرَ موقفَهُ ويقول: صحيحٌ أنِّي قد ارتكبْتُ ذنباً، لكنِّي كنتُ وما زلتُ محافظاً على بقيَّةِ بنودِ الناموس. لأنَّه في الواقعِ عندما تُرتكَبُ خطيئة، يكونُ الناموسُ قد كُسِرَ، حتى لو تمَّ الحفاظ على بقيَّةِ بُنُودِهِ. لذا عقوبةُ الناسِ هو أنْ يظلُّوا مغتربينَ عن الله، والناموسُ لا يحلُّ هذه المشكلة.

كيف تُحَلُّ المشكلةُ إذن؟ الجواب: الآبُ نفسُهُ قرَّرَ أنْ يحُلَّ المشكلة؛ مشكلةَ الإنسان سواءٌ كان يهوديّاً أو وثنيّاً، لا فرْق. لقد حلَّ المشكلةَ ليس من خلالِ الناموس، بل بمعْزِلٍ عن الناموس، وذلك من خلالِ التَّضحية بابنِهِ يسوع. إذن لا يتمُّ خلاصُ الناس، ولا تتحقَّقُ المصالحةُ بين اللهِ والإنسانِ، إلا من خلالِ الإيمان بأنَّ المسيحَ هو ابنُ الله، وأنَّه صُلِبَ من أجلِ الفداء».

جاءَ في رسالتِهِ:

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ

فَم، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ. **وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ، بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلٍّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ، مُتَبَرَّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ** الإِيمَانِ بِيَسُوعَ.

فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلَّا. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ. إِذاً نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ. أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضاً؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضاً لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالإِيمَانِ. أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ»[1].

موقفُهُ من النَّاموس:

موقفُ بولُس من النَّاموس (الشَّريعة الموسوية) يبدو متذبذباً، وكأنَّه يرتكزُ على الجهةِ التي يُوجِّه كلامَهُ إليها. فتارةً تراهُ يُظهِرُ حفْظاً للنَّاموسِ واهتماماً به، وأنَّ دعوتَهُ لا تتوقَّفُ عند النَّاموسِ بل تتجاوزُهُ. وتارةً أخرى تراهُ يدعو الناسَ إلى ترْكِ النَّاموس، وعدمِ التَّعويل عليه، وعدمِ الالتزام به، لأنَّ الناسَ بعد صلْبِ يسوع وقيامتِهِ صاروا في حِلٍّ من ذلك!

فمن كلامِهِ الموحي بقدرٍ من الالتزامِ بالنَّاموس، ما جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما، حيثُ قال بأنَّ من جاءَهُ النَّاموسُ وترَكَ العمَلَ به، فسيُدانُ لتركِهِ ذلك، لأنَّ الحجَّةَ عليه قد تمَّت. ومن لم يأتِهِ النَّاموسُ، فسيضيع، لأنَّه لن يظفَرَ بالمصالحِ المترتِّبة على الالتزامِ بالنَّاموس. جاءَ في رسالتِهِ:

«الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّحَزُّبِ، وَلَا يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلإِثْمِ، فَسَخَطٌ وَغَضَبٌ، شِدَّةٌ وَضِيقٌ، عَلَى كُلِّ نَفْسِ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ: الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ. وَمَجْدٌ وَكَرَامَةٌ وَسَلَامٌ لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلَاحَ: الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ. **لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَبِدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ.**

---

(1) رسالته إلى أهل رومية 3: 19 ـ 31.

وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانُ. لأَنْ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللهِ، بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ. لأَنَّهُ الأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ، مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ، فَهؤُلاَءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لأَنْفُسِهِمِ، الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوباً فِي قُلُوبِهِمْ، شَاهِداً أَيْضاً ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً، فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. هُوَذَا أَنْتَ تُسَمَّى يَهُودِيّاً، وَتَتَّكِلُ عَلَى النَّامُوسِ، وَتَفْتَخِرُ بِاللهِ»[1].

أيضاً يتحدَّث عن مزيَّةِ اليهودي، الذي يلتزمُ بالنَّاموسِ، ومنه الختان:

«إِذاً مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ، أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ الْخِتَانِ؟ كَثِيرٌ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ! أَمَّا أَوَّلاً فَلأَنَّهُمُ اسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ اللهِ. فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقاً وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِباً. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ»»[2].

ومن كلامِهِ الموحي بالدَّعوةِ إلى التخلِّي عن النَّاموس، ما جاءَ في رسالتِهِ إلى أهل غلاطِية. حيثُ بدأَ الرِّسالةَ بالدِّفاعِ عن حقِّهِ في أنْ يُدْعى رسولَ يسوع المسيح، بخلافِ ما اتَّهمَهُ البعضُ بأنَّه رسولٌ كاذب. ويُصِرُّ بولُس على أنَّ رسوليَّتَهُ بالبشارةِ جاءَت من اللهِ لا من أيِّ سُلْطةٍ بشريَّة، وأنَّه (وبرنابا) مدعوٌّ للتَّبشيرِ خصوصاً بين غيرِ اليهود (كما أنَّ يعقوب وبُطْرُس ويوحنَّا متفرِّغونَ لدعوةِ اليهود). فلا فرْقَ بين يهوديٍّ وغيرِ يهودي، بين عبدٍ وحرٍّ، بين رجُلٍ وامرأة. وجاءَ فيها:

«فَهَلِ النَّامُوسُ ضِدُّ مَوَاعِيدِ اللهِ؟ حَاشَا! لأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرُّ بِالنَّامُوسِ. لكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. وَلكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، مُغْلَقاً عَلَيْنَا إِلَى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ. إِذاً قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ. وَلكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ. لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»[3].

---

(1) رسالته إلى أهل رومية 2: 6 ـ 17.

(2) رسالته إلى أهل رومية 3: 1 ـ 4.

(3) رسالته إلى أهل غلاطية 3: 21 ـ 28.

فيسوع الذي قامَ وارتفَعَ إلى السَّماء، لم يرفَع لعنةَ الصَّليبِ عن نفسِهِ، وإنَّما رفَعَها عن كلِّ الذين تحت النَّاموس! بل ورفَعَها نهائياً من النَّاموس، فلم يعُد النَّاموسُ قادراً على أنْ يحكُمَ ضدَّ من يكسِر النَّاموس، إذن لقد أبطَلَ النَّاموس!

كتَبَ طابور: مع أوائلِ خمسينات القرْن الأول، كان بولُس قد بدأَ يقترح صيغتَهُ الجديدةَ حولَ «إيمان المسيح» الذي اقتضى الإلغاء الجوهري للإيمانِ اليهودي، بوساطةِ الجحود بشرْعيَّةِ الوحي الربَّاني للتَّوراة، وإعادة تحديد «إسرائيل» على أنَّها عَنَت جميعَ الذين آمنوا بالمسيح. وقد أوضَحَ بولُس أنَّ إسرائيلَ لم تعُد «تبعاً للجسَد» إسرائيل الحقيقيَّة.

وكانت الحركةُ النَّاصريةُ التي قادَها يعقوب (جيمس)، وبُطْرُس، ويوحنَّا، حركةً مسائحيَّةً في داخلِ اليهوديَّة. لا بل حتى اصْطلاح «مسيحي/ يهودي» مع أنَّه كان نافعاً كوصفٍ للأتْباعِ الأساسيِّينَ ليسوع، هو بالحقيقةِ تسْميةٌ غيرُ صحيحة، بحُكم أنَّهم لم يعُدُّوا أنفُسَهُم قطُّ أيَّ شيءٍ إلا أنَّهم مؤمنون يهود. وبهذا المعنى كانت المسيحيَّةُ المُبكِّرة هي يهوديَّة، وجرى التَّرحيبُ بالأُمِّيِّينَ للدُّخولِ إلى الحركةِ على أساسِ رسالةٍ أخلاقيَّةٍ يهوديَّةٍ عالميَّةٍ إلى جميعِ بني البشر. لكن ما من أحدٍ تصوَّرَ أو تخيَّلَ بأنَّ يوحنَّا المعْمدان أو يسوع، قد ألغيا ميثاقَ الرَّبّ مع شعبِ إسرائيل... وما من واحدٍ كان في حركةِ يسوع يُفكِّرُ بتأسيسِ «ديانةٍ جديدة»، بل يراها تحقيقاً للوعودِ التي كان الرَّبُّ قد قطَعَها قديماً لإسرائيل، وتتضمَّنُ وعداً بميثاقٍ جديد...

لكن بولُس كان قد بدأَ ينظُرُ إلى الأمورِ، ويراها بشكلٍ مختلف. ولكن لا نستطيعُ القولَ فيما إذا كان قد طوَّرَ آراءَهُ عبْرَ الأيام، أم كانت لديهِ منذُ البداية. ففي رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطية أصرَّ على أنَّه حصَلَ على سُلْطَتِهِ مباشرةً من خلالِ تسلُّمِهِ الوحيَ من «المسيح»، وليس من قِبَلِ أيِّ كائنٍ بشري، وألحَّ على أنَّ اتِّصالَهُ ببُطْرُس ويعقوب (جيمس) كان محدوداً، ثمَّ روى أنَّه كان حاضراً في مجْمَعِ أورشليم، ولكنَّه تسلَّمَ هناكَ بشكلٍ جوهريٍّ التَّصديقَ من أجلِ التَّبشير بـ«إنجيلِهِ» إلى الأُمِّيِّين. وقد أشارَ إلى قادةِ أورشليم، أي إلى يعقوب (جيمس) وبُطْرُس ويوحنَّا، على أنَّهم الأعمدةُ «المحترمون» للكنيسة.

ثمَّ مضى يُحاجِج في تلك الرِّسالة بأنَّ التَّوراةَ أو الشَّريعةَ التي أُعطِيَت لبني إسرائيلَ في أيامِ موسى، كانت وحياً مؤقَّتاً فقط، وأنَّها قد أُلغِيَت الآن بقُدُومِ المسيح. وعلاوةً على ذلك، قالَ بولُس بأنَّ التوراةَ لم تُعْطَ حتى بشكلٍ مباشرٍ من قِبَلِ الرَّبّ، بالمقامِ الأول، بل أُرسِلَت إلى موسى من خلالِ وسيطٍ ملائكيٍّ كإجراءٍ مؤقَّت.

وقد حذَّرَ أتباعَهُ من الأُمِّيين بأنَّهم إذا أخذوا بمراعاةِ الأيامِ اليهوديَّة المُقدَّسة، فلسوفَ يُخاطِرونَ بالسُّقوطِ تحتَ عبودية «أرواح» أدنى مرتبةً من الرَّبّ. وأكثرَ من هذا، ذهبَ بولُس إلى القولِ بأنَّ الميثاقَ الذي أُبرِمَ مع إسرائيل عند جبلِ سيناء، تحتَ قيادةِ موسى، كان نظامَ عبوديَّة، وأنَّ شعبَ اليهود، هم الآن «كأُناسٍ وُلِدُوا تبعاً للجسَد» قد طُرِدُوا، ما لم يقبلوا بيسوع كمُخلِّص. والذين هم مع الإيمانِ بالمسيح، جزءٌ من «خلْقٍ جديد» لم يعُد فيه التَّمييزُ بين «يهودٍ» و«أُمِّيين» قانونيّاً. ومضامينُ بولُس هي واضحة، في أنَّ ميثاقَ الرَّبّ مع إسرائيل باتَ لاغياً بوساطةِ «الإيمان بالمسيح»[1].

موقفُهُ من الختان:

موقفُ بولُس من الختانِ متأثرٌ بموقفِهِ من النَّاموس، والختانُ هو بندٌ من بُنُودِ النَّاموس. فمن كلامِهِ الذي يوحي بتأييدِهِ للختان، مع التأكيدِ على الجانبِ المعنويِّ منه، ما جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما:

«فَإِنَّ الْخِتَانَ يَنْفَعُ إِنْ عَمِلْتَ بِالنَّامُوسِ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتَ مُتَعَدِّياً النَّامُوسَ، فَقَدْ صَارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً! إِذاً إِنْ كَانَ الأَغْرَلُ يَحْفَظُ أَحْكَامَ النَّامُوسِ، أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتَاناً؟ وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ تُكَمِّلُ النَّامُوسَ، تَدِينُكَ أَنْتَ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالْخِتَانِ تَتَعَدَّى النَّامُوسَ؟ لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيّاً، وَلَا الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَاناً، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لَا بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ»[2].

لكن جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطيَّة ما يُفيدُ أنَّه لا يجبُ الالتزامُ بالنَّاموسِ إلا على من اختتَن[3]. فإنْ كان الأمرُ كذلك، فلِمَ الاختِتانُ إذا كانت نتيجتُهُ وجوبَ الالتزامِ بالنَّاموس:

---

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص 318 ـ 320.

(2) **رسالته إلى أهل رومية** 2: 25 ـ 29.

(3) ولتقريبِ الفكرة لذهنِ المُسْلِم أقول: إنَّ الختانَ في نظَرِ بولُس بمثابةِ الإحرام بالنِّسبةِ للمُسْلِم، فكما أنَّ المُسْلِمَ قبلَ أنْ يُحرِم ويُلبِّي، لا يجبُ عليه تجنُّب تروكات الإحرام، كلِبْسِ المخيط وحلْقِ الشَّعر... الخ، كذلك غير المختون، بعدما جاءَ يسوع ببشارتِهِ، لا يجبُ عليه ابتداءً الالتزام بناموسِ العهد القديم. لكن إنْ اختتَن، صارَ الالتزامُ بالناموسِ واجباً. وهذا الحكْمُ يسْري على غير اليهودي، بل حتى على اليهودي الذي لم يُختَن. وهذه النقطةُ الأخيرةُ هي التي هيَّجَت اليهود، بل وحتى يعقوب الصدِّيق (جيمس البارّ) وأتباعه، ضدَّهُ.

«هَا أَنَا بولُس أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً! لكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ»[1].

وجاءَ فيها أيضاً:

«لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ»[2].

وجاءَ فيها أيضاً:

«جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَنْظَراً حَسَناً فِي الْجَسَدِ، هؤُلَاءِ يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَتِنُوا، لِئَلَّا يُضْطَهَدُوا لأَجْلِ صَلِيبِ الْمَسِيحِ فَقَطْ. **لأَنَّ الَّذِينَ يَخْتَتِنُونَ هُمْ لَا يَحْفَظُونَ النَّامُوسَ، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ تَخْتَتِنُوا أَنْتُمْ لِكَيْ يَفْتَخِرُوا فِي جَسَدِكُمْ. وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ. لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ»[3].

كتَبَ الباحثُ طابور: لقد أصرَّ بولُس بشدَّة على أنَّه من غير المطلوب من المتحوِّلين الأُمِّيِّين الخِتان، وأنْ يعيشوا كيهودٍ تحتَ التَّوراة (النَّاموس). وكان يعقوب (جيمس) ومجْمَع أورشليم قد وافقوا على هذا. وقضى يعقوب أنَّه مطلوبٌ من غيرِ اليهود الذين يلْتحقون بالنَّاصريِّين، فقط مراعاة المطالب الأخلاقية العالميَّة، التي أوصَتْ التَّوراةُ بها إلى جميعِ بني البشر. لكن هذا لا يعني القول بأنَّ من المحظورِ على الأُمِّيِّين اتِّباع التَّوراة، بل كان البابُ دوماً مفتوحاً. وفي الحقيقةِ جرى قبول يهود أُمِّيِّين أرادوا أنْ يختتِنوا، وتبنَّوا بشكلٍ كاملٍ جميعَ وصايا إسرائيل. لقد أوضحَ يعقوب هذه النُّقطة في مجْمَعِ أورشليم عندما قال: «لأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَال قَدِيمَةٍ، لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ، إِذْ يُقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ»[4]. وكان الأمِّيُّونَ أحراراً في التعايُشِ أو الانضمامِ عن قُرْبٍ إلى الشَّعبِ اليهودي، حسْبما يرْغبونَ باتِّباعِ أيِّ قسْمٍ من أقسامِ الشَّريعة اليهوديَّة يجدونَهُ جذَّاباً روحيّاً.

إلا أنَّ بولُس أصرَّ على غيرِ هذا، وذلك عندما أصبحَ مسعوراً تماماً حولَ هذه النُّقطة، وذلك حسْبما كتَبَ إلى أتباعِهِ في فيلِبِّي: «انْظُرُوا الْكِلَابَ. انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ. انْظُرُوا الْقَطْعَ.

---

(1) رسالته إلى أهل غلاطية 5: 2 ـ 3.
(2) رسالته إلى أهل غلاطية 5: 6.
(3) رسالته إلى أهل غلاطية 6: 12 ـ 15.
(4) أعمال الرُّسُل 15: 21.

لأَنَّنَا نَحْنُ الْخِتَانَ (= المختونون الحقيقيُّون)، الَّذِينَ نَعْبُدُ اللهَ بِالرُّوحِ، وَنَفْتَخِرُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَلَا نَتَّكِلُ عَلَى الْجَسَدِ»[1]. وحذَّرَ أهلَ غلاطية بشكلٍ صارم، بأنَّ أيَّ واحدٍ منهم يقومُ بالختان، سوفَ «يُفصَلُ عن المسيح»، ولسوفَ «يسْقُطُ من النِّعمة»[2]! وكانت لهجتُهُ عنيفةً جدّاً ومريرة، بسببِ أنَّه كان هناك بعضُ اليهودِ من حركةِ الناصريِّين، قد زاروا طوائفَ بولُس، وشجَّعوا الذين انجذبوا كثيراً، بأنْ ينتقلوا نحوَ مراعاةٍ كاملةٍ للتَّوراة، وقد وصفَهُم بولُس بمثابةِ «الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلَاساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا»[3]، ويُظهِرُ استخدامَهُ لـ «نا» (في «حريتنا») ما يُشيرُ إلى أنَّه عدَّ نفسَهُ متوائماً تماماً مع طريقةِ الأُمِّيِّينَ بالحياة، حتى وإنْ كانَ يهوديّاً. ومن المستبعدِ أنْ يكون هؤلاء النَّاصريُّون كانوا يطلبونَ من الأُمِّيِّين تبنِّي طريقةَ اليهودِ في الحياة، بما أنَّ مجْمَع أورشليم كان قد اتَّخَذَ قرارَهُ على عكسِ ذلك. لكن من المحتملِ أنْ يكونوا قد شجَّعوا على مثلِ هذا الاختيار (الاختتان)، على أنَّه أكثرَ إرضاء للرَّبِّ وأكمَل.

وفيما يتعلَّق باهتماماتِ يعقوب وقادةِ أورشليم، لم تكن أوضاعُ الأُمِّيِّينَ بالحقيقةِ موضِعَ بحثٍ. فهُم قد رحَّبوا بهم، وقبِلُوا بهم تماماً في الحركةِ النَّاصريَّة. وتبعاً لبولُس، لم يكن التَّبشيرُ لغيرِ اليهود مُعارَضاً بحدِّ ذاتِهِ. والذي كان يشْغَلُ يعقوب وقادة أورشليم ويُقلِقُهُم هو أنَّ بولُس كان يُعلِّمُ اليهودَ بأنَّ بإمكانِهِم التخلِّي عن التَّوراة، والعيش كأُمِّيِّين، وأنْ يتوقَّفوا عن مراعاةِ الوصايا التي أُعطِيَت إلى شعبِ إسرائيل.

وقد أقرَّ بولُس بمواقفِهِ المتفاوتة التي فسَّرَها مُحبُّوهُ على أنَّها نحوٌ من المداراةِ والحكمة، وفسَّرَها آخرونَ على أنَّها نحوٌ من النِّفاقِ والتلوُّن، عندما قال: «فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلَا نَامُوسٍ للهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ»[4].

مناطُ الجزاءِ: الإيمانُ لا العَمَل!

نستنتجُ ممَّا مرَّ، أنَّ بولُس يميلُ إلى التَّركيزِ على الإيمانِ بصلْبِ يسوع وقيامتِهِ على

(1) رسالته إلى أهل فيلبي 3: 2 ـ 3.
(2) رسالته إلى أهل غلاطية 5: 4.
(3) رسالته إلى أهل غلاطية 2: 4.
(4) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 9: 20 ـ 21.
جيمس د. طابور، سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة، ص321 ـ 323.

حسابِ العَمَل، ففي هذا الإيمان الخلاص. بل نجدُ له في رسائلِهِ عبارات صريحة تؤكِّدُ على أنَّ مناطَ الجزاء هو الإيمان لا العَمَل! فقد جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما:

«أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلَا تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً»[1].

وجاءَ فيها أيضاً:

«إِذاً لَا شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ»[2].

وجاءَ في تلك الرِّسالةِ أيضاً:

«وَأَمَّا الْبِرُّ الَّذِي بِالإِيمَانِ فَيَقُولُ هكَذَا: «لَا تَقُلْ فِي قَلْبِكَ: مَنْ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟» أَيْ لِيُحْدِرَ الْمَسِيحَ، «أَوْ: مَنْ يَهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟» أَيْ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ لكِنْ مَاذَا يَقُولُ؟ «اَلْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» أَيْ كَلِمَةُ الإِيمَانِ الَّتِي نَكْرِزُ بِهَا: **لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ.** لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلَاصِ. لأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُخْزَى». لأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبّاً وَاحِداً لِلْجَمِيعِ، غَنِيّاً لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ»[3].

إذن، تبعاً لبولُس، لقد غُفِرَ للَّذينَ قبلُوا كفَّارة المسيح بدمِهِ، غُفِرَت لهم جميعُ ذُنُوبِهِم، وأُعطوا «منْحة» حياة سرمديَّة، وأصبحوا مستقيمينَ بوساطة الإيمانِ، وليس بوساطةِ الأعمال الصَّالِحة[4]. وجاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطيَّة:

«نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ يَهُودٌ وَلَسْنَا مِنَ الأُمَمِ خُطَاةً، إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ **الإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ.** لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا.

فَإِنْ كُنَّا وَنَحْنُ طَالِبُونَ أَنْ نَتَبَرَّرَ فِي الْمَسِيحِ، نُوجَدُ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً خُطَاةً، أَفَالْمَسِيحُ

---

(1) **رسالته إلى أهل رومية** 4: 4 ـ 5.
(2) **رسالته إلى أهل رومية** 8: 1 ـ 2.
(3) **رسالته إلى أهل رومية** 10: 6 ـ 12.
(4) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص316.

خَادِمٌ لِلْخَطِيَّةِ؟ حَاشَا! فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَبْنِي أَيْضاً هذَا الَّذِي قَدْ هَدَمْتُهُ، فَإِنِّي أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّياً. لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا للهِ. مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي. لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذاً مَاتَ بِلَا سَبَبٍ!»[1].

بل يؤكِّدُ بولُس في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطيَّة - بعباراتٍ قاسية - إلى أنَّ إبراهيمَ إنَّما اجتُبِيَ واصْطُفِي، حتى تتبارَكَ به الأُمَمُ، من أجلِ الإيمان (وليس لإتمامِهِ الكلمات التي ابتلاهُ اللهُ بها)، فأبناؤُهُ هم المؤمنون، وليس العاملونَ بالنَّاموس. لقد كان بولُس يحثُّ الغلاطيِّين على ترْكِ الناموس بقوَّة، قائلاً لهم:

«**أَيُّهَا الْغَلَاطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لَا تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوباً! أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هذَا فَقَطْ: أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟ أَهكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ! أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟ أَهذَا الْمِقْدَارَ احْتَمَلْتُمْ عَبَثاً؟ إِنْ كَانَ عَبَثاً! فَالَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ، أَبِأَعْمَالِ** النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟ كَمَا «آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً». **اعْلَمُوا إِذاً أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أُولئِكَ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ.** وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ»»[2].

الإيمانُ يُطهِّرُ من الخطيئة:

نجدُ عند بولُس أوَّلَ ربطٍ بين الإيمانِ بصلْبِ يسوع وقيامتِهِ بخطيئةِ آدم. هذا الرَّبطُ الذي سيترسَّخُ لاحقاً أكثرَ في عقيدةِ المسيحيِّين، نجدُ بذورَهُ في رسائلِ بولُس، خصوصاً في رسالتِهِ إلى أهلِ روما.

فكما أنَّ البشريَّةَ قد دفعَت ثمَنَ خطيئةِ شخصٍ واحد، هو آدم، فسَرَت الخطيئةُ منه إليها. فكذلكَ، البشريَّةُ قد تمَّ افتداؤُها بتضحيةِ شخصٍ واحدٍ، هو يسوع، فسَرَى التطهُّر إليها (لكن بشرْطِ الإيمان بذلك!). لقد جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما:

«لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيراً الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ! **فَإِذاً كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ**

(1) رسالته إلى أهل غلاطية 2: 5 - 21.
(2) رسالته إلى أهل غلاطية 3: 1 - 8.

الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرِّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً.

وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ. وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً. حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ، هكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرِّ، لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا»[1].

وجاءَ أيضاً في تلك الرِّسالة:

«فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟ أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ. لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ.

فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ. عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لَا يَمُوتُ أَيْضاً. لَا يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ»[2].

وجاءَ في رسالتِهِ الأولى لأهلِ كورِنْثوس:

«لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ»[3].

ربطُ قيامة المسيح بقيامةِ الناس:

إنْ كان الاعتقادُ بالبعثِ العام وقيامةِ البشَر بعد موتِهم قد راجَ عند اليهود، فهذه القيامةُ العامةُ كانت أمراً مُبْهماً غيرَ معروفٍ عند الأُمم الوثَنيَّة. بولُس أرادَ من خلالِ ترسيخِ الاعتقاد بقيامةِ يسوع، أنْ يُوظِّفَ هذا الاعتقاد كدليلٍ على قيامةِ الناسِ العامة، وبعثِهم.

ويُلاحظُ على ذلك:

---

(1) رسالته إلى أهل رومية 5: 17 ـ 21.
(2) رسالته إلى أهل رومية 6: 1 ـ 9.
(3) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 15: 22.

1. هناك فرْقٌ بين الرَّجعةِ إلى الدُّنيا والعودةِ إليها بعد الموت (كما يُفترَض أنَّه جرى مع يسوع وفقاً لرأي بولُس)، والبعثِ والقيامةِ بعد الانتقالِ من هذا العالَم إلى العالَم الآخَر (كما يُفترَض أنْ يجري مع الناسِ كافَّة). ويبدو أنَّ بولُس قد خلَطَ بين الأمرين.
2. قيامةُ فرْدٍ فعلاً (مهما كان عظيماً)، لا يدُلُّ منطقياً على أنَّ القيامةَ العامةَ الفعليَّة ستتحقَّقُ لكُلِّ الأفراد. وإنَّما يدُلُّ على إمكانِ ذلك، وقدرةِ اللهِ المُطْلقة.
3. قيامةُ فرْدٍ فعلاً (مهما كان عظيماً)، لا يدُلُّ على ربوبيَّتِهِ، وإلا كان مثلُ أصحاب الكهف وغيرِهِم أرباباً! وإنَّما يدُلُّ على «حاجةِ» الميِّتِ الذي فقَدَ القُدْرةَ إلى من يُعيدَهُ إلى الحياة. فهي على المربوبيَّةِ أدَلُّ منها على الرُّبوبيَّة.
4. يقولُ بولُس: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلَا يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ!»، والحقيقةُ أنْ لا ربْطَ بين الأمرين، فالإيمانُ بقيامةِ الأموات في الآخرة، أو بإمكانِ الرَّجعة في الدُّنيا، لا يعني أنَّ يسوعَ قد قامَ من الأموات. نعم الإيمانُ باستحالةِ القيامة أو الرَّجعة، قد يعني الإيمان باستحالةِ قيامة يسوع من الأموات. لكن مثلُ هذه الاستحالة لم يقُل بها اليهود.

والعجبُ من بولُس أنْ ربطَ كلَّ دعوةِ يسوع بالإيمانِ بقيامتِهِ، واختزلَها بذلك، ففي الإيمانِ بقيامتِهِ الخلاص، وبعدمِ ثبوت هذا الأمر بطلانُ هذا الدِّين! فقد جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثُوس:

«وَلكِنْ إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُكْرَزُ بِهِ أَنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَكَيْفَ يَقُولُ قَوْمٌ بَيْنَكُمْ إِنْ لَيْسَ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ؟ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلَا يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضاً إِيمَانُكُمْ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضاً شُهُودَ زُورٍ للهِ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ، إِنْ كَانَ الْمَوْتى لَا يَقُومُونَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتى لَا يَقُومُونَ، فَلَا يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!»[1].

القيامة بجسَدٍ روحاني:

كان بولُس يحاولُ دائماً الإعلاءَ من شأنِ رؤية يسوع رؤيةً معنويَّة، على الرُّؤية التي تكونُ «تَبَعاً للجسَد».... لماذا؟ يبدو لأنَّه لم يُقيَّض له هذه، وادَّعى تلك. وعندما تحدَّثَ بولُس عن رؤيتِهِ ليسوع، التي على أثرِها آمنَ به، كان حديثُهُ عن رؤيةٍ روحانيَّةٍ معنويَّة، لا

(1) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 15: 12 ـ 17.

عن رؤيةٍ جسَديَّةٍ ماديَّة. وهكذا عندما يتحدَّث عن القيامةِ العامة، يتحدَّثُ عن قيامةِ جسْمٍ روحانيٍّ، لا ماديّ.

طبعاً هذا التصوُّر للقيامةِ عموماً، ولقيامةِ يسوع خصوصاً، اضطرَّ بعض كتبةِ الأناجيل لاحقاً للتأكيدِ على أنَّ قيامةَ يسوع كانت جسَديَّة ماديَّة.

لذا ترى أنَّ إنجيلَ مرْقس يُؤكِّد على أنَّ يسوعَ كان قد تناولَ بعد قيامتِهِ الطَّعامَ مع تلامذتِهِ[1]، وإنجيلُ لوقا يُؤكِّدُ على أنَّهم بعد قيامتِهِ قد جسُّوهُ ونظروا إلى يديهِ ورجليه، وأكلَ معهم سمكاً مشويّاً وشيئاً من العَسَل[2]، وإنجيلُ يوحنَّا يُؤكِّدُ على أنَّه ظهرَ بعد قيامتِهِ لتلميذِهِ توما الذي حاولَ أنْ يتحسَّسَ أثَرَ المساميرِ على يديهِ[3]. كلُّ ذلك، لمواجهةِ الاعتقاد بأنَّ القيامةَ كانت مجرَّد قيامة روحيَّة، لا جسديَّة.

لذا جاءَ في رسالةِ بولُس الأولى إلى أهل كورِنْثوس:

«**يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيّاً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيّاً. يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ.** هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضاً: «صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْساً حَيَّةً، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحاً مُحْيِياً». لكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلاً بَلِ الْحَيَوَانِيُّ، وَبَعْدَ ذلِكَ الرُّوحَانِيُّ. **الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ.** كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ هكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيْضاً، وَكَمَا هُوَ السَّمَاوِيُّ هكَذَا السَّمَاوِيُّونَ أَيْضاً. وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضاً صُورَةَ السَّمَاوِيِّ. فَأَقُولُ هذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَا يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ، وَلَا يَرِثُ الْفَسَادُ عَدَمَ الْفَسَادِ»[4].

ربطُ المسيح بالفصْح:

نلحظُ أيضاً، في إحدى رسائل بولُس، تباشيرَ ربْط المسيح بالفصْح. هذا الرَّبْطُ سيترسَّخُ أكثرَ في إنجيلِ يوحنَّا[5]، ثمَّ في القرْنِ التالي مع مؤلَّفاتِ ميليتو أُسْقُف سارْدِس (180م) Melito of Sardis.

---

(1) **إنجيل مرقس** 16: 14 ـ 16.

(2) **إنجيل لوقا** 24: 33 ـ 49.

(3) **إنجيل يوحنا** 20: 24 ـ 29.

(4) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 15: 44 ـ 50.

(5) **إنجيل يوحنا** 19: 31 ـ 34: « لأَنَّ يَوْمَ ذلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيماً، سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا. فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبِ مَعَهُ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاؤُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ. لكِنَّ وَاحِداً مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ».

فكما أنَّ العادةَ قد جرت على تناوُلِ عجينٍ غير مُخمَّر وذبْحِ قُرْبانٍ عند حلولِ عيد الفصْح، للتذكيرِ بخلاصِ بني إسرائيل من فرْعون، فكذلك كان يسوعُ هو القُرْبان لخلاصِ المؤمنين به، وللتطهُّرِ من الخميرةِ العتيقة (الناموس). لذا جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثُوس:

«أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟ إِذاً نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِيناً جَدِيداً كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. **لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا**»[1].

وسيُصرُّ المسيحيُّونَ القُدماء، مثل مليتو، على إقامةِ مقارنةٍ بين الذَّبيحةِ التي تُذْبَحُ في يومِ الفصْحِ، ويسيلُ دمُها دون أنْ يُكسَرَ لها عظْمٌ، التي ضمِنَت نجاةَ بني إسرائيل، بيسوع المسيح الذي تمَّ سوقَهُ في الفصْحِ كشاةٍ إلى مذْبَحِها، فكان هو الضَّحيَّةُ التي ضمِنَت للمؤمنينَ الخلاص، وفدَت خطايا البشر، وسالَ دمُها بطعنةِ الجُنْدي الرُّوماني دونَ أنْ يُكسَرَ لها عظْمٌ.

وهكذا استُبدِلَت الأدوار، فبنو إسرائيل الذين كانوا مُسْتهدفينَ من فرعون، صاروا هم يسْتهدِفونَ يسوع.

طقْس الإفخارِسْتِيَّا (سرُّ التَّناول):

أكلُ الخُبْزِ وشُرْبُ الكأسِ، الذي يعتبرُ من الطُّقوسِ الأساسيَّةِ الشَّائعةِ في كنائسِ اليوم – كتعبيرٍ عن شُكرِ نعمة الفداء – نجدُ جذورَهُ في الأناجيل، بل نجدُ جذورَهُ في رسائلِ بولُس، التي كُتِبَت قبلَ الأناجيل.

فقد جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«**كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟**»[2].

وجاءَ أيضاً في الرِّسالةِ نفسِها:

« **لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمُ. اصْنَعُوا هذَا**

(1) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 5: 6 – 7.
(2) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 10: 16.

لِذِكْرِي». كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلاً: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي». فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ. إِذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هذَا الْخُبْزَ، أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ، بِدُونِ اسْتِحْقَاق، يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. وَلكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَهكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاق يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ»[1].

كتبَ طابور: توقَّعَ بولُس أنَّه سوف يعيشُ هو ومعظمُ أتباعِهِ ليَروا المسيح عائداً من السَّماءِ بقوَّةٍ ومجْد. وقد كتَبَ بولُس بأنَّ يسوع قد علَّمَهُ بأنَّ أتباعَهُ سوف يُمثِّلُونَ ثانيةً «عشاءً ربَّانيّاً»، سوف يشْربونَ فيه خمرةً بمثابةِ «دمِ» يسوع، ويأكلونَ خُبْزاً بمثابةِ «جسَدِهِ». فمن دونِ ذلك لا يُمكِنُهُم النَّجاةُ من الحساب. وقد ادَّعى أنَّ التَّطبيقَ غير الصَّحيح لهذه الوجبةِ المُقدَّسة، يمكن أنْ يتسبَّبَ بالمرَضِ، لا بل حتى الموت. والمؤمنونَ الذين ماتوا قبلَ وصول المسيح، سوف يُقيمُهُم الرَّبُّ من الموتِ في أجسادٍ تحوَّلَت بشكلٍ مجيدٍ إلى أجسادٍ روحانيَّة، والذين هم أحياءٌ آنذاك، سوف يتحوَّلونَ على الفورِ من جسَدٍ إلى روح. وقد تمسَّكَ بولُس بهذا بشكلٍ حرْفيٍّ كامل. وأكَّدَ بأنَّ أتْباعَهُ سوف يرتفعُ الأحياءُ منهم والأمواتُ في الهواءِ عند ظهورِ المسيح، لاستقبالِهِ في غيومِ السَّماء[2].

المحبَّةُ هي العنْصُرُ الأهم:

يُركِّزُ بولُس أيضاً على المحبَّةِ بوصفها هي العنْصرَ الأهمّ في الحياة. هذا العنْصر سيُشكِّلُ معْلَماً بارزاً من معالِمِ المسيحيَّة المتأخِّرة. جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ **وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ**»[3].

نحنُ أبناءُ الله:

في نظَرِ بولُس، بعد مجيءِ يسوع وصلْبِهِ وقيامتِهِ، لم يعُد اليهود هم أولادُ الله، بل أولئكَ الذين يؤمنونَ بيسوع وصلْبِهِ وقيامتِهِ ويتألَّمونَ لألمِهِ صاروا هم أولادَ الله. جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما:

---

(1) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 11: 23 ـ 29.

(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص316 ـ 317.

(3) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 13: 13.

«اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ»[1].

ما الذي حدَثَ مع بني إسرائيل؟

يرى بولُس أنَّ ما حدَثَ بمجيءِ يسوع وصلْبِهِ، وتصدِّي اليهود له، لا يعني أنَّ اللهَ قد رفَضَ شعْبَهُ، بل يعني أنَّ الاصطفاءَ والخلاصَ لم يعُد مختصّاً بهم. لقد خرَجَ الأمرُ عن دائرَتِهم، وصارَ الخلاصُ متاحاً لكُلِّ البشَر، رجُلاً كان أو امرأة، يهوديّاً كان أو غير يهوديّ، طالما آمنَ بيسوع وقضيَّتِهِ. جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما:

«فَأَقُولُ: أَلَعَلَّ اللهَ رَفَضَ شَعْبَهُ؟ حَاشَا! لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِسْرَائِيلِيٌّ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ»[2].

ثمَّ يقول: «فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هذَا السِّرَّ، لِئَلَّا تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ: أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيّاً لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الأُمَمِ، وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ. وَهذَا هُوَ الْعَهْدُ مِنْ قِبَلِي لَهُمْ مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ»[3].

فبدُخولِ الأُمَم إلى دائرةِ الإيمان بيسوع، سيخلُصُ جميعُ إسرائيل، لأنَّ جميعَهُم سيكونوا حينئذٍ من نسْلِ إبراهيم، ومن بني إسرائيل. جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطية:

«فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذاً نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ»[4].

بل في رسالتِهِ نفسِها يُشبِّهُ بولُس اليهودَ بأبناءِ هاجَر، أبناء الجارية (مع أنَّهم في الواقعِ أبناء سارة الحُرَّة)، ويُشبِّهُ المسيحيِّين الذين يؤمنونَ بيسوع بأبناءِ سارة الحُرَّة (مع أنَّهم لو كانوا بالأساس وثنيِّين فهم ليسوا من نسْلِ إبراهيم أصلاً)! جاء في ذلك:

«قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ

---

(1) رسالته إلى أهل رومية 8: 16 ـ 17.

وهذا ما نجده في إنجيل يوحنَّا أيضاً، حيثُ وردَ في وصْفٍ من قبلِ الإيمان بصلْبِ وقيامةِ يسوع: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ». (إنجيل يوحنا 1: 12).

(2) رسالته إلى أهل رومية 11: 1.

(3) رسالته إلى أهل رومية 11: 25 ـ 27.

(4) رسالته إلى أهل غلاطية 3: 29.

مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا.

وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعاً، فَهِيَ حُرَّةٌ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اِهْتِفِي وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ».

وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ. وَلكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ الَّذِي حَسَبَ الرُّوحِ، هكَذَا الآنَ أَيْضاً. لكِنْ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ». إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ»[1].

وجوبُ طاعة السَّلاطين!

من الأمورِ المُلْفتة، التي تُؤكِّدُ وجودَ علاقةٍ طيِّبةٍ بين بولُس والدَّولة الرُّومانيَّة، دعوتُهُ لطاعةِ السَّلاطين، وربْطِ سُلْطانِهم بالله، وطاعتِهم بطاعتِهِ، ومعصيتِهم بمعصيتِهِ!

هذه الرُّوحُ ستُؤسِّس لاستبدادِ المُلُوك في أوروبا في العصورِ الوسطى، بل وأسَّست للتَّنسيقِ بين الكنائسِ وقياصرة الرُّومان في القرونِ الأولى. جاءَ في رسالتِهِ إلى أهلِ روما:

«لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفاً لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. **أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ»**[2].

الدعوةُ إلى وحدةِ الصَّف:

من الأمورِ المُتكرِّرة في رسائلِ بولُس إلى المسيحيِّين الجُدُد في العواصمِ المختلفة، دعوتُهُ لهم إلى وحدةِ الصَّفِّ، وترْكِ التَّنازُع والتفرُّق.

فمثلاً جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

---

(1) رسالته إلى أهل غلاطية 4: 21 ـ 31.

(2) رسالته إلى أهل رومية 13: 1 ـ 3.

«وَلكِنَّنِي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِداً، وَلَا يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ، لأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَات»[1].

وفي رسالتِهِ إلى أهلِ غلاطيَّة:

«فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَانْظُرُوا لِئَلَّا تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً»[2].

ويُذكِّر بولُس المسيحيِّين الجُدُد بأنَّهم كجسَدٍ واحد، والأفرادَ كأعضاءٍ لهذا الجسَد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعَتْ له سائرُ الأعضاءِ بالسَّهَرِ والحُمَّى، وأنَّ التفاوتَ بينهم عليهم أنْ يتعاطوا معه على أنَّه توزيعٌ للأدوار، لأنَّ هدفَهُم في النِّهايةِ واحدٌ.

جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً.

فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضاً لَيْسَ عُضْواً وَاحِداً بَلْ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ. إِنْ قَالَتِ الرِّجْلُ: «لأَنِّي لَسْتُ يَداً، لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ». أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟ وَإِنْ قَالَتِ الأُذُنُ: «لأَنِّي لَسْتُ عَيْناً، لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ». أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟ لَوْ كَانَ كُلُّ الْجَسَدِ عَيْناً، فَأَيْنَ السَّمْعُ؟ لَوْ كَانَ الْكُلُّ سَمْعاً، فَأَيْنَ الشَّمُّ؟ وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ الأَعْضَاءَ، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْجَسَدِ، كَمَا أَرَادَ. وَلكِنْ لَوْ كَانَ جَمِيعُهَا عُضْواً وَاحِداً، أَيْنَ الْجَسَدُ؟ فَالآنَ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. لَا تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: «لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ!». أَوِ الرَّأْسُ أَيْضاً لِلرِّجْلَيْنِ: «لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا»»[3].

ثمَّ يقولُ في الرِّسالةِ نفسِها:

---

(1) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 1: 10 ـ 11.

(2) رسالته إلى أهل غلاطية 5: 13 ـ 15.

(3) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 12: 12 ـ 21.

«فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ»[1].

ويشيرُ إلى توزيعِ الأدوار، وأنَّه من غيرِ الصّائِبِ توقُّع أنْ يقومَ الجميعُ بالدَّورِ نفسِهِ. يقولُ:

«فَوَضَعَ اللهُ أُنَاساً فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلاً رُسُلاً، ثَانِياً أَنْبِيَاء، ثَالِثاً مُعَلِّمِينَ، ثُمَّ قُوَّاتٍ، وَبَعْدَ ذلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ، أَعْوَاناً، تَدَابِيرَ، وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ. أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ رُسُلٌ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَصْحَابُ قُوَّاتٍ؟»[2].

عدمُ التَّحاكم إلى الطَّاغوت:

تحكيماً لوحدةِ صفِّ الجماعة المسيحيَّة الوليدة، دعا يسوع إلى أنْ يكونَ القاضي في أيِّ منازعةٍ ناشئةٍ بينهم منهم، دون أنْ يلْجؤوا إلى الظَّالمينَ الغُرباء ليتحاكموا عندَهُم. جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«أَيَتَجَاسَرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَهُ دَعْوَى عَلَى آخَرَ أَنْ يُحَاكَمَ عِنْدَ الظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقِدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ؟ فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ، أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِمِ الصُّغْرَى؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً؟ فَبِالأَوْلَى أُمُورَ هذِهِ الْحَيَاةِ! فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مَحَاكِمُ فِي أُمُورِ هذِهِ الْحَيَاةِ، فَأَجْلِسُوا الْمُحْتَقَرِينَ فِي الْكَنِيسَةِ قُضَاةً! لِتَخْجِيلِكُمْ أَقُولُ. أَهكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ، وَلَا وَاحِدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ؟ لكِنَّ الأَخَ يُحَاكِمُ الأَخَ، وَذلِكَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ!»[3].

لكُلٍّ طريقُهُ:

حاولَ بولُس في رسالتِهِ تخفيفَ الاحتقان بين اليهودِ وغيرِ اليهود من المسيحيِّين الجُدُد، فدعاهُم إلى عدمِ جعل مسألةَ الختان سبباً لتفجُّرِ النِّزاعِ بينهم. فلكلٍّ جعلَ اللهُ طريقاً ومنهاجاً. واليهودُ المأمورونَ بالختانِ لا بدَّ أنْ يختَتِنوا، وغيرُهُم ممَّن لم يُؤمَر بذلك فلا يختَتِن. هكذا جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«غَيْرَ أَنَّهُ كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ، كَمَا دَعَا الرَّبُّ كُلَّ وَاحِدٍ، هكَذَا لِيَسْلُكْ. وَهكَذَا أَنَا آمُرُ فِي جَمِيعِ الْكَنَائِسِ. دُعِيَ أَحَدٌ وَهُوَ مَخْتُونٌ، فَلَا يَصِرْ أَغْلَفَ. دُعِيَ أَحَدٌ فِي الْغُرْلَةِ، فَلَا

(1) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 12: 26.
(2) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 12: 28 ـ 29.
(3) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 6: 1 ـ 6.

يَخْتَتِنْ. لَيْسَ الْخِتَانُ شَيْئاً، وَلَيْسَتِ الْغُرْلَةُ شَيْئاً، بَلْ حِفْظُ وَصَايَا اللهِ. اَلدَّعْوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ فَلْيَلْبَثْ فِيهَا»[1].

حكْمُ أكل ما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ به:

يتحدَّث بولُس عن حُكْمِ ما ذُبِحَ للأوثان، ليُؤكِّدَ على أنَّ الإلهَ الحقيقي هو إلهٌ واحد، هو إلهُ إسرائيل، هو إلهُ يسوع، أما الآلهةُ الأُخرى المتفشِّيَة بين الرُّومان واليونانيِّين وغيرِهِم، ما هي إلا أوثانٌ وآلهةٌ مزيَّفة. فيقولُ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلَّا وَاحِداً. لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ»[2].

على هذا الأساس، يُفتي بولُس بأنَّ الحُكْمَ في الذَّبائح هو أصالةُ التَّذكيةِ، ولو أُخِذَت الذَّبيحةُ من يدٍ وثنيٍّ. إلا إذا عرَفَ أنَّ تلك الذَّبيحةَ قد ذُبِحَت بعينِها للوثَن، فهنا يُجتَنَبُ عن أكلِها. وبما أنَّ هذه الحالةَ الأخيرةَ نادرةٌ، لذا تفشَّى بين المسيحيِّين بعد ذلك عدمُ المبالاة بمسألةِ التَّذكية. يقولُ بولُس:

«وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكُمْ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَذْهَبُوا، فَكُلُّ مَا يُقَدَّمُ لَكُمْ كُلُوا مِنْهُ غَيْرَ فَاحِصِينَ، مِنْ أَجْلِ الضَّمِيرِ. وَلكِنْ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: «هذَا مَذْبُوحٌ لِوَثَنٍ» فَلَا تَأْكُلُوا مِنْ أَجْلِ ذَاكَ الَّذِي أَعْلَمَكُمْ، وَالضَّمِيرِ. لأَنَّ «لِلرَّبِّ الأَرْضَ وَمِلأَهَا»»[3].

وجوبُ تغطية المرأة رأسَها في الصَّلاة:

كما أفتى بولُس بوجوبِ تغطية المرأة رأسَها أثناءَ الصَّلاة، فقد جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ. كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ، يَشِينُ رَأْسَهُ.

وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًّى، فَتَشِينُ رَأْسَهَا، لأَنَّهَا وَالْمَحْلُوقَةَ شَيْءٌ

(1) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 7: 17 ـ 20.
(2) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 8: 4 ـ 6.
(3) رسالته إلى أهل كورنثوس 1، 10: 27 ـ 28.

وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ. إِذِ الْمَرْأَةُ، إِنْ كَانَتْ لَا تَتَغَطَّى، فَلْيُقَصَّ شَعْرُهَا. وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقَصَّ أَوْ تُحْلَقَ، فَلْتَتَغَطَّ.

فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. وَلأَنَّ **الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ**»[1].

وجاءَ فيها أيضاً:

«احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: هَلْ يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاةٍ؟»[2].

وجوبُ أنْ تصْمُتَ المرأة داخلَ الكنيسة:

كذلك أفتى بولُس بوجوبِ صمْتِ النِّساء في الكنائس. فقد جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس:

«**لِتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُوناً لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ**، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضاً. وَلكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئاً، فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لأَنَّهُ **قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي كَنِيسَةٍ**»[3].

وأختِمُ كلامي عن حياةِ بولُس وأفكارِهِ، باقتباسِ فقرة مهمَّة لطابور، حيثُ يقول: «نحنُ لا نعرفُ بالحقيقةِ فيما إذا كان بولُس قد أقدَمَ على قطْعِ كاملٍ وحاسمٍ للعلاقاتِ مع يعقوب (جيمس) وقادةِ أورشليم، أو أنَّهُم هُم فعلوا ذلك معه. ومرَّةً أخرى، إنَّ جميعَ الذي نعرِفُهُ هو الرّواية الموجودة في سِفْرِ الأعمال، والذي أخبرَنا بولُس في رسائله. وأنهى سفْرُ الأعمالِ قصَّةَ حياة بولُس وبترَها بشكلٍ مفاجئٍ في العام 58م. وقد أرادَ لوقا أنْ يعرِضَ صورةَ مصالحةٍ ووئام، في مشهدِهِ الأخير، بين يعقوب وبولُس»[4].

الخلاصة: ننْتهي من جولتِنا الطَّويلة في هذا الفصل إلى أنَّ لبولُس بصْمة بالغة التأثير على المسيحيَّةِ التي يعرفُها العالَمُ اليوم. بل يمكنُ القولُ إنَّ معالِمَ مسيحيَّة اليوم، باعتقاداتِها وطُقُوسِها الأساسيَّة، تشكَّلَت وصيغَت بتأثيرٍ من بولُس.

---

(1) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 11: 3 ـ 9.

(2) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 11: 13.

(3) **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 14: 34 ـ 35.

(4) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص324.

الفصل الثَّامن:

الصِّراع اليهوديّ / المسيحيّ

في هذا الفصل أتناولُ بإيجازٍ الصِّراعَ اليهوديّ/ المسيحيّ، منذُ نشأتِهِ في زمنِ يسوع، الذي صُلِبَ - وفقاً لاعتقادِ المسيحيِّين - بسببِ تحريض اليهود على قتلِهِ، وكيف انعكسَ هذا الصِّراعُ على النُّصوصِ المسيحيَّةِ المُبكِّرة واليهوديَّةِ التلْموديَّة، وموقفَ القرآنِ من ذلك.

تمهيد:

تحدَّثَ القرآنُ عن طبيعةِ العلاقة المتوتِّرة بين اليهودِ والمسيحيِّينَ قائلاً: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[1].

لماذا أغرى اللهُ بين اليهودِ والمسيحيِّين العداوةَ والبغضاءَ؟ ما سرُّ هذا الخبرُ الغَيْبي الذي يتحدَّثُ عن غيبٍ يستمرُّ من الحاضرِ إلى المستقبل؟ الجواب: لأنَّهم نَسْوا حظّاً ممَّا ذُكِّروا به، حيث قالَ قبلَ ذلك: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ... وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ...* وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[2] وقد حذَّرَ القرآنُ المسلمينَ من تكرارِ خطيئة التفرُّق والاختلافِ في الدِّين أشدَّ التَّحذير، فقالَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ...﴾[3].

وإنْ أصرَّ اليهودُ أو المسيحيُّونَ على الاختلافِ والتفرُّقِ في الدِّين، فلا يمكن لأحدٍ (ولو كان النبيُّ محمد)، ولا يمكن لنصٍّ ديني (ولو كان القرآنُ)، أنْ يُطفِئ نارَ الفتنةِ بين أتباعِ هذينِ الدِّينين... لأنَّ العاملَ الحاسمَ في ذلك هو إرادةُ الإنسان.

---

(1) سورة المائدة، الآية 14.

(2) سورة المائدة، الآيتان 13 ـ 14.

(3) سورة آل عمران، الآيتان 105 ـ 106.

خدْمةٌ قدَّمَها القرآن:

ما الخدمةُ التي قدَّمَها القرآنُ لنزْعِ فتيلِ ما يمكن أنْ يُستخدَمَ كذريعةٍ للاختلافِ والتفرُّقِ في الدِّين؟

الجواب: الخدمةُ تكمُنُ في تصحيحِ معلومةٍ حاسمةٍ، لعبَتْ دوراً أساسياً في تفجيرِ العلاقة على مرِّ التاريخ بين اليهودِ والمسيحيِّين. فعلى أساسِ تلك المعلومة، تمَّ حياكةُ تفاصيلٍ حتى تبدو المعلومةُ صادقة، تنْسَجِمُ مع نُبوءاتِ الأنبياء، وإخباراتِ الشُّهود... هذه المعلومةُ تلقَّاها اليهودُ والمسيحيُّون بنحوٍ مغلوط، ومثَّلَتْ قنبلةً موقوتةً، أغرَتْ وما تزال تُغري بالعداوةِ والبغضاء، وارتكابِ ألوانٍ من الجَوْرِ والظُّلم، بمجرَّد أنْ يستضعفَ أتباعُ هذا الدِّين ذاكَ الدِّين ويبْغي عليه.

أين المشكلةُ بالتَّحديد؟

تكمُنُ المشكلةُ بالتَّحديد في اتِّهامِ المسيحيِّين لليهودِ بأنَّهم هم المسؤولونَ عن قتْلِ ربِّهِم يسوع، لأنَّهم حرَّضوا الحاكِمَ الرُّوماني بشدَّةٍ على قتلِهِ. فاليهودُ - في نظرِ المسيحيِّين - لم يكتفوا بإنكارِهِ بوصفِهِ المسيحَ المنتظر الذي تنبَّأت بقدومِهِ أسفارُهُم القديمة، بل تورَّطوا بسفْكِ دمِهِ أيضاً[1].

هذا الاتِّهامُ له رصيدٌ في الأناجيل، خصوصاً إنجيلِ متَّى وإنجيلِ يوحنَّا. وله رصيدٌ في الرَّسائلِ المُلْحقة بالأناجيل. كما له رصيدٌ في بعضِ أدبيَّات المسيحيَّة المُبكِّرة، مثل كتابات ميليتو أسقُف سارْدِس (ت 180م).

فمن أهمِّ الأمور الورادة في الأناجيلِ، المؤكِّدة لتورُّطِ اليهود بقتْلِ المسيح، ما يلي:

1. رؤساءُ اليهود حرَّضوا الحواري يهوذا الأسخريوطي على خيانةِ يسوع، والكشْفِ عن مكانِهِ وشخْصِهِ، من خلالِ شِراءِ ذمَّتِهِ بثلاثينَ فضَّة[2].

---

(1) إلا أنَّه - في اعتقادِهِم - انتصرَ على الموت وبُعِثَ في اليوم الثالثِ من دفنِهِ، ثمَّ ارتفعَ إلى السَّماءِ بعدَ أربعينَ يوماً، وسيعودُ في آخرِ الزَّمان. وما حدَثَ ما حدَثَ إلَّا ليفدي المسيحُ خطايا البشر، ويفتحُ عهداً جديداً بين اللهِ والإنسان.

(2) **إنجيل متَّى 26، إنجيل مرقس 14، إنجيل لوقا 22، إنجيل يوحنَّا 13.**

2. رؤساءُ اليهود اقتحموا على يسوع البُستان وألقوا القبْضَ عليه، لتسليمِهِ للحاكم الرُّوماني. فقد هجَمَ عليه عصابةٌ كبيرةٌ أرسَلَها رؤساءُ الكهنةِ تحمِلُ السُّيوفَ والعِصي[1].

3. بعد إلقاءِ القبْضِ على يسوع، وأثناءَ التحقيق أو بعدَهُ، وجَّهوا إليه الإهانات والسِّبابَ والشَّتائم، وتمَّ البصْقُ بوجهِهِ بل ولطْمُهُ أيضاً[2].

4. مارسوا على الحاكمِ (الوالي) الرُّوماني بيلاطُس البُنْطي ضغوطاً شديدةً، وبطريقةٍ هستيرية، لقتلِ يسوع المسيح، بلغَت درجةَ تهديدِهِ بالتَّشكيكِ بولائِهِ أمام الإمبراطور إنْ لم يفعل، ونجحوا في ذلك، رغمَ محاولات بيلاطُس البُنْطي المُتعدِّدة لتفادي ذلك.

دعوني أُركِّز في هذا الفصل على النُّقطةِ الرَّابعة، وأترُك النّقاط الثلاثة التي تسْبِقُها إلى الفصل القادم. فقد جاءَ في إنجيل متَّى[3]:

«وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَاداً فِي الْعِيدِ أَنْ يُطْلِقَ لِلْجَمْعِ أَسِيراً وَاحِداً، مَنْ أَرَادُوهُ. وَكَانَ لَهُمْ حِينَئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى «بَارَابَاسَ». فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ (الوالي) بِيلاَطُسُ: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَداً.

وَإِذْ كَانَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: «إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيراً فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ».

وَلكِنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ.

فَأَجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنَ الاثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟»

فَقَالُوا: «بَارَابَاسَ!».

قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟»

قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصْلَبْ!»

فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرّ عَمِلَ؟»

فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخاً قَائِلِينَ: «لِيُصْلَبْ!»

---

(1) إنجيل متَّى 26، إنجيل مرْقس 14، إنجيل لوقا 22، إنجيل يوحنَّا 18.
(2) إنجيل متَّى 26، إنجيل مرْقس 14، إنجيل لوقا 22، إنجيل يوحنَّا 18.
(3) إنجيل متَّى 27: 15 ـ 26.

فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ شَيْئاً، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ! أَبْصِرُوا أَنْتُمْ!».

فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا».

حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ».

ويرى بعضُ علماءِ اليهود أنَّ العبارةَ: «فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا»، كانت سبباً لسَفْكِ دماءِ ما يصْعُبُ حصرُهُ من اليهودِ على مرِّ التاريخ.

ناهيكَ عن تأكيدِهِم على أنَّ إنجيل متَّى، وبالتَّحديد الإصحاح 23[1]، يتضمَّنُ ما يثيرُ

---

(1) جاء في الإصحاح 23: 1 ـ 39 من إنجيل متى: «حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيذَهُ قَائِلاً: «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ، وَلكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ. فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ، وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ: فَيُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعَظِّمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ، وَيُحِبُّونَ الْمُتَّكَأَ الأَوَّلَ فِي الْوَلاَئِمِ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي! وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَا تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ. وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ. فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ.

لكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلَا تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلَا تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلاً وَاحِداً، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْناً لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفاً. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟ وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ. أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلْقُرْبَانُ أَمِ الْمَذْبَحُ الَّذِي يُقَدِّسُ الْقُرْبَانَ؟ فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ! وَمَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِالسَّاكِنِ فِيهِ، وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ اللهِ وَبِالْجَالِسِ عَلَيْهِ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِتَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلَا تَتْرُكُوا تِلْكَ. أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوآنِ اخْتِطَافاً وَدَعَارَةً. أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى! نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضاً نَقِيّاً. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!=

أحقاداً وعداءً شديداً تجاهَ اليهود، ويصِفُهُم بأنَّهم منافقون/ مراؤون Hypocrites، ويؤكِّدونَ على أنَّ الأصلَ اليونانيَّ لهذا اللَّفظِ لم يكن متداولاً أبداً في اللُّغةِ الآراميةِ/ العِبْرية التي كان ينطِقُ بها يسوعُ، لأنَّه يعني «المُمثِّل» الذي يُمارِسُ دوراً في مسْرحيَّةٍ. ولم يعرف اليهودُ آنذاكَ المسْرحَ، وإنَّما الرُّومان (واليونان أيضاً)، وهذا يكشِفُ -في نظرِهِم- عن أنَّ كاتبَ هذا الإنجيل لم يكن يهوديّاً، وإنَّما كان ينتمي لثقافةٍ رومانيَّةٍ، ويحمِلُ عداءً شديداً لليهود.

ويضيفُ هؤلاءِ أيضاً، بأنَّ هذا الإصْحاحَ من هذا الانجيلِ وصفَ اليهودَ بأنَّهم يشْهدونَ على أنفُسِهِم أنَّهُم أبناءُ قتلةِ الأنبياء، إلا أنَّ وظيفةَ الأنبياءِ الأساسيَّةِ كانت هي التصدِّي لطواغيتِ ومُلُوكِ عصْرِهِم، لذا من قتَلَ الأنبياءَ هم طواغيتُ وملوكُ اليهود، وليس اليهود البسطاء، فالتَّعميمُ لا يليق.

مضافاً إلى أنَّ العبارة (35) تُحمِّلُهُم مسؤوليةَ سفْكِ كلِّ دمٍ زكيٍّ سُفِكَ على الأرض، من دمِ هابيل (الذي قُتِلَ على يدِ أخيه)، إلى دمِ زكريا (وهو من أواخر الأنبياء المقتولين ظُلْماً). إلا أنَّ هذا الإنجيل لا يتورَّط فقط بالتَّعميمِ وتحميلِ اليهود - بكُلِّ أجيالِهِم - مسؤوليةَ كلّ الدِّماء المسْفوكة، بل يتورَّط بخطأٍ تاريخيٍّ كبير، وهو أنَّ المقتولَ بين المذبحِ والهيكل هو النَّبي «زكريا بن برْخيا»، مع أنَّ المقتولَ في ذلك الموضعِ هو زكريا آخر، هو زكريا بن يهوياداع، وليس النَّبي ابن برْخيا، صاحب السِّفْر، الذي طالت أيَّامُهُ وعاش في بلادِهِ ودُفِنَ بجانبِ حَجَي الذي كان زميلاً له[1].

= لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُوراً مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَاراً، وَلكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْماً. **وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!** لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ. **فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ.** فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، **لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ.** الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ! «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!»».

(1) في قاموس الكتاب المقدس تبرير لذلك، حيث ورد فيه: «وقد دعاه المسيح في متى زكريا بن برخيا، ولعلَّه استعمل لفظة «ابن» هنا - كما تستعمل في مواضع كثيرة في الكتاب - للدَّلالةِ على النَّسب فقط،=

كلُّ ما مضى يتعلَّقُ بإنجيلِ متَّى، أما إنجيلُ يوحنَّا[1] فقد جاءَ فيه:

«فَخَرَجَ بِيلَاطُسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «أَيَّةَ شِكَايَةٍ تُقَدِّمُونَ عَلَى هذَا الإِنْسَانِ؟»

أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرّ لَمَا كُنَّا قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ!»

فَقَالَ لَهُمْ بِيلَاطُسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ».

فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَداً»».

ثمَّ في الإصحاح 19 منه[2]:

«فَلَمَّا رَآهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْخُدَّامُ صَرَخُوا قَائِلِينَ: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!».

قَالَ لَهُمْ بِيلَاطُسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ، لأَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً».

أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ».

فَلَمَّا سَمِعَ بِيلَاطُسُ هذَا الْقَوْلَ ازْدَادَ خَوْفاً. فَدَخَلَ أَيْضاً إِلَى دَارِ الْوِلَايَةِ وَقَالَ لِيَسُوعَ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟».

وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمْ يُعْطِهِ جَوَاباً.

فَقَالَ لَهُ بِيلَاطُسُ: «أَمَا تُكَلِّمُنِي؟ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَاناً أَنْ أَصْلِبَكَ وَسُلْطَاناً أَنْ أُطْلِقَكَ؟»

أَجَابَ يَسُوعُ: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ. **لِذلِكَ الَّذِي أَسْلَمَنِي إِلَيْكَ لَهُ خَطِيَّةٌ أَعْظَمُ».**

مِنْ هذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيلَاطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلِقَهُ، وَلكِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: «إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا فَلَسْتَ مُحِبّاً لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكاً يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!»».

كتَبَ طابور: «هناك اتِّفاقٌ بين العُلماءِ على أنَّ القليلَ من هذه الرّوايات حولَ محاكمةِ يسوع أمامَ بيلاطُس هو موثوقٌ تاريخيّاً، وأنَّ هذه الرّوايات قد جرى تشكيلُها بالكاملِ من

= فيكون برخيا أحد أجداد زكريا، كما يُقال إنَّ يسوع ابن داود» (ص428).

أما زكريا المذكور في القرآن، أبو يوحنَّا المعْمدان (يحيى)، فهو شخصٌ ثالثٌ، من فرْقةِ ابيا. انظر **قاموس الكتاب المقدس**، ص427 ـ 428.

(1) **إنجيل يوحنَّا** 18: 29 ـ 31.

(2) **إنجيل يوحنَّا** 19: 6 ـ 12.

قِبَلِ التَّقاليد اللَّاهوتيَّة المسيحيَّة المتأخِّرة، التي أرادَت أنْ تضَعَ الملامة في موتِ يسوع كُلِّياً على الشَّعبِ اليهودي، في حين برَّأت الرُّومان بجعلِهم متعاطفينَ نحو يسوع، مع بيلاطُس، وأنَّه قد صنَعَ كلَّ الذي أمكنَهُ لإنقاذِ حياةِ يسوع. ذلك أنَّ جميعَ الأناجيل الأربعة للعهدِ الجديد، قد كُتِبَت بعد الثَّورةِ اليهوديَّةِ الكبرى ضدَّ الرُّومان (66 ـ 73م). فقد... وصلَت المشاعر المُضادَّة لليهودِ إلى درجةِ الالتهابِ لدى الرُّومان، وكانت أيَّةُ علاقةٍ ليسوع مع فتنةِ اليهود وعدمِ إخلاصِهم لروما ينْبغي تجنُّبها، إذا أرادت الحركةُ المسيحيَّة الجديدةُ أنْ تنتشِرَ بين الرُّومان. وكان من غيرِ الممكنِ إنكارُ أنَّ يسوع قد ماتَ بواسطةِ الصَّلْب الرُّوماني، وقد كان مُحرِجاً كثيراً. لكن الملامة في صلْبِهِ من المُمكنِ وضْعُها على عِنادِ اليهود... والذي نعرِفُهُ هو أنَّ بيلاطُس كان معروفاً بقسوتِهِ الشَّديدة وبوحشيَّتِهِ، وبعدَمِ خوفِهِ وتردُّدِهِ في احتقارِهِ وكراهيَّتِهِ لرعيَّتِهِ اليهود. فمنذُ وصولِهِ إلى اليهوديَّة، أصبحت رعونَتُهُ، وأصبح عنْفُهُ، أسطوريّاً... وامتلَكَ بيلاطُس سُمْعةَ الإقدامِ على الاعتقالِ من دونِ محاكمة، وبتجاهُلِ الإجراءات القانونية. وكان بيلاطُس حتى وإنْ اعتقَدَ بأنَّ يسوع كان لا ضرَرَ منه... كان سيشْعُرُ بالسَّعادةِ بإدانتِهِ من دونِ أيِّ تردُّد. فالصُّورةُ التي قدَّمَت فيها أناجيلُ العهدِ الجديد بيلاطُس، هي بكُلِّ بساطةٍ غيرُ صحيحةٍ تاريخيّاً»[1].

أقول: يمكنُ النَّظَرُ إلى الأحداث من الزَّاويةِ التي نظَرَ من خلالِها طابور، لكن يمكنُ كذلك النَّظَرُ إليها من خلالِ زاويةٍ أخرى. فقد يُقالُ إنَّ بيلاطُس مالَ إلى يسوع (كما سوف نرى في الفصْلِ القادم)، لا حُبّاً به، أو شفقةً عليه، بل بغْضاً باليهود، ونكايةً بهم.

بل قد يُقالُ بأنَّ مثلَ هذه التَّحليلات التي قدَّمَها طابور، وعددٌ من الباحثينَ المعاصرين (مثل جيرمي كوهين في كتابِهِ قتلة يسوع)[2]، تستهدفُ تخفيفَ الضَّغط على اليهود، لتحميلِ بيلاطُس مسؤوليَّةَ صلْبِ المسيح، بوصفِهِ هو الآمِر المباشِر بذلك.

هذا، بالإضافةِ إلى ما رأينا في الأناجيل، نجِدُ ما يُرسِّخ مسؤولية اليهود، في سِفْرِ أعمال الرُّسُل[3]، ورسائلِ بولُس، كقولِهِ لأهلِ تسالونيكي:

«فَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ اللهِ الَّتِي هِيَ فِي الْيَهُودِيَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لأَنَّكُمْ تَأَلَّمْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً مِنْ أَهْلِ عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الآلاَمَ عَيْنَهَا، **كَمَا هُمْ أَيْضاً مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ**

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص259 ـ 260.

(2) Jeremy Cohen, **Christ Killers**, Oxford University Press, 2007.

(3) **سفر أعمال الرُّسُل**، 2: 23، 2: 36، 4: 10، 4: 27، 5: 30، 10: 39، 13: 27 ـ 28.

قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ للهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ. يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا، حَتَّى يُتَمِّمُوا خَطَايَاهُمْ كُلَّ حِينٍ. وَلكِنْ قَدْ أَدْرَكَهُمُ الْغَضَبُ إِلَى النِّهَايَةِ»[1].

ثمَّ جاءت عظةُ ميليتو (180م) أسْقُف سادْرِس المكتشَفةُ مؤخَّراً، لتُلْقي الضَّوءَ على الصِّراعِ المُبكِّر بين اليهودِ والمسيحيِّين، الذي بلَغَ ذُوْرَتُهُ في تحميلِ اليهود المسؤوليَّةَ الكاملةَ عن صلْبِ المسيح. فقد اكتشَفَ «كامبل بونر» مقالاً لميليتو بعنوان «عِظَةٌ عن الآلام» كاملاً تقريباً، وقد قامَ بنشْرِهِ. وكانت هذه العِظةُ حتى ذلك الحين غيرُ معروفة عنواناً، إلا أنَّه كان يوجدُ منها بعضُ شذراتٍ بلا عنوانٍ باللُّغاتِ السِّرْيانيَّةِ والقبْطيَّةِ واليونانيَّة[2].

وكما يدُلُّ عنوانُ العِظَة «عِظَةٌ عن الآلام»، تتناولُ العِظَةُ المكتشفةُ حديثاً آلامَ يسوع المسيح. وقد أُعيدَت فيها صياغةُ قصَّة الخروج - وخاصَّة تأسيس وليمة الفصْح - وفُسِّرت على أساسِ أنَّها رمزٌ لعمَلِ المسيح الخلاصي، فلقد أصبحَ كلٌّ من الخروجِ والفصْحِ رمزاً لما حدَثَ لاحقاً عندما ماتَ يسوعُ وقامَ مُجدَّداً. إنَّ آلامَ المسيح وموتَهُ تضمَنُ للمسيحي هروبَهُ من الخطيةِ والفناء، كما أنَّ حمْلَ الفصْح المذبوح ضمِنَ للعَبْرانيِّين الهروبَ من مصر[3]. إنَّ المسيحيِّين مثلُهُم مثلُ اليهود، قد خُتِموا كعلامةٍ على خلاصِهِم، لكن اليهودُ قد رفضوا الرَّبَّ وقتلوهُ كما تنبَّأَ الأنبياء، وبالرَّغمِ من أنَّ موتَهُ كان مُحدَّدٌ مسبقاً، إلا أنَّ مسؤوليَّتَهُم عنه كانت باختيارِهِم.

في كلِّ ذلك نلمَسُ تحميلَ اليهود بالتدريج المسؤوليَّةَ الكاملة لما جرى ليسوعِ المسيح، وتقليل مسؤوليَّة الرُّومان عموماً، وبيلاطُس خصوصاً، إلى الحدِّ الأدنى.

---

(1) رسالة بولُس الأولى إلى أهل تسالونيكي 2: 14 - 16.

(2) وتشَغُل تلك العظة الجزءَ الأخير من مخطوطةٍ بَرْديةٍ تعودُ إلى القرْنِ الرَّابع الميلادي تحتوي على الفصولِ الأخيرة من سِفْرِ أخنوخ، تنتمي ثماني أوراق منها إلى مجموعةِ تشيستر بيتي والمتحف البريطاني، وستُّ أوراقٍ إلى جامعةِ متشيجان.

(3) المقصود بـ قصة الخروج: قصة خروج النبي موسى مع بني إسرائيل من مصر، ولحاق فرعون بهم. فقبل خروجهم - وفقاً للتوراة - يوم الفصح أمروا بأن يذبحوا ذبائح، دون أنْ يكسروا لها عظماً، ويمسحوا بدمها عتبات بيوتهم، حتى يتلافوا الشرَّ الذي سيلحق بفرعون وقومه، وحتى ينجيهم الله من شرِّه.

الحادثة حقَّقت نبوءات الأنبياء:

وفقاً للمسيحيِّين، آلامُ يسوع المسيح حقَّقت نبوءات الأنبياء، الواردة في الكتابِ المقدَّس العِبْري.

من أبرزِ ذلك ما وَرَدَ في سفر إشعيا[1]:

«مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. **وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ،** وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، **وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.** مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ **وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ.** عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ».

ويُقالُ إنَّ اليهودَ كانوا يُفسِّرونَ هذه المقاطِع على أنَّها تتحدَّث عن المسيحِ حتى القرْن الثاني عشر. لكن نتيجةَ جدالِهم مع المسيحيِّين اضطرُّوا أنْ يُفتِّشوا عن تفسيرٍ آخر. فقالَ بعضُهُم إنَّ المقصودَ بها همُ البقيَّةُ الصَّالحةُ من شعْبِ اليهود[2]، والبعضُ قالوا إنَّه أرْميا، والبعض يوشيَّا.

أيضاً في سِفْرِ المزامير[3]:

«عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ. **كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: «اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ».** لأَنَّكَ أَنْتَ جَذَبْتَنِي مِنَ الْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي مُطْمَئِنّاً عَلَى ثَدْيَيْ أُمِّي. عَلَيْكَ أُلْقِيتُ مِنَ الرَّحِمِ. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي. لاَ تَتَبَاعَدْ عَنِّي، لأَنَّ الضِّيقَ قَرِيبٌ، لأَنَّهُ لاَ مُعِينَ.

أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اكْتَنَفَتْنِي. فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ

---

(1) **سفر إشعيا** 53: 3 ـ 9.

أقول: انطباقُ هذه العبارات على يوحنَّا المعمدان قد يكونُ أوضحَ بكثيرٍ من انطباقِها على يسوع.

(2) Tovia Singer, **Why Doesn't Judaism Accept the Christian Messiah**? Vol1, 102 – 109, Vol 2, p116.

(3) **سِفْر المزامير**، المزمور 22: 6 ـ 18.

مُزْمِجِرٍ. كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي. يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي. **لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ»**.

ويرُدُّ اليهودُ على ذلك، بأنَّ المسيحيِّينَ صوَّروا النَّصَّ وكأنَّه ينطُقُ بلِسانِ يسوع، ويُؤكِّدُ اليهودُ على أنَّ ثمَّةَ تحريفاً قد وقعَ في ترجمةِ النَّصّ[1]. وعموماً، يرى اليهودُ أنَّ بعضَ تفاصيل آلام يسوع تمَّ تصميمُها لتنْسجِمَ مع نبوءاتِ الأنبياء في الأسفارِ القديمة (كالاقتراعِ على ملابسِ يسوع، وكسْرِ سيقان بقية المصْلوبين مع يسوع دونَهُ لتشبيهِهِ بأُضحية الفصْح التي يُشترَط أنْ لا يُكسَر لها عظْمٌ)[2].

- أما ما جاءَ في سِفْرِ زكريا عن نَوْحِ اليهود لما فعلوهُ بالمسيح بعد رجوعِهِ، كالتالي:

«وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنِّي أَلْتَمِسُ هَلاَكَ كُلِّ الأُمَمِ الآتِينَ عَلَى أُورُشَلِيمَ. وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ **إِلَيَّ**، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَعْظُمُ النَّوْحُ فِي أُورُشَلِيمَ...»[3]، فيُؤكِّدُ اليهودُ على أنَّ ثمَّةَ تحريفاً في ترجمةِ هذه العبارة عن العِبْريَّة. مضافاً إلى أنَّنا نجدُ أنَّ إنجيل يوحنَّا يقتبسُها بنحوٍ مُحرَّف، فيقول: «وَأَيْضاً يَقُولُ كِتَابٌ آخَرُ: «**سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ**»»[4].

والجدير بالذِّكر، أنَّ بعضَ اليهود يتشبَّثُ بما ورَدَ على لسانِ يسوع المسيح في إنجيلِ لوقا[5]، عندما تمَّ سوقُهُ للصَّلْب: «يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»، ليُؤكِّد على إنجيل متَّى وإنجيل يوحنَّا مارسا تهويلاً وتضخيماً لدورِ اليهود وتحميلِهم مسؤوليَّة قتْلَ المسيح.

الصَّلْبُ عند الرُّومان:

كان الصَّلْبُ Crucifixion عقوبةً رائجةً عندَ الرُّومان في القرْنِ الأول الميلادي لحظةَ تنفيذِ الإعدام. وكان الصَّلْبُ يتمُّ بربطِ اليدين والرِّجلين بالصَّليب، أو بصورةٍ أفظَع بتسميرِ

---

(1) Tovia Singer, Why Doesn't Judaism Accept the Christian Messiah? Vol 2, p17 – 30.

(2) انظر **إنجيل يوحنا** 19: 23 ـ 36، ليطابق ما جاء في **المزمور** 22: 18، **الخروج** 12: 46، **العدد** 9: 12.

(3) **سفر زكريا** 12: 9 ـ 11.

(4) **إنجيل يوحنا** 19: 37.

(5) **إنجيل لوقا** 23: 34.

الجسْم بالمسامير. وكانت طريقةُ القِصاص هذه معروفةً لدى أُمَمٍ كثيرة. أما عند الرُّومان، فكان الصَّلْبُ قِصاصاً مُخصَّصاً لغيرِ الرُّومان، للطَّبقاتِ الدُّنيا كالعَبيدِ أو اللُّصوص، أو لمن يرتكب أقبحَ الجرائم (خصوصاً إذا كانت سياسيَّة بحقِّ الدَّولة). وأما المواطنُ الرُّوماني العادي، فقد أعفاهُ القانونُ صراحةً من هذا القِصاص[1]، وظلَّ الصَّلْبُ قائماً حتى ألغاهُ الإمبراطور قسْطَنْطين لأسبابٍ دينيَّة.

وكثيراً ما كان يسبِقُ الصَّلْبَ تعذيبُ الضَّحيَّةِ بالجلْد. وبعد هذا التَّعذيب، كان عليه أنْ يحمِلَ صليبَهُ إلى حيثُ يُصْلَب. وحمْلُ الصَّليبِ، ثمَّ الصَّلْب، كان يستهدفُ الإهانةَ وإلحاقَ الذُّلِ والعارِ بالمصْلوب. ولمَّا كانت الضَّحيَّةُ تُعلَّقُ على الصَّليبِ تعليقاً، فإنَّها ما كانت تموتُ إلا بعد فعلِ الجوعِ والعطَش، وأحياناً هذه كانت الحال لما كانت اليدان والرِّجلان مسمَّرتينِ بالمسامير.

كتَبَ وِلْ ديورانت: «كانت يدُ المذْنبِ وقدماهُ تُدَقُّ (أو تُربَطُ في حالاتٍ نادرة) إلى الخَشَبة، وكانت فيها قطعةٌ بارزةٌ تَسْنِدُ العمودَ الفقري أو القدمين. وإذا لم يُرْحَم المذْنِب فيُقتَل، فإنَّه يبقى على هذه الحال يومين أو ثلاثة أيام، يُقاسي فيها آلامَ عدم الحركة، وهو عاجزٌ عن طرْدِ الحشرات التي تتغذَّى من لحمِهِ العاري، فتخورُ قواهُ ببُطءٍ حتى يقِفَ القلْبُ عن الحركة، ويضَعَ حدّاً لهذا العذابِ الأليم»[2].

وللصُّلْبانِ نماذجَ رئيسيَّة ثلاثة: أحدُها على شكلِ ×، وثانيها على شكلِ T، وثالثُها على شكلِ +، حيثُ يعلو طرَفَ القائم العموديّ العارضةَ الأُفقيّة، وهذا الأخير هو شكلُ صليب المسيح كما ورَدَ في تقليدِ الكنيسة، وعلى الجُزْءِ العُلْويّ البارز يُعلِّقُ الجنودُ سبَبَ الإعدام، وهو الشَّكلُ الذي سارَ عليه الفنَّانونَ في لوحاتِهم[3].

بالإضافةِ إلى تنوُّعِ أشكال الصَّليب، اختلفَت طُرُقُ الصَّلْبِ لا من مدينةٍ إلى أُخرى وحسْب، بل من إعدامٍ إلى آخر. ممَّا يجعلُ عمليّةَ التَّصنيفِ أمراً صعباً. ومع ذلك، ميَّزَ هيرودُتس نوعينِ من الصَّلْب، الأوّل يتمثَّلُ في صلْبِ الإنسانِ حيّاً، والثاني يتمثَّلُ في تعليقِ جثّةِ قتيلٍ على الصَّليب.

كتَبَ طابور: «وصَفَ يوسيفوس الصَّلْبَ الرُّومانيَّ على أنَّه «أكثر الميتاتِ تعاسةً». فكلُّ

(1) ولذا صُلِبَ الحواري بُطْرُس في روما، لأنَّه لم يكن مواطناً رومانيّاً. أما بولُس فلم يُصْلَب، لأنَّه كان مواطناً رومانيّاً، وقيل إنَّه أُعدِمَ بقطْعِ رأسِهِ.

(2) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص237.

(3) **قاموس الكتاب المقدس**، ص545 ـ 546.

واحدٍ نشأَ في فلسطين الرُّومانيَّة في القرْنِ الميلادي الأوَّل، عرَفَ الهوْلَ الناجِمَ عن هذا الرُّعب، إما بالتَّجرُبةِ المباشرة، وإما بواسطةِ المشاهدة. فقد كان ضحايا الصَّلْب البائسون، يُترَكونَ على الصُّلْبانِ لأيام، حيثُ كانوا يُشكِّلونَ مشْهداً عاماً للسُّكَّانِ اليهود. وقد روى يوسيفوس أنَّه في أثناءِ حصار الرُّومان لأُورشليم في صيفِ العام 70م، وصَلَ عددُ الأسرى الذين صُلِبوا يومياً الخمسمائة. ولذلك كانوا من الكثرةِ بمكانٍ، إلى حدٍّ أنَّه لم تُترَك أحراشٌ في المنطقة، لأنَّ جميعَ الأشجارِ قُطِعَت.

ولدينا معلوماتٌ لا بأسَ بها حولَ طرائقِ الرُّومان التي استخدَموها في صلْبِ ضحاياهُم، ذلك أنَّنا لا نمتلِكُ فقط المصادِرَ المكتوبة، بل جرى الكشْفُ في العام 1968م عن بقايا هيكلٍ عظْميٍّ لذَكَرٍ كان ضحيَّةَ الصَّلْب. وحصَلَ الاكتشافُ في قبْرٍ وقَعَ إلى الشَّمالِ من أورشليم، على طريقِ نابلس، وقد كان في العشْرينات من عُمرِهِ، كان اسمُهُ يهوه حانان حسْبَما نُقِشَ على ناووسِهِ[1]. وتُعطي بقاياهُ نظرةً مدهشةً حول التَّفاصيل التي تعلَّقَت بالصَّلْبِ الرُّوماني، حسْبَما مورِسَت في أورشليم الرُّومانية للقرْنِ الأول.

ونحنُ نعرفُ بأنَّ المساميرَ وُضِعَت خلالَ الذِّراعينِ الأماميَّين، وليس خلالَ اليدين، حيثُ غُرِسَت فيما بين عظْمَي الكُعْبُرة والزَّنْد[2]. فبهذه الطَّريقةِ، كان مضْموناً ربْطُ الذِّراعينِ بعارضَةِ الصَّليب. وظهرت على عظامِ العُكْبُرة لدى يهوه حانان آثارُ الكسْرِ فيما بين المسْمارِ والعظْم. وكان الأطبَّاءُ قد أظهروا بأنَّ المساميرَ من خلالِ اليدينِ لن تتحمَّل وزْنَ الجسَد، وأنَّ المساميرَ خلالَ الرُّسْغِ سوف تُفجِّرُ الأوعيةَ الدَّموية. فلقد تطلَّبَ «علْمُ» الصَّلْبِ، تثبيتَ المسامير بطريقةٍ تحُدُّ كثيراً من النَّزيف، وإلا كان الضَّحيَّةُ سيعبُر سريعاً ويموت خلالَ دقائق. واستخدَمَت الإشاراتُ في الأناجيلِ حولَ ثقْبِ يدَي يسوع كلمةً إغريقيَّة، يمكنُ أنْ يُفهَمَ منها أنَّها تضمَّنَت الذِّراعين. وكان القدَمانِ يُسمَّرانِ من خلالِ عظْمِ الكعب، فهذا هو أكبرُ

(1) جاء في المعجم الوسيط: النَّاووس صندوقٌ من خشَبٍ أو نحوهِ يضَعُ النَّصارى فيه جثَّةَ الميِّت. والنَّاووسُ مقبرةُ النَّصارى، والجمْعُ «نواويس». وجاءَ في معجمِ الرائد: ناووس: حجرٌ منقورٌ تُجعلُ فيه جثَّةُ الميِّت.

(2) السَّاعد يتركَّب من عظْمتين هما: الزّند والكُعْبُرة، والطَّرَف العُلوي للزّندِ سميكٌ، ويتَّصلُ بالعضُدْ، أما الطَّرفُ السُّفْلي فرفيعٌ ويتَّصلُ بعظْمتين من عظامِ الرُّسْغ. والزَّندُ هو العظْمُ المواجِهُ للخُنْصُر، أما الكُعْبُرة فهي عظْمٌ أصغَر من الزّندِ ومواجِهُ للإبهام. والزّندُ يظلُّ ثابتاً في موضعِهِ إذا قلَبْتَ اليدَ إلى الأسفل، أما الكُعْبُرة فهي تتحرَّكُ بحيثُ تُقاطِعُ الزنْدَ، وهذا يُساعِدُ في انطلاقِ اليدِ في الأعمالِ اليدوية التي تؤدِّيها.

العظامِ في القدم. وكان خرْقُ هذا العظْم لا يتسبَّب بتدفُّق الدِّماء ونزيفِها. وبالنِّسبةِ لوضْعِ يهوه حانان، ما يزالُ المسْمارُ سليماً خلالَ عظْم الكعب. فعندما أُنزِلَ من على الصَّليب، ونُقِلَ من فوقِهِ، التوى المسْمارُ وشكَّلَ عُقدةً داخلَ الخشَب، فكان الذي نقلَهُ قد قامَ ببساطةٍ بقطْعِ الخشب، تاركاً المقطوعُ مرتبطاً بقدمِهِ.

وكان الموتُ بوساطةِ الصَّلْب مسيرةً بطيئة، وكان يأخُذُ وقتاً طويلاً يصِلُ إلى يومينِ أو ثلاثة أيام. وكان الضَّحايا يُجرَّدونَ من ثيابِهِم إلى أنْ يُصبِحُوا عُراةً، فيصيرونَ عُرْضةً لشمْسِ البحرِ المتوسِّط المُحرِقة. وكان الموتُ ينْجُمُ عن الجمْعِ بين الصَّدمةِ، والإنهاكِ، وتشنُّجِ العضلات، والجفافِ بزوالِ المياه، وفقدانِ الدَّم، والاختناقِ أو توقُّفِ القلْب، واعتماداً على الزَّاويةِ التي جرَت بها مسْمَرةُ الذِّراعينِ والرِّجلين. بذلك كان من المُمكنِ جلْبُ الموتِ بسُرعةٍ أكبر، أو إطالتُهُ. وكان يجري دعْمُ الكِفْلينِ (العجُزين) وسنْدُهُما بواسطةِ قطعةٍ من الخشْبِ اسْمُها Sedecula، فهذه كانت تُسنِدُ الجسَدَ قليلاً. ومع مرورِ الوقت، وانتشارِ الإرْهاق، يُصبحُ التنفُّسُ بالفعلِ صعْباً. وإذا توفَّرَ سببٌ لتسريعِ الموت، وقتَها كان من الممكنِ كسْرُ ساقَي الضَّحيَّة. فذلك كان يتسبَّبُ بهُبوطِ الجسَد، ويجعل التنفُّس بعد وقتٍ قصيرٍ مستحيلاً.

وروى يوسيفوس حكايةً مفادُها أنَّه شاهدَ بين العددِ الكبيرِ من الأسرى المصْلوبين، أثناءَ الثَّورة اليهوديَّة، ثلاثةً من معارفِهِ السَّالفين، في قريةٍ قُرْبَ أورشليم. فرجا القائدَ الرُّوماني ثيطُس بأنْ يسْمَحَ بإنزالِهِم من على الصُّلْبان، وأنْ يوضَعُوا تحتَ عنايتِهِ. وجرى استدعاءُ طبيبٍ. وعلى الرَّغمِ من جهودِهِ، ماتَ اثنانِ منهم، ولكن واحداً تمَّتْ معالجَتُهُ حتى عادَ إلى الصَّحةِ وتعافى. وغالباً ما ترَكَ الرُّومانُ الجُثَثَ حتى تهترئ على الصُّلْبان، ولكن الشَّريعة اليهوديَّة قضَت بدفْنِ الذين جرى «تعليقُهُم على شجرةٍ» في اليوم نفسِهِ الذي صُلِبوا فيه. وكان اليهودُ عندما ينالونَ الإذْنَ، ينقُلُونَ الجُثَثَ قبلَ الفجْرِ، ويتولَّونَ دفنَها. وبما أنَّ ساقَي يهوه حانان كانا مكسورَيْن، يُرجَّح أنْ جرى التَّسريعُ بموتِهِ، للسَّماحِ بدفنِهِ في اليومِ نفسِهِ لصلْبِهِ»[1].

محطاتٌ في صراعِ اليهود والمسيحيِّين:

إذا أردْنا أنْ نأخُذَ نظرةً بانوراميةً سريعةً للغايةِ لأهمِّ محطَّات الصِّراع بين اليهودِ والمسيحيِّينَ على امتدادِ التَّاريخ، فيمكنُ ذِكْرُ النُّقاط التَّالية:

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص262 ـ 264.

- المزاجُ العامُّ عند اليهودِ المعاصرين ليسوع كان مُنْقَسِماً إلى قسْمين. قسْمٌ كان يُنسِّقُ مع المحتلِّ الرُّومانيّ، إما خيانةً لقومِهِ أو مداراةً له عن كراهية، و«الهيرودِيُّون» فضْلاً عن «الصدوقيِّين» وعددٍ وافرٍ من «الفريزيِّين» كانوا من هذا القسْم. وقسْمٌ آخرَ كان يحمِلُ روحاً ثوريَّة ضدَّ المحتلِّ الرُّومانيّ، وكان يُطلَقُ على هؤلاء اسْمَ «زيَلوت» Zealot (أو «الغيوريُّون»).

كلا القسْمين لم يكن مرتاحاً من يسوع. القسْمُ الأول كان مُتخوِّفاً من وضْعِ يسوع أو مُسْتاءً منه. متخوِّفاً من أنْ يقومَ بثورةٍ ما ضدَّ المُحتلِّ الرُّومانيّ، أو مُسْتاءً من العلاقةِ الطَّبيعيَّةِ بينه والرُّومانِ. هؤلاء كانوا يرْغبونَ في إفسادِ علاقتِهِ مع الرُّومان[1].

أما القسْمُ الآخر، فكان يعتبرُ هذه العلاقة الطَّبيعيَّة انحرافاً وخيانةً، لأنَّكَ كيهوديّ لا بدَّ أنْ تُظهِرَ التبرُّؤَ من الرُّومانِ بوصفِهِم وثنيِّين ومُحتلِّين، خصوصاً إذا ادَّعيتَ أنَّكَ «المسيحَ المنتظَر». في المقابل، كان أتباعُ يسوع من الجماهيرِ البسيطة، كالفلَّاحين والصيَّادين... الخ.

- حرَّضَ رؤساءُ اليهود الرُّومانَ (الوثنيِّين والمُحتلِّين) على قتلِ يسوع، رغم أنَّه يهوديٌّ مثلُهُم ينحدِرُ من إسرائيل.

- بعد يسوع، عانى أنصارُهُ الأمرَّين من رؤساءِ اليهودِ في أورشليم، فتشتَّتوا في نواحي فلسطين[2]، ثمَّ اضطرُّوا للهجرةِ إلى الأردن وتركيا ومصْرَ وأوروبا.

- في سنةِ 64م أحرَقَ نيرون الرُّومانيّ روما، ثمَّ بحثَ عن كبشِ فداءٍ يتَّهِمهُ بذلك، وكان اليهودُ في حمايةِ إحدى زوجاتِهِ، فلم يجد أمامَهُ إلا أتباعَ المسيحيَّة الوليدة، فاتَّخذَها ذريعةً لملاحقتِهِم وتعذيبِهِم.

---

(1) خذ على سبيل المثال هذه القصة من **إنجيل متى** 22: 15 ـ 22: «حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلَامِيذَهُمْ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ. فَقُلْ لَنَا: مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟» فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ». فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَاراً. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» قَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ». فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا».

وتجدها أيضاً في **إنجيل مرقس** 12: 13 ـ 17، **إنجيل لوقا** 20: 20 ـ 26. مع ملاحظة أنَّ كلمة «مراؤون» لا نجدها إلا في **إنجيل متى**.

(2) **سفر أعمال الرسل** 8، 1 ـ 3.

- الطَّلاقُ البائنُ بين رؤساءِ اليهود وأتباع يسوع حصَلَ مع تدميرِ الهيكل الثاني 70م، حيثُ تبرَّأَ المسيحيُّونَ من اليهود، ورأوا أنَّ ما جرى كان عقاباً إلهيّاً على ما اقترفوهُ بحقِّ يسوع المسيح وأتباعِهِ.
- قصَّةُ أهل الكهف تتحدَّثُ عن المعاناةِ التي واجهَها المسيحيُّون في هذه المرحلةِ من التاريخ، والاضْطهاد الذي لاقَوهُ بسببِ هيمنة الرُّومان الوثنيِّين.
- بعد تنصُّرِ قسْطَنْطين (سنة 312 ـ 313م على ما قيل)، تبدَّلَتْ الأمور. فقد بدأ التَّضييقُ على اليهودِ وملاحقتُهُم، فصاروا يعيشونَ في القُرى والأرياف، ويتجنَّبونَ المُدُنَ الكبيرة. فالرُّومانُ بالأمسِ تمَّ تحريضُهُم على قتلِ المسيح، وها همُ اليوم يُصبحونَ حُماةَ الدِّين المسيحي الوليد.
- تُحدِّثُنا بعضُ كُتُب التَّاريخ عن محرقةٍ ارتكبَها أبو نوَّاس الحِمْيَري اليهودي 426 ـ 527م للمسيحيِّين في نجْران، ويُشكِّكُ آخرون بوقوعِها، ويقولُ كثيرٌ من المُفسِّرين أنَّهُم هم أصحابُ الأخدود المقصودونَ في مطْلَعِ سورة البروج، في قولِهِ تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[1].
- الإمبراطورُ الرُّومانيّ جوستَنْيان حرَّم سنة 553م نشْر وتوزيع الكُتُب التلْموديَّة في جميعِ أنحاء الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة. وهذا يكشِفُ عن اطِّلاعِ الدَّولة الرُّومانيَّة المبكِّر ـ بعد تنصُّرِها ـ على محتويات التلْمود، ولو بنحوٍ إجمالي.
- في الحروبِ الصَّليبيَّة لم يُستهدَف المسْلِمونَ فقط، بل استُهدِفَ اليهودُ أيضاً. ومع سقوطِ الأندلُس التدريجي، من القرْنِ الثامن إلى القرْنِ الخامس عشر الميلادي، كان يتمُّ تخييرُ اليهود بين الطرْدِ منها أو التنصُّر، فتشرَّدَ يهودُ الأندلُس في الشَّتات، وفقدوا أفضَلَ فترات تاريخِهِم التي عاشوها في ظلِّ حُكْمِ المسلمين في الأندلس.
- مع اختراعِ المطْبعة في القرْن السَّادس عشر، وخروج أول نسخة للتلْمودِ في البندقيَّة 1520م، تكشَّف ما تضمَنهُ التلْمود من سيلِ الشَّتائم والإهانات للمسيحِ وأُمِّهِ. فقامت قيامةُ الكنيسةِ وأتباعِها، وشعرَ اليهودُ بالذُّعرِ الشَّديد، وحاولوا تدارُكَ ذلك بسحبِ

(1) سورة البروج، الآيات 3 ـ 8.

النُّسَخ المتداولة، وحذْفِ ما يُسيءُ إلى المسيح في الطَّبعاتِ اللاحقة. جاء في القرآن: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ....﴾[1].

- بعدَ نشوءِ البروتستانتية في القرْنِ السَّادس عشر، أصدَرَ مارْتِن لوثَر كتابَهُ يسوع وُلِدَ يهودياً سنة 1523م، قالَ فيه إنَّ اليهودَ هم أبناءُ اللهِ وإنَّ المسيحيِّينَ همُ الغرباء. ويرى كثيرٌ من الكُتَّابِ والمُؤرِّخين أنَّ هذه الفترة تُعَدُّ الولادة الحقيقيَّة والفعلية للمسيحيَّةِ الصُّهيونيَّة، التي تقومُ على تفضيلِ الشَّعائرِ العبريَّة في العبادةِ على الشَّعائرِ الكاثوليكيَّة، بالإضافةِ إلى دراسةِ اللُّغةِ العِبْريَّة على أساسِ أنَّها لغة الله.

- الحادثةُ الجلَل المعروفة بـ «المحْرقة» أو «الهولوكوست» (1938 ـ 1945م)، التي أوقَعَها النِّظامُ النَّازي باليهود (التي قيل إنَّ 6 ملايين يهودي وقعوا ضحيَّتَها، وهو رقمٌ مبالغٌ به بكلِّ تأكيد)، تأتي في هذا السِّياق. فالكثيرُ من يهودِ اليوم يُؤكِّدُونَ على أنَّ موقفَ الدِّينِ المسيحي عموماً، والكنيسةِ خصوصاً، كان له دورٌ أساسٌ في منحِ النِّظام النَّازي شرعيَّةَ القيام بتلكَ المحْرقة. ولولا هذا الموقف، لما تجرَّأ النِّظامُ النَّازي (وعلى رأسِهِ هتْلر) على القيامِ بذلك. والصُّورُ الفوتوغرافيَّة والتواريخ تُؤيِّدُ ذلك. وكتابُ كفاحي لهتلر يشي بالكثيرِ من الكراهيةِ لليهود.

- في 2011م، أعلَنَ البابا بنديكْت السَّادس عشر، بابا الفاتيكان، في الجزءِ الثالثِ من كتابِهِ الجديد يسوع النَّاصري عن تبرئةِ اليهود من دمِ المسيح. وقالَ بابا الفاتيكان، إنَّ كتابَهُ هو تأكيدٌ رسميٌّ على تبرئةِ اليهود من دمِ المسيح، من خلالِ دراسةٍ مهمَّةٍ تقعُ في ثلاثةِ أجزاء، تتناولُ حياةَ المسيح في شبابِهِ وفترةِ تبليغ الرِّسالة، والعنفَ الذي ارتُكِبَ باسْمِ المسيح... وقالَ بابا الفاتيكان: «إنَّ الكتابَ هو رسالةٌ لكلِ العالَمِ من أجلِ التأكيدِ على براءةِ اليهود من دمِ المسيح». وأكَّدَ البابا على أنَّ الإشارةَ في الأناجيلِ إلى أنَّ الذين أصرُّوا على الصَّلْبِ هم «اليهود» لا يُشيرُ إلى كلِّ الشَّعبِ اليهودي، بل إلى كهنةِ الهيكل، بل وحتى البعضَ منهم فقط. ولا يوجدُ رابطٌ بين الإشارةِ القديمة وبين المعنى العِرْقي المميِّز لليهود اليوم. في المقابل، أصدرَ رئيسُ وزراء الكيان الصُّهيوني بنيامين

(1) سورة النساء، الآيتان 156 ـ 157.

نتناهو بياناً أعلنَ فيه أنَّه قد بعثَ برسالةِ شُكرٍ إلى البابا لرفضِهِ الاتِّهام الخاطئ الذي شكَّلَ الأساس لمعاداةِ السَّاميَّة وكراهيةِ اليهود عبرَ القرون.

موقفُ اليهود:

الموقفُ الميداني العامّ والمُعلَن لليهود (بعدما رأوا عواقبَ الاتِّهام الجماعي لهم بقتْلِ المسيح على مرِّ القرون)، تمثَّلَ في محاولةِ الكثير منهم التبرُّؤَ أو التنصُّلَ من إظهارِ التأييد لقتْلِ المسيح، وأكدوا في المقابلِ على أنَّ دورَ اليهود قد تمَّ تضخيمُهُ، ولا يصُحُّ تعميمُهُ. لأنَّ المُتسبِّب الرَّئيسي في هذه الجريمة المفترضة هو بيلاطُس الرُّوماني الذي أمرَ بقتْلِ المسيح، وهذا لا ينفي تورُّط قيافا (رئيس كهنة اليهود) وبعض جموع اليهود المحتشِدة عند قصْرِ بيلاطُس في التحريضِ على قتْلِهِ. لكن لا يصحُّ تعميمُ ذلك على كلِّ يهودِ عصرِهِ، الذين كان بعضُهُم خارج أورشليم، أو مجرَّدُ زائرٍ لأورشليم. كما لا يصحُّ تعميمُ ذلك على الأجيالِ اللاحقة من اليهود.

والحقيقةُ أنَّ موقفَ اليهودِ من صلْبِ يسوع متفاوتٌ؛ فبعضُهُم يجادِلُ بأنَّ يسوعَ قد نالَ ما يستحقُّ من عقوبةٍ[1].

وبعضٌ ثانٍ يجادلُ بتهكُّم بأنَّ المسيحيِّين إنْ كانوا يدَّعونَ بأنَّ يسوع قد افتدى البشريَّةَ في خطيئَتِها، وأنَّ بصلْبِهِ قد حصَلَ الخلاص، فيُفترض أنْ يكونوا ممتنِّينَ لِمنَ صلَبَهُ![2].

وبعضٌ ثالثٌ يرى أنَّ صلْبَ يسوع يُعبِّرُ عن إرادةِ الله، ويُفترَض أنْ نُسلِّمَ لإرادةِ اللهِ، ولا نعترِضَ عليها![3].

وبعضٌ رابعٌ يُجادِلُ بأنَّ يسوعَ قد قالَ مصْلوباً: «اغفِر لهم يا أبي....»[4]، على هذا الأساس يُفترَضُ عدَمُ التَّهويل طالما أنَّ صاحبَ الشَّأن قد طلَبَ لهُمُ المغفرة[5].

وبعضٌ خامسٌ جادَلَ في المقْطَعِ الثَّاني من كلمةِ يسوع مصْلوباً: «..... لأنَّهُم لا يعرِفُونَ

---

(1) Jeremy Cohen, **Christ Killers**, Oxford University Press, 2007, p145 – 147.

(2) Ibid, p147 – 148.

(3) Ibid, p148.

(4) **إنجيل لوقا** 23: 34.

(5) Jeremy Cohen, **Christ Killers**, Oxford University Press, 2007, p148.

ما يعْمَلون»[1]، فإنْ كان الدَّافعُ لقتلِهِ أو التَّحريض على قتلِهِ هو جهْلُهُمُ الأعمى، فهل يؤاخَذُ الجاهل؟[2].

وأنكَرَ بعضٌ سادسٌ أنْ يكونَ اليهود قد صلبوا يسوع، فمَنْ قامَ بصلْبِهِ هم الرُّومان، وبيلاطُس البُنْطي بالتَّحديد هو الذي أصدَرَ الأمرَ بذلك، فلماذا يُحاسَبُ اليهودُ على ذلك؟[3].

إلا أنَّ ما ينطوي عليه تراثُهُم مختلفٌ عن موقِفِهم الميداني، فالتلْمودُ لا يتَّهِمُ يسوع أنَّه ابنُ زنا فحسْب، بل يتَّهمهُ أيضاً بأنَّهُ ابنٌ لغيرِ يهودي (ابن باندیرا Ben Pandira أو ابن بانتيرا، الجنْدي الرُّوماني)[4]، وابنُ عاهرة (ابن ستادا Ben Stada أو ابن ستارا)، وأنَّه عادَ من مصْر يمارسُ السِّحرَ،[5] وأنَّه كان على علاقةٍ جنْسيَّةٍ مشبوهةٍ مع مريم المجدليَّة[6]، وأنَّه حرَّضَ إسرائيل على عبادةِ الأصنام، لذا كان مُستحقّاً للشَّنْق[7]، وأنَّه كان مُقرَّباً من الحكومةِ الرُّومانيَّةِ المعاديةِ أصلاً لليهود (ومن ثمَّ ذهبَ المنادي قبلَ أربعينَ يوماً من الإعدام لطلَبِ شهودٍ آخرين)[8]، وأنَّه رُجِمَ أولًا ثمَّ شُنِق (خلافاً لروايةِ العهد الجديد التي تتحدَّث عن الصَّلْب)[9].

لذا يؤكِّد بعضُ الباحثينَ على أنَّ التلْمودَ البابلي يُعلِنُ بفخرٍ عن المسؤوليَّةِ اليهوديَّةِ في قتْلِ ابن مريم، بدلاً من الشُّعورِ بالعار. رسالةُ التلْمود هي: نحنُ نقبَلُ بالمسؤوليَّةِ عن موتِ هذا الكاذِب، وما من سببٍ يدْعونا لأنْ نشعُرَ بالحياءِ أو بالذَّنبِ لأجلِ ذلك. نحنُ لسْنا قتلةَ المسيحِ وابن الله، ولا ملِك اليهود (لأنَّا لا نؤمن أنَّه كذلك)، بل نحنُ من أعدَمَ المجدِّف وعابد الأوثان، ولنا الحقُّ في ذلك، وقد حُكِمَ عليه وفقاً لتكليفِنا الشَّرعي، وبإجراءاتٍ قضائيَّةٍ عادلةٍ أيضاً[10].

إلا أنَّ اليهودَ يدافعونَ عن أنفُسِهِم بالادِّعاءِ بأنَّ تلكَ العبارات التلْموديَّة المُسيئة لا

---

(1) **إنجيل لوقا** 23: 34.

(2) Jeremy Cohen, **Christ Killers**, Oxford University Press, 2007, p149.

(3) Jeremy Cohen, **Christ Killers**, Oxford University Press, 2007, p149.

(4) رغم اختلافي مع طابور فيما انتهى إليه، لكن من المفيد مراجعة ما ذكر في هذا الشَّأن، تحت عنوان «حلّ لغز فنتيرا»، جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص85 ـ 96.

(5) **التلمود البابلي**، ترجمة الأردن، مج3، ص 173.

(6) بيتير شيفر، **يسوع في التلمود**، ص59.

(7) المصدر نفسه، ص115 ـ 120، أيضاً ص181 ـ 188.

(8) المصدر نفسه، ص128 ـ 129.

(9) المصدر نفسه، ص125 ـ 126.

(10) المصدر نفسه، ص130.

يُقصَدُ بها يسوع النَّاصري، الذي يؤمنُ به المسيحيُّون، بل يُقصَدُ بها يسوعٌ آخر، لأنَّ اسْمَ «يسوع» كان شائعاً جدّاً آنذاك بين اليهود. ويسوعُ المقصودُ في التلْمودِ كان يعيشُ في زمنٍ آخر، بدليل أنَّ يسوع هذا قد أُعدِمَ في القرْن الثاني في لَيْدا Lydda، وذاكَ الذي تتحدَّث عنه الأناجيل قد أُعدمَ في أورشليم.

موقفُ القرآن من مصير المسيح:

1. نستوحي من القرآنِ أنَّ دينَ اللهِ كان يُواجِهُ محنةً قُبيل ولادة المسيح، وكان سببُ هذه المحنة هو المؤسَّسة الدِّينيَّة اليهوديَّة التي كانت في أورشليم. هذا ما نستوحيهِ ممَّا جاءَ على لسانِ زكريا في مطْلَعِ سورة مريم: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1] وربَّما كان المقصودُ من هؤلاء الموالي أمثال حنَّان وقيافا، الذين هيمنوا على المالِ والقرارِ اليهودي.
2. أخبرَ القرآنُ بأنَّ المسيحَ قد أحسَّ من بني إسرائيل الكُفْرَ، لذا طالبَ بالنُّصْرة، فأبدى الحواريونَ استعدادَهُم لنُصْرَتِهِ. ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ.... * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].
3. أخبرَ القرآنُ بأنَّ المسيحَ واجهَ مكراً ومؤامرةً، وسياقُ الآياتِ يوحي بأنَّه مكرُ خصومِهِ من بني إسرائيل، لكنَّ اللهَ خيرُ الماكرين، حيثُ توفَّاهُ ورفعَهُ وطهَّرَهُ، وأخبرَ بنحوٍ غيْبي بأنَّهُ جاعل الذين اتَّبعوهُ من النَّصارى فوقَ الذين كفروا من بني إسرائيل إلى يوم القيامة. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[3].
4. القرآنُ أدانَ بني إسرائيل لكونِ بعضِهِم قد تورَّطَ بقتْلِ الأنبياء، لكن لم يتَّهِمْهُم بقتْلِ ابن

(1) سورة مريم، الآيتان 5 ـ 6.
(2) سورة المائدة، الآيات 49 ـ 53.
(3) سورة آل عمران، الآيتان 54 ـ 55.

مريم تحديداً. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

5. القرآنُ أدانَ افتخارَ بني إسرائيل الأجوف بأنَّهُم قتلوا المسيحَ، مع تأكيدِهِ على نفي قتلِهِ أو صلْبِهِ. ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

6. القرآنُ نفى قتلَ المسيح، كما نفى صلْبَهُ. النفيُ الأوَّلُ يبدو نفياً لما ورَدَ في التلْمود (رُجِمَ أولاً ثمَّ شُنِق)، والنفيُ الثاني يبدو نفياً لما ورَدَ في الأناجيل (الصَّلْب).

7. من خلالِ عبارةٍ قُرْآنيةٍ موجزةٍ ومضغوطة، تمَّ تصحيحُ معلومةٍ خطيرة، كانت تُستخدمُ كذريعةٍ لارتكابِ المجازر، وإثارةِ العداوة والبغضاء بين أتباعِ الدِّين اليهودي والدِّين المسيحي.

8. إذا لم يُقتَلُ المسيحُ ولم يُصْلَب، إذن ما الذي جرى معه؟ كيف أنجاهُ اللهُ من مكْرِ اليهود؟ الجواب: المعلومةُ الثَّمنيةُ التي قدَّمها القرآنُ لم تسْحب فتيلَ الفتنةِ فحسْب، بل استبعدت كمّاً هائلاً من الاحتمالات، وضيَّقَت دائرَتَها إلى المدى الذي يسْمَحُ بإجراءِ تحليلٍ تاريخيٍّ عميق، لمعرفةِ أرجح السِّيناريوهات المحتمَلَة. هذا ما سأستعرِضُهُ في الفصلِ القادمِ إنْ شاء الله.

الخلاصة: عرفْنا من هذه الجولةِ السَّريعة، أنَّ أناجيلَ المسيحيِّين (والتُّراث المسيحي المُبكِّر عموماً)، وتلْمودَ اليهود، ينطوي على ما شأنه أنْ يُفجِّرَ العلاقة بينهما، على مرِّ التاريخ، كلَّما توفَّرت الظُّروف والمبرِّرات، ويُغري بالعداوةِ والبغضاء. إلا أنَّ القرآنَ نزَعَ فتيل هذه القنبلة الموقوتة من خلالِ تصحيحِ معلومة (﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾)، لم يشَأْ اليهودُ والمسيحيُّون التَّعاطي معها بجدِّية، لأنَّها ستُفقِدُ اليهودَ نشْوَتَهُم بإجراءِ ما يرونَهُ قصاصاً عادِلاً على من حاوَلَ حرْفَ مسار اليهودية، وستُفقِدُ المسيحيِّين أهمَّ اعتقاداتِهِم التي قامت الكنيسةُ على أساسِها، أعني عقيدتَي القيامة والفِداء.

---

(1) سورة النساء، الآية 155.

(2) سورة النساء، الآيات 156 ـ 158.

الفصل التَّاسع:

قتْلُ المسيحِ أو صلْبُهُ

تمهيد:

يبدو من بعضِ الأناجيل أنَّ ما حدَثَ في الأيامِ الأخيرةِ من حياةِ المسيحِ ابنِ مريم، هو أنَّ المسيحَ كان مطلوباً في أورشليم لدى السُّلُطةِ الدِّينيَّةِ اليهوديَّةِ والسُّلُطةِ السِّياسيَّةِ الرُّومانيَّةِ على السَّواء، فقامَ يهوذا الإسْخريوطي بارتكابِ خيانةٍ؛ حيث اتَّفَقَ مع رُؤساءِ الكهنةِ اليهود (الذين نسَّقوا بدورِهِم مع جلاوزة الرُّومان)، وأخبرَهُم عن مكانِ تواجُدِ المسيح، مقابِلَ ثلاثينَ من الفضَّة.

عندما أرادَ الجلاوزةُ اقتحامَ المكانِ ليلاً (بعد العَشاءِ الأخير)، كانت العلامةُ المُتَّفَقُ عليها بين يهوذا الإسْخريوطي مع الرُّؤساءِ والجلاوزةِ هو أنْ يقومَ بتقبيلِ المسيح، حتى يتعرَّفَ الجلاوزةُ عليه[1].

خُذْ على سبيلِ المثال، ما ورَدَ في إنجيلِ مرقس، حولَ عمليةِ اعتقال يسوع:

«ثُمَّ إِنَّ يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَاحِداً مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، مَضَى إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ. وَلَمَّا سَمِعُوا فَرِحُوا، وَوَعَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. وَكَانَ يَطْلُبُ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ فِي فُرْصَةٍ مُوافِقَةٍ. وَفِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الْفَطِيرِ. حِينَ كَانُوا يَذْبَحُونَ الْفِصْحَ، قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نَمْضِيَ وَنُعِدَّ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» فَأَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمَا: «اذْهَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيُلاَقِيكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتْبَعَاهُ. وَحَيْثُمَا يَدْخُلْ فَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ: إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ: أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟ فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً مُعَدَّةً. هُنَاكَ أَعِدَّا لَنَا».

---

(1) إنجيل متى 26: 47 ـ 48. إنجيل مرقس 14: 43 ـ 46.

فَخَرَجَ تِلْمِيذَاهُ وَأَتَيَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. فَأَعَدَّا الْفِصْحَ. وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ جَاءَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ مُتَّكِئُونَ يَأْكُلُونَ، قَالَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي. اَلآكِلُ مَعِي»! فَابْتَدَؤُوا يَحْزَنُونَ، وَيَقُولُونَ لَهُ وَاحِداً فَوَاحِداً: «هَلْ أَنَا؟» وَآخَرُ: «هَلْ أَنَا؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، اَلَّذِي يَغْمِسُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ. إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْراً لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ»!

وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزاً وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا، هذَا هُوَ جَسَدِي». ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا هُوَ دَمِي اَلَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، اَلَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ اللهِ». ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ.

وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «إِنَّ كُلَّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ الْخِرَافُ»[1] وَلكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ».

فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «وَإِنْ شَكَّ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشُكُّ»! فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». فَقَالَ بِأَكْثَرِ تَشْدِيدٍ: «وَلَوِ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أُنْكِرُكَ!». وَهكَذَا قَالَ أَيْضاً الْجَمِيعُ.

وَجَاؤُوا إِلَى ضَيْعَةٍ اسْمُهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «اجْلِسُوا هٰهُنَا حَتَّى أُصَلِّيَ». ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدّاً حَتَّى الْمَوْتِ! اُمْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لَا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ».

ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُمْ نِيَاماً، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ، أَنْتَ نَائِمٌ! أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». وَمَضَى أَيْضاً وَصَلَّى قَائِلاً ذلِكَ الْكَلَامَ بِعَيْنِهِ. ثُمَّ رَجَعَ وَوَجَدَهُمْ أَيْضاً نِيَاماً، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَاذَا يُجِيبُونَهُ. ثُمَّ جَاءَ ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! يَكْفِي! قَدْ

(1) سفر زكريا 13: 7.

أَتَتِ السَّاعَةُ! هُوَذَا ابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. قُومُوا لِنَذْهَبَ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ»!

وَلِلْوَقْتِ فِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ أَقْبَلَ يَهُوذَا، وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ. وَكَانَ مُسَلِّمُهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً: «الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ، وَامْضُوا بِهِ بِحِرْصٍ». فَجَاءَ لِلْوَقْتِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلاً: «يَا سَيِّدِي، يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ.

فَأَلْقَوْا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ. فَاسْتَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ السَّيْفَ، وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ مَعَكُمْ فِي الْهَيْكَلِ أُعَلِّمُ وَلَمْ تُمْسِكُونِي! وَلكِنْ لِكَيْ تُكْمَلَ الْكُتُبُ». فَتَرَكَهُ الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا»[1].

على هذا الأساس، يذهبُ بعضُ الباحثين المسْلمين إلى القولِ بأنَّه نظراً لظُلْمةِ اللَّيل، وخفوتِ إضاءة المكان، ومع عدم معرفةِ الجلاوزة الرُّومان باللُّغةِ الآراميَّةِ والعِبْريَّة، عندما رأوا يهوذا يُقبِّلُ المسيحَ، قبضوا عليه اشتباهاً بدلاً من أنْ يقْبِضُوا على المسيح. ثمَّ تلقَّفَ الحواريُّون - الذين كانوا قد هربوا لحظةَ اقتحامَ المكان - خبرَ صلْب المسيح من أفواهِ الناس، ولم يكونوا شهوداً على الصَّلْب، بل يتحدَّث إنجيلُ يوحنَّا عن بقائِهم مختبئينَ وراءَ «أبوابٍ مُغلَّقة» لعدَّةِ أيَّام خوفاً من اليهود[2]. والمُلْفتُ أنَّ يهوذا لم يظهَر بعد حادثةِ الصَّلْبِ أبداً، وتعارضتِ الأقوالُ حولَ مصيرِهِ، حيثُ يذكُرُ إنجيلُ متَّى أنَّ يهوذا بعد ذلكَ قد انتحر![3] في حين يذكُرُ سِفْرُ أعمال الرُّسُل أنَّه «وقَعَ على رأسِهِ وانشقَّ من وسطِهِ، واندلقَتْ أمعاؤُهُ كلُّها»![4] وهذا التعارض يُرجِّحُ - في نظرِهِم - فرضيَّةَ القبْضِ عليه بدلاً من المسيح[5].

وما جاءَ في إنجيلِ برنابا ينْسَجِمُ مع هذه القراءةِ للأحداث، فقد ورَدَ فيه ما يلي:

«ودخَلَ يهوذا إلى الغُرْفةَ التي أصعدَ منها يسوع، وكان التلاميذُ كلُّهُم نياماً، فأتى اللهُ

---

(1) **إنجيل مرقس** 10 - 50.

(2) **إنجيل يوحنا** 20: 19، 26.

(3) **إنجيل متى** 27: 5.

(4) **سفر أعمال الرُّسل** 1: 18.

(5) جاء في **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ج2، ص1964: «وأفضَلُ تفسيرٍ لذلك، هو أنَّ الغُصْنَ الذي شنَقَ نفسَهُ عليهِ، انكسَرَ فوقَعَ وانشقَّ جسَدُهُ».

العجيبُ بأمرٍ عجيبٍ، فتغيَّرَ يهوذا في النُّطْقِ وفي الوجهِ، فصارَ شبيهاً بيسوع، حتى إنَّنا اعتقَدْنا أنَّه يسوع. أما هو (أي يهوذا)، فبعدَ أنْ أيقَظَنا، أخَذَ يُفتِّشُ لينْظُرَ أين كان المُعلِّم؟ لذلك تعجَّبْنا وأجَبْنا: «أنْتَ يا سيِّد هو مُعلِّمُنا، أنسيتَنا الآن؟

أما هو فقالَ مُبْتسِماً: هل أنْتُم أغبياء حتى لا تعرفونَ يهوذا الأسْخريوطي؟ وبينما كان يقولُ هذا، دخلَت الجنودُ، وألقَوا أيديهِم على يهوذا لأنَّه كان شبيهاً بيسوع من كلِّ وجه.

أما نحنُ فلمَّا سمِعْنا قولَ يهوذا، ورأينا جمهورَ الجنودِ هرَبْنا كالمجانين... فأخَذَ الجنودُ يهوذا، وأوثقوهُ ساخرينَ منْهُ، لأنَّهُ أنكَرَ - وهو صادقٌ - أنَّه هو يسوع، فقالَ الجنودُ مُسْتهزِئينَ بهِ: يا سيِّدي لا تخَفْ لأنَّنا قد أتينا لنجعلَكَ ملِكاً على إسرائيل، وإنَّما أوثَقْناكَ لأنَّنا نعلَمُ أنَّكَ ترفُضُ المملكة. أجابَ يهوذا: لعلَّكُم جُنِنْتُم، إنَّكُم أتيْتُم بسلاحٍ ومصابيحَ لتأخذوا يسوعَ النَّاصري كأنَّه لِصٌّ، أفتوثِقُونَني أنا الذي أرشَدْتُكُم لتجعلوني ملِكاً؟»[1].

إلا أنَّ إنجيلَ برنابا المتداول لا يمكنُ التَّعويلُ عليه، لا لكونِ الكنيسةِ المسيحيَّةِ لم تعترِف به، بل لأنَّ الغالبيَّةَ السَّاحقةَ من العُلَماءِ المُدقِّقين ذهبوا لأسبابٍ مُتعدِّدةٍ إلى أنَّه منحولٌ. من تلك الأسباب الأخطاءُ الكثيرةُ الواردةُ فيه. لذا مالَ بعضُهُم إلى أنَّ كاتبَهُ هو الرَّاهب مارينو، بعد أنْ أعتنَقَ الإسلامَ، وتسمَّى باسْمِ مصطفى العرَنْدي، حيثُ عاشَ في القرْنِ الخامس عشر ميلادي، أي بعد مجيءِ رسول الإسلام بتسعة قرون.

وقد أكَّدَ د. خليل سعادة - الذي ترجَمَ هذا الإنجيلَ الى العربيةِ - «أنَّه لم يرِدْ ذِكرٌ له في كتاباتِ مشاهيرِ الكُتَّاب المسلمين، سواءٌ في العصورِ القديمةِ أو الحديثة، حتى ولا في مؤلَّفاتِ مَنْ انقطَعَ منهم إلى الأبحاثِ والمجالاتِ الدِّينيَّة، مع أنَّ إنجيلَ برنابا أمضى سلاحاً لهَمُ في مثلِ تلك المناقشات. وليس ذلك فقط، بل لم يرِدْ ذِكْرٌ لهذا الإنجيلِ في فهارِسِ الكُتُب العربية عند الأعاربِ أو الأعاجمِ أو المسْتشرقين الذين وضعوا فهارِسَ لأندَرِ الكُتُب العربية من قديمةٍ وحديثة»[2]. لذا مالَ د. سعادة إلى القولِ بأنَّ كاتبَ هذا الإنجيل «يهوديٌّ أندلُسيٌّ اعتنَقَ الدِّينَ الإسلاميّ بعد تنصُّرِهِ واطِّلاعِهِ على أناجيلِ النَّصارى»[3].

---

(1) **إنجيل برنابا**، الفصل السادس عشر بعد المئتين، والفصل السابع عشر بعد المئتين، ترجمه عن الإنكليزية د. خليل سعادة، طبع بإشراف السيد محمد رشيد رضا، مكتبة مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، القاهرة، ص309.

(2) **مقدمة إنجيل برنابا**، ص: ط.

(3) المصدر نفسه، ص: ي.

سيناريو آخر محتمل:

قيل إنَّ هناك عدداً من طوائفِ المسيحيِّين الأوائل أنكروا حادثةَ صلْب يسوع، وهي: الباسيليديُّون، السَّاطِرْنيوسيُّون، الكاربوكراتيُّون، المركبونيُّون، الباردیسيانيُّون، التاتيانيسيُّون، المانيسيُّون، البارسكاليونيُّون، البوليسيُّون، الدوسيتيَّة، الموسيونيَّة، الغلطانيائيَّة[1].

لكن حتى لو صحَّت هذه النِّسبةُ لتلك الطَّوائف، فهؤلاءِ كلُّهُم يُمثِّلونَ أقلِّيَّة قليلة، أما الرَّأي العامّ والسَّائد على مدى قرون طويلة، منذ البدءِ وحتى الآن، هو أنَّ يسوع قد صُلِب، بل الدِّينُ المسيحي قائمٌ على أساسِ ذلك.

وقد ذكَرَ القدِّيس الفونسوس ماريا دي ليكوري، في كتابِهِ تاريخ الإرطقات مع دحْضِها، أنَّ من بِدَع القرْن الأول قول باسيليد الإسْكندري، كما كتَبَ فلوري: أنَّ «يسوع المسيحَ قوَّةٌ غير هيوليَّة، وكان يتَّشِحُ ما شاءَ من الهيئات. ولذا لمَّا أرادَ اليهودُ صلْبَهُ، أخَذَ صورةَ سمْعان القَروي (القيرواني)، وأعطاهُ صورَتَهُ، فصُلِبَ سمْعان، لا يسوع الذي كان يسْخَر باليهود. ثمَّ عادَ غير منظور، وصعَدَ إلى السَّماء»[2].

وجاءَ في إنجيلِ مرْقس مثلاً: «ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيَصْلِبُوهُ. فَسَخَّرُوا رَجُلاً مُجْتَازاً كَانَ آتِياً مِنَ الْحَقْلِ، وَهُوَ سِمْعَانُ الْقَيْرَوَانِيُّ أَبُو أَلَكْسَنْدَرُسَ وَرُوفُسَ، لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ. وَجَاؤُوا بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ «جُلْجُثَةَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ مَوْضِعُ «جُمْجُمَةٍ». وَأَعْطَوْهُ خَمْراً مَمْزُوجَةً بِمُرّ لِيَشْرَبَ، فَلَمْ يَقْبَلْ. وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا: مَاذَا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ؟»[3].

لذا من المهمِّ التوقُّف قليلاً عند شخصية سمعان القيرواني، الذي أُجبِرَ على حملِ الصَّليب.

ضمن مخطوطات نجْع حمَّادي، وبالتَّحديدِ في السِّفرِ السَّابع، في الخطابِ الثَّاني لسيثِ العظيم، جاءَ على لسان يسوع المسيح ما يلي:

«في براثن الأسود:

لقد كُنْتُ في براثِنِ الأسود. لقد تآمروا عليَّ، ليُرقِّعوا التَّدميرَ النَّاتج عن خطَئِهم

---

(1) الشيخ الصادقي، **الفرقان في تفسير القرآن**، ج7، ص312.

(2) القديس ماريا دي ليكوري، **الأرطقات مع دحضها**، مترجم عن الإيطالية، 1864م، الرأس الأول، ص17. ويمكن إنزال نسخة من شبكة الإنترنت.

(3) **إنجيل مرقس** 15: 20 ـ 24.

وسذاجَتِهم، لكنِّي لم أَسْتَسْلِم لهم كما كانوا يُخطِّطون. لم أكُن مجروحاً البتَّة. **رغم أنَّهم عاقبوني، لكنِّي لم أمُت في الواقع، بل فقط في الظَّاهر**، وذلك حتى لا يلْحقني العارُ من قِبَلِهم، كما لو كانوا جُزْءاً منِّي. لقد حرَّرْتُ نفسي من العار، ولم أكُنْ قد أصبحتُ جباناً بسبَبِ ما فعلوهُ بي. كان يُفترَضُ أنْ أُصبِحَ أسيراً للخوف، لكنِّي عانيتُ فقط أمامَ أعيُنِهم وفِكْرِهم، حيثُ لا يمكن أنْ يُدَّعى شيئاً ضدَّهم أبداً. الموتُ الذي توهَّموا أنِّي عانيْتُ منه، هُمْ عانَوا منه بخطَئِهم وبالعمى الذي هُمْ فيه. لقد سمَّروا (وضعوا المسامير) رَجُلَهُم إلى موتِهم. أفكارُهُم لم أَعِها، طالما أنَّها كانت صمَّاءَ بكْماء. بقيامِهم بهذه الأفعال، هم أصْدَروا حُكْماً ضدَّ أنفُسِهم. **بالنِّسبةِ لي، هم رأَوْني وعاقبوني، بينما (رأوا وعاقبوا) شخصاً آخر، أباهُم (سيِّدُهُم)، امتصَّ الغيْظَ والخَلَّ، ولم أكن أنا. كانوا يضْربوني بالسَّوط، لكن كان شخصاً آخر، سَمْعان، يحمِلُ الصَّليبَ على كتِفِهِ. وشخصٌ آخرَ كان يضَعُ إكليلَ الشَّوك. أنا كنْتُ في الأعلى (أو في قمَّةِ النَّشْوة)، أسخَرُ من كلِّ تجاوزات الحُكّام (الرُّؤساء) وثمرةِ أخطائِهم وغُرُورِهِم. بل كنْتُ أضحَكُ من جهلِهِم.**

نزولاً على تعدّي الحُكَّام:

جعلْتُ جميعَ قِواهُم خاضعةً. حينما نزلْتُ، لم يرَني أحد، لأنِّي كُنْتُ مُستمرّاً بتغييرِ صُوَرِي في الأعلى، بتحويلِها من شكلٍ إلى آخر، لذا حينما كُنْتُ عند أبوابِهِم، كُنْتُ أفترِضُ تشابُهَهُم. كُنْتُ أمُرُّ بجانِبِهِم بهدوء. رأيتُ مملَكَتَهُم (عالَمَهُم الدُّنيوي)، لكن لم أكُنْ أشعُرُ بالعارِ أو الخوفِ لأنَّني كُنْتُ نقيّاً (طاهراً). كُنْتُ أتحدَّثُ معَهُم وأختلِطُ بهم، من خلالِ أولئكَ الذين هُمْ لي. وبنحوٍ غيورٍ كُنْتُ أسحقُ أولئكَ القُساة وأُخمِدُ الحريق. كُنْتُ أمارِسُ كلَّ ذلك بإرادتي، لأُكمِلَ ما أردْتُهُ بإرادةِ الأبِ الأعلى»[1].

على هذا الأساس، كتبَ بارت إيرمان في كتابِهِ المسيحيَّات الضَّائعة: «فكرة أنَّ يسوع يُغيِّرُ أشكالَهُ تُعيدُ إلى الذِّهنِ واحداً من أكثرِ نُسَخِ الصَّلْبِ إزعاجاً ستُقتَرَحُ من مُعلِّمٍ غنوصيٍّ، نُسْخةٌ لم تكُن ضمْنَ رسائل نجع حمَّادي بل من الكتاباتِ الحاليَّةِ المفقودةِ لباسيليد، كما أخبرَ بها ثانية، إيرينايوس. تقريراتُ العهدِ الجديد تُشيرُ إلى أنَّه

(1) **The Nag Aammadi Scriptures**, edited by Marvin Meyer, Harper One, USA, 2007, p480.

في الطَّريقِ إلى الصَّلْب، سِمْعانُ القيرواني كان قد أُجبِرَ على حمْلِ صليب يسوع[1]. وفقاً لباسيليد[2]، يسوع استفادَ من الفُرْصةِ للقيامِ بنقْلَةٍ (تحويل) تتجاوزُ الطَّبيعة، غيَّرَ نفسَهُ ليبدو شبيهاً بسِمْعان، وسِمْعان ليبدو شبيهاً به. الرُّومانُ بعد ذلك ساقَوا إلى الصَّلْبِ الرَّجُلَ الخطأ، بينما كان يسوع واقفاً على الجانب، يضحَكُ من حيلَتِهِ (ضدّ الهراطقة 1. 24. 3)، والمُفترَض أنَّ سمعان لم يجِد ذلكَ مُضْحِكاً للغاية»[3].

وقفة تأمل: نجدُ أنفُسَنا في حيرةٍ أمامَ نصوص الأناجيل الثلاثة المتوافقة وما جاءَ في الخطابِ الثَّاني لسيثِ العظيم. فالامرُ المثيرُ هو المذكور بنصوصِ الأناجيل المتوافقة، التي كُتِبَت بطريقةٍ مُحيِّرة، بحيث يُفهَمُ من ظاهِرِها، وخصوصاً في إنجيل متَّى وإنجيل مرْقس، أنَّ سِمْعانَ القيرواني هو الذي صُلِبَ بدلاً من يسوع. ففي المقْطَع 34 و35 من إنجيل متَّى (الإصحاح 27)، يعودُ الضَّميرُ الغائبُ في «أعطَوهُ» و«صلَبوهُ» إلى سِمْعان القيرواني، وليس يسوع. الأمرُ نفسُهُ في المقْطَع 23، 24 من إنجيل مرْقس (الإصحاح 15). فالضَّمائرُ في «جاؤوا بهِ» و«أعطَوهُ» و«صلَبوهُ»، يظهَرُ منها أنَّها تعودُ إلى سمْعان. ربَّما يكونُ إنجيل لوقا فقط هو الذي يكونُ فيه احتمالُ عودة الضَّمائر في «مضوا بهِ» و«صلَبوهُ» أظهَر في يسوع، بحسَبِ سياق النَّص، ولكن ليس هناك ما يمْنَع من أنْ تكون عائدةً إلى سمعان ولكن بدرجةٍ أقلُّ ظهوراً. أما نصُّ إنجيلِ يوحنَّا، فيختلف تماماً عن نصوصِ الأناجيل المتوافقة. فليس هناك أيُّ ذكْرٍ لسِمْعان، فيسوع هو الذي حمَلَ صليبَهُ وصُلِب[4].

النَّصُّ الغريبُ عن السِّياقِ المسيحي المعروف، هو ما جاء في كتاب الخطابِ الثَّاني لسيثِ العظيم، الذي يقرُّ بصراحةٍ ووضوح، وليس بطريقةٍ محيِّرةٍ وملتبسةٍ مثل الأناجيل المتوافقة، بأنَّ الذي صُلِب هو سِمْعان، وأنَّ يسوع لم يُصلَب ولكن شُبِّهَ لهم ذلك.

الأمرُ لم يقتَصِر فقط على كتابِ الخطاب الثَّاني لسيث العظيم، بل نجدُ أيضاً إشارات في كُتُبٍ أخرى، وعقائدَ طوائف مسيحيَّة في القرونِ الاولى، تعتقدُ أنَّ يسوعَ لم يُصلَب وأنَّه

---

(1) انظُر **إنجيل مرْقس** 15: 21

(2) BASILIDES أول غنوصي مصري، انتقل من أنطاكية إلى الإسكندرية، مارس التعليم من سنة 117 إلى سنة 138م.

(3) Bart Ehrman, **Lost Christianities**, Oxford University Press, 2005, p 188.

(4) **إنجيل يوحنا** 19: 16 ـ 17.

شُبِّهَ لهم صلْبُهُ. إلا أنَّ المذهبَ التَّشبيهي الموصوف هنا، حُورِبَ بشدَّةٍ في رسائل إيغناطيوس الأنطاكي Ignatius (ت 108م) في إصدارِها اليوناني[1].

إذن السِّيناريو الأوَّل الذي التقينا به، يدَّعي أنَّ الجنودَ الرُّومان قد اشتبهوا عند «لحظةِ الاعتقال»، فاعتقلوا الرَّجُلَ الخطأ (يهوذا الإسخريوطي)، بدلاً من اعتقالِ يسوع. والسِّيناريو الثَّاني الذي رأيناهُ للتوّ، يدَّعي أنَّ الجنودَ الرُّومان قد اشتبهوا عند «لحظةِ تنفيذِ الحكم»، فساقوا الرَّجُلَ الخطأ إلى الصَّلْب (سِمْعان القيرواني)، بدلاً من صلْبِ يسوع.

لكن يبدو أنَّ الأمرَ بحاجةٍ إلى تدقيقٍ أكبر. لنمضِ إذن في البحثِ عن السِّيناريوهات الأخرى المحتملة، ونُفتِّش عن الأرجحِ منها.

خلفيةُ المشْهد:

كان الرُّومانُ قد احتلُّوا أرضَ فلسطين عام 63. ق.م. وعلى مدى بضعةِ عقودٍ سبقت ميلادَ يسوع، عاشَ اليهودُ مع الدَّولةِ الرُّومانيَّةِ في حالةِ توتُّرٍ وحرْب. فالثوراتُ الفاشلةُ لليهودِ كانت مُتكرِّرةً، والعلاقاتُ العدائيَّةُ كانت تتصاعَدُ ثمَّ تخبو، بين مدٍّ وجَزْر، لتتحوَّلَ في لحظاتِ الهزيمةِ إلى تملُّقٍ ونفاق.

ويسوع مُتَّهَمٌ بأنَّ علاقتَهُ مع الرُّومانِ كانت طبيعيّةً، أو بتعبيرٍ ربَّما أكثرَ دقَّة: لم تكن سيِّئة، فالحواريُّ متَّى مثلاً كان عشَّاراً للرُّومانِ في الجليل. ويسوعُ إنْ كان هو المسيحَ المُنْتَظَر الذي سيصْبِحُ ملِكاً، ففي نظَرِ اليهود، كان يُترقَّبُ منه أنْ يثورَ بشجاعةٍ ضدَّ الرُّومان، ويقودَهُم ويُعيدَ لهم المجدَ، كما فعَلَ داود، لا أنْ يقومَ بمواجهةِ مؤسَّسَتِهِم الدِّينيةِ في أورشليم.

لذا قامَ رؤساءُ اليهودُ بوضْعِ بيلاطُس البُنْطي الرُّوماني في الزَّاويةِ (كما رأينا في الفصْل السَّابق)، مهدِّدين إيَّاهُ بأنَّه إنْ لم يصْلِب يسوع فسيكونُ موقفُهُ عدائيّاً من القَيْصر، لأنَّه يتغاضى عمَّن يتحدَّى سُلْطةَ القيصر. فيسوع مُتَّهمٌ بأنَّه يدَّعي أنَّه هو المسيح، أي ملِكُ اليهود. والمرتكزُ في أذهانِ اليهود آنذاك، أنَّ المسيحَ المنتظَر سيُحقِّقُ مملكةَ اللهِ على الأرض، لا أنْ يُصْلَب. وهذا يعني (في نظَرِهِم) أنَّ كلَّ من يدَّعي أنَّه المسيح أو ملِك اليهود، في ذلك الزَّمان، فلا بدَّ أنْ يقومَ بعمليةِ انقلابٍ ضدَّ القيْصَر. على هذا الأساس، رؤساءُ اليهودِ حرَّضوا

(1) خاصَّة في الرَّسائل: (ad Trall. 9, 10, و ad Smyrn. 2)

جماهيرَهُم، الذين كانوا في حالةِ هياجٍ هسْتيري. وبيلاطُس الرُّوماني، من جهتِهِ، لم يكن راغباً ولا مُتحمِّساً لصلْبِ المسيح، ولم يكن مقتنِعاً بأنَّه يُشكِّلُ خطورةً على السُّلْطةِ الرُّومانيَّة.

هذه هي الصُّورةُ العامةُ التي تستعرِضُها الأناجيلُ والمخطوطاتُ وغيرُها من المصادِر، كخلفيَّةٍ لمشْهَدِ قتْلِ المسيح أو صلْبِهِ.

سأطرَحُ الآن سيناريو لما حدَث، هو في تقديري مُحتمَلٌ بل مرجَّحٌ بدرجةٍ عالية، وفقاً للمُعطياتِ المتوفِّرة. والغريبُ أنَّ هذا السِّيناريو «مسكوتٌ عنه»، لم أجِدْهُ مذْكوراً في أيٍّ من البحوث، ربَّما لأنَّ أصحابَها استبعدوا تماماً المعلومةَ التي ذكَرَها القرآن. ولو أنَّهُم أخذوا هذه المعلومةَ بقدرٍ من الجِدِّيَّة، ولو على نحوِ الاحتمال، لانفتحتْ أمامَهُم آفاقٌ جديدةٌ للبحث. وأريدُ من القارئِ أنْ يختبِرَ هذا السِّيناريو في هذا الباب، ويتساءَلَ في نفسِهِ: هل هذا مرجَّحٌ فعلاً أم لا؟

السِّيناريو هو التالي: أنْ يكونَ بيلاطُس البُنْطي الرُّوماني قد أطلَقَ سراحَ المسيحَ، وأخرجَهُ من المُعتَقَلِ خِفْيةً، بعد أنْ سلَّمَهُ اليهودُ له، وسمَحَ له بالخروجِ إلى خارجِ أورشليم[1]، وجاءَ بمعتقَلٍ آخرَ محكومٌ بالإعدام. بمعنى أنَّه خدَعَ اليهودَ، وأوهَمَهُم وشبَّهَ لهم بأنَّه صلَبَ يسوع، حتى يستريحوا ويهدأَ غضَبُهُم الهستيري، هذا من ناحية. وحتى يسْحَبَ البِساطَ من تحتِ أرجُلِهِم فلا يُحرِّضوا القيْصَرَ عليه بعدما حرَّضُوهُ على يسوع، هذا من ناحيةٍ ثانية. ومن ناحيةٍ ثالثة، حتى لا يتورَّطَ بصلْبِ يسوع الأقرَبَ إليه وإلى الرُّومان منْهُم؟!

ويمضي هذا التَّحليل للقولِ بأنَّ هذا الأمرَ (أعني خدْعةُ بيلاطُس الرُّوماني لليهود)، كان مُغيَّباً حتى على الحواريِّين، بحيث إنَّ أعداءَ يسوع من اليهود توهَّموا صلْبَهُ، والحوارِيُّون توهَّموا صلْبَهُ أيضاً... فما قامَ به بيلاطُس، كان بالنِّسبةِ إليه، لا بدَّ أنْ يظلَّ مكتوماً.

فأشعلَت شهادَتُهُ المُتوهَّمَة روحَ التَّضحيةِ في قُلُوبِ الحواريِّين للتَّبشيرِ برسالتِهِ، مهما عظُمَت التَّضحيات (وربَّما رؤيةُ بعضِهِم له بعدما أنجاهُ اللهُ هو الذي ألهَبَ حماسَهُم).

---

(1) وربَّما ترَكَ فلسطين بأسرِها، وهناك نظرِّياتٌ خياليَّةٌ كثيرة، تتحدَّث عن ذهابِهِ إلى مصْرَ أو تركيا أو حتى روما، وهناك فرْقةٌ من المسيحيَّة، وبعضُ المورْمونيِّين، يؤمنون بأنَّه هاجَرَ إلى جنوبِ فرنسا وتزوَّجَ بمرْيمَ المجدلية وأنجَبَ منها! وبعضٌ كالقادْيانيَّة والدُّروز يدَّعون أنَّه هاجرَ إلى الهند، ليبحثَ عن «الأسباطِ الضَّائعةِ»، حيثُ ماتَ هناك، وأنَّ قبرَهُ موجودٌ الآن في سرينغار في كشْمير. وحاجَجَ كاتبٌ حديثٌ فقالَ بأنَّ يسوع قد سافرَ إلى الشَّرْق، ثمَّ رجَعَ إلى فلسطين ليلتحِقَ بالثَّورةِ اليهوديَّة، وماتَ بعد ذلكَ في مسعدة في العام 73م. وأنا لا أعتقد أنَّ أيّاً من هذه النَّظريات تمتلكُ أيَّ أساسٍ في المصادرِ التاريخيةِ المعتمدة. أنظر: جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص275.

وأغرَت هذه الحادثةُ العداوةَ والبغضاءَ بينَ أتباعِهِ ومناوئيهِ إلى يومِ القيامة. وهذا التَّحليلُ - إنْ صحَّ - فهو مكرٌ بديعٌ وتدبيرٌ خفيٌّ للهِ تعالى، وقَعَ على يدِ بيلاطُس الرُّوماني دونَ قصْدٍ منه.

والمسيحيُّون الأوائل كانوا في حالةِ حيرةٍ وصدْمةٍ لسببين:

الأول: أنَّ المسيحَ كان قد صُلِبَ (كما توهَّموا) قبلَ إكمالِ مهمَّتِهِ. فوفقاً لفهمِهِم لدورِ المسيحِ وللتنبُّؤات: المسيحُ الذي سيأتي، يفترضُ أنْ يُحقِّقَ مملكةَ اللهِ على الأرض، ويصبحُ ملِكاً على اليهودِ. لكن المسيح صُلِبَ - في وهمِهِم - قبلَ أنْ يستكمِلَ دورَهُ![1].

الثاني: أنَّه نُسِبَ ليسوع القول بأنَّ هذا الجيلَ (أي جيلُهُم بالتَّحديد) سيرى تحقُّقَ مملكة الله، من خلالِ مجيء ابن الإنسان، بعد دمارِ أورشليم... وها هو يسوع قد صُلِبَ الآن دون أنْ يتحقَّق ذلك![2].

لذا شعروا بصدْمةٍ كبيرةٍ وفُقْدانٍ للمصْداقيَّة، شعروا أنَّهُم كانوا يعيشون في وهمٍ كبير، فكان لا بدَّ لهم أنْ يُعيدوا تكييفَ اعتقاداتِهم، لتنْسَجِمَ مع تطوُّراتِ الأحداث.

بعد ذلك، كان لا بدَّ من تحميلِ طرَفٍ ما (اليهود) المسؤوليَّةَ الكاملة، والتَّقليلِ من مسؤوليَّةِ الرُّومان (خصوصاً بعد تنصُّرِها)، وبناءِ اعتقادٍ بقيامِ المسيح وارتفاعِهِ ليعودَ مجدَّداً ويُحقِّقَ تلك المملكة.

فالرُّومانُ، من جهتِهم، استفادوا من الحادثةِ في إحداثِ شرْخٍ عميقٍ بين اليهود. وقاموا

---

(1) وهذا تكشِفُ عنه الفقرة التالية الحاكية عن حالِ اثنين من تلاميذِهِ بعد حادثةِ الصَّلْب، وقبلَ ظهورِ يسوع لهُم، وهما يسيرانِ إلى قرية عمواس: «**وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّام مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ**». إنجيل لوقا 24: 21.

(2) خذ على سبيل المثال هذه العبارات: «لأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ضِيقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ إِلَى الآنَ، وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ يُقَصِّرِ الرَّبُّ تِلْكَ الأَيَّامَ، لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ، قَصَّرَ الأَيَّامَ. حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! فَلاَ تُصَدِّقُوا. لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ، وَيُعْطُونَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، لِكَيْ يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً. فَانْظُرُوا أَنْتُمْ. هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بَعْدَ ذلِكَ الضِّيقِ، فَالشَّمْسُ تُظْلِمُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَتَسَاقَطُ، وَالْقُوَّاتُ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. **وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ، فَيُرْسِلُ حِينَئِذٍ مَلاَئِكَتَهُ وَيَجْمَعُ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ.** فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصاً وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقاً، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً، مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. **اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ**». إنجيل مرقس 13: 19 - 31.

لاحقاً، من خلالِ بولُس ولوقا، ولاحقاً قسْطنطين، باختطافِ المسيحيَّةِ/ اليهوديَّةِ الحقَّة، وإعادةِ تشكيلِها وتكييفِها، وفصْلِها عن اليهوديَّة، وإضافةِ بعض التَّفاصيلِ الكاذبةِ عليها، خصوصاً في إنجيلِ يوحنَّا، لتبريرِ حصار أورشليم، والمجْزَرة التي ارتكبوها بحقِّ اليهود سنة 70م، وتدمير الهيكل، وتحريم دخول اليهود إلى أورشليم، للتخلُّصِ من الصُّداعِ المُتكرِّر الذي شكَّلَهُ اليهودُ للرُّومان. واستكمَلَ الرُّومانُ مسرحيَّتَهُم بالتنصُّرِ وحمْلِ لواء هذا الدِّين الجديد.

هذا هو السِّيناريو الذي أريدُ اختبارَهُ في هذا الباب.

الأحداثُ باختصار:

بالعودةِ إلى الأناجيلِ الأربعة، يمكنُ تلخيصُ الأحداثِ التي جرت بنحوٍ متسارعٍ في الأسبوعِ الأخيرِ قبْلَ حادثة الصَّلْب، في النِّقاطِ التالية:

1. في الأسبوعِ الأخير قبْلَ حادثة الصَّلْب، انتقلَ يسوع ومجموعةٌ من تلامذتِهِ من الجليلِ إلى أورشليم، لإحياءِ شعائرِ عيدِ الفصْح. وكان اليهودُ في هذه المناسبةِ يتقاطرونَ أفواجاً وأفراداً، رِجالاً ورُكْباناً، للحجِّ إلى أورشليم.
2. دخَلَ يسوع إلى أورشليم راكباً على جحْشٍ ابنِ أتان، مُحقِّقاً بذلك النُّبوءة[1]، في موكبٍ مهيبٍ وسْطَ ترحيب وحماسة الجماهير (يوم الأحد).
3. عندما وصَلَ يسوع إلى الهيكل، انخرَطَ في مواجهةٍ مع تُجَّارِ الهيكل، بسببِ إفراطِهِم في بيعِ وشراءِ الأضاحي والحمام والقيام بعمليَّات الصَّيرفة في أرجائِهِ، بنحوٍ فيه الكثير من التوهينِ والهتْكِ لهذا المكان المقدَّس (أو كرسالةٍ رمزيَّةٍ لقُرْبِ حُلُول الدَّمار للهيكلِ، والاستبدال لبني إسرائيل). فطرَدَ باعةَ الأضاحي والحمام والصَّيارفة، وقلَبَ موائدَهم ومقاعِدَهم (يوم الاثنين).
4. قضى يسوعُ هذا الأسبوع بالدَّعوةِ في الهيكلِ إلى رسالتِهِ بقُرْبِ قدوم ملكوتِ الله. ومن المُرجَّح أنَّه استقطَبَ قدْراً مُعتدّاً به من جماهيرِ الحُجَّاج المحتشدة في أورشليم (الثلاثاء والأربعاء).
5. السُّلُطات، سواءٌ كانت دينيَّة يهوديَّة، أو سياسيَّة وعسكريَّة رومانيَّة، رأوا أنَّ سُلُوكَ يسوع (السَّابق والحالي) يثيرُ المشاكلَ والاضْطرابات، خصوصاً أنَّه صادَفَ أيَّامَ شعائر عيد

(1) سفر زكريا 9: 9.

الفصْح، التي تتعزَّز فيها الإجراءاتُ الأمنيَّةُ والعسكريَّةُ الرومانيَّة، احترازاً من وقوعِ أيّ شغب أو ثورة جماهيريَّة. لذا تمَّ اتِّخاذُ القرار بملاحقتِهِ واعتقالِهِ.

6. أحدُ حواريِّ يسوع، يهوذا الأسخريوطي، بدأ بالتَّواصُلِ والتَّعاوُنِ مع السُّلُطاتِ الدِّينيَّةِ اليهوديَّة بمقابِل مالي.

7. في مساءِ الخميس (ليلة الجمعة، وفقاً للأناجيلِ الإزائيَّة الثَّلاثة) ليلة عيد الفصْح اليهودي، بعد تناوُلِ مائدة عشاء الفصْح، مع حواريِّهِ، أو في مساءِ الأربعاء (ليلة الخميس، وفقاً لانجيلِ يوحنَّا)، قبلَ عيد الفصْح بيوم، تمَّ اعتقالُ يسوع في البُسْتان، بحضورِ الحواريِّين، الذين تفرَّقوا عنه وهربوا[1].

8. قضى يسوع ليلتَهُ مُحتجَزاً، قيْدَ الاعتقالِ والتَّحقيق، من السُّلُطاتِ الدِّينيَّة اليهوديَّة.

9. عند الصَّباحِ الباكر، من فجْرِ الجمعة (يوم عيد الفصْح)، أو الخميس (قبل عيد الفصْح بيوم)، تمَّ اقتيادُهُ إلى الحاكمِ الرُّوماني بيلاطُس البُنْطي لتنفيذِ العقوبة بحقِّهِ، بدعوى أنَّه يدعو لنفسِهِ كمَلِكٍ لليهود.

10. بيلاطُس تردَّد كثيراً بمُعاقبَتِهِ، لأنَّه لم يجِدْهُ مُذْنباً بشيءٍ يستحقُّ العقوبة، فأحالَهُ إلى هيرودُس (ملِكُ اليهود في الجليل) الذي صادَفَ تواجُدَهُ في أورشليم، فأعادَهُ هيرودُس إليه، فأصدَرَ بيلاطُس، بضغطٍ من رُؤساءِ الكهنة ومُعلِّمي الشَّريعة، أمراً بجلْدِهِ وصلْبِهِ.

11. تمَّ اقتيادُ يسوع، ثمَّ صُلِبَ مع اثنينِ من المُجْرمين (صباح يوم الجمعة أو الخميس)، وبقيَ مصْلوباً من السَّاعةِ التَّاسعةِ صباحاً إلى الثَّالثةِ عصراً[2].

12. بعد موتِهِ مصْلوباً، وقرْبَ حلولِ الظَّلام، أتى يوسُف الرَّامي يطلُبُ من بيلاطُس أنْ يهَبَهُ جسَدَهُ ليدفِنَهُ، فوهبَهُ بيلاطُس الجَسَد، ودفنَهُ الرَّامي.

---

(1) روى الكليني في روضتِهِ عن أبي عبد الله ﷺ قال: إنَّ حواري عيسى كانوا شيعتَهُ، وإنَّ شيعتَنا حواريونا، وما كان حواري عيسى ﷺ بأطوعَ له من حواريِّنا لنا، وإنَّما قالَ عيسى ﷺ للحواريِّين: «من أنصاري إلى الله قالَ الحواريُّون نحنُ أنصارُ الله»، فلا واللهِ ما نصروهُ من اليهود، ولا قاتلوهُم دونَهُ، وشيعتُنا واللهِ لم يزالوا منذُ قبَضَ اللهُ ـ عزَّ ذكرُهُ ـ رسولَهُ ينصرونا ويُقاتلونَ دونَنا، ويُحرَقون ويُعذَّبون ويُشرَّدون في البلدان، جزاهُمُ اللهُ عنَّا خيراً.

راجع: الكليني، **الكافي**، الروضة، ج 15، ص 609 ـ 610، ح396.

(2) **إنجيل مرقس** 15: 33، حيث ذكر أنَّ يسوع بقيَ على الصَّليبِ من السَّاعةِ السَّادسةِ حتى السَّاعةِ التاسعة، أي ما يساوي السَّاعة التاسعة صباحاً حتى السَّاعة الثالثة مساء. وقد كان اليهود يُقسِّمونَ اللَّيلَ إلى أربع ساعات كبيرة، ويُقسِّمونَ النَّهارَ إلى أربع ساعاتٍ كبيرة (السَّاعة الكبيرة = 3 ساعات بتوقيتنا).

13. في اليومِ التَّالي، يومِ السَّبْت (لا بدَّ من حفظِهِ)، أو يومِ الجمعة (عيدُ الفصْح)، كان الناسُ مُنْشغِلينَ، إما بحفْظِ السَّبْت أو بالعيدِ.
14. يومُ الأحد، النِّساءُ زُرْنَ القبرَ فوجدْنَهُ خالياً... وهنا بدأت قصَّةُ قيامة يسوع بالرَّواجِ على نطاقٍ واسع.
15. وأخيراً تتحدَّث الأناجيلُ عن ظُهُوراتٍ متعدِّدة ليسوع أمامَ تلامذتِهِ ومُحبِّيهِ، ثمَّ رفعِهِ بعد أربعين يوماً إلى السَّماء.

كتَبَ طابور: «وضعَت التقاليدُ المسيحيَّةُ المتأخِّرةُ، وجبةَ طعام يسوع الأخيرة مع تلاميذِهِ في مساءِ يومِ الخميس (ليلة الجمعة) وصلْبَهُ في يومِ الجمعة. ونحنُ نعرفُ الآنَ وجودَ يومٍ واحدٍ بينَهُما، وأنَّ وجبةَ طعام يسوع الأخيرة كانت في ليلِ الأربعاء (ليلة الخميس)، وأنَّه قد صُلِبَ في يومِ الخميس، في الرَّابعِ عشَرَ من شهرِ نيْسان اليهودي (4 أبريل/ نيسان)، فقد جرى أكلُ وجبةِ عيدِ الفصْح نفسِها، في ليلِ الخميس، عند الفجْر (فجر الجمعة)، أي عند ابتداءِ يوم الخامس عشَر من أبريل/ نيْسان. ولم يأكُل يسوع أبداً من وجبةِ طعامِ عيد الفصْح اليهودي، فقد كان قد ماتَ في السَّاعةِ الثالثةِ من بعدِ ظُهرِ يوم الخميس.

ونشأَ الاضْطرابُ والتَّداخُل، بسبَبِ أنَّ الأناجيلَ كلَّها تقولُ بأنَّه كان هناك اندفاعٌ للحصولِ على جسَدِهِ وإنزالِهِ من على الصَّليب، ودفنِهِ قبلَ الفجر، بسبَبِ أنَّ «السَّبَتَ» كان قريباً. وقد افترضَ كلُّ واحدٍ بأنَّ الإشارةَ إلى السَّبَتِ، كانت إشارةً إلى يومِ السَّبْت، وعلى هذا لا بدَّ أنَّ عمليةَ الصَّلْب كانت في يومِ الجمعة. ولكن على كلِّ حال، كما يعرفُ اليهود، إنَّ يومَ عيد الفصْح اليهودي نفسَهُ يُعرَفُ أيضاً بـ «سَبَتْ» أو يومُ استراحة، مهما كان اليومُ من الأسبوعِ الذي وقَعَ فيه. ففي العام 30م، كان يومُ الجمعة الخامس عشر من نيسان (5 أبريل/ نيسان)، يومَ «سبَتْ» أيضاً، أي وقعَ سَبْتانِ وراءَ بعضِهما، في يومي جمعةٍ وسبْت. ويظهَرُ من متَّى أنه قد عرَفَ هذا، لأنَّه قالَ بأنَّ النِّساءَ اللاتي زُرْنَ ضريح يسوع، قدِمْنَ في الصَّباحِ الباكر من يومِ الأحد «بعدَ السَّبَتْ»، والكلمةُ الأصيلةُ بالإغريقيَّةِ هي بالتَّثْنية[1].

وكما حدَثَ بالغالب، لقد احتفَظَ إنجيلُ يوحنَّا بتواريخَ أكثرَ صحَّةً حولَ الذي حدَث. وقد ذكَرَ يوحنَّا بكُلِّ وضوحٍ بأنَّه ليلَ الأربعاء (ليلة الخميس) كان «العشاءُ الأخير»، «قبلَ

(1) **إنجيل متى** 28: 1: «وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ».

الاحتفال بالعشاءِ الأخير». وقد ذكَرَ أيضاً أنَّه عند سلَّمَ الذين حكموا على يسوع إيَّاه، حتى يُصلَبَ في صباحِ الخميس، لم يكونوا ليدْخُلوا إلى ساحةِ بيلاطُس، حتى لا يتنجَّسوا، فيكونون بذلكَ غير قادرينَ على أكلِ طعامِ الفصْح في ذلك المساء[1]. وقد عرَفَ يوحنَّا بأنَّ اليهودَ سوف يأكلونَ طعامَ فصْحِهِم التَّقليدي، أو وجبةَ Seder في مساءِ الخميس (ليلةِ الجمعة)»[2].

وكتَبَ أيضاً شارحاً ملابساتَ الاعتقال: «لم تكُن عمليةً صغيرةً تلك التي وصلَت إلى بُسْتانِ جَثْسَيْماني لاعتقالِ يسوع. وقال إنجيلُ يوحنَّا بأنَّ يهوذا كان قد وصَلَ إلى المكانِ، متْبوعاً بالكهنةِ القادة، مع كوكبةٍ من شرطةِ المعبَد من اليهود، وكتيبةٍ من الجنودِ الرُّومان، يعني قوَّة تألَّفت من ستمائةِ رجُل. ومع أنَّه قُذِفَ بتُهَم من الكهنةِ القياديِّين، كانت هذه عمليةٌ رومانيَّة؛ فقد كان بيلاطُس البُنْطي قد فُوِّضَ باعتقالِهِ.... وعلينا أنْ نفترضَ أنَّهم كانوا قد ذهبوا إلى بيلاطُس، وحدَّثوهُ بشكلٍ مُضخَّمٍ عن الأعمالِ التحريضيَّةِ ليسوع في أوائلِ الأسبوع، وأخبروهُ بخُطَّتِهِم باعتقالِ يسوع بهدوء، من دونِ التسبُّب بأيِّ شغَبٍ أثناءَ عيد فصْحِهِم. ومن الواضحِ أنَّ بيلاطُس قد وافقَ رسْمياً على خُطَّتِهِم، وعمَلَ ضمانات بأنْ يجري دعمُهُم بما فيه الكفاية بقوَّةٍ من العساكرِ الرُّومان، للحيلولةِ دونَ وقوع أيّ خطأ.... فقد كان عيدُ الفصْحِ اليهودي دوماً، موعداً رئيسيّاً من أجلِ إثارةِ الاضطراب والشَّغَب. فالحشودُ التي اجتمعَت في أورشليم من جميعِ أنحاءِ العالَم، كانت كبيرةً جدّاً، كانت جاهزةً لأنْ تكونَ جمهوراً مُصْغياً إلى أيِّ واحدٍ سيكونُ مسيحاً، أو لأيِّ سببٍ خاصّ. وذكَرَ يوسيفوس بصورةٍ متواصلةٍ بأنَّ الاضْطرابات كانت تحدُثُ دوماً أثناءَ ذلك العيد. وكان بيلاطُس حريصاً بأنْ يقومَ بدورِهِ في هذا الاضْطراب وفقاً للكتابِ فقط، أي: اعتقالٌ بهدوء، ثمَّ محاكمةٌ من قِبَلِ مُمثِّلي السَّنْهدرين اليهودي، ثمَّ سيقومُ هو بفحْصِ السَّجينِ شخصيّاً، حتى يُقرِّرَ الذي سوف يفعَلهُ بعد ذلك...

ونحنُ لسْنا متأكِّدينَ فيما إذا كانت هناك نيَّةٌ لدى السُّلُطات باعتقالِ الجماعةِ كلِّها أو يسوع فقط، ولكن ما إنْ جرى غلُّ يسوع وحملُهُ بعيداً، حتى كان البقيَّةُ قد هربوا في الظَّلامِ في داخلِ حرْشِ أشجار الزَّيتون ونجوا. وتبعاً لإنجيلِ يوحنَّا، قامَ اثْنانِ هُما شمعون بُطْرُس

(1) **إنجيل يوحنَّا** 18: 28.

(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص238 ـ 239..

«وتلميذٌ آخرَ»، أنا أرى أنَّه كان يعقوب (جيمس) أخو يسوع... فسارا من الخلْفِ بصورةٍ سرِّيةٍ، وعلى مسافةٍ، حتى يُراقِبا ويعرِفا الذي سوفَ يحدُثُ ليسوع»[1].

مراحلُ محاكمة يسوع:

إذا أرَدْنا التَّدقيقَ في مراحلِ محاكمةِ يسوع، من لحظةِ اعتقالِهِ قبيل منتصف ليل الأربعاء (أو الخميس)، إلى لحظةِ اتِّخاذ القرار بصلْبِهِ صباحَ يوم الخميس (أو الجمعة)، نجد أنَّ شُرَّاحَ الأناجيل يتحدَّثونَ، من خلالِ التلْفيقِ بين رواياتِ الأناجيلِ الأربعة، عن ستَّةِ مراحِلَ سارت عليها المحاكمة. استغرقت هذه المراحل أقلَّ من ثماني عشرة ساعة، تعرَّض يسوع خلالَها إلى صنوفٍ من الضَّرْبِ والإهانة، في ستِّ جلساتٍ مختلفة: ثلاثٌ منها مع السُّلُطاتِ الدِّينيَّةِ اليهوديَّة، قبلَ إحالتِهِ إلى السُّلُطات السِّياسيَّةِ والعسكريَّةِ الرُّومانيَّة، التي أقامت له ثلاثَ جلساتٍ أخرى.

وإليكَ تلك المراحل الستَّة للمحاكمة:

1. جلْسةٌ ابتدائيَّةٌ أمامَ حنَّان؛ رئيسُ الكهنةِ السَّابق في أورشليم، ذو النُّفُوذ الشَّديد بين اليهود[2].
2. جلْسةٌ أمامَ قَيافا (زوج ابنة حنَّان)؛ رئيسُ الكهنةِ من طَرَفِ الدَّولة الرُّومانيَّة، الذي شغَل الوظيفةَ بشكلٍ رسميٍّ في العام 30م[3].
3. محاكمةُ يسوع أمامَ السَّنْهَدْرين؛ المجْلِس الأعلى لليهود[4].
4. جلْسةُ المحاكمة الأولى أمامَ بيلاطُس البُنْطي؛ حاكِمُ منطقة اليهوديَّة الرُّوماني[5].
5. جلْسةُ محاكمة أمامَ المَلِك هيرودُس أنتيباس؛ رئيسُ رُبْعٍ على الجليل، والنازل آنذاك في أورشليم[6].
6. الجلْسةُ الأخيرةَ أمامَ بيلاطُس البُنْطي؛ حاكِمُ منطقة اليهوديَّة الرُّوماني[7].

---

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص251 ـ 252.
(2) **إنجيلُ يوحنَّا** 18: 12 ـ 24.
(3) **إنجيلُ متَّى** 26: 57 ـ 68.
(4) **إنجيلُ متَّى** 27: 1 ـ 2.
(5) **إنجيلُ لوقا** 23: 1 ـ 5.
(6) **إنجيلُ لوقا** 23: 6 ـ 12.
(7) إنجيلُ لوقا 23: 13 ـ 25.

وكتَبَ طابور حولَ محاكمَةِ يسوع من قِبَلِ رُؤساء الكهنة، قبلَ رفْعِ أمرِهِ إلى بيلاطُس: «هناك مؤشِّرٌ على طبيعةِ هذه المحاكمةِ السِرِّيَّة، وغيرِ القانونيَّة، بوساطةِ التوقيت، وكذلك بوساطةِ المكان الذي جرى اختيارُهُ من أجلِ الإجراءات. فقد كان السَّنْهدرين الكاملُ المؤلَّفُ من سبعينَ عضواً يجتمعُ في غرفةٍ خاصَّةٍ في مجْمَعِ المعْبَد خلالَ النَّهار، وليس في بيتِ خاصِّ قرابةَ منتصَفِ اللَّيل. ولم يكُن من المُتصوَّر عقدُ اجتماعٍ رسميٍّ للسَّنْهدرين في يومِ الاستعداد من أجلِ الفصْح. فلقد كانت هذه حركةٌ مضادَّةٌ من جانبِ عشيرةِ الكاهن الأعلى، لإزالةِ عدوٍّ من الوجود، ولم يكن اجتماعاً رسْمياً لسماعِ قضيةٍ والحكْمِ فيها. وكانت الفكرةُ جعلَ يسوع يتفوَّهُ بشهادةٍ مُدوَّنةٍ، يمكنُ حمْلُها إلى بيلاطُس البُنْطي، كدليلٍ على تآمُرِهِ. ووُجِّهَت إليهِ تُهَماً متنوِّعة، ولكن يسوع بقِيَ صامتاً تماماً أثناءَ الاستجواب، وأثارَ رفضُهُ أنْ يقولَ أيَّ شيءٍ غضَبَ مُتَّهِميه...

وكان إقرارُ يسوع بأنَّه الملِكُ الدَّاودي، كلَّ ما احتاجوهُ. وقامَ بعضُ الذين كانوا مجتمعينَ بالبُصاقِ على وجهِهِ، ثمَّ جرى تسليمُهُ إلى الحُرَّاسِ في الدَّار، الذين شرعوا يسْخرونَ منه، وعامَلُوهُ بقسْوةٍ بتوجيهِ الضَّرَباتِ إليه، ووضعوا عصابةً على عينيهِ وضربوهُ على وجهِهِ، وسخِرُوا منه حتى «يُنبِّئُهُم من الذي ضرَبَهُ»!

وعند الصَّباح، اجتمعَ آخرونَ من الذين كانوا في الوسَطِ الدَّاخلي للكهنةِ، ونحنُ لا نعرِفُ كم كانَ عدَدُهُم، ولكن ادِّعاءُ مرْقس بأنَّ «المجلِسَ كلَّهُ» اجتمعَ عند الفجْرِ الذي سيتْلُوهُ صباحُ الفصْحِ، مستبعدٌ كما يظهر، فقد كانت هذه بكلِّ وضوحٍ عمليةٌ داخليَّةٌ. وكلُّ واحدٍ كان يمكنُ أنْ يقِفَ ضدَّ القرار، قطْعاً لم تُوجَّه إليهِ الدَّعوة، خاصَّة الذين كانوا من السَّنْهدرين مؤيِّدينَ ليسوع، أو كانوا على الأقل متعاطفينَ مع قضيَّتِهِ. وكان هناك ميلٌ في التَّقاليدِ المسيحيَّةِ المُتأخِّرةِ لوضْعِ المسؤوليَّة عن موتِ يسوع على «اليهودِ» ككُل، وكانت الفكرةُ أنَّ يسوعَ قد أُدينَ وحُكِمَ عليه بالموتِ في اجتماعٍ رسميٍّ للسَّنْهدرين كلِّهِ، واحدةً من السُّبُلِ لتأييدِ مثل هذا الادِّعاء»[1].

عند اليهود، هل قُتل أمْ صُلب؟

ورَدَ في مشْنا التلْمود البابلي: «في عشيَّةِ السَّبْت، عشيَّةِ عيدِ الفصْح، تمَّ شنْقُ يسوع النَّاصري، ومنادٍ ذهَبَ قبلَهُ بأربعينَ يوماً (ينادي): «يسوعُ النَّاصري في طريقِهِ لأنْ يُرْجَم، لأنَّه

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص255 ـ 256.

كان يُمارِسُ الشَّعوذة، وحرَّضَ إسرائيلَ وأغواها على عبادةِ الأصْنام. فكُلُّ من يعرِف شيئاً للدِّفاعِ عنه، يُمكِنُهُ أنْ يتقدَّمَ ويُدْلي بهِ». لكن كونُهُم لم يجِدوا شيئاً في الدِّفاعِ عنه، فقد شنَقُوهُ عشيَّةَ السَّبْت، وعشيَّةَ عيدِ الفصْح.

قالَ أولاً: هل تفترضونَ أنَّ يسوعَ النَّاصري كان واحداً من الَّذين يمكنُ الدِّفاعُ عنه؟ لقد كانَ مسيت (= شخصٌ يُحرِّضُ إسرائيلَ على عبادةِ الأوثان)، والذي يقولُ الرَّحمنُ بشأنِهِ: «ولا ترِقَّ له ولا تسْتُرْهُ»[1]».

مع يسوعِ النَّاصري كان الأمرُ مختلفاً، لأنَّهُ كان مُقرَّباً من الحكومة»[2].

لكن في الحقيقةِ لا يمكنُ التَّعويلُ على ما جاءَ في مشْنا التلْمود البابلي بشأنِ مصير يسوع، لبُعدِهِ الزَّماني والمكاني عن الأحداث، مقارنةً بالأناجيل. فزمانيّاً، كتابَتُهُ كانت متأخِّرة، في القرْنِ الثاني إلى الخامس الميلادي، بخلافِ الأناجيل الأسبَق زمنيّاً، التي كُتِبَت في أواخرِ القرْن الأول. ومكانيّاً، كتابةُ التلْمود البابلي كانت في موقعٍ جغرافيٍّ يقعُ تحتَ هيمنة الدَّولة الفارسيَّة، بخلافِ الأناجيل التي كُتِبَت في مناطقَ كانت على تواصُلٍ تامٍّ مع موقعِ الأحداث، داخل حدود الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة.

ويبدو أنَّ الرَّائِجَ بين يهود العراق (بابل) كان هو «قتْلُ» يسوع، بينما الرَّائج بين يهودِ فلسطين وما حولَها كان هو «صلْبُ» يسوع.

لماذا حرَّض اليهودُ على قتْلِ يسوع؟

كتَبَ طابور حولَ جذور التَّنافُر بين رُؤساءِ اليهود ويسوع: «باستثناءِ هيرودُس أنتيباس، كان يوسُف حنَّان القائدُ اليهودي الأكثرَ قوَّةً في وقتِهِ، وكانت أسرتُهُ الحاكمة أُسرةَ كهانة، وكانت سُلْطَتُهُ على الشُّؤونِ اليهوديَّةِ مطلقةً تقريباً، ولم تكن هي المرَّةُ الأخيرةُ التي ستُحارِبُ فيها أُسرةُ حنَّان الحاكمة أُسرةَ يسوع الحاكمة، التي هدَّدَتْها بالسُّلْطةِ الكبيرةِ التي امتلكتَها على الناس، على أساسِ السُّلْطة الدَّاودية الشَّرعية. وكما سوف نرى، لقد كان الابنُ الخامسُ لحنَّان، الذي كان اسْمُهُ أيضاً حنَّان الثَّاني، هو الكاهنُ الذي تولَّى تدبيرَ قتْل يعقوب (جيمس) أخي يسوع، بشكلٍ وحشيٍّ في العام 62م. فقد كانت الأُسرتانِ الحاكمتانِ

(1) تثنية 13: 8

(2) نقلًا عن بيتر شيفر، يسوع في التلمود، ص115 ـ 116.

ليسوع وحنَّان مثلَ الماءِ والزَّيت. فقد كان كلٌّ من يسوع وجيمس قد تفوَّها بعباراتِ الويْلِ ضدَّ الأغنياء، وأنذَرُوهم من حسابِ الرَّبِّ الوشيك، وكان جزءٌ من البرنامجِ المسائحي هو التوقُّعات التنبُّؤيَّة بأنَّ أُسرةَ الكهنةَ الفاسدةَ هذه، سوف يحِلُّ محلَّها خطٌّ من الكهنةِ، سوف يعلمونَ الاستقامةَ ويُمارِسُونَها في نهايةِ الأيام، «ملاخي».

وكان قيافا قد تزوَّجَ واحدةً من بناتِ حنَّان. وبناءً عليه، خدَمَ بمثابةِ ظلٍّ لحنَّان، ككاهنٍ أعلى دُمْية، خلالَ حُكمِهِ الطَّويل من العامِ 18م إلى العامِ 36م... وأشرَفَت أُسرةُ حنَّان على ثروةٍ لا تُقدَّر، وعاشتْ عيشةً فخمة، فقد كانت قادرةً على ممارسةِ الاحتكار على جميعِ التِّجارة التي ارتبطَت بخدماتِ المعبد، وكان الناسُ يزْدرونَ أفرادَ هذه الأُسرة... وكان يسوع بتوجيهِهِ الضَّرْبةَ نحوَ أعمال حنَّان، أي تجارة المعبد، قد لامَسَ الوسَطَ الحسَّاس لسُلْطَتِهم.

فمنذُ السَّاعة التي ركِبَ فيها يسوع بشكلٍ مكشوفٍ وعلَنيٍّ في المدينة، وقت بعد ظهرِ يوم الأحد المُنْصرم، وسمَحَ للحشودِ أنْ تُحيِّيهِ وتُنادي باسْمِهِ كـ «ملِك»، كان من الممكنِ نسْبيّاً إثارةُ قضيَّة جريمة كبْرى ورفعُها ضدَّهُ. وجرى تصميمُ السُّؤال حولَ دفع الضَّرائب الرُّومانيَّة، من أجلِ تأكيدِ الدَّليل[1]. وفي اجتماعٍ كان قد عُقِدَ في أوائلِ الأسبوع، كان قيافا قد قرَّرَ وجوبَ قتْل يسوع، ولا بدَّ أنَّه امتلَكَ المُساندةَ القوِّيةَ لوالدِ زوجتِهِ. وتبعاً لما رواهُ إنجيلُ يوحنَّا، خافَ هذانِ الكاهنانِ القياديَّانِ، أنَّهُما «إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا، يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا»[2]، وقد اتُّخِذَ القرارُ لإزالتِهِ من الوجودِ، وبقِيَ السُّؤالُ فقط متى؟»[3].

أما الأناجيلُ الأربعةُ، فإنَّها تُشيرُ إلى أسبابٍ وذرائِعَ متعدِّدةٍ أدَّت إلى توتُّرِ العلاقة بين المؤسَّسةِ الدِّينيَّةِ لليهود ويسوع، ودفعَتْها إلى تحريضِ بيلاطُس الرُّوماني على قتلِهِ. على

---

(1) يشير إلى ما ورد في **إنجيل متى** 22: 15 ـ 22: «حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلاَمِيذَهُمْ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ، وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ. فَقُلْ لَنَا: مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟» فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ». فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَاراً. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» قَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ». فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا». انظر أيضاً: **إنجيل لوقا** 23: 2.

(2) **إنجيل يوحنا** 11: 48.

(3) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص53 ـ 255.

ضوءِ تلك الأناجيل، لا يمكنُ الجزْمُ بالدَّافعِ الأساسي لذلكَ التَّحريض. كلٌّ أو بعضُ تلك الأسباب قد تلْعَبُ دوراً في صناعةِ هذا الدَّافع. إليكَ الأسباب الواردة في الأناجيل:

1. عدمُ التزامِ أتْباعِ يسوع بالأحكامِ الشَّرْعية، كغسْلِ اليدِ وتطهيرِ الأواني[1].
2. مجالسةُ يسوع للعشَّارينَ والخُطاةَ وأكلُهُ معَهُم[2].
3. اتِّهامُهُ بتحريمِ التَّطليق[3].
4. اتِّهامُهُ بانتهاكِ السَّبْت[4].
5. خوفُ اليهود من انتشارِ آيةِ إحيائِهِ لإلِعازر بعد موتِهِ بأربعةِ أيام، بعدما اطَّلَعَ عددٌ كبيرٌ من اليهودِ على ذلك، على مشارفِ أورشليم[5].
6. اتِّهامُهُ بأنَّهُ يُبيِّتُ النيَّةَ لهدْمِ الهيكلِ وإعادةِ بنائِهِ في ثلاثةِ أيَّام[6].
7. اتِّهامُهُ بمُمارسةِ السِّحر (لتفسيرِ إبرائِهِ المرْضى)، والسَّاحرُ يستحقُّ القتلَ[7].
8. رفضُهُ أنْ يأتي بآيةٍ مُصمَّمةٍ على ذوقِ الفريزيِّين، لذا اعتُبِرَ نبيّاً كاذباً، والنبيُّ الكاذِبُ يستحقُّ القتْلَ[8].
9. إخبارُهُ لليهودِ بأنَّه ستجري عليهم سُنَّةُ الاستبدال[9].
10. التنبُّؤ بتدميرِ الهيكل، والإخبار عن قُرْبِ مجيءِ ابنِ الإنسان[10].
11. اتِّهامُهُ بإثارةِ الشَّغب في الهيكلِ، حيثُ قلَبَ موائِدَ وكراسي الباعة فيه[11].

---

(1) **إنجيلُ مرْقس** 7: 1 ـ 9.
(2) **إنجيلُ متى** 9: 11. إنجيل مرقس 2: 16.
(3) **إنجيلُ مرقس** 1: 9 ـ 10.
(4) **إنجيلُ مرقس** 3: 3 ـ 6.
(5) **إنجيلُ يوحنا** 11: 1 ـ 57.
(6) **إنجيلُ مرْقس** 14: 58. أيضاً 15: 29 ـ 30. وورد في **إنجيلِ يوحنَّا** (2: 20 ـ 22) أن اليهود قالوا له: «بُنِيَ هذا الهيكل في ستٍّ وأربعينَ سنة، فكيف تُقيمُهُ في ثلاثةِ أيام؟ ولكنَّه كان يعني هيكلَ جسدِهِ، فلمَّا قامَ من بين الأموات، تذكَّرَ تلاميذُهُ أنَّه قالَ ذلك».
(7) **إنجيلُ مرْقس** 3: 22.
(8) **إنجيلُ مرْقس** 8: 11 ـ 13.
(9) **إنجيلُ مرْقس** 12: 9 ـ 12.
(10) **إنجيلُ مرْقس** 13: 3 ـ 37، خصوصاً 26، 30. أيضاً في المحكمة 14: 62.
(11) **إنجيلُ مرْقس** 11: 15 ـ 18.

12. اتِّهامُهُ بأنَّه يُحرِّضُ اليهودَ على عدمِ دفْع الجزْية للقيْصر[1].

13. اتِّهامُهُ بأنَّه يدَّعي أنَّه ملِكُ اليهود، الذي سيأتي من نسْلِ داود، أي المسيح المنتظر. وهذا الادِّعاء يورِّطُهُم في صراعٍ مفتوحٍ مع الرُّومان[2].

الأسبابُ العشرةُ الأولى تُهمٌ دينيَّةٌ تخُصُّ اليهودَ وحدَهُم، ولا يمكنُ أنْ تُقنِعَ بيلاطُس البُنْطي. لذا تمَّ على ما يبدو إعادةَ تكييف التُّهَم لتُصبِحَ سياسيَّة، فاختُلِقَت الأسبابُ الثلاثة الأخيرة، وهي تُهَمٌ سياسيَّةٌ خطيرةٌ للغاية.

وقد جاءَ أيضاً في إنجيلِ نيقاديموس (أعمال فيلاطُس)، وهو من الأناجيلِ غير الرَّسميَّة، أنَّ اليهودَ اتَّهموا يسوعَ أمامَ بيلاطُس البُنْطي بتُهمَتَيْنِ إضافيَّتَيْنِ: الأولى أنَّه وُلِدَ من زنا! والثانيةُ التَّجديف (= الكُفْر)[3].

وجاءَ في هذا الإنجيلِ أنَّ بعضَ الأتقياءِ من اليهودِ انتصبوا قائمين وقالوا: نحنُ لا نقولُ بأنَّه جاءَ من زنا، لأنَّنا نعرِفُ أنَّ يوسُفَ قد خُطِبَ إلى مريمَ، وهو لم يُولَد من زنا. بل ورَدَ فيه أنَّ حنَّان وقيافا قالا إنَّ يسوعَ وتلاميذَهُ هُجَناء، أي وُلِدوا أطفالاً من الإغريق، وهم الآن أصبحوا يهوداً![4].

وعندما دافَعَ يسوعُ عن نفسِهِ، اعتبرَ اليهودُ دفاعَهُ تجديفاً، فقالَ لهم بيلاطُس: إذا كانت هذه الكلمةُ تجديفاً، فخُذُوهُ من أجلِ التَّجديف، وأحضِرُوهُ إلى كنيسَتِكُم واحْكُمُوا عليه وفقاً لشريعتِكُم، فأجابَ اليهودُ: ترسِمُ شريعتُنا وتقضي أنَّه إذا ما أذنَبَ إنسانٌ ضدَّ إنسانٍ ينبغي أنْ يتلقَّى أربعينَ جلْدةٍ إلا جلْدة، لكن الذي يُجدِّفُ ضدَّ الرَّبِّ لا بدَّ من أنْ يُرْجَمَ، فقالَ بيلاطُس لهم: خُذُوهُ بأنفُسِكُم وعاقبوهُ كما ترْغبون، فقالَ اليهودُ: نحنُ نرْغَبُ بأنْ يُصْلَبَ، فقالَ بيلاطُس: هو لا يستحِقُّ أنْ يُصْلَب[5].

---

(1) **إنجيلُ لوقا** 23: 2.

(2) **إنجيلُ مرْقس** 15: 2، 9، 18، 26، 32.

(3) **إنجيل نيقاديموس** (أعمال فيلاطس) 1: 5 ـ 9، **الأناجيل النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص657.

(4) **إنجيل نيقاديموس** (أعمال فيلاطس) 1: 5 ـ 9، **الأناجيل النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص656 ـ 657.

(5) **إنجيل نيقاديموس** (أعمال فيلاطس) 1: 5 ـ 9، **الأناجيل النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص558 ـ 659.

كتَبَ طابور حولَ ملابسات السَّاعات الأخيرة من حياةِ يسوع: «في وقتٍ ما من الصَّباحِ الباكِرِ ليومِ الخميس (أو الجمعة)، شُدَّ وَثاقُهُ، وأُخِذَ تحتَ حراسة المُتَّهِمِينَ له إلى الحاكِمِ الرُّوماني بيلاطُس البُنْطي، وكان بيلاطُس مقيماً في مجْمَعِ القصْر الملَكي الذي كان هيرودُس الكبير قد بناهُ، على الحافَّةِ الغرْبيةِ من المدينة، خارجَ أسوار المدينة، وهو ما يزالُ مُشاهَداً حتى هذا اليوم، وقد امتلَكَ مدْخَلاً كان مبْنيّاً بالحجارةِ، ودرجاً يقودُ إلى الأعلى إلى دكَّةٍ مرتفعةٍ أمامَ المقرّ الرَّسْمي للقيادةِ العسكريةِ التابعةِ للحاكم، والذي كان موجوداً على الطَّابقِ الأرضي من القصْرِ الملَكي. وبما أنَّ الكاهِنَيْن الأعليَيْن وبطانَتَهُما، كانوا قد طهَّروا أنفُسَهُم طُقُوسيّاً من أجلِ تناوُلِ طعام الفصْح عند فجْرِ تلكَ اللَّيلة، فإنَّهم لم يدْخُلوا إلى منطقةِ القيادةِ العسكريَّة، التي كانت تُعَدُّ مُدنَّسة.

وعِوَضاً عن ذلك، وقفوا على الدَّرَجِ في الخارج. وجاءَ بيلاطُس لمقابلَتِهِم، وقد جلَسَ على مقعدِ القضاء فوقَ دكَّةٍ حجريةٍ مرتفعة... وكانت التُّهَمُ التي سجَّلُوها ضدَّ يسوع سياسيَّةً محْضة، ولم تكن دينيَّة، في أنَّه كان يُهدِّدُ استقرارَ الشَّعب، وهو يُعارِضُ دفْعَ الضَّرائب التي جرى فرْضُها من قِبَلِ القيْصَر، وأنَّه هو نفسُهُ ادَّعى أنَّه الملِكُ الشَّرْعي، بحُكمِ أنَه كان مسيحَ إسرائيل[1]، وكانت أيَّةُ تُهْمةٍ من هذه التُّهَم كافيةً في أعيُنِ الرُّومان لجعلِهِ يستحقُّ الموتَ بوساطةِ الصَّليب.

وأخَذَ بيلاطُس يسوعَ إلى مقرِّ القيادةِ العسكريَّةِ في داخلِ أسوارِ القصْر. وتُقدِّمُ الأناجيلُ الأربعةُ كلُّها وصفاً أُحكِمَت صناعتُهُ، حول كيف وجَدَ بيلاطُس أنَّ يسوعَ كان بريئاً من هذه التُّهَم، ومضَوا بعيداً بشكلٍ غير اعتيادي، إلى أنَّه أرادَ إطلاقَ سراحِهِ، ولكنَّه أُكرِهَ بالتَّهديدِ، من قِبَلِ السُّلُطاتِ اليهوديَّةِ مع مؤيِّديها الذين كانوا ينْتظرونَ في الخارج، والذين طالبوا بوجوبِ صلْبِهِ. لا بل حتى إنَّه اقترَحَ إطلاقَ سراحِهِ، تماشياً مع وتنفيذاً للعُرْفِ اليهودي بإطلاقِ سراحِ سجينٍ يهوديٍّ أثناءَ العيدِ اليهودي. ورفَضَ أفرادُ حشْد المُتَّهِمِينَ ليسوع الاقتراحَ، وطالبوا عِوَضاً عن ذلكَ بإطلاقِ سراحِ سجينٍ آخرَ اسْمُهُ «باراباس»، كان مسجوناً بسبَبِ الشَّغَب. ولذلك تسلَّمَ (باراباس) هذه المبادرة بالعفوِ الرُّوماني، ورضَخَ بيلاطُس أخيراً، ذلك أنَّه خافَ من الحُشُودِ اليهوديَّة، التي استمرَّت تصْرُخُ بأصواتٍ مرتفعةٍ «اصْلُبُوهُ». وطلَبَ طسْتَ ماءٍ، وغسَلَ يديه من القضيَّةِ، وبذلك أعلَنَ مرَّةً أخرى بأنَّ يسوعَ كان بريئاً، ثمَّ سلَّمَ يسوعَ

(1) إنجيل لوقا 23: 2.

إليهم حتى يُصْلَب، وأضافَ متَّى التأكيدَ التالي بأنَّ «جميعَ الشَّعبِ» ردَّ على كراهيةِ بيلاطُس قائلين: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا»[1]...

واستجوَبَ بيلاطُس يسوعَ على انْفراد حولَ التُّهَم، وعندما علِمَ بأنَّ يسوعَ كان جليليّاً، قرَّرَ إرسالَهُ إلى هيرودُس أنتيباس، الذي كان في المدينةِ من أجلِ الفصْح، وكان مقيماً في قصْرِهِ القريب. وكان هيرودُس يسعى وراءَ موتِ يسوع منذُ بعضِ الوقت، وكان مسروراً بأنْ وجدَهُ أخيراً قيْدَ الاعتقال. وفحصَهُ هيرودُس مُطوَّلاً، ولكن يسوع رفَضَ أنْ يقولَ أيَّ شيءٍ جواباً له. وكان المُتَّهِمُونَ ليسوع حضوراً، وقد ردَّدُوا التُّهَمَ ضدَّهُ، وقرَّرَ هيرودُس وجنودُهُ التسلِّي قليلاً مع يسوع، فألبَسوهُ ثوباً ملَكيّاً وبدؤوا يُعاملونَهُ بازْدراء، وسخِرُوا منه بدعوتِهِ باسْمِ «الملِك»، ثمَّ أعادَ هيرودُس يسوعَ إلى بيلاطُس، موافقاً على قرارِ وجوب إعدام يسوع بالصَّلْب. وفي أورشليم كان بيلاطُس هو الذي أمَرَ بتنفيذِ القرار القضائي.

وقد أمَرَ بيلاطُس بتسليمِ يسوع إلى حرسِهِ الإمبراطوري، الذين كانوا أكثرَ الجنود الرُّومان موضِعَ ثقةٍ، وكانوا نُخبَةَ القوَّات الرُّومانيَّة في أورشليم، وقد أخذوا يسوعَ إلى ساحةِ القصْر، وجلدُوهُ. ويُستخلَصُ من الكلماتِ الإغريقيَّةِ التي استُخدِمَت أنَّه جُلِدَ بالسِّياط، وكانت هذه ممارسةٌ رومانيَّةٌ معياريَّة، وكانت نوعاً من العقوبةِ التَّمهيديَّةِ للعبيد، أو الذين حُكِمَ عليهم بالموتِ بوساطةِ الصَّلْب. وكان مثلُ هذا الجلْدِ قاسياً جدّاً، إلى حدٍّ أنَّه كان ضدَّ القانونَ الرُّوماني القيامُ بتطبيقِهِ على المواطنيَن الرُّومان. وكان جُزْءاً من الطَّرائقِ التي استخدَمَها الرُّومانُ من أجلِ إرعابِ وإرهابِ أيّ واحدٍ يُعارِضُ الرُّومان ويقِفُ ضدَّ حُكمِهِم. ولم يحصل الجنودُ دوماً على «مسيحٍ» كسجينٍ حتى يستفيدوا فائدةً كاملةً من الأوضاع، فوضعوا تاجَ سُخْريةٍ من شوْكٍ على رأسِهِ، وقصَبةً في يدِهِ، وانحنوا أمامَهُ، وحيَّوهُ بتهكُّمٍ بمثابةِ «ملِكٍ لليهود». وأمرَ بيلاطُس بوضْعِ لوحةٍ كُتِبَت باللَّاتينيَّةِ والإغريقيَّةِ والعِبْريَّة، جاءت بمثابةِ إعلانٍ نصُّهُ «هذا يسوع ملِكُ اليهود».... ثمَّ جرى تثبيتُ الإعلانِ على الصَّليب، فوقَ رأس الضَّحيَّة، من أجلِ الإعلانِ بشكلٍ عامٍّ عن جريمةِ المصْلوب...

وانتهزَ بيلاطُس توفُّر الفرْصة لصلْبِ اثنينِ آخرَينِ من السُّجناءِ اليهود كـ Lestai (لِصْ تيه)، وهذا اصْطلاحٌ جرَت ترجمَتُهُ بالعادةِ كـ «لِصّ»، وهو قد استُخدِمَ بشكلٍ متواصلٍ من

(1) إنجيل متى 27: 25.

قِبَلِ يوسيفوس لوصفِ رجالِ العصابات القنَّائين «الزيلوت» الذين عملوا ضدَّ روما[1]. وكانت هذه هي العبارةُ التي استُخدِمَت بكُلِّ دقَّةٍ لوصْفِ السَّجين باراباس، الذي كان قد جرى اعتقالُهُ، وقُضِيَ عليه بالصَّلْبِ من أجلِ قيادتِهِ ثورةً عنيفة. ويظهَرُ أنَّ الرَّجُلينِ اللَّذينِ صُلِبا مع يسوع كانا من المشارِكينَ في ذلك الاضْطرابِ الأخير. وكانت المسألةُ من وجهةِ نظر بيلاطُس أنَّ الثلاثةَ بِمَن فيهم يسوع كانوا مُجْرِمينَ بالشَّيءِ نفسِهِ، فلقد كانوا مُثيرينَ للفتنةِ والعصيانِ ضدَّ روما.

واقتِيدَ يسوع مع الضَّحيَّتينِ الأخيرتينِ إلى خارجِ المدينة، إلى مكانٍ يُعرَفُ باسْمِ «الجُلْجُثة» (بالعِبْرية، الجُمْجُمة بالعربية)، وهو المكانُ الذي اعتادَ الرُّومانُ على استخدامِهِ من أجلِ الصَّلْب. وقال يوسيفوس: بأنَّهُم اختاروا هذا المكانَ عن قصْد، حتى يُمكِن رؤيتُهُ بسهولةٍ من قِبَلِ العابرين، سواءٌ أكانوا على الطُّرُقِ الأساسيَّة، أم على قِمَمِ الهِضاب»[2].

وتحدَّثْتُ في الفصْلِ السَّابقِ عن عقوبةِ الصَّلْبِ وقسوَتِها، وما يجري على المصْلوبِ المرْفوعِ على الخشَبةِ إلى أنْ يصِلَ إلى لحظةِ الموت.

وبما أنَّ وجبةَ طعام الفصْح اليهودي، كانت ستُؤكَلُ بعد فجْرِ ذلك المساء، طلَبَ الكاهنانِ الأعلييانِ من الرُّومان كسْرَ أرجُلِ الضَّحايا لتعجيلِ الموت، وقد ذكَرَ إنجيلُ يوحنَّا بوضوح أنَّه «لِكَيْ لَا تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ، لأَنَّ يَوْمَ ذلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيماً، سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا»[3]، وعندما وصلوا إلى يسوع ظهَرَ بأنَّه من دونِ حياة، وقامَ أحدُ الجنود بطعْنِ يسوع برُمْحٍ في جنْبِهِ، فلم يتحرَّك، فكان هذا كاشفاً عن موتِهِ، فلا حاجةَ إذن لكسْرِ ساقيه.

«ولقد ظهَرَ هنا ثلاثُ حقائق لا نقاشَ حولَها. أُولاها: أنَّ يسوعَ كان بالفعْلِ قد مات، وثانيها أنَّه قد دُفِنَ بسُرْعةٍ وبشكلٍ مؤقَّتٍ في قبرٍ غير معروف، وثالثُها أنَّ الحركةَ التي بدأها يسوع لم تنْتهِ مع وفاتِهِ، بل انتعشت، ووجدت حياةً جديدةً تحت قيادة يعقوب (جيمس) أخي يسوع»[4].

---

(1) وهي تعادلُ في تاريخ المسلمين تُهماً من قبيل «مفسدٌ في الأرض» أو «خارجي».
(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص258 ـ 262.
(3) **إنجيل يوحنا** 19: 31.
(4) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص308.

فرضيَّاتٌ متعدِّدة:

الآن، إذا أردْنا التَّعاطي بنحوٍ عقلاني مع الأحداثِ التي تلتقي حول نقلِها الأناجيل، نجدُ أنفُسَنا أمامَ فرضيَّاتٍ جديدة، بالإضافةِ إلى الفرضيَّات السَّابقة المطْروحة. ولا يحِقُّ لنا منطقيّاً أنْ نستبعِدَ في البدءِ أيَّ فرضيَّةٍ ما لم تكن هناك قرائنَ كافية لاستبعادِها. إليك الاحتمالات، أو السِّيناريوات، أو الفرضيَّات الممكنة:

1. إما أنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ قد اعتُقِلَ فعلاً، أو أنَّه لم يُعتقل أصلاً بل الذي اعتُقِلَ هو شخصٌ آخر يشْبَهُهُ[1].
2. إنْ كان المعتقَلُ فعلاً هو المسيحَ ابنَ مريمَ، فإمَّا أنْ يكونَ بتَنْسيقٍ مُسْبقٍ (مع يهوذا الإسْخريطي)، أو من خلالِ خيانة (يهوذا الإسْخريوطي)[2].
3. إنْ كان الذي اعتُقِلَ هو شخصٌ آخرَ يُشْبِهُهُ، فإما أنْ يكون عقوبةً من اللهِ بسبَبِ خيانَتِهِ، أو أنَّ الآخرَ كان فدائيّاً[3].

---

(1) الأول هو رأيُ اليهودِ والمسيحيِّينَ عموماً، والثاني هو رأيُ عددٍ قليلٍ جدّاً من المسيحيِّينَ القُدَماء.

(2) الأول هو ما قد يوحي به إنجيلُ يهوذا الذي اكتُشِفَ مؤخَّراً، والثاني هو ما تُؤكِّدُهُ الأناجيلُ الأربعة.
والقراءة الأولى هي قراءة محتملة لإنجيل يهوذا، حيث يُفسِّرُ يسوع ليهوذا رؤياهُ بأنَّ بقية التلاميذ يرجُمونَهُ، وكيف أنه سيُلعَن من الأجيالِ المتلاحقة، وأنَّ التَّلاميذ سيُختارون بديلاً عنه. لكن يُختَتَمُ الإنجيلُ بما يشيرُ إلى خيانةِ يهوذا. فهل أُضيفت هذه الخاتمة إلى أصلِ الإنجيل؟ وهل كان يهوذا قدِّيساً وعارفاً مقرَّباً من يسوع، ينفرد به يسوع ليُخبره عن أسرارِ الملكوت، كما يوحي هذا الإنجيل عموماً؟
وعلى هذا الأساس، أليس من المحتمل أنَّ يهوذا الإسخريوطي كان وسيطاً ومنسِّقاً بين يسوع وبيلاطُس، ليُوهِمَ اليهود من ناحيةٍ أنَّه خانَ يسوع ويريدُ أنْ يعمَلَ لصالحِهِم، في حين أنَّ المسألةَ مُدبَّرة، بحيث يُعتقَل يسوع في الظَّاهر ثمَّ يُطلَق سراحُهُ بالخِفْية؟
أم كان يهوذا الإسخريوطي خائناً بالفعل كما توحي خاتمةُ هذا الإنجيل وبقيَّةُ الأناجيل؟
أم تمَّ إضافة ما يشير إلى خيانتِهِ إلى خاتمةِ إنجيلِهِ حتى ينسجمَ ذلك مع بقيَّةِ الأناجيل؟
كلُّ الاحتمالات مفتوحة.
انظر إنجيل يهوذا الأسخريوطي: **الأناجيل النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص565 ـ 574.

(3) الأولُ هو ما شاعَ بين المسلمين، ويتطابقُ مع ما جاءَ في **إنجيلِ برنابا** (الفصل السادس عشر بعد المئتين، والفصل السابع عشر بعد المئتين، ترجمه عن الإنكليزية د. خليل سعادة، طبع بإشراف السيد محمد رشيد رضا، مكتبة مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، القاهرة، ص309). والثاني هو قد يُفهَمُ من إنجيلِ يهوذا.

4. إنْ كان المُعتقَلُ هو المسيحُ ابنُ مريم، فأثناءَ سوقِهِ إلى التَّحقيقِ والمحاكمةِ أو إلى الصَّلْب، إما نجَحَ في التخفي والفرار منهم، أو لم ينْجَح[1].
5. إنْ كان المُعتقَلُ هو المسيحُ ابنُ مريم، فإمَّا أنَّه تمَّ إطلاقُ سراحِهِ قبلَ صلْبِهِ، أو لم يتمَّ إطلاقُ سراحِهِ[2].
6. إنْ لم يتمَّ إطلاقُ سراحِهِ، فإما أنَّه قُتِلَ رَجْماً (أو رُجِمَ ثمَّ شُنِق)، أو أنَّه ماتَ مصْلوباً[3].
7. الجسَدُ المدْفونُ، الذي وُجِدُ القبْرُ خالياً منه، إما هو جسَدُ المسيحِ ابنِ مريمَ أو جسَدُ غيرِهِ (يهوذا مثلاً)[4].
8. وُجِدَ القبرُ خالياً، إما لقيامةِ المسيحِ ابن مريم، أو لسرْقةِ الجثمان (سواء كان هو المسيحَ أو غيرَهُ كيهوذا)[5].
9. من رأى المسيحَ ابنَ مريمَ بعد حادثةِ القتْل أو الصَّلْب، لو افترضنا صحَّة رؤياهُ له، فإمَّا أنَّه رآهُ لأنَّهُ قامَ من الأموات، أو لأنَّه لم يمُت أصلاً بل سيُرْفَعُ لاحقاً[6].
10. ثمَّةَ فرضيَّة تقول إنَّ هناك مسيحَيْن تزامنا في وقتٍ واحد: أوَّلُهُما نبيٌّ لا علاقةَ له بالمُلْك، وآخر ادَّعى أنَّه مسيحُ ومِلكُ اليهود، فأُعدِمَ وكُتِبَ فوقَ رأسِهِ: «مِلِكُ اليهود»[7].

---

(1) الأول ذهبَ إليه الباحثُ محمود أبو سعدة (من **إعجاز القرآن في أعجمي القرآن**، ج2، ص338. ويستندُ إلى عبارةٍ في **إنجيل مرقس** 14: 43 ـ 52 بأنه لحظة الاعتقال تبعَهُ شابٌ لابساً أزاراً على عُرْيِهِ، فأمسَكَهُ الشُّبَّانُ، فتركَ الإزارَ وهربَ منهم عرياناً، وهكذا (في نظره) غابَ الشابُّ عن أعيُنِ طالبيه الذين قبضوا على يهوذا مكانَهُ.
وهذا القول ينسجمُ أيضاً مع ما قالت به بعضُ فِرَق المسيحيَّة القديمة، كأتْباع باسيليد بأنَّه شُبِّهَ لهم بسمْعان القيرواني الذي سخَّرُوهُ لحَمْلِ الصلب.
والثاني هو ما عليه عامَّةُ اليهودِ والمسيحيِّين.

(2) الأول سيناريو محتمل وفق التَّوازنات المحتملة (ليتخلَّصَ بيلاطُس من ضغوطِ اليهود وتهديداتِهم)، الثاني هو رأيُ اليهود والمسيحيِّين.

(3) الأول هو رأيُ اليهود (كما وَرَدَ في التلْمود: بييتير شيفر، **يسوع في التلمود**، المركز الأكاديمي للأبحاث، ص125 ـ 126)، والثاني هو رأي المسيحيين.

(4) الأولُ هو رأيُ المسيحيِّين. والثاني ينسجِمُ مع رأي المسلمين.

(5) الأول هو رأيُ المسيحيِّين، والثاني محتملٌ وفْقَ تسلسُل الأحداث، خصوصاً لو لم يكن الجسَد المسروق هو المسيح، حتى لا يبقى المسيحُ ابنُ مريمَ ملاحقاً، وينكشِف أنَّ الجسَدَ ليس له.

(6) الأولُ هو رأيُ المسيحيِّين. والثاني ينسجِمُ مع موقفِ المسلمين.

(7) على ضوءِ هذه الفرضيَّة، المسيحُ الذي صُلِبَ هو المسيحُ الإنجيلي، يسوع بن يوسُف النجَّار (أو ابن فنتيرا)، الذي ادَّعى أنَّه ملِكُ اليهود، وهو يختلفُ عن المسيحِ ابنِ مريمَ النَّبي (بار/ أباس، أي ابنُ/ الأب) الذي أطلَقَ بيلاطُس سراحَهُ. =

الظهورُ المُتعدِّد ليسوع:

الآن، وفقاً للأناجيلِ الأربعة، بعد موتِ يسوع على الصَّليبِ، ودفنِهِ من قِبَلِ يوسُف الرَّامي، تتحدَّثُ الأناجيلُ ورسائلُ بولُس، عن ظُهوراتٍ مُتعدِّدةٍ ليسوع، ابتداءً من يومِ الأحد. وهي كما يلي:

1. ظهورُهُ لمريمَ المجْدَلية[1].
2. ظهورُهُ لبعضِ النِّساء التلميذات[2].
3. ظهورُهُ ليعقوب[3].
4. ظهورُهُ لبُطْرُس[4].
5. ظهورُهُ للتِّلميذينِ اللَّذينِ كان ذاهبينِ إلى عِمْواس[5].
6. ظهورُهُ للتلاميذِ العشْرة، وفي هذه المرَّة لمسوا يسوع وجسُّوهُ، وأكلَ أمامَهُم، فأثبتَ لهم أنَّهم لا يرَوْنَ رُؤْيا أو هلْوسة، بل يرَوْنَ حقّاً يسوع بلحْمِهِ ودمِهِ[6].
7. ظهورُهُ للأحدَ عشَرَ تلميذاً، وتوما معَهُم، ولم يكن توماً موجوداً في المرَّةِ السَّابقة التي ظهَرَ فيها يسوع للتلاميذ، ولذلك شكَّ ولم يُؤمِن إلا لمَّا ظهرَ لهم يسوع وهو معهم[7].
8. ظهورُهُ لسبعةٍ من التلاميذ الذين كانوا يصْطادونَ في بحرِ الجليل[8].
9. ظهورُهُ للأحدَ عشَرَ تلميذاً في الجليل[9].
10. ظهورُهُ لخمْسِ مئةٍ من المؤمنين[10].

= هذه الفرضية ذهَبَ إليها المُؤرِّخُ العربي د. سهيل زكَّار، في مُقدِّمةِ كتاب الأناجيل: **النُّصوصُ الكاملة**، ص30، أيضاً ص41، أيضاً ص46، أيضاً ص54 ـ 57

(1) **إنجيل مرقس** 16: 9. لكنَّ هذه الفقرة غير موجودة في المخطوطات القديمة!
(2) **إنجيل متى** 28: 9.
(3) **رسالة بولُس الأولى لكورنثوس** 15: 7.
(4) **رسالة بولُس الأولى لكورنثوس** 15: 5.
(5) **إنجيل لوقا** 24: 15 ـ 31.
(6) **إنجيل لوقا** 24: 36 ـ 43.
(7) **إنجيل يوحنا** 20: 21 ـ 28.
(8) **إنجيل يوحنا** 21: 1 ـ 28.
(9) **إنجيل متى** 28: 16 ـ 17.
(10) **رسالة بولُس الأولى لكورنثوس** 15: 6.

11. ظهورُهُ للأحدَ عشَرَ تلميذاً فوقَ جبل الزَّيتون عند رفعِهِ إلى السَّماء[1].

أفضَلُ تفسيرٍ للحدِّ الأدْنى من الحقائق:

أولاً: يرى المسيحيُّونَ أنَّ تفسيرَهُم هو أفضَلُ تفسيرٍ للحدِّ الأدنى من الحقائقِ المؤكَّدة تاريخيّاً، فهم ينطلقونَ من الأمورِ التالية التي يعتبرونَها حقائق:

- صُلِبَ المسيحُ على عهدِ بيلاطُس البُنْطي، الحاكم الرُّوماني.
- بعد ذلك بثلاثةِ أيام وجدَت تلميذاتٌ ليسوع القبْرَ فارغاً.
- آمنَ تلاميذُهُ أنَّ يسوعَ ظهَرَ لهم بعد موتِهِ.
- نُودِيَ برسالةِ قيامتِهِ مباشرةً بعد ظهورِهِ لتلاميذِهِ.
- صارَ شاول الطَّرْسوسي (بولُس)، المُضْطهِد الرَّئيسي لأتباعِهِ، مؤمناً به.

يقولُ رايس بروكس (الباحثُ المسيحي): «لأنَّ هذه الحقائقَ مقبولةٌ بوصفِها جُزْءاً من حجَرِ الأساس التاريخي، فيُمكِنُنا استخدامُها لإظهارِ أنَّ التفسيرَ المعقولَ الوحيدَ للأحداثِ في نهايةِ خدْمةِ يسوع هو أنَّه قامَ من الأموات.

ويتَّفقُ أنَّ. تي. رايت، وهو أحدُ الخبراء الرَّئيسيِّين في موضوعِ القيامة، أنَّ قيامةً حقيقيَّةً هي أفضَلُ تفسيرٍ للحقائق: «السَّبَبُ الممكنُ الوحيدُ الذي جعَلَ المسيحيَّةَ الأولى تبدأ وتأخُذَ الشَّكلَ الذي أخذَتْهُ، هو أنَّ القبْرَ كان فارغاً، وأنَّ الناسَ قابلوا يسوعَ حيّاً ثانيةً... ورغمَ أنَّ الاعترافَ بمثْلِ هذا الأمر يتضمَّنُ قبولَ تحدٍّ على مستوى الرَّأيِ نفسِهِ، فإنَّ التَّفسيرَ التاريخيّ الأفضل لكلِّ هذه الظَّواهر هو أنَّ يسوعَ قامَ بالجسَدِ من الأموات»»[2].

ثانياً: البديلُ الأشهَرُ اليوم لتفسيرِ القيامة، هو فرضيَّةُ الهلْوَسة، القائلة إنَّ التلاميذَ آمنوا بأنَّهُم التقوا يسوعَ المُقام، لكن خبرَتُهُم كانت مجرَّدَ هلْوسةٍ مدفوعةٍ بالنوحِ وخيبةِ الأمل.

وأجابَ بروكس بأنَّ مثلَ هذه الهلْوسات القويَّة لا يمكنُ أنْ تحدُثَ في مجموعاتٍ أو مع عددٍ كبيرٍ جدّاً من الأفراد، وفي أوقاتٍ ومواقِعَ مختلفة. فضْلاً عن ذلك، كانت مثلُ هذه الهلْوسات القويَّة تتطلَّبُ أنْ يكونَ التلاميذُ قد توقَّعوا الظُّهورات، لكن من الواضِحِ أنَّ

(1) **أعمالُ الرُّسُل** 1: 1 ـ 12.

(2) رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، ص105 ـ 106.

التلاميذَ لم يكن لديهم مثلُ هذا التوقُّع، إذْ فرُّوا من المشْهَدِ، وشهودٌ آخرونَ، مثلُ يعقوب، كانوا في حالةٍ ذهنيَّةٍ عاديَّةٍ بالكامل، لذا لم يكُن هناكَ ما يُنْتِجُ أيَّ نوعٍ من الرُّؤيا، أو ما يُفهَمُ أنَّه لقاء. كما أنَّ هذه الفرضيَّة لا تُفسِّرُ القبْرَ الفارغ.

ثالثاً: ثمَّةَ فرضيَّةٌ أخرى شائعة، وهي أنَّ ادِّعاءات القيامة ليست سوى أساطير، لُفِّقَت بعد مرورِ عُقودٍ على الأحداث.

ويُجيبُ بروكس بأنَّ هذه الفرضيَّةَ تتطلَّبُ تجاهُلَ كلّ البرهان التاريخي تقريباً. والمناداةُ بالقيامةِ حدَثَت بعد مرورِ وقتٍ قصيرٍ جدّاً على الأحداثِ بواسطةِ قادة الكنيسة الأساسيِّين. وكتَبَ بولُس نفسُهُ عن لقاءِ يسوع المُقام، كما يستنِدُ القبْرُ الفارغُ أيضاً إلى أساسٍ تاريخيٍّ راسخ. ويُنكِرُ حقيقةَ تغيُّر التَّلاميذ فقط هامشٌ متطرِّفٌ من عُلماءِ الكتاب المُقدَّس. وباختصار، ادِّعاءُ أنَّ القيامةَ أسطورةٌ يُشبِهُ كثيراً محاولةَ ادِّعاء أنَّ اغتيالَ قيْصَر، أو أنَّ معظَمَ المآثرِ العسكريةِ للإسكندر الأكبر، هي تلفيقاتٌ أُسْطوريَّة.

رابعاً: تفسيرٌ تقليديٌّ آخر، للحدِّ الأدْنى من الحقائق، هو أنَّ يسوعَ كان في حالةِ إغماء Swoon theory، ثمَّ تعافى من إصاباتِهِ، ثمَّ سارَ إلى الموقِعِ الذي كان تلاميذُهُ مختبئينَ فيه. وفقاً لهذا التَّفسيرِ، المسيحُ لم يمُت، بل أُغمِيَ عليه ولُفَّ باللَّفائفِ ووُضِعَ في ذلك القبْر، ثمَّ أفاقَ وألقى اللَّفائِفَ، وعندما جاءَ الذين رفعوا الحَجَرَ لافتقادِهِ، كان قد اختفى عن الناسِ حتى لا يعلَمَ به أعداؤهُ.

ومن أدلَّتِهِم: أنَّ المصْلوبَ لم يُجرَح إلا كفَّاهُ ورِجْلاهُ، وهي ليست من المقاتِل، ولم يمكُث مُعلَّقاً إلا ثلاث ساعات، وكان يمكنُ أنْ يعيشَ على هذا الحال عدَّةَ أيام، وأنَّه لما جُرِحَ بالحرْبةِ خرَجَ منه دمٌ وماء، والميِّتُ لا يخرُجُ منه ذلك، بل قالوا إنَّ ذلك لم يكن صلْباً تاماً[1].

ويجيبُ بروكس بأنَّ من يقبَل بهذا السِّيناريو اليوم هو عددٌ قليلٌ جدّاً، حيثُ إنَّه لا توجدُ تقريباً أخبارٌ عن أيِّ شخصٍ نجا من صلْبٍ رومانيٍّ. فإذا فشَلَ الجنودُ المُفوَّضونَ في قتْلِ المُدان، كانوا يُعدَمونَ هُمْ مكانَ السَّجين. بل الأكثرُ إشكالاً من ذلك هو أنَّه لو كان يسوع قد ترنَّحَ داخِلاً مكانَ الحضور، لكانوا استنتجوا فوراً أنَّه نجا من محنَتِهِ بطريقةٍ خارقة، لا أنَّه فدى العالَمَ، ولما خطرَت على بالِهِم إمكانيَّةُ قيامتِهِ.

---

(1) الشيخ الصادقي، **الفرقان في تفسير القرآن**، ج7، ص315.

خامساً: تُقدَّمُ فرضيَّاتٌ أخرى بمعدَّل أقلّ، وأقدَمُها هو أنَّ التلاميذَ سرقوا الجسَدَ. وظهرت هذه الفرضيَّةُ بين رُؤساءِ الكهنة اليهود فوراً بعد قيامتِهِ[1].

يقولُ بروكس: لم يُدافِع عن هذه الفرضيَّةِ عمليّاً أيُّ عالِمٍ مختصٍّ في القرْنينِ الماضيين، إذْ تُفسِّرُ هذه الفرضيَّةُ القبْرَ الفارِغَ فقط، ولا تُفسِّر الظُّهوراتِ المُتعدِّدة ليسوع.

سادساً: أحدُ الادِّعاءات هو أنَّ يسوع كان له توأم طبْقَ الأصل.

يُعلِّقُ بروكس على هذه الفرضيَّة قائلاً: العلماءُ، بمن فيهم المُتشكِّكونَ، لا يُقيمونَ وزْناً كبيراً لهذا الرأي[2].

التَّفسيرُ الأقربُ للمعقوليَّة:

التَّفسيرُ الأبسَطُ، والفرضيَّةُ الأكثر معقوليَّة للقبْرِ الخالي والظُّهورات المُتعدِّدة ليسوع، ليس هو قيامتُهُ، كما يدَّعي بروكس ورايت وليكونا وغيرُهُم، بل هذا هو التَّفسيرُ الأعقَدُ والأضعَفُ والأبعدُ عن المعقوليَّة، وإنْ لم يكن مستحيلاً بنظَرِ من آمن بقُدرةِ اللهِ المُطْلَقة على إحياءِ الموتى. فإحياءُ الميِّتِ أمرٌ غيرُ مألوفٍ أبداً، والإثباتُ التاريخي لوقوعِ أمرٍ غير مألوف، بحاجةٍ إلى مؤونةٍ أكبر من الأدلَّةِ والشَّواهد، وفقاً لحسابِ الاحتمالات.

في تقديري هناكَ تفسيرانِ أقرَبَ وأكثَرَ معقوليَّة، فيما لو صحَّت تلك النُّقُولات:

التَّفسيرُ الأول: أنَّ كلَّ من ادَّعى رؤيةَ يسوع حيّاً بعد حادثةِ الدَّفن، كان قد أُصيبَ بحالةٍ من الهلْوسةِ والتوهُّم، وهي حالةٌ مألوفةٌ تماماً - وموثَّقةٌ علْميّاً - قد تقعُ للإنسانِ عندما يفقدُ حبيباً له ويشعُر برغبةٍ جامحةٍ في الالتقاءِ به. وتفسيرُ خُلُو القبْرِ من الجسَد، أنَّه قد سُرِقَ من طرفٍ ما، فسرْقةُ الأجسادِ كانت عادةً مألوفةً كما قيل.

هذا التَّفسيرُ ينْسَجِمُ مع الايمانِ بأنَّ يسوعَ قد صُلِبَ فعلاً، وهو ما ذهَبَ له أغلَبُ نُقَّاد العهد الجديد، ممَّن تجرَّدَ من الميولِ الايمانيَّةِ المُسْبقة. كما يذهَبُ إلى ذلك اليهودُ عموماً.

لكن ثمَّة ملاحظة تتعلَّقُ بعادةِ سرْقة الأجساد المزْعومة. وهي أنَّ العربَ قديماً كانوا قد اعتادوا على ظاهرةِ نبْشِ القبور بهدفِ سرْقة الأكفان، وربَّما اعتادتْ شعوبٌ كثيرةٌ في المنطقةِ على نبْشِ القبور بهدفِ سرْقة الحُلِي والذَّهب الذي كان يُدْفنُ قديماً مع الميِّت.

---

(1) **إنجيل متى** 28: 13.

(2) رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، ص105 - 109.

لكن هناك فرْقٌ كبيرٌ بين سرْقةِ الأجساد وسرْقةِ الحُلِي والذَّهب. فإنَّ كان الثاني أمراً مفهوماً ومعقولاً، فإنَّ سرْقة الأجساد لا أجدُ له مبرِّراً، ولا يمكنُ فهْمُ دوافعِهِ، بل القولُ بأنَّ سرْقةَ الأجساد كانت قديماً عادةً من العادات، يعوزُهُ الدَّليل.

وإنْ كان الهدفُ من سرْقةِ الجسد، هو إشاعة أنَّ يسوع قد قامَ من الأموات (حيثُ اتَّهمَ اليهودُ تلاميذَ يسوع بذلك)، فإنَّ القبرَ - كما تُشيرُ الأناجيل - كان تحتَ حراسة مُشدَّدة من قِبَلِ الجنود الرُّومان، فكيفَ تمكَّنَ التَّلاميذ أو غيرُهُم من سرْقةِ الجسد؟!

التَّفسيرُ الثاني: أنَّ يسوع لم يُصلَب أصْلاً، وإنَّما صُلِبَ شخصٌ آخر، وتوهَّمَ بعضُ الشُّهود أنَّه هو يسوع. لذا ظهَرَ لبعضِ مُحبِّيهِ حتى يُثبِتَ لهم أنَّه ما زالَ على قيدِ الحياة، وأنَّه لم يكن هو الشَّخصَ المصْلوب. وتفسيرُ خُلُو القبْرِ من الجَسَد، أنَّه قد سُرِقَ من طرفٍ ما من مصلحتِهِ أنْ لا ينكشِفَ أنْ المصْلوبَ المدْفونَ لم يكن هو يسوع.

هذا التَّفسيرُ ينْسَجِمُ مع ما جاء في القرآنِ، حيثُ أشارَ إلى وجودِ مكْرٍ بالمسيح، إلا أنَّ مكرَ اللهِ هو الغالب[1]، كما أكَّدَ على أنَّهم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[2] ومن ناحيةٍ أخرى، ينْسجِمُ هذا التَّفسيرُ مع تنبُّؤِ يسوع نفسِهِ حيثُ أخبرَ مناوئيهِ من اليهودِ بأنَّهم لن يظْفَروا به مهما حاولوا.

على هذا الأساس، بعد دراسةِ التَّاريخِ الرُّوماني، وعلاقة الرُّومان باليهود في الأرضِ المقدَّسة، التي كانت محتلَّةً آنذاك من قِبَلِ الرُّومان، وعلاقة يسوع وتلامذتِهِ بالرُّومان، والاطِّلاعِ الدَّقيقِ على الأناجيل، أجِدُ أنَّ السِّيناريو الأبسَط، والفرضيَّةَ الأقرَب والأكثر معقوليَّة هو أنَّ بيلاطُس (الحاكمَ الرُّوماني) كان قد استبدَلَ يسوع بشخصٍ آخر، ثمَّ أظهرَ بيلاطُس شخصاً آخر على هيئةِ يسوع، وأوهَمَ اليهودَ بأنَّه هو، وقامَ بصلْبِهِ، وجميعُ معارِفِهِ

---

(1) قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ .... فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ * إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. (آل عمران، 49 - 55).

(2) وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. (النساء، 157 - 159).

بمن فيهم النِّساء كانوا يرونَهُ من بعيد[1]، لذا لم يكُن من المُمْكِنِ التحقُّق بنحوٍ مؤكَّدٍ من هويَّةِ الرَّجُلِ الذي ساقوهُ إلى الصَّلْب. وفي مثلِ هذه الحالات سُرْعانَ ما ينْسبِق إلى ذهنِ الجمهور ما كان يتوقَّعونَهُ.

حدَثَ هذا بعدما كان اليهودُ قد أصيبوا بحالةٍ هستيريَّةٍ من الغضَبِ على يسوع، مُصرِّينَ على أنَّهم هُمْ من سيتحمَّل مسؤوليةَ دمِهِ[2]، حتى إنَّهم هدَّدوا بيلاطُس بأنَّهم سيفضَحُونَهُ عند القيْصَرِ ويُشكِّكون بولائِهِ له إنْ لم يقم بصلْبِ يسوع[3]، بعدما اتَّهموا يسوع بأنَّه يدَّعي أنَّه ملِكُ اليهود، وهي تهمةٌ سياسيَّةٌ تنطوي على تحدٍّ خطير لسُلْطةِ القيْصر.

ففعلَ بيلاطُس ما فعَل كي يحمي نفسَهُ (من وشايةِ اليهود به عند القيْصر). وحتى يُخرِسَ ألسنة رؤساء الكهنة، سلَّمَ الجسَدَ المصْلوب بعد ذلك ليوسُفَ الرَّامي ، الذي كان من ناحيةٍ من أعضاءِ مجلِس السَّنهدرين اليهودي، لكن كان من ناحيةٍ أخرى تلميذاً ليسوع في السِّر، ومن الذينَ ينْتظِرُونَ ملكوتَ الله[4]، لذا من المترقَّب منه أنْ لا يكشِفَ السِّرَّ. فقامَ يوسُف الرَّامي بدفنِ جسَد المصْلوب.

ثمَّ سرعانَ ما سحَبَ بيلاطُس البُنْطي الجسَدَ المصْلوبَ من القَبْر، الذي كان محميّاً من قِبَلِ جنودِهِ. سحَبَ بيلاطُس الجسَدَ المصْلوبَ حتى لا ينكشِفَ أمرُهُ (وأمرُ يوسُف الرَّامي)، وأطلَقَ سراحَ يسوعٍ خِفْيةً، طالباً منه عدمَ إظهارَ نفسِهِ لأعدائِهِ في أورشليم. والأرجَح أنَّ الشابَّ الذي رأتْهُ النِّسْوةُ الزَّائرات للقبْرِ كان من جُنودِ بيلاطُس.

فاستنقذَ بيلاطُس بذلك نفسَهُ من كيدِ مناوئي يسوع من اليهود، هذا من ناحية. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، لم يستجِب لرغباتِهِم المجنونة، خصوصاً بعد تحذيرِ زوجتِهِ له بأنْ لا يتورَّط بقتْلِ رجُلٍ صالِح[5]. ومن ناحيةٍ ثالثةٍ، أوهَمَ اليهودَ أنَّه قد نفَّذَ رغباتَهُم، فأطفأَ بذلك لهيبَ الغضَبِ المُشْتَعِل في صُدُورهم كالمِرْجَل.

أما مُحبّو يسوع ومريدوه، فبينَ مؤمنٍ بأنَّ اللهَ قد «أنجاهُ» من أعدائِهِ اليهود بعدما ظهَرَ لهُم بلحْمِهِ ودمِهِ، وبينَ من توهَّمَ أنَّه قد «قامَ» من الأموات، بعدما شاعَ صلْبُهُ ووُجِدَ

---

(1) إنجيل لوقا 23: 49.
(2) إنجيل متى 27: 25.
(3) إنجيل يوحنا 18: 12.
(4) إنجيل مرقس 27: 57 ـ 58، إنجيل متى 15: 43، إنجيل لوقا 23: 50 ـ 51، إنجيل يوحنا 19: 38.
(5) إنجيل متى 27: 19.

القبرُ خالياً. ولم يكن بمقدورِ الطَّائفة الأولى تبديدُ وهْمِ الطَّائفة الثانية، لأنَّ نجاةَ يسوع إنْ انكشَفَت لأعدائِهِ اليهود، فسيعودُ مطلوباً لهم ما دامَ على قيدِ الحياة، وسيتمُّ وضْع بيلاطُس ويوسف الرَّامي في وضْعٍ حرِجٍ للغاية، لذا اضطرُّوا للتكتُّمِ قدرَ الإمكان.

هذا التكتُّمُ أدَّى إلى نتيجةٍ سلْبيَّةٍ كان لا مفرَّ من وقوعِها، وهي سريانُ إشاعةٍ كالنارِ في الهشيم، مفادُها أنَّ يسوعَ قد قامَ من الأموات، والدَّليلُ على ذلكَ قبرُهُ الفارغ. ولم يتمّ «رفْعُ» يسوع إلى السَّماءِ بعد أربعينَ يوماً[1] إلا وكانت هذه الإشاعةُ قد أخذَت مأخذَها، وبدأت تبلُغُ الذَّروةَ في مداها، ثمَّ صارت لاحقاً سبباً لاشتعالِ تعاطُفِ الناس مع مظلوميَّةِ يسوع، وتنفُّرِهِم الشَّديد من أعدائِهِ اليهود. وكان سريانُ إشاعةِ قيامة يسوع من الأموات، أهوَن على بيلاطُس بكثير، من انكشافِ إطلاق سراحِهِ خِفْيةً. بل كان ذلك مفيداً له، لأنَّه سيَرْمي الكُرةَ في ملْعبِ اليهود ويُرْبِكهُم أيَّما إرْباك.

أما أعداءُ يسوع، من رؤساءِ الكهنةِ والشُّيوخ اليهود، الذين حرَّضوا على قتلِهِ، فقد فُوجِئُوا بسرْقةِ الجسد، لكن لم يكُن بمقدورهم اتِّهام بيلاطُس (رغمَ ارتيابِهم بتعاطُفِهِ مع يسوع)، لأنَّه في الظَّاهرِ قد نفَّذَ طلبَهُم، واستجابَ لرغبتِهِم في صلْبِهِ. لذا، بتعبيرِ فرويد، من خلالِ حيلةِ التَّحويلِ الدِّفاعيَّة، اتَّهموا تلامذةَ يسوع بسرقةِ جسدِهِ، لتفسيرِ خلو القبر من الجسدِ، حفظاً لماءِ وجوهِهِم أمامَ قواعدهم الشَّعبية. ثمَّ صاروا على مرِّ التاريخ، يفْتخرونَ بارتكابِهِم لجريمةٍ لم يُمكِّنهم اللهُ من ارتكابِها. والطَّريفُ أنَّهم صاروا وما زالوا يدفعونَ ثمناً باهظاً لتلك الجريمة! فظهَرَ بذلك مكرُ اللهِ باليهودِ على يدِ بيلاطُس بمعونةِ يوسُف الرَّامي.

والآن، طالما أنَّ اليهودَ قد استعانوا بالوثنيِّين (الرُّومان) للتخلُّصِ من يسوع الإسرائيلي، فقد قرَّرت السَّماءُ أنْ تُجري سُنَّةَ الاستبدال، وتُحدِثَ تحوُّلاً تاريخيّاً في مسارِ البشريَّةِ، لقد آن الأوانُ لكسْرِ القيد، وحانَ الوقتُ لفكِّ الأغلال، ونشْرِ الدَّعوةِ إلى التوحيد في كلِّ أرجاء العالَم الوثني، وعلى أوسعِ نطاقٍ ممكن. لذا طلَبَ يسوعُ من التَّلاميذ عندما رآهم أنْ يدعوا الخليقةَ كلَّها إلى كلمةِ التوحيد، وأنْ يُبشِّروا بقُرْبِ مجيءِ ملكوتِ الله. وسرعانَ ما صارَ هذا العالَمُ الوثني (الرُّوماني وغيرُهُ) شجىً في حلْقِ أعدائِهِ اليهود على مرِّ التاريخ.

أما مهمَّةُ تبديد إشاعة قيامة يسوع من الأموات، فلم تكُن آنذاك أولويةً قصوى بالنِّسبةِ إلى التلاميذِ، الذين انتشروا في أرجاءِ العالَم للتَّبشير، فالمهمُّ هو أنَّ اللهَ تعالى قد خلَّصَ

(1) أعمال الرُّسُل 1: 3.

سيِّدَهُم من كيدِ أعدائِهِ. ولم يطرأ ببالِهِم أنْ تتطوَّرَ هذه الإشاعةُ وتتدحرَجُ ككرةِ الثَّلْج، خلالَ قرْن أو قرْنين، ليتمَّ تشييدِ لاهوتٍ مسيحيٍّ على أساسِها، تحميهِ الكنيسة، وينتهي إلى التَّأليهِ والتَّثْليث. وإنَّما كانت الأولويةُ بالنسبةِ إليهم، بكلِّ عفوية، نشْر كلمة التوحيد والتَّبشير برسالةِ المسيح لجميع أنحاءِ العالَم.

أما من هو المصلوبُ واقعاً، فهذا ما لا يمكنُ الجزْمُ به، وفقاً لمعطياتِ التاريخ، فمن قائلٍ إنَّه سِمْعان القيرواني، وقائلٍ بأنَّه يهوذا الأسخريوطي، وقائلٍ بأنَّه يسوع بن يوسُف آخر ادَّعى أنَّه ملِك اليهود، ولعلَّ الأخير هو الأرجح، واللهُ تعالى أعلم.

ويمكنُ تأييدُ هذا التَّفسير العامّ (الذي يدَّعي إطلاق بيلاطُس البُنْطي سراحَ يسوع خفْيةً) ببعضِ الشَّواهدِ والقرائن:

1. بعدما اقتيدَ يسوع إلى قصْرِ الحكومةِ، لم يدْخُل اليهودُ إلى القصْرِ لئلَّا يتنجسَّوا فلا يتمكَّنوا من الأكلِ من خروفِ الفصْح[1]. وهذا الأمرُ يُعطي بيلاطُس البُنْطي فُرْصةً مناسبةً وكافيةً لتغييرِ المعتقَل واستبدالِهِ بآخر.
2. استبدالُ ثيابِ المعتقل، ووضْعُ إكليلِ الشَّوكِ على رأسِهِ، والدِّماءُ التي كانت تُغطِّي وجهَهُ، كُلُّها أمورٌ تُساهِمُ في تشويشِ أعيُنِ الجماهير، بحيث يتوَّهموا أنَّ المعتقَلَ الذي يُساقُ إلى الصَّلْبِ هو يسوع دونَ غيرِهِ، خصوصاً أنَّ هذا هو المُرتكَزُ في أذهانِهِم، وهذا هو الأمرُ المُعْلَن.
3. جميعُ معارِفِ يسوع - بمن فيهم النِّساء - كانوا يرونَ المُعتقَلَ الذي يُساقُ إلى الصَّلْب «من بعيد». هذا ما يؤكِّدُهُ إنجيلُ لوقا[2].

وهذه نقطة بالغةُ الأهميَّة، فمن المعلومِ أنَّ رؤيةَ الشَّخْصِ «من بعيد» لا تفسَحُ المجالَ للرَّائي للتأكُّدِ من هويَّةِ المرْئي.

4. جنودُ بيلاطُس الذين قاموا بالصَّلْب هم من الرُّومان، وليسوا من اليهود، لذا من السَّهلِ نسْبيّاً إخفاءُ الأمرِ على اليهود، خصوصاً مع اختلافِ اللُّغات. فلُغةُ أغلب اليهود البُسَطاء كانت عبرانيَّة/ آراميَّة، ولُغةُ أغلب الجنود الرُّومان كانت رومانيَّة/ لاتينيَّة.

بعبارةٍ أخرى، لا يوجدُ بين الجنود الرُّومان من يقومُ بتسريبِ خبر استبدال يسوع بآخر، وأنَّ الذي يُساقُ إلى الصَّلْبِ ليس يسوع، خصوصاً مع وجودِ أوامر من بيلاطُس بالتَّكتُّم على الخبر.

---

(1) إنجيل يوحنَّا 18: 28.

(2) إنجيل لوقا 23: 49.

5. رئيسُ الكهنةِ، وأعضاءُ مجْلِس السَّنْهدرين، والكتَبة، بل وحتى الجماهير المحتشدة في أورشليم من اليهودِ العاديِّين، كانوا مشغولينَ بعد تسليم يسوع لبيلاطُس، في أداءِ طُقُوسِ عيدِ الفصح، وكانوا في يومِ سبْتٍ يعقبُهُ سبْتٍ. وهذا يعني أنَّ قُدْرَتَهُم، وربَّما رغبَتَهُم، على متابعةِ إجراءاتِ تنفيذِ حُكْمِ الصَّلْب، ثمَّ الدَّفْن، والتأكُّد من إغلاقِ ملَفِّ يسوع وأتباعِهِ، كانت محدودةً للغاية، بعدما تأكَّدُوا أنَّ الحُكْمَ قد صدَرَ من بيلاطُس بصلْبِ يسوع، وأنَّ الحُكْمَ في طريقِهِ للإجراء[1]. هذا الانشغالُ بطُقُوسِ عيدِ الفصْح، أعطى لبيلاطُس الفرْصةَ - على الأرجح - لتمريرِ خُطَّتِهِ بإطلاقِ سراحِ يسوع خُفْيةً بكلِّ سهولة، وصلْبِ شخصٍ آخرَ وإيهامِ اليهود بأنَّه هو يسوع.

6. الإصرارُ على كتابةِ لوحةٍ، تقول «هذا ملِكُ اليهود» فوقَ رأسِ المصْلوب (المفترض أنَّه يسوع)، دونَ زميليهِ المصْلوبَيْن، مكتوبةً باللُّغاتِ الثَّلاث: اليونانيَّة والرُّومانيَّة والعَبْرانيَّة... هذا الإصرارُ يزيدُ من شكوكِنا وترجيحِنا لاحتمالِ أنَّ بيلاطُس كان قد قصَدَ إيهامَ اليهود بأنَّ المصْلوبَ هو يسوع دونَ غيرِهِ.

7. لماذا سلَّم بيلاطُس جسَدَ المصْلوب إلى يوسُف الرَّامي دونَ غيرِهِ من اليهود؟! لِمَ لم يُسلِّمهُ إلى حنَّان أو قيافا؟ أو حتى يطلُب منْهُما أنْ يُرْسلا شخصاً من طرفِهِما لاستلامِ الجثمان؟ ولِمَ لم يُسلِّمهُ لأهلِهِ كأُمِّهِ مريم وإخوانِهِ؟

الجواب: لأنَّ الرَّامي كان من ناحيةٍ من أعضاءِ مجلِس السَّنهدرين اليهودي[2]، وهذه الناحية تُطَمْئِن مناوئي يسوع بأنَّ ما طلبوهُ قد تمَّ تنفيذُهُ. لكن يوسُف الرَّامي من ناحيةٍ أخرى كان تلميذاً ليسوع في السِّر[3]، ومن الذينَ ينْتظِرُونَ ملكوتَ الله[4]، لذا من الطَّبيعي جدّاً أنْ يتكتَّمَ على إطلاقِ سَراحِ يسوع بالخِفْية، ويُوهِم مناوئي يسوع اليهود بأنَّه قامَ بدفْنِ يسوع، مع أنَّ المدفونَ في الواقعِ هو المصْلوب، وهو شخصٌ آخر.

كتبَ طابور: «ومن المعتقد أنَّ يوسُف لم تُوجَّه إليه الدَّعوة في اللَّيلةِ الماضية، لحضورِ «المحاكمة» التي انعقدت في بيتِ حانان وقيافا. وقد كان هو واحداً من الأقليَّةِ من القادةِ اليهود

---

(1) فأنتَ عندما تُسلِّم خصْمكَ إلى السُّلُطات، ثمَّ تُصدِرُ تلك السُّلُطات حكمَ الإدانة بحقِّهِ، فأنتَ لا تحرص عادة على رؤيةِ تنفيذِ هذا الحكم، خصوصاً إنْ كنْتَ مشغولاً بأمور أخرى، وواثقاً بأنَّه سيُنفَّذ.

(2) **إنجيل مرقس** 15: 43.

(3) **إنجيل يوحنا** 19: 38. **إنجيل متى** 27: 57 - 58.

(4) **إنجيل مرقس** 15: 43. **إنجيل لوقا** 23: 50 - 51.

ذوي النُّفوذ الذين أيَّدوا يسوع، وقد حصَلَ على مساعدةِ رجُلٍ اسْمُهُ «نيقوذيموس»، كان أيضاً عضواً في السَّنهدرين، شاركَهُ في وجهةِ نظرِهِ المتعاطفة مع الحركةِ المسائحيَّة، وكانت المشكلةُ التي واجهاها هي أين يمكن لهُما أنْ يدْفُنا يسوع بشكلٍ مؤقَّت، في مثلِ تلك الظُّروف الضَّاغطة»[1].

8. من الطَّبيعي أنْ يفترِضَ أنَّ اليهودَ ستُساوِرُهُم الشُّكوك حولَ هويَّة المصْلوب. ومن الطَّبيعي أنْ يُحاوِلَ بيلاطُس إخفاءَ آثار ما قامَ به.

لذا من المعقولِ جدّاً أنْ يُحاوِلَ بيلاطُس سحْبَ الجسَد المصْلوب من القبْر، بواسطةِ جُندِهِ الذين يأتمرونَ بأمرِهِ ويحرُسُونَ القبْر، بأسرَعِ وقتٍ ممكن، خصوصاً أنَّ تلك اللَّيلة كانت ليلةَ الفصْح أو ليلةَ سبْتٍ، وفيهما تكون حركةَ اليهود مقيَّدةٌ إلى أقصى درجة، وهم عموماً مشغولونَ بأجواءِ الفصْح، فهي فُرْصةٌ ثمينةٌ للغايةِ للتخلُّصِ من آثارِ ما قامَ به.

ولا يمكنُ لأيِّ طرفٍ آخرَ (كتلاميذ يسوع) أنْ يسْحبوا الجسَدَ... لماذا؟ لأنَّ القبْرَ كان تحت حراسة مُشدَّدة من قِبَلِ الجنود الرُّومان[2]. نعم، ادَّعى إنجيلُ متَّى (فقط دون غيرِهِ من الأناجيل) أنَّه في الغدِ، بعد التَّهيئةِ للسَّبْتِ، طلبَ رؤساءُ الكهنةِ من بيلاطُس البُنْطي حراسةَ القبر، حتى لا يسْرقهُ تلامذةُ يسوع، فطلَبَ منهم التكفُّلَ بذلك، ففعلوا[3] لكن هذا الادِّعاءُ يفتحُ البابَ على سيناريو أنَّ اليهودَ همُ الذين سرقوا الجسد. وإنْ افترضنا ذلك، فهذا السِّيناريو يُصيبُ فرضيَّةَ قيامة يسوع بمقتْل. مضافاً إلى أنَّه يفتحُ المجالَ للقولِ (كما قيلَ فعلاً) بأنَّ اليهودَ كانوا قد رموا جسَدَ يسوع للكلاب!

أقول: حتى لو فرضْنا أنَّ رؤساءَ الكهنة كانوا قد طلبوا من بيلاطُس البُنْطي حراسةَ القبْر، فهذا لا يعني أنَّهُم قد حرسوهُ بأنفُسِهِم. ففي إنجيلِ شمعون الصَّفا جاءَ بأنَّهُم عندما طلبوا من بيلاطُس البُنْطي ذلك، أعطاهُم بيترونيوس قائد المئة مع جنودٍ لحراسةِ الضَّريح[4]. ومن ناحيةٍ أخرى، عبارةُ إنجيلِ متَّى تؤكِّدُ بأنَّ هذا الطَّلبَ كانوا قد تقدَّموا به في الغد، وهذا

---

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص269 ـ 270.

(2) مضافاً إلى أنَّ التلاميذَ «بوصفِهِم يهوداً» كانوا ملتزمين بأحكامِ السَّبْت التي تُقيِّدُ النَّشاطَ والحركة، ومشغولينَ بطُقُوسِ الفصْح. فحالُهُم في ذلك سواء مع أعداءِ المَسيح من اليهود.

(3) **إنجيل متى** 27: 62 ـ 66.

(4) **إنجيل شمعون الصفا** 8: 28 ـ 33. **الأناجيل: النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص 653، دار قتيبة، دمشق، 2008.

يعني أنَّ الجسَدَ ظلَّ في القبْرِ طوالَ اللَّيل، وهي فترةٌ كافيةٌ تماماً كي يسْحبَ بيلاطُس البُنْطي الجسَدَ المصْلوب بسهولة.

الخلاصةُ أنَّ القبرَ الفارغ إنْ كان يُوظَّفُ عادةً كقرينةٍ على قيامةِ يسوع من الأموات، فهو وفقاً لفرضيَّتِنا يُوظَّفُ كقرينةٍ على سحْبِ جنود بيلاطُس لجسَدِ المصْلوب.

9. كان يسوع قد أوَصلَ إلى تلاميذِهِ خبرَ أنَّه سيَسْبقُهُم إلى الجليل، لأنَّ أورشليم باتَت محلّاً شديدَ الخطورةِ عليه. فالتقاؤُهُ بِهِم في الجليل، وعدمُ ظهورِهِ لمناوئيهِ في أورشليم، إنْ صحَّ، فهو يدْعَمُ فرضيَّةَ إطلاقُ سراحِهِ خِفْيةً بتنْسيقٍ مع بيلاطُس. خصوصاً أنَّ يسوع كان بحاجةٍ لطمأنةِ تلاميذِهِ بأنَّه قد نجا، ليشحَذَ هِمَمَهُم فلا ينهاروا، ويطلُبَ منهم التَّبْشيرَ برسالتِهِ لكلِّ الأمم الأخرى.

بعبارةٍ أخرى، الظُّهورات المُتعدِّدة ليسوع إنْ كانت تُوظَّفُ عادةً كقرائنَ على قيامةِ يسوع من الأموات، فهي وفقاً لفرضيَّتِنا تُوظَّفُ كقرائنَ على نجاتِهِ من الصَّلْب.

10. ما جاءَ في قولِهِ للفريزيِّين: «فَأَرْسَلَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ خُدَّاماً لِيُمْسِكُوهُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:» أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً يَسِيراً بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. **سَتَطْلُبُونَنِي وَلَا تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا**». فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: «إِلَى أَيْنَ هذَا مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى لَا نَجِدَهُ نَحْنُ؟ أَلَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمَ الْيُونَانِيِّينَ؟ مَا هذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَ: سَتَطْلُبُونَنِي وَلَا تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟»[1].

وكلماتُ يسوع تشي بأنَّه كان واثقاً بأنَّه سينجو من مكرِ اليهود، وهي قد تُضعِّفُ فرضيَّةَ صلْبِهِ.

11. قولُ يسوع لتلاميذِهِ ليلةَ الصَّلْب: «**كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ**، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ»[2].

ويمكن أنْ تفهَمَ هذه العباراتُ بسهولةٍ إذا افترضنا أنَّ التَّلاميذَ كانوا يعتقدون أنَّ يسوعَ هو المسيحُ المنتظر الذي سيُقيمُ ملكوتَ اللهِ على الأرض، لكن عندما يرونَهُ معتقلاً، فسيبدأُ الشَّكُّ بأنَّه كان هو المسيح يسْري في نُفُوسِهِم، وعندما يُشبَّهُ لهم أنَّه هو المصْلوب،

---

(1) **إنجيل يوحنَّا** 7: 32 ـ 36.

(2) **إنجيل متى** 36: 31، إنجيل مرقس 14: 27. أقول: الأرجح انطباق هذه النبوءة على يوحنَّا المعمدان.

فسيسْتحكِمُ شكُّهُم أكثر، وعندما يُؤخَذُ الجسَدُ ويُدْفَن.... فسيتزلزل إيمانُهُم بأنَّه هو المسيحُ المنتظر زلزالاً شديداً.

وكلماتُ يسوع تشي بأنَّه كان يعلَمُ ما سيجري عليه، كما كان يعلَمُ تأثيرَ اختلاط الأوراق على تلاميذِهِ.

12. من المهمِّ أيضاً التوقُّف عند شخصيَّةِ «باراباس» الذي أطلَقَ بيلاطُس سراحَهُ. من جهتِهِ، د. سُهيل زكَّار يفترضُ وجودَ شخصيَّتينِ متزامنتين تمَّ الخلْطُ بينهما، شخصيَّة يسوع النَّبي، وشخصيَّة يسوع الملِك. ويميلُ د. زكَّار إلى أنَّ يسوعَ النَّبي هو «باراباس» الذي أُطلِقَ سراحُهُ. وقد يُرجِّح فرضيَّتَهُ أنَّ اسمَ «باراباس» هو اسمٌ آراميٌّ معناهُ «ابنُ الأب»، على أساسِ أنَّ أبا يسوع النَّبي غيرُ معروف، في حين أنَّ يسوعَ الملِك هو ابنُ يوسُف.

ويميلُ د. كمال الصَّليبي إلى ما يُشبِهُ ذلك، حيثُ أكَّدَ على أنَّ عيسى ابنَ مريم، وهو اللَّاوي والهاروني الأصل، لا يمكن أنْ يكونَ هو ذاتهُ يسوع ابن يوسُف النَّجَّار، الذي كان اسْمُ خالتِهِ، وليس أُمّهُ، مريم، وهو الذي كان من بيتِ داود، ومن سبْطِ يهوذا بشهادةِ الأناجيلِ الأرْبعة[1].

المفاجأةُ هي أنَّ أوريجانوس يذكُرُ في شرحِهِ لإنجيلِ متَّى، أنَّه وُجِدَ الاسْمُ في بعضِ المخطوطات القديمة «يسوع باراباس» في (إنجيلِ متَّى 27: 16، 17)، وفي بعضِ المخطوطات السَّرْيانيَّة. ولو صحَّ أنَّ اسْمَ باراباس الأوَّل كان «يسوع»، فإنَّه يجعَل عرْض بيلاطُس هكذا: «من تريدون أنْ أُطلِقَ لكم: يسوع باراباس (النَّبي) أم يسوع (الملِك)؟».

ويمكنُ الجمْعُ بين السِّيناريو الذي أُرجِّحُهُ مع السِّيناريو الذي اقترَحَهُ د. زكار، من خلالِ القول بأنَّ بيلاطُس البُنْطي ربَّما استفادَ من تشابُه الأسماء، وتشابُه الاتِّهامات الموجَّهة لكُلٍّ منهُما، فأطلَقَ سراحَ باراباس (الذي كان في الواقعِ هو يسوع ابن مريم النَّبي)، وصلَبَ يسوع الآخر (الذي كان في الواقع هو يسوع بن يوسُف النَّجَّار) الثَّوري الذي كان يطمَحُ لمُلْكٍ سياسي (وربَّما كان من الزّيلوت)، في غمرةِ انشغال الحُجَّاج اليهود بعيدِ الفصح. واللهُ أعلم[2].

---

(1) كمال الصليبي، **البحث عن يسوع**، ص117.

(2) وهذا غير مستبعد أبداً، خصوصاً إذا كان التشابه لا يقتصر على الأسماء، بل يسري التشابه أيضاً على خصوصيات أخرى. فمثلاً في أكتوبر/ تشرين الأول 2017، نشرت بعض وسائل الإعلام خبراً=

توهُّمُ صلْب يسوع وإشاعةُ قيامتِه (الجانب الإدراكي للشُّهود):

من ناحيةٍ أخرى، إذا أردْنا دراسةَ ملابسات اعتقال يسوع، لكن هذه المرَّة آخذينَ بعينِ الاعتبار التطوُّرات النَّفْسيَّة الدَّراماتيكيَّة التي يمكن أنْ تحدُث في مثلِ هذه الأجواء، في لحظاتِ الخَطَر واستهداف حياة الإنسان، والخوف والذُّعر الذي يمكن أنْ ينتابَهُ في مثلِ هذه الظُّروف، وتأثيرُ ذلكَ كلِّهِ على قُدْراتِهِ الإدراكيَّة، على مستوى تشتُّت الانتباه، وتشويش الذَّاكرة، والتوقُّع، وتأثير العنف والتوتُّر، والقابلية للإيحاء، وتهيُّؤ الذِّهن لاستقبالِ الشَّائعات، وما يُعرَفُ بـ «التَّضليل» Disguise أي صعوبة التعرُّف على أحدِ الأشخاص لأنَّه حدَثَ تغييرٌ ما في هيئتِهِ... وهذا ما يُؤكِّدُهُ علْمُ الإدراك، وعلْمُ الجريمة[1]، وعلْمُ النَّفْس القضائي[2]، وعلْمُ النَّفْس التَّجريبي[3]، فيما يتعلَّق بشهاداتِ الشُّهود.

وإذا أخذنا بعينِ الاعتبار أنَّ الشَّائعات تنمو بقوَّةٍ في ظلِّ غيابِ المعلومات الكافية والدَّقيقة في غمرةِ الأحداثِ المتسارعة، وأنَّها في كثيرٍ من الأحيانِ تنطوي على شيءٍ من الحقيقةِ، لكن بعد التلاعُبِ بها بالتَّزييفِ أو التَّضخيم أو التَّحريف... وهذا ما يُؤكِّدُهُ علْمُ النَّفْس الاجتماعي. خصوصاً عندما يحدِّثُنا هذا العِلْم عن نوعٍ محدَّدٍ من الشَّائعات، يُطلِقُ عليها اسْم «الشَّائعة المندفعة»، وهي التي تكونُ لها طبيعة اندفاعيَّة، وتنتشِرُ بسُرْعةِ انتشار النَّار في الهشيم، حيثُ تجتاحُ هذا النَّوع من الشَّائعات المجتمعَ في وقتٍ قصيرٍ

= عن وفاةِ الدَّاعية العراقي أحمد الكبيسي، وكان المتوفَّى في الواقع هو داعيةٌ آخر بالاسم نفسِهِ لكن سعودي الجنسية! والفتت بعضُ وسائل الإعلام إلى هذا الخطأ، ولم يلتفت بعضُها الآخَر! فالتشابه هنا ليس بالأسماء فقط، بل في كون كل منهما داعية.

كذلك كثيراً ما يخلط غير المُطَّلعين بين السيد محمد باقر الصدر، والسيد محمد محمد صادق الصدر، فعندما يُقال «الشَّهيد الصدر» يتبادر لذهن البعض الأول، ويتبادر لذهن البعض الآخر الثاني. والتشابه هنا ليس بالأسماء فقط، بل في كون كل منهما فقيهاً عراقياً بارزاً، عاشا في عصر واحد، وكانا أبناء عمومة، وتتلمذ الثاني على يد الأول.

(1) راجع مثلًا: د. مصطفى محمد الدغيدي، **التحريات والإثبات الجنائي**، ط3، مصر، الشهود، ص117 ـ 140.

(2) راجع مثلًا: د. رمسيس بهنام، **علم النفس القضائي**، منشأة المعارف، 2005، الإسكندرية، الباب التاسع: في التعرف على الأشخاص وعلى الأشياء، ص171 ـ 200.

(3) راجع مثلًا: د. محمد شحاته ربيع، **المرجع في علم النفس التجريبي**، دار المسيرة، ط2، 2011، الأردن، الباب السابع: تطبيقات الذاكرة في المجال الجنائي: الشهادة القضائية، ص396 ـ 416.

بشكلٍ مذهل، وأنَّ هذا النَّوع ينطلق في جوٍّ مُكهرَبٍ للغاية، بحيث تميلُ الشَّائعةُ إلى إثارةِ استجاباتٍ سريعةٍ وعنيفة، وذلك لاستنادِها إلى انفعالاتٍ قوَّيةٍ من الهلَعِ والذُّعرِ أو الغضَبِ أو الإحباطِ أو الفرْحةِ المفاجئة، وأنَّ هذا النَّوع من الشَّائعات ينتشرُ غالباً في الحوادثِ الأمنيَّة، كالعُنْفِ والاعتقالات، أو في حالاتِ الكوارِث، أو لحظاتِ الحسْمِ في الحروب، وأنَّ بعضَ الجهات تحاولُ الاستفادةَ من حالةِ الإرباكِ والانفعالِ الشَّديد، وعنصر المفاجأة الذي يُصيبُ النَّاسَ.

أقول: إذا أخذنا كلَّ ذلك بعينِ الاعتبار، فسنجدُ أنَّ ظُرُوفَ اعتقال يسوع (وردود فعل التلاميذ)، وحادثة الصَّلْب (مع بُعدِ المسافة بين الشُّهودِ والمصْلوب)، والدَّفْن (في أجواءٍ خاصّة)، ورؤية القبْر الفارغ (نساء منفعلات جدّاً)، وأجواء ادِّعاء ظهور يسوع (رغبات شديدة مكبوتة)، كلُّ ذلك يتطابقُ تماماً مع الظُّروفِ النَّموذجيَّة لاختلاطِ الأفكار وبُرُوزِ الأوهام ونموِّ الشَّائعات، خصوصاً مع لحظاتِ تهاوي آمال وأحلام واعتقادات المُحبِّين.

ملاحظات إضافيَّة (تتعلَّق بما جرى على الأناجيل لاحقاً):

1. من الأمورِ الملْفتة في الأناجيل، أنَّك تجدُ حواراً «تفصيليّاً» في إنجيلِ لوقا ليسوع مع النِّساءِ أثناءَ سوقِهِ إلى الصَّلْب[1]، وحواراً «تفصيليّاً» مع أحدِ اللِّصينِ المصْلوبيْنِ وهما في حالةِ الصَّلْب[2]، وهو ما لا نجِدُهُ في إنجيلِ مرْقس الأقدم. وهذا يدْعونا للشَّكِّ في وقوعِ هذه الحوارات. بل إنَّ مثلَ هذه الحوارات يصعُب تصوُّر وقوعها.

بل مثلُ هذه الحوارات يصْعُبُ تصوُّر وقوعها، لأنَّ شدَّةَ وطأة الحكم وظروفَ تنفيذِهِ، تمنَعُ عادةً من إجراءِ حوارات من هذا القبيل.

2. العبارةُ المنْسوبةُ ليسوع: «اغفِر لهم يا أبي، لأنَّهُم لا يعرِفُونَ ما يعْمَلون»[3]، محذوفةٌ في بعضِ المخطوطاتِ القديمة.

الأمرُ الذي يكشِفُ عن صراعٍ تاريخيٍّ في الموقفِ تجاهَ اليهود، من حيثُ تحميلِهِم مسؤوليَّةَ ما جرى على يسوع أو التَّخفيف من تلك المسؤوليَّة، خصوصاً في القرْنينِ الثاني والثالث، بعدما تمَّ محاصرة أورشليم وتدمير الهيكل وتشتيتُ اليهود. فقد كان كبارُ آباء

(1) **إنجيل لوقا** 23: 27 ـ 31.
(2) **إنجيل لوقا** 23: 39: 43.
(3) **إنجيل لوقا** 23: 34.

الكنيسةِ يُحمِّلُونَ اليهودَ المسؤوليَّة الكاملة عن قتْلِ الرَّب، فكيفَ يطلُبُ الرَّبُّ الابنُ لهمُ المغفرة، ثمَّ يُعاقِبُهُم الإلهُ الآب؟! فكان لا بدَّ من حذْفِ العبارة.

3. يحتوي إنجيلُ متَّى على حادثةٍ غريبة، حيثُ يسْرِدُ كلامَ يسوع عن آيةِ يونُس: «حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَال»[1].

ففي هذه الفقرات، يُصرِّحُ يسوع بأنَّه سيبقى في بطْنِ الأرضِ ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليال. ولكن إنجيلُ متَّى، ومعَهُ إنجيلُ لوقا وإنجيلُ مرْقس[2]، يُحدِّدُ موت ودفن يسوع بما قبْل السَّبْت بيوم، وهذا بالتأكيد يجعَل المُكوثَ في الأرضِ ثلاثةَ أيام (يقولُ النَّصُّ اليوناني Treis emeras)، لكن هذه الفترةُ الزَّمنيَّةُ لا تحتوي إلا على ليلتين، وليس ثلاث ليال (يقولُ النَّصُّ اليوناني Treis nuktas).

يقولُ الباحثُ الفرنسي موريس بوكاي: «المُعلِّقونَ على الأناجيلِ يسْكُتُونَ في غالبِ الأحيانِ أمامَ هذا الحدث. مع ذلك، فالآبُ روجي يُبرِزُ هذا الأمرَ غير المعقول، ويُلاحِظُ أنَّ يسوعَ «لم يبْقَ بالقبْرِ» إلا ثلاثةَ أيام (منها يومٌ كاملٌ فقط) وليلتين. غيرَ أنَّه يُضيفُ قائلاً: «التَّعبيرُ جامِدٌ، ولا يدُلُّ على شيءٍ آخرَ إلا ثلاثة أيام». وإنَّه لمِمَّا يُحزِنُ حقّاً أنْ نُلاحِظَ المُعلِّقينَ ينزِلُونَ إلى استخدامِ مثل هذه الحُجَج التي لا تقولُ شيئاً إيجابياً، على حينِ يشْفي العقلَ الإيحاءُ بأنَّ مثلَ هذه الكبيرة ربَّما تكونُ قد صدرَت عن أخطاءِ أحد نُسَّاخ النَّصّ»[3].

4. ثمَّةَ نُقطة أخيرة. قلْتُ فيما مضى إنَّ التلاميذَ لم يطرأ ببالِهم على ما يبدو أنْ تتطوَّرَ شائعةُ قيامة يسوع وتتدحرَجُ ككرةِ الثَّلْج، خلالَ قرْنٍ أو قرْنين، ليتمَّ تشييدُ لاهوتٍ مسيحيٍّ على أساسِها، تحميهِ الكنيسة، وينتهي إلى التَّأليهِ والتَّثْليث.

الأدلَّةُ على هذا التدحرُج متعدِّدة، منها أنَّ إنجيلَ مرقس، وهو أقدَمُ الأناجيل، ينْتهي في

---

(1) **إنجيل متى** 12: 38 ـ 40.

(2) **إنجيل متى** 28: 1، **إنجيل مرقس** 16: 2، **إنجيل لوقا** 24: 1.

(3) موريس بوكاي، **القرآن والتوراة والإنجيل**، ص95 ـ 96.

المخطوطاتِ القديمةِ بأسْرِها في الإصحاح 16: 5 ـ 8 عند العباراتِ التالية: «وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابّاً جَالِساً عَنِ الْيَمِينِ لَابِساً حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ. فَقَالَ لَهُنَّ: «لَا تَنْدَهِشْنَ! أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ هٰهُنَا. هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ. لٰكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلَامِيذِهِ وَلِبُطْرُس: إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ». فَخَرَجْنَ سَرِيعاً وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لأَنَّ الرِّعْدَةَ وَالْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ. وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئاً لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ».

لكنَّنا نجدُ في المخطوطاتِ الأحدَث تُضافُ تفاصيلُ تتعلَّقُ بقيامةِ يسوع وظهوراتِهِ المُتعدِّدة، ثمَّ ارتفاعِهِ إلى السَّماء، تبدأُ من الفقرة 9 وتنتهي عند الفقرة 20. وهذا الأمرُ بنفسِه، يكفي ليُدْرِكَ الباحثُ حجْمَ التلاعُبِ بالحقائقِ التاريخيَّة، لتمريرِ بعض المعلومات التي يريدُ من أضافَ تلك الفقرات تمريرَها. وتجدُ تلك الإضافةَ مطبوعةً في بعضِ نُسَخِ الكتابِ المُقدَّس بين قوسينِ هكذا[...]، وجاءَ في هامشِهِ: «ما جاءَ في الآيات 9 إلى 20 لا يرِدُ في أقدَمِ المخطوطات»[1].

كتَبَ طابور: «لأسبابٍ بديهية، كان من غير الممكن إبقاءُ هذا الانقطاع الذي يُسبِّبُ الصَّدْمة، وهذه «النِّهاية غير الكاملة»، والسَّماح لها بالوقوف، فهي لا بدَّ قد تتسبَّب باضطرابٍ عميقٍ للمسيحيِّين الأوائل. فالمسيحيَّةُ كانت قد بُنِيَت على فكرةِ أنَّ يسوعَ قد ظهَرَ بعد موتِهِ لأفرادٍ متنوِّعين ولجماعات، فكيف كان من الممكن لمرْقس أنْ يترُكَ هذا؟ الذي حدَثَ هو أنَّ بعضَ النُّسَّاخ الأتقياء الذين نسخوا مرْقس، صنعوا نهايةً له، وأضافوا إلى نصِّهِ في وقتٍ ما في القرْنِ الرَّابع للميلاد، أي بعد ثلاثمائةِ عام من تصنيفِ النَّصِّ الأصيل. وقد عُدَّت هذه النِّهاية المُلفَّقة تُشكِّلُ الفقرات 16: 9 ـ 20، ولكنَّها غيرُ موجودةٍ في أيٍّ من نُسَخِنا الأقدم والأكثر موثوقية واعتماداً من إنجيلِ مرْقس»[2].

ثمَّ كتَبَ: «كان الذي أخبرَنا به النَّصُّ الأصيلُ لمرْقس، هو أنَّ الرِّوايات عن ظهورِ يسوع لأفرادٍ وجماعات بعد قيامتِهِ، لم تكن تُعدُّ جُزْءاً ضرورياً من حكايةِ «الإنجيل» في حوالي العام سبْعين للميلاد، عندما كُتِبَ إنجيلُ مرْقس، وعلى هذا كيف تطوَّرت مثلُ هذه الرِّوايات؟ وبالفعل إنَّ روايتَنا الأقدم حولَ «رؤية» يسوع هي ليست موجودة في أناجيلِ العهد الجديد،

(1) **الكتاب المقدس**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط30، 1993م، لبنان، جمعية الكتاب المقدس، العهد الجديد، **إنجيل مرقس**، الإصحاح 16، ص86.

(2) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص276.

بل في رسالةٍ من رسائلِ بولُس، تُعرَفُ باسْمِ «الرِّسالةُ الأولى إلى أهلِ كورنْثوس»، التي كُتِبَت في حوالي العام 54م.... ومع متَّى، ولوقا، ويوحنَّا، أصبحت روايات «ظهورات» ما بعد القبْرِ الفارغ، جُزْءاً أساسيّاً في تمتينِ الادِّعاء بأنَّ يسوع «قامَ من الموت»، ويعودُ تاريخُ متَّى بالعادةِ إلى ثمانينيات القرْن الأوَّل للميلاد، ولوقا إلى التِّسعينيات، ويوحنَّا إلى نهايةِ القرْن الميلادي الأوَّل... والذي علينا أنْ نُدرِكَهُ أنَّ أناجيلَ متَّى، ولوقا، ويوحنَّا، قد كُتِبَت فيما بين أربعين إلى سبْعينَ عاماً بعد موتِ يسوع، من قِبَلِ كُتَّابٍ لم يكونوا بالأصلِ شُهُوداً، ولم يكونوا ممَّن عاشَ في فلسطينَ الرُّومانيَّة. ففي ذلك الحين، صارَ إعلانُ «قيامة المسيح» الرُّكنَ الأساسي في العقيدةِ المسيحيَّةِ الحديثةِ الظُّهور، وصارت صيغةُ بولُس من القصَّةِ هي الصِّيغة المُنْتصِرة إلى حدٍّ بعيد»[1].

مفارقات الأناجيل في آلامِ يسوع:

من الأمورِ المُثيرةِ للشُّكوكِ فيما يُعرَف بآلامِ المسيح، المفارقات بين رواياتِ الأناجيل. بعضُ هذه المفارقات يمكنُ علاجُها واعتبارُها تعارُضات غيرُ مُسْتقرَّة، تزولُ بالتأمُّل. لكن بعضُها الآخر يصْعُبُ، وربَّما يستحيلُ، علاجُها ولا يمكن إلا أنْ تكونَ تعارُضات مستقرَّة. إليكَ هذا الجدول التَّفصيلي حول هذه المفارقات:

مفارقات الأناجيل في آلامِ يسوع

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
1	هل تآمر اليهودُ على قتلِ يسوع؟	نعم 26: 1 ـ 5	نعم 14: 1، 2	نعم 22: 2	لا ذِكْرَ لذلك	يوجد اتفاقٌ بين الأناجيلِ الثلاثَّة الإزائيَّة على تآمُرِ اليهود
2	هل خانَ التَّلميذُ يهوذا الإسخريوطي يسوعَ مقابلَ ثلاثين فضَّة؟	نعم 26: 14 ـ 16	نعم، ذُكِر دون تحديد مقدار الفضَّة 14: 10 ـ 11	نعم، ذُكِر دون تحديد مقدار الفضَّة 22: 3 ـ 6	توجد إشارة للخيانةِ دون الحديث عن المالِ أصلاً 13: 2	يوجدُ اتفاقٌ بين الأناجيلِ الأربعة على خيانةِ يهوذا

(1) جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ص277 ـ 280.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
3	العشاءُ الأخير، هل كان في أوَّلِ أيام الفطير حين كانوا يذْبحونَ الفصْح؟	في أوَّلِ أيام الفطير 26: 17 ـ 20	في أوَّلِ أيام الفطير 14: 12	في أوَّلِ أيام الفطير 22: 7	قبلَ ذلك بيوم 13: 1 18: 28 19: 14	التَّعارُض بين الأناجيلِ الثَّلاثة الإزائيَّة وإنجيلِ يوحنَّا، يبدو مستقرّاً. إنجيلُ يوحنَّا يستهدفُ التأكيدَ على أنَّ صلْبَ يسوع كان قبلَ الفصْح بيوم، حتى يُصبحَ تشبيهُ يسوع بكبْشِ الفداء الذي يُذبحُ قبلَ الفصْحِ بيوم تشبيهاً تاماً. إنجيلُ شمعون الصَّفا موافقٌ للأناجيل الإزائيَّة 2: 5.
4	هل نسَّقَ التَّلاميذُ مع يسوع مائدةَ الفصْح؟	نعم 26: 17 ـ 19	نعم، وأرسلَ اثنين من تلاميذِهِ دون ذِكْر اسمهما 14: 12 ـ 17	نعم، طلَبَ من بُطْرُس ويوحنَّا بالتَّحديد ترتيب الأمر 22: 7 ـ 16	توجد إشارات للمائدة، دون الكلام عن قصَّة تهيئتِها، حيثُ «قامَ عن العشاء، وخلَعَ ثيابَهُ، وأخَذَ منْشفةً واتَّزرَ بها» 13: 4	لا يوجد تعارُض أساسي بين الأناجيل
5	هل غسَلَ يسوعُ أرجُلَ تلامذتِهِ؟	لا ذِكْرَ لذلك	لا ذِكْرَ لذلك	لا ذِكْرَ لذلك	نعم 13: 1 ـ 20	خلو الأناجيل الثلاثة الإزائيَّة من هذه القصَّة، يدفعُ للشكِّ في أصلِ حدوثِها
6	هل أخبرَ يسوعُ تلاميذَهُ بخيانةِ أحدِهِم له؟	نعم 26: 21 ـ 25	نعم 14: 17 ـ 21	نعم 22: 21 ـ 24	نعم 13: 21 ـ 30	يوجدُ اتفاقٌ بين الأناجيلِ الأربعة على ذلك

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
7	هل كسَرَ يسوعُ خُبْزاً قائلاً: خُذُوا كُلُوا هذا هو جسدي، ثمَّ ناوَلَهُم كأساً قائلاً: اشربوا منها كُلُّكُم، هذا هو دمي، دمُ العهدِ الذي يُسفَكُ من أجلِ أُناسٍ كثيرين، لغُفرانِ الخطايا؟	نعم 26: 26 ـ 29	نعم 14: 22 ـ 25	نعم 22: 19 ـ 20	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	رغمَ اتفاق الأناجيل الثَّلاثة الإزائيَّة، لكن تبقى القصَّةُ موضعَ شكٍ، وأنَّها اختُلِقَت لتأسيسِ عقيدة الفداء، وتحويلِها إلى طقْسٍ أساسيٍّ من طُقُوسِ الكنيسة
8	هل أخبرَ يسوعُ التَّلاميذَ بأنَّهم سيشُكُّونَ فيه في هذه اللَّيلة، وبعد قيامتِهِ سيسْبِقُهُم إلى الجليل؟	نعم 26: 31 ـ 32	نعم 14: 27 ـ 28	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا، لكن أخبرَهُم أنَّ ابنَ الإنسان سيتمجَّد، ويذهب إلى حيثُ لا يقدِر اليهود ولا التَّلاميذ أنْ يجيئوا 13: 31 ـ 33	
9	في نهايةِ العشاء الأخير، هل أمرَهُم أنْ يحُبُّوا بعضَهُم بعضاً؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 13: 34 ـ 35	من المرجَّح أنَّها وصيَّة مختلقة، لتوثيقِ العلاقة بين أفرادِ الجماعة المسيحيَّة الوليدة

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
10	هل قالَ لهم في تلك اللَّيلة: ليكُن الأكبر فيكم كالأصغر، والرَّئيس كالخادم، أنتم ثبتُّم معي، فتأكلون وتشربون على مائدتي في ملكوتي، لتُدينوا عشائرَ بني إسرائيل الاثني عشر؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 22: 25 ـ 30	فقط قال لهم بعد غسْلِ أرجُلِهم: ما كان خادم أعظم من سيِّدِهِ 13: 14 ـ 17	
11	هل أخبرَ يسوعُ بُطْرُس بأنَّه سيُنكِرهُ هذه اللَّيلة قبلَ أنْ يصيحَ الدِّيك ثلاث مرَّات؟	نعم 26: 33 ـ 35	نعم 14: 27 ـ 31	نعم 22: 31 ـ 34	نعم 13: 36 ـ 38	
12	هل طَلَبَ من تلاميذِهِ أنْ يبيعوا أثوابَهُم ويشتروا سُيُوفاً، ثمَّ اكتفى بوجودِ سيْفين معهم؟ وهل أخبرَهُم بنبوءةِ إحصائِهِ مع المجرمين؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 22: 35 ـ 38	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
13	هل قالَ لتلاميذِهِ في تلك اللَّيلة: أنا ذاهبٌ لأُهيِّئَ لكم مكاناً... الذي رآني فقد رأى الآب... أنا في الآبِ والآبُ فيَّ؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 14: 1 ـ 14	نلاحظُ في إنجيلِ يوحنَّا نزعةً متأخِّرةً لتأليهِ يسوع
14	هل قالَ لتلاميذِهِ في تلك اللَّيلة: سأطلُبُ من الآبِ أنْ يُعطيكم مُعزِّياً آخرَ يبقى معكم إلى الأبد؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 14: 16 ـ 19 14: 26 14: 30 15: 26 ـ 27 16: 7	عدم وجود هذا الخبر (والمصْطلح «المُعزِّي» أو «الفراقليط») الهامّ جدّاً في باقي الأناجيل يُثيرُ علامةَ استفهامٍ حولَهُ
15	هل قالَ لتلاميذِهِ: أنا الكرْمَةُ الحقيقيَّةُ وأنتُم الأغصان؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 16: 1 ـ 17	

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
16	هل تحدَّثَ في تلك اللَّيلة عن بُغْضِ العالَم له من دونِ سبب، ولأنَّه اختارَ تلاميذَهُ فسيُبغِضُهُم العالَمُ ويطْرُدوهُم من المجامِع؟ هل صلَّى من أجلِهِم وناجى اللهَ بنحوٍ مُفصَّل؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 15: 18 ـ 25 16: 1 ـ 4 أيضاً الإصحاح 17 بأسْرِهِ	يبدو أنَّ هذه الكلمات في إنجيلِ يوحنَّا تستهدفُ تقوية عود المسيحيَّة الوليدة لتتماسَك كجماعةٍ متميِّزةٍ عن باقي الجماعات، قادرةٍ على مواجهةِ التَّحدِّيات
17	هل أخبرَ تلاميذَهُ بأنَّي بعدَ قليل لا ترْونَني، ثمَّ بعدَ قليل ترْونَني؟ وماذا يعني ذلك؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 16: 16 ـ 24	يبدو أنَّ هذه الكلمات في إنجيلِ يوحنَّا تستهدفُ تمديدَ أمل المسيحيِّين الأوائل بقُرْبِ عودة يسوع لتأسيسِ ملكوت الله
18	بعدما ذهبَ إلى ضيعةٍ يُقالُ لها «جَثْسَيْماني» (في جبلِ الزَّيتون) متهجِّداً، هل بدأَ يشعُرُ بالحُزْنِ والكآبةِ وطلَبَ من اللهِ أنْ يعبرَ عنه هذه الكأس؟	نعم 26: 36 ـ 39	نعم 14: 32 ـ 36	نعم، دون الإشارة إلى حُزْنِهِ وكآبتِهِ، ومع الإشارةِ إلى ظهورِ ملاكٍ يُقوِّيه، وتصبُّب العَرَق منه كقطراتِ دمٍ نازلةٍ على الأرض 22: 39 ـ 44	فقط توجدُ إشارةٌ إلى البُسْتانِ، وكان يهوذا يعرِفُ الموضِعَ، لأنَّ يسوع اجتمعَ هناك كثيراً مع تلاميذِهِ 18: 1 ـ 2	

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
19	هل انخرَطَ التَّلاميذُ في تلك اللَّيلةِ في نومٍ عميقٍ لحظةَ اقتحامِ المكان؟	نعم 26: 40 ـ 45	نعم 14: 37 ـ 43	نعم 22: 45 ـ 47	لا ذِكْرَ لذلك في هذا الإنجيل	وهذا إنْ صحَّ، فيجعل قُدُراتهم الإدراكيَّة عند قيامِهِم المفاجئ من النَّوم، وفي حالةٍ من الذُّعر، قدرات محدودة، على مستوى دقَّة نقلٍ ورواية ما جرى بالضَّبْط، وخصوصاً في اللَّيل، وفي مستوى إضاءة محدودة.
20	عندما وصَلَت عصابةٌ كبيرةٌ تحمِلُ السُّيوفَ والعِصِي، أرْسَلَها رؤساءُ الكهنة، هل كانت علامةُ يهوذا معهم: «هو الذي أُقبِّلُهُ فامْسِكُوهُ»؟	نعم 26: 47 ـ 48	نعم 14: 43 ـ 46	يسوع ليهوذا: أبِقُبْلةٍ ما يهوذا تُسلِّم ابنَ الإنسان؟ 22: 47 ـ 48	لا كلامَ عن القُبْلةِ، بل بادرَ يسوع العصابة: من تطْلبون؟ أنا هو. عندئذٍ تراجعوا ووقعوا على الأرض 18: 1 ـ 9	تعارض يبدو مستقرّاً بين روايةِ الأناجيل الثَّلاثة الإزائيَّة ورواية إنجيل يوحنَّا
21	هل دافَعَ أحدُ التلاميذ عن يسوع بأنْ مدَّ يدَهُ إلى سيفِهِ فقطَعَ أُذُنَ خادِمِ رئيس الكهنة؟ وطلَبَ يسوع منه الهدوءَ وردَّ السَّيف؟	نعم 26: 51 ـ 54	نعم، لكن لا أثرَ لطلَب يسوع الهدوءَ وردِّ السَّيف 14: 47 ـ 49	نعم، وسألوهُ: أنَضْرِبُ بالسَّيف؟ يسوع قال لتلاميذِهِ: كفى لا تزيدوا، ولمَسَ أُذُنَ الرَّجُل فشفاها 22: 49 ـ 51	نعم، وهذا التِّلميذُ هو بُطْرُس، وذلك العبدُ الخادمُ الذي قُطِعَت أُذنُهُ اسْمُهُ ملْخس 18: 10 ـ 11	

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
22	هل تَرَكَهُ كلُّ تلاميذِهِ وهربوا؟	نعم 26: 56	نعم، مع أضافةِ «وتبِعَهُ شابٌّ لا يلبِسُ غيرَ عباءةٍ على عُرْيِهِ، فأمسكوهُ، فترَكَ عباءَتَهُ وهربَ عُرْياناً 14: 50 ـ 52	لا ذكرَ لهروبِ التلاميذ 22: 52 ـ 54	يسوع: إذا كنتُم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذْهبون. فتمَّ ما قال 18: 7 ـ 9	موقفُ التَّلاميذ في إنجيلَي متَّى ومرْقس معيبٌ جدّاً، لكن تمَّ تعديلُ الصُّورةِ في إنجيلِ يوحنَّا
23	هل تمَّ سوْقُ يسوع أولاً إلى رئيسِ الكهنةِ قيافا مع متابعةِ بُطْرُس عن بُعْد؟	نعم 26: 57 ـ 58	نعم 14: 53 ـ 54	نعم 22: 54	تمَّ سوْقُ يسوع أولاً إلى حنَّان حمو قيافا (18: 12 ـ 13)، ثمَّ إجراءُ تحقيقٍ معه وإهانتَهُ ثمَّ إحالةُ حنَّان له إلى قيافا (18: 19 ـ 24)، أيضاً بُطْرُس لم يتْبَعهُ وحدَهُ، بل مع تلميذٍ آخر، دخلَ هو، وبقيَ بُطْرُس عند الباب (18: 15 ـ 16)	لا ذكر لحنَّان في الأناجيل الثَّلاثة الإزائيَّة، وإضافةُ شخصٍ مع بُطْرُس ربَّما استهدفَ تسويغُ نقْلِ الأحداث التي جرَت في الدَّاخلِ عندما كان بُطْرُس في الخارج
24	هل طلَبَ رؤساءُ الكهنةِ شهادةَ زُورٍ على يسوع ليقتُلوهُ، ولم يجدوا؟ أم تناقضَت شهاداتُ الشُّهود؟	نعم طلبوا شهادةَ زور ليقتلوهُ ولم يجدوا 26: 59 ـ 60	نعم، لكن شهاداتُ الشُّهودِ تناقضت 14: 55 ـ 56	لا أثرَ للتَّحقيقِ مع يسوع في هذه اللَّيلة	لا تفاصيلَ عن تحقيقٍ قامَ به قيافا، بل تحقيقُ حنَّان، ثمَّ تحقيقُ قيافا بنحوٍ سريع، إلى قصْرِ بيلاطُس	تعارُضٌ بين الأناجيل

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
25	هل قامَ شاهدان وقالا: هذا الرَّجُلُ قال أقدِرُ أنْ أهدِمَ هيكلَ اللهِ وأُقيمَهُ في ثلاثةِ أيام؟	نعم 26: 60 ـ 62	نعم، لكن شهودُ الزُّور تناقضت شهاداتُهُم، ولم يكونا شاهدين فقط 14: 57 ـ 59	لا أثرَ للتَّحقيقِ مع يسوع في هذه اللَّيلة	لا تفاصيلَ عن تحقيقٍ قامَ به قيافا، ولا ذِكرَ لهذه الاتِّهامات، بل تحقيقُ حنَّان، ثمَّ تحقيقُ قيافا بنحوٍ سريع، إلى قصْرِ بيلاطُس	تعارُضٌ بين الأناجيل
	هل ظلَّ يسوع أثناءَ التَّحقيق ساكتاً، أم دافَعَ عن نفسِهِ؟	ظلَّ ساكتاً 26: 63 أيضاً 27: 12	ظلَّ ساكتاً 14: 60 ـ 61	لا أثرَ للتَّحقيقِ مع يسوع في هذه اللَّيلة	في مجلسِ تحقيق حنَّان، وليس قيافا، سُئِلَ يسوع عن تلاميذِهِ وتعاليمِهِ فأجاب: كلَّمتُ الناسَ علانيةً، وعلَّمتُ دائماً في المجامِعِ، وفي الهيكلِ حيثُ يجتمعُ اليهودُ كلُّهُم، وما قلْتُ شيئاً واحداً في الخِفْيةِ 18: 19 ـ 23	

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
26	هل سُئِلَ يسوعُ أثناءَ التَّحقيق من قيافا فيما إذا كان هو المسيح؟ وأجابَهُ يسوع: أنتَ قُلْتَ، وأنا أقولُ لكم سترونَ بعد هذا اليوم ابنَ الإنسان جالساً عن يمينِ الله وآتياً على سحابِ السَّماء؟	نعم 26: 63 ـ 64	نعم، لكن أجابَ عندما سُئِلَ أنتَ المسيح؟ قال: أنا هو 14: 61 ـ 62	لا أثرَ للتَّحقيقِ مع يسوع في هذه اللَّيلة، هذه الحادثة وقعت لمَّا طلَعَ الصُّبْحُ، وسألوهُ: هل أنتَ المسيح؟ فقال: إنْ قُلْتُ لكم لا تُصدِّقون. سألوهُ: فأنتَ ابنُ الله؟ فقال: أنتُم تقولون إنِّي أنا هو 22: 66 ـ 71	لا تفاصيلَ عن تحقيقٍ قام بهِ قيافا، بل تحقيقُ حنَّان، ثمَّ قيافا بنحوٍ سريع، إلى قصْر بيلاطُس	تعارُضٌ بين الأناجيل
27	هل مزَّقَ قيافا ثيابَهُ بعد إجابةِ يسوع قائلاً: أنحتاجُ بعد هذا إلى شهود؟	نعم 26: 65 ـ 66	نعم 14: 63 ـ 64	لا ذِكْرَ فيه لشقِّ الثَّوب 22: 71	لا تفاصيلَ عن تحقيقٍ قامَ به قيافا	
28	ماذا كانت ردَّةُ فعلِ الحضور؟ هل بصقوا في وجهِ يسوع ولطَموهُ؟	نعم 26: 67	نعم 14: 65	استهزاءٌ وسخريةٌ وشتائمُ وضرْبٌ، دونَ بصْقٍ 22: 63 ـ 65	تمَّ لطْمُ يسوع في مجلسِ تحقيقِ حنَّان وليس قيافا 18: 22 ـ 23	

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
29	هل اشتَبَهَتْ الجاريةُ ببُطْرُس الجالس في ساحةِ الدَّار، فأنكرَ بُطْرُس يسوعَ ثلاث مرَّات؟	نعم 26: 69 ـ 75	نعم 14: 66 ـ 72	نعم نعم 22: 55 ـ 62	بُطْرُس أنكرَ يسوع مرَّتين فقط 18: 15 ـ 18 ثمَّ 25: 27 مع أنَّهُ جاءَ في 13: 38 أنَّ يسوعَ أخبرَهُ بأنَّهُ سيُنْكِرهُ ثلاث مرَّات	
30	لمَّا طلَعَ الصُّبْحُ، هل تمَّ إحالةُ يسوع إلى بيلاطُس مُقيَّداً؟	نعم 27: 1 ـ 2	نعم 15: 1	هنا قيل: هذا الرَّجُلُ يثيرُ الفتْنةَ، ويمنعُ شعبَنا أنْ يدفعَ الجزْيةَ لقيْصر قائلاً إنَّه هو مسيحٌ ملِكٌ 23: 1 ـ 2	نعم، وقبلَ أنْ يدخُلَ يسوعُ على بيلاطُس كان قد دخلَ على قيافا صباحاً 18: 28	
31	عندما وصَلَ رؤساءُ الكهنةِ إلى القصْرِ هل دخلوا أم امتنعوا من الدُّخولِ وخرَجَ بيلاطُس هو إليهم؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	«امتنعَ اليهودُ من دخولِ القصْر لئلَّا يتنجَّسوا، فلا يتمكَّنوا من أكلِ عشاء الفصْح، فخرَجَ إليهم بيلاطُس» 18: 28 ـ 29	إنجيلُ يوحنَّا يستهدفُ التأكيدَ على أنَّ صلْبَ يسوع كان قبلَ الفصْح بيوم، حتى يُصبحَ تشبيهُ يسوع بكبْشِ الفداء الذي يُذبحُ قبلَ الفصْحِ بيوم تشبيهاً واضحاً

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
32	هل ندَمَ يهوذا الإسخريوطي وردَّ الثَّلاثين فضَّة وطرَحَها في الهيكلِ، ثمَّ شنَقَ نفسَهُ؟ فأخذَها رؤساءُ الكهنةِ وشروا بها «حقْلَ الدَّم» مقبرةً للغُرباء؟	27: 3 ـ 10	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل		لكن في سِفْرِ أعمال الرُّسُل 1: 18 «ثمَّ اشترى بثمنِ الجريمةِ حقلاً، فوقَعَ على رأسِهِ وانشقَّ من وسطِهِ، واندلقَتْ أمعاؤُهُ كلُّها»! هل أرادَ أصحابُ الشَّأنِ أنْ يقدِّموا تفسيراً لاختفاءِ يهوذا عن مسْرحِ الحياة بعد حادثةِ الصَّلْب، فتعارضوا في سرْدِ خاتمتِهِ؟!
33	هل وجَّهَ بيلاطُس ليسوعَ تُهمةَ ادِّعائِهِ أنَّه ملِكُ اليهود، دون أنْ يُجيبَ يسوعُ بشيءٍ، حتى تعجَّبَ بيلاطُس؟	نعم 27: 11 ـ 14	نعم 15: 2 ـ 5	نعم، وأجابَهُ: أنتَ تقول 23: 3 ـ 4	بل أجابَ يسوع بقدْرٍ من التَّفصيل بأنَّ مملكتَهُ ليست من هذا العالَم؟ 18: 28 ـ 38	تعارُضٌ بين الأناجيل
34	هل أحالَ بيلاطُس يسوعَ إلى هيرودُس ليرى رأيَهُ فيه؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم، بعدما سمِعَ من الجماهير أنَّه من الجليل، وكان هذا سبباً لتحسُّن العلاقة بين هيرودس وبيلاطُس 23: 5 ـ 12	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	توجدُ إشارةٌ لذلك في إنجيلِ شمعون الصَّفا 1: 1 ـ 2.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
35	هل خيَّرَ بيلاطُس الجماهيرَ بين اطلاقِ سراح باراباس ويسوع بمناسبةِ العيد؟	نعم، لأنَّه علِمَ أنَّهم أسْلَمُوهُ حسَداً 27: 15 ـ 18	نعم، مع إضافةِ أن باراباس كان مسجوناً مع جماعةٍ من المتمرِّدين ارتكبوا جريمة قتل أيام الفتنة 15: 6 ـ 7	نعم، مع إضافةِ أنَّ باراباس كان مسجوناً لأجلِ فتنةٍ في المدينةِ وقتْل 23: 13 ـ 19	كذلك، مع إضافةِ أنَّ باراباس كان لِصّاً 18: 38 ـ 40	
36	هل أرسَلَت امرأةُ بيلاطُس إليه تُحذِّرهُ من التعرُّضِ ليسوع بسوء بسببِ رُؤيا رأتْها؟	27: 19	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	وردَ ذلك في إنجيلِ نيقاذيموس (أعمال فيلاطس): 2: 1 ـ 2.
37	هل أصرَّت الجماهيرُ على صلْبِ يسوع؟	نعم، حتى غسَلَ بيلاطُس يديهِ قائلاً: أنا بريءٌ من دمِ هذا الرَّجُل، دبِّروا أنتُم أمرَهُ، فأجابوا بأسرِهِم: دمُهُ علينا وعلى أولادِنا؟! 27: 20 ـ 25	نعم 15: 8 ـ 15	نعم 23: 20 ـ 24	نعم، وقال بيلاطُس لهم: خُذُوهُ أنتُم وحاكِموهُ حسبَ شريعتِكُم، فأجابوا: لا يجوزُ لنا أنْ نحكُمَ على أحدٍ بالقتل 18: 29 ـ 40 أيضاً 6: 19 ثمَّ حوارٌ تفصيليٌّ بالغ الأهمية بين بيلاطُس ويسوع ومحاولاً إخلاءَ سبيلِهِ، ويسوعُ يؤكِّدُ أنَّ مسؤوليَّةً من أسْلَمَهُ أكبرَ وأعظمَ من مسؤوليَّةِ بيلاطُس 19: 4 ـ 15	اليهود يرونَ أنَّ التفاصيلَ الموجودة هنا في إنجيلي متَّى ويوحنَّا، استهدفت تقليصَ مسؤولية بيلاطُس الرُّوماني عن دمِ يسوع، وإلقاء المسؤولية الكاملة على اليهود بأسْرِهِم! في إنجيل شمعون الصَّفا تركيز على مسؤولية اليهود 1: 1، أيضاً 6: 21. في إنجيل نيقاذيموس (أعمال فيلاطس) اتِّهام صريح بأنَّه ساحرٌ ووُلِدَ من زنى، كآخرين، وُلِدوا من الإغريق! 2: 4 ـ 6.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
38	هل هدَّدَ رؤساءُ الكهنة اليهود بيلاطُس بالتَّشكيكِ بولائِهِ للقيْصر إنْ لم يقتُل يسوع؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 19: 12 ـ 15	اليهودُ يرونَ أنَّ التَّفاصيلَ الموجودة هنا في إنجيلِ يوحنَّا استهدفَتْ تقليصَ مسؤوليَّة بيلاطُس الرُّوماني، وتحميلَهُم المسؤوليَّة الكاملة عن دمِ يسوع. وتجدُ هذا التَّهديد في إنجيلِ نيقاذيموس (أعمال فيلاطس)9: 1، بل وتجدُ الكثيرَ من التَّفاصيلِ المهمَّة الأخرى المتعلِّقة بالتَّحريض2 ـ 5.
39	هل ساقوا يسوع إلى قصْرِ الحاكم لينزعوا ثيابَهُ ويُلْبسوهُ ثوباً قُرْمُزياً (ثوب الجنود الرُّومان)، ويضعونَ على رأسِهِ إكليلاً من الشَّوك؟ ويقولوا وهم يستهزئون: السَّلامُ عليكَ يا ملِكَ اليهود؟!	نعم 27: 27 ـ 29	نعم، لكن الثَّوبُ كان أرجوانياً (للمُلُوكِ والشَّخصياتِ العظيمةِ بهدفِ السُّخرية منه) 15: 16 ـ 19	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	أمرَ بيلاطُس بجلْدِهِ، وضفر الجنود إكليلاً من شوكٍ ووضعوهُ على رأسِهِ وألبسوهُ ثوباً أرجوانياً، ويُفهمُ من السِّياقِ أنَّ يسوعَ كان في قصْرِ الحاكمِ أصلاً 19: 1 ـ 3	هل استهدفَ استبدالُ ثياب يسوع السُّخريةَ والإهانةَ فقط، أم استهدفَ أيضاً التَّلْبيسَ على اليهود وتشتيتَ انتباهِهِم لاستبدالِ يسوع بغيرِهِ؟ ورد في إنجيلِ شمعون الصَّفا 3: 6 ـ 8 ما يؤكِّد تعرُّضَهُ للإهانات.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
40	بعد ذلك، هل نزعوا رداءَهُ، وألبسوهُ ثيابَهُ وخرجوا به ليصْلبوه؟	نعم 27: 31	نعم 15: 20	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	هل ألبسوا ثيابَ يسوع شخصاً آخرَ صارَ هو المصْلوب؟
41	هل جرى الصَّلْبُ يوم عيد الفصْح؟ المصادف ليومِ الجمعة 15 نيسان/ إبريل	نعم 26: 19 ـ 30	نعم 14: 17 ـ 25	نعم 22: 14 ـ 23	قبلَهُ بيوم 18: 28 19: 14، 31 42: 19	إنجيلُ يوحنَّا يستهدفُ التأكيدَ على أنَّ صلْبَ يسوع كان قبلَ الفصْح بيوم، حتى يُصبحَ تشبيهُ يسوع بكبْشِ الفداء الذي يُذبحُ قبلَ الفصْحِ بيوم تشبيهاً واضحاً. إنجيل شمعون الصَّفا موافقٌ للأناجيلِ الإزائيَّة 2: 5.
42	في الطَّريقِ إلى الصَّلْب، هل صادفوا سمْعانَ القيْرواني وأجبروهُ على حمْلِ الصَّليب؟	نعم 27: 32	نعم 15: 21	نعم 23: 26	في هذا الإنجيل، يسوع هو الذي حمَلَ صليبَهُ بنفسِهِ 19: 16 ـ 17	هل اشتبه حالُ سمعان القيرواني بيسوع وصارَ هو المصْلوب بدلاً عنه؟ التعارُض يبدو مستقرّاً بين الأناجيلِ الثَّلاثة الإزائيَّة وإنجيلِ يوحنَّا

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
43	أثناءَ سوقِهِ إلى الصَّلْب، هل تكلَّم يسوعُ بشيءٍ؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم، فبعدما تبعَهُ جمهورٌ كثيرٌ من الشَّعبِ والنِّساءُ كنَّ يلْطِمْنَ ويُنُحْنَ عليه، التفتَ إليهنَّ قائلاً: «لا تبكينَ عليَّ يا بنات أورشليم، بل ابكينَ على أنفُسِكُنَّ» 23: 27 ـ 31	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	
44	هل أعطوهُ خمْراً ممزوجةً بالمُرِّ، ورفضَ أنْ يشرَبَها، ثمَّ صلبوهُ واقترعوا على ثيابِهِ؟	نعم 27: 34 ـ 35	نعم 15: 23 ـ 24	فقط ذِكْرٌ لثيابِهِ التي اقترعوا عليها 23: 34	اقترعوا على ثيابِهِ، 19: 23 ـ 24 وأعطوهُ خلاً، وليس خمْراً ممزوجةً بالمُرِّ، وتناولَها فعلاً، وقال «قد أكمل» 19: 28 ـ 30	الاقتراعُ على الثِّيابِ وغيرُها من التَّفاصيل هل تمَّ تصميمُها لاحقاً لتُناسِبَ نبوءة أسفار الأنبياء؟
45	وهو مُعلَّقٌ على الصَّليبِ، هل طلَبَ لليهودِ المغفرة، فقال: «اغفِر لهم يا أبي، لأنَّهم لا يعرفون ما يعملون»؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 23: 34 لكن في بعضِ المخطوطات القديمة، وفي بعضِها الآخر غير موجودة	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	وجودُها في إنجيلِ لوقا أو حذْفُها منه يدُلُّ على وجودِ جهةٍ يهُمُّها تبرئة اليهود أو الإمعان في تحميلِهِم المسؤوليَّة

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
46	عند صلْبِهِ مع اثْنينِ من المجرمين، هل عيَّرَهُ المصْلوبانِ معه؟	نعم 27: 44	نعم 15: 32	كان أحدُهُما يشْتِمُهُ، والآخرُ كان يُدافِعُ عنه، فبشَّرَ يسوعُ الأخير بأنَّه سيكونُ معه في الفرْدوس 23: 39: 43	فقط يوجدُ ذكْرٌ للمصلوبيْنِ، دون الإشارة لموقفِهما من يسوع 19: 18	تعارُضٌ مستقرٌّ بين الأناجيل. هل تحدَّثت الأناجيلُ عن صلْبِ مجرمين ليتناسبَ ذلك مع نبوةٍ في أسفارِ الأنبياء؟ في إنجيل شمعون الصَّفا أحدُهُما كان عبَّرَ عن تعاطفِهِ معه، فصدرت الأوامر بكسْرِ رجليه 4: 13. وفي روايةِ يوسف الرَّمي أنَّ أحدَهُما كان يشْتِمُهُ، والآخرُ كان يُدافِعُ عنه، فبشَّرَ يسوعُ الأخير بأنَّه سيكونُ معه في الفرْدوس: 3.
47	وهو مصلوبٌ، ما هي آخرُ كلمةٍ وصرْخةٍ أطلقَها؟	«إيلي، إيلي، لِمَا شبَقْتَني؟ أي إلهي، إلهي، لماذا تركتني» 27: 45 ـ 46	«إلُوي، إلُوي، لِمَا شبَقْتَني؟ أي إلهي، إلهي، لماذا تركتني» 15: 33 ـ 35	«يا أبي، في يديكَ أستودعُ روحي»، ثم أسْلَمَ الرُّوح... ورجَعَ الجموعُ يقرعونَ صدُورَهُم 23: 46 ـ 48	لا ذِكْرَ لأيِّ صرخةٍ أطلَقَها، لكن أوصى تلميذَهُ الحبيب بأُمِّهِ، وأُمَّهِ بتلميذِهِ الحبيب 19: 25 ـ 27	تعارُضٌ مستقرٌّ بين الأناجيل. هل يُعقَل أنْ يُسيءَ الظنُّ يسوعُ باللهِ وهو في هذا الحال؟ وهل يُعقَل أنْ يوصي تلميذَهُ بأُمِّهِ وأُمَّهُ بتلميذِهِ في مثلِ هذا الظَّرْف الحرِج؟ في إنجيل شمعون الصَّفا: «يا قوَّتي، أيَّتُها القوَّة، لقد تخلَّيْتِ عنِّي» 5: 19.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
48	في اللَّحظةِ الأخيرة، هل أسرعَ أحدُهُم باسْفنجةٍ فبلَّلَها بالخلِّ ورفعَها إليهِ ليشْرَبَ، فأسْلَمَ يسوعُ الرُّوح؟	نعم 27: 48 ـ 50	نعم 15: 36 ـ 37	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	قال: أنا عطشانٌ، ليتِمَّ الكتابُ، ثمَّ ذكرَ الاسفنجةَ المُبلَّلة بالخلِّ 19: 28 ـ 30	-
49	هل تمَّ كسْرُ ساقي المصْلوبَيْن اللَّذينِ كانا معه، دونَ كسْرِ ساقِهِ؟ وهل طعنَهُ أحدُ العساكرِ بجنْبِهِ بحرْبةٍ، فسالت الدِّماءُ منه؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم، وكان ذلك بطلَبٍ من اليهودِ، لكي لا تبقى الأجسادُ على الصَّليبِ في السَّبْتِ 19: 31 ـ 37	يرى بعضُ الناقدين أنَّ ما وردَ في إنجيلِ يوحنَّا تمَّ تصميمُهُ ليتوافَقَ مع نبوءةٍ قديمةٍ وردَتْ في أسفارِ الأنبياء. لكن في إنجيلِ شمعون الصَّفا أنَّهم كسروا رجْلَي أحدِهما لأنَّه عبَّرَ عن تعاطُفِهِ معه 4: 13.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
50	عندما أسلَمَ الرُّوحَ، هل انشقَّ على الفورِ حجابُ الهيكلِ شطْرينِ من أعلى إلى أسفل، وتزلزت الأرضُ، وتشقَّقت الصُّخورُ، وانفتحت القبورُ، فقامت أجسادُ كثير من القدِّيسين الرَّاقدين، وبعد قيامةِ يسوع خرجوا من القبور ودخلوا إلى المدينةِ المُقدَّسة؟	نعم 27: 51 ـ 53	فقط انشقَّ حجابُ الهيكلِ، دون بقيَّة الأحداث 15: 38	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	ورود هذه الأحداث المهمَّة في إنجيلِ متَّى دون غيرِهِ من الأناجيل، خصوصاً قيامة القدِّيسين من قبورهم، موضِعَ شكٍّ كبير. في إنجيلِ شمعون الصَّفا: انشقَّ حجابُ المعبدِ في القُدْس، وانشطَرَ إلى قسْمين 5: 19.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
51	شهودُ الصَّلْبِ، جميعُ معارفِ (أصدقاء) يسوع، بمن فيهم النِّساء، هل كانوا يرونَهُ من بعيد؟	ذُكِرَ فقط أنَّ نسوةً كثيرات كنَّ يرونَهُ من بعيد 27: 55 ـ 56	ذُكِرَ فقط أنَّ نسوةً كثيرات كنَّ يرونَهُ من بعيد 15: 40 ـ 41	نعم، ليس فقط النِّسوة، بل كان جميعُ معارفِهِ يرونَهُ من بعيد 23: 49	لا ذِكْرَ لذلك، وإنَّما ذُكِرَت وصيَّتُهُ لتلميذِهِ الحبيب بأُمِّهِ، وأُمِّهِ بتلميذِهِ الحبيب، ويُفهَمُ من ذلك الرُّؤية والقُرْب المكاني، مضافاً إلى أنَّ أُمَّهُ وأختَ أمِّهِ ومريمَ المجدليَّة كنَّ واقفات عند صليبِ يسوع 19: 25 ـ 27 لكن هل يُعقَلُ ذلك في مثل هذا الظَّرْفِ الحرِج؟	ما ذُكِرَ في الأناجيلِ الثلاثة الإزائية، يرفَعُ من احتمالِ اشتباه الشُّهود، وعدمِ تمييزِهِم الشَّخص المصْلوب، خصوصاً ما ذُكِرَ في إنجيلِ لوقا... بل هذا سيُكذِّبُ ما وَرَدَ في إنجيلِ يوحنَّا
52	هل أصرَّ بيلاطُس على تعليقِ لوحةٍ على الصَّليبِ مكتوبٌ عليها «هذا ملِكُ اليهود»؟	نعم 27: 37	ذكَرَ فقط «وكتبوا في عنوانِ الحُكْمِ عليه: ملِكُ اليهود» 15: 26	نعم، بأحرُفٍ يونانيَّةٍ ورومانيَّةٍ وعبْرانيَّة 23: 38	كُتِبَ «يسوعُ النَّاصري ملِكُ اليهود» باللُّغاتِ الثَّلاث: العِبْريَّة واللاتينيَّة واليونانيَّة، وقرأ هذا العنوانُ كثيرونَ من اليهودِ، لأنَّ المكانَ الذي صُلِبَ فيه كان قريباً من المدينة 19: 19 ـ 22	الأرجحُ أنَّهُ فعلَ ذلك لترسيخِ الشُّبهة بين أكبرِ عددٍ من الشُّهود، خصوصاً عندما تُكتَبُ باللُّغاتِ الثَّلاث. في إنجيلِ شمعون الصَّفا: وعندما أقاموا الصَّليبَ ورفعوهُ كتبوا: هذا هو ملِكُ إسرائيل 4: 11.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
53	من هو يوسُفُ الرَّامي الذي طلَبَ جسَدَ يسوع من بيلاطُس ليدْفِنَهُ؟	كان من تلاميذِ يسوع 27: 57 ـ 58	كان من أعضاءِ مجلس اليهود البارزين، ومن الذين ينتظرون ملكوت الله 15: 43	كان عضواً في مجلسِ اليهود، وهو رجلٌ تقيٌّ صالحٌ، عارضَ رأي المجلسَ وتصرُّفَهُ، وكان ينتظرُ ملكوتَ الله 23: 50 ـ 51	تلميذُ يسوع بالسِّرِّ خوفاً من اليهود 19: 38	لم يُسلِّم بيلاطُس الجسَدَ إلا لشخصٍ بهذه المواصفات، حتى تبقى هويةُ المصْلوبِ خفيَّةً على الأرجح. في إنجيلِ شمعون الصَّفا أنَّ يوسفَ طلَبَ الجسد قبلَ الصَّلْب: ووقفَ هناك يوسف، صديق فيلاطُس والرَّبّ، ولمعرفتِهِ أنَّهم مقبلونَ على صلْبِهِ، جاءَ إلى فيلاطُس، وطلَبَ منه جسَدَ الرَّبّ من أجلِ الدَّفْن 2 : 3. أقول: هل يُرجِّح هذا احتمال التَّنسيق المسْبق بينهما لإطلاقِ سراحِهِ بالخِفْية؟ وفي إنجيلِ نيقاذيموس (أعمال فيلاطس) أنَّ اليهود بعد ذلك أمسكوا بيوسُفَ وحبسوهُ في بيتٍ من دونِ نوافذ، وحرسوا المكانَ، إلا أنَّه خرَجَ منه بكرامةٍ خاصَّة 11 ـ 12.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
54	في الغدِ، أي بعد التَّهيئةِ للسَّبْتِ، هل طلَبَ رؤساءُ الكهنةِ من بيلاطُس حراسةَ القبرِ حتى لا يسْرِقهُ تلامذةُ يسوع لأنَّه كان قد أخبرَهُم بأنَّه سيقومُ من الأموات، فطلَبَ منهم التكفُّل بذلك بأنفُسِهم؟ ففعلوا	نعم 27: 62 ـ 66	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	عدمُ ورود ذلك إلا في إنجيلِ متَّى، يُلقي بشُكوكٍ كبيرةٍ على هذا الأمر، خصوصاً مع احتمالِ إضافتِهِ لتعميقِ تصوير اليهود بصورةٍ بالغةِ السُّوء، وللتأكيدِ على تنبُّؤ يسوع المُسْبق بالقيامة. في إنجيلِ شمعون الصَّفا طلبوا منه جنوداً حتى يتمكَّنوا من حراسةِ القبر ثلاثةَ أيام، حتى لا يسْرق تلاميذُهُ جسدَهُ، فأعطاهُم فيلاطس بيترونيوس قائد المئة مع جنودٍ لحراسةِ الضَّريح 8: 28 ـ 33. أقول: من بدايةِ اللَّيل وحتى وصول الجنود، كان من الممكن سرْقة الجسَد، بل من الممكن القيام بذلك حتى الصَّباح لكن بالتَّنْسيقِ مع قائدِ المئة.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
55	كم يوماً قضى يسوعُ في قبرِهِ؟	ثلاثة أيام، بينهما ليلتان 1:28	ثلاثة أيام، بينهما ليلتان 2:16	ثلاثة أيام، بينهما ليلتان 1:24	يومان، وليلتان 1:20	هكذا يُفهَمُ ضمناً من تسلْسل الأحداث. التعارُضُ بين الأناجيلِ الثَّلاثة الإزائيَّة وإنجيلِ يوحنَّا مستقرٌّ
56	لمَّا مضى السَّبْتُ، عند فجرِ الأحد، من الذي زارَ القبْرَ من النِّسوة؟	مريمُ المجدليَّة ومريمُ الأخرى فقط. عدد الزوار: 2 1:28	مريمُ المجدليَّة ومريمُ أمّ يعقوب وسالومة. عددُ الزُّوَّار: 3 16:1 ـ 16	مريمُ المجدليَّة وحنَّة ومريمُ أمّ يعقوب ونسوةٌ أُخريات رافقتهُنَّ. عددُ الزُّوَّار: أكثر من 3 24:10	مريمُ المجدليَّة دون ذِكْر لمُرافقٍ آخرَ معها. عددُ الزُّوَّار: 1 1:20	المُحقِّقون المُتأخِّرون يُشكِّكونَ في الفقراتِ الأثني عشر الأخيرة من الإصحاح الأخير السَّادس عشر، من إنجيلِ مِرْقس، ابتداءً من الفقرةِ 9 إلى آخرِ الإصحاح، بأنَّها أُضيفَت بعد ذلك من كاتبٍ آخر، غير كاتب هذا الإنجيل الأصلي، لأنَّها غيرُ موجودةٍ في أقدمِ المخطوطات، كالمخطوطةِ السِّينائيَّة ومخطوطة الفاتيكان، اللَّذين يرجع تاريخُهُما إلى القرْنِ الرَّابع. التعارُضُ هنا غيرُ مستقرٍّ، يمكنُ رفعُهُ

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
57	عندما جاءت النُّسوة لزيارةِ القبر، هل نزَلَ ملاكٌ من السَّماءِ دحرَجَ الحجَرَ عن بابِ القبْرِ وجلَسَ عليه؟	نعم 28: 2	لا كان الحجَرُ مُدحرجاً عن القبر 16: 3 ـ 4	لا كان الحجَرُ مُدحرجاً عن القبر 24: 2	لا كان الحجَرُ مُدحرجاً عن القبر 20: 1	التَّعارُضُ بين ما وَرَدَ في إنجيلِ متَّى وبقيةِ الأناجيل مستقرٌّ. في إنجيلِ شمعون الصَّفا نزَلَ رجُلانِ من السَّماء، وتدحرجت الصَّخرةُ من تلقاءِ نفسِها، بشهادةِ الجنود، فسارعوا لإخبارِ فيلاطُس، قبلَ وصول مريم المجدلانيَّة 9 ـ 12.
58	عندما جاءت النُّسوةُ لزيارةِ القبْرِ، هل ظهَرَ لهُنَّ ملاكٌ واحد؟	ملاكٌ واحدٌ، لباسُهُ أبيض كالثَّلْج 28: 2 ـ 3	شابٌّ عليه ثوبٌ أبيض 16: 5	رجلان بثياب برَّاقة وذكَّراهُنَّ بتنبُّوء يسوع لهم في الجليل بقيامتِهِ، فتذكرْنَ 24: 4 ـ 8	لا ذِكْرَ لظُهورِ أحد لمريم المجدليَّة في هذه اللَّحظة، فقط وجدَت القبرُ خالياً. نعم، هي رأت ملاكان ثمَّ يسوع عند القبر، لكن بعد مجيءِ بُطْرُس والتلميذ الآخر، وطلَبَ يسوعُ منها إخبارَ التَّلاميذ بأنَّها رأتْهُ 20: 11 ـ 18	التعارُضُ بين الأناجيلِ الثَّلاثة الإزائيَّة غيرُ مستقرٍّ، لكن بينها وبين إنجيلِ يوحنَّا يبدو مستقرّاً. في إنجيلِ شمعون الصَّفا ظهرَ للنُّسوةِ شابٌّ واحدٌ مرتدياً ثوباً مُشعّاً برَّاقاً 13: 55 ـ 57.

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
59	هل طلَبَ المَلاكُ أو الشَّابُّ منهُنَّ أنْ يُخبِرُوا التَّلاميذَ بقيامةِ يسوع، وأنَّه يسْبِقُهُم إلى الجليل، وهناك يرونَهُ؟	نعم 28: 5 ـ 7	نعم 16: 6 ـ 7	ثمَّةَ إيحاء بذلك، دون تصريح 24: 5 ـ 8	لا أثرَ لظهورِ مَلاكٍ أصلاً حتى الآن	من المحتملِ أنهُنَّ رأينَهُ فعلاً، وطلَبَ لقاءَ يسوع بتلاميذِهِ في الجليل ليكونوا بعيدين عن الأجواءِ الخطيرة والمتوتِّرة في أورشليم، حتى يُؤكِّدَ لهم يسوع أنَّه ما زالَ على قيدِ الحياة، وأنَّه لم يُصْلَب أصلاً
60	في طريقِ عودة النِّسوة من زيارةِ القبر، وفي ذهابِهما لإخبارِ التلاميذ، هل ظهَرَ لهما يسوع بنفسِهِ، حتى أمسكتا بقدميهِ وسجدتا له؟ وقال لهما: اذهبا قولا لأخوتي أنْ يذهبوا إلى الجليل، وهناك يروني؟	نعم 28: 8 ـ 10	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	يظهرُ احتمالُ الوقوع ممَّا سبق، لكن بعضُ إضافات إنجيل متَّى كالمسْكِ بقدميهِ والسُّجودِ له مستبعدٌ، خصوصاً مع انفرادِهِ بذكرِ ذلك

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
61	عند عودةِ النُّسوة من القبْر، هل بادرَ بعضُ الحرسِ إلى أورشليم، ليُخبِروا رؤساء الكهنة بقيامةِ يسوع، فطلَبَ منهم رؤساءُ الكهنة (مع رشوتِهم بفضَّةٍ كثيرة) إشاعةَ خبر أنَّ تلاميذَهُ قد جاؤوا ليلاً وسرقوا الجسَدَ، لذا انتشرَ ذلك بين اليهود؟	نعم 28: 11 ـ 15	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	انفرادُ إنجيل متَّى بذكْرِ ذلك، يُلْقي بظلالٍ من الشَّكِّ بأنَّ المقصودَ على الأرجح هو تعميقُ صورةِ اليهود المُشوَّهة أصلاً، وتقديمُ تبريرٍ للتَّفسيرِ الشَّائعِ بين اليهود لخُلُوِ القَبْرِ من يسوع

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
62	عندما عُدْنَ النِّسوةُ من زيارةِ القبرِ، بعدما وجدْنَهُ خالياً، هل التزمْنَ الصَّمْتَ ولم يُخبِرْنَ أحداً بشيء؟	يُفهَمُ ضمناً أنهُنَّ أخبروا التَّلاميذ 28: 8، 16	نعم، لم يُخبِرْنَ أحداً بشيء، لأنَّهُنَّ كُنَّ خائفات 16: 8 وهنا ينتهي هذا الانجيل، وفقاً لبعضِ المخطوطاتِ القديمة	لا، بل أخبرْنَ التَّلاميذ الأحد عشر وجميع الباقين 24: 9	أقبلَت مريمُ المجدليَّة مُسْرعةً إلى سمعان بُطْرُس والتلميذ الآخر الذي أحبَّهُ يسوع، وقالت لهما: أخذوا السيِّدَ من القبرِ، ولا يُعرَفُ أين وضعوهُ 20: 2. وهذا يعني أنَّ المجدليَّة لم تدَّعِ رؤيةَ أحدٍ، لا مَلاك، ولا يسوع حتى الآن، بل ولم تدَّعِ قيامتَهُ	التعارُضُ مستقرٌّ بين الأناجيل
63	هل صدَّقَ التَّلاميذُ النِّسوةَ؟ أم ظنُّوا أنهُنَّ واهمات؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	في فقراتِ الإصحاح المضافة لهذا الإنجيل: التَّلاميذُ كانوا ينوحونَ ويبكون، فلم يُصدِّقوا مريم المجدليَّة 16: 10 ـ 11	لم يُصدِّقُوهُنَّ، وتراءى كلامَهُنَّ لهم كالهذَيان 24: 11	بُطْرُس والتِّلميذُ الآخر أسرعا إلى القبْرِ للتَّأكُّدِ من خلُوِّهِ 20: 3 ـ 10	لا يوجدُ انسجامٌ بين الأناجيل

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
64	هل أسرَعَ بُطْرُس إلى القبْرِ للتَّأكُّدِ من خُلُوِّهِ؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم، ووجدَ بُطْرُس الأكفانَ خالية 12:24	بُطْرُس والتِلميذ الآخر أسرعا إلى القبْرِ، ووصَلَ التِّلميذُ الآخر أولاً ونظَرَ الأكفانَ موضوعةً، والقبرُ وجداهُ خالياً 20: 3 ـ 10 آنذاك، كانت مريمُ المجدليَّة واقفةً عند القبْرِ، فرأَتْ المَلاكين، أي في هذا الإنجيلِ هنا موضعُ رؤيتَها لهما، ثمَّ رأتْ يسوعَ، وعندئذٍ طلَبَ منها إخبارَ التَّلاميذ، فأخبرَتْهُم 20: 11 ـ 18	يوجدُ عدمُ انسجام بين روايةِ الأناجيل السَّابقة وتسلْسل الأحداث فيها وروايةِ إنجيل يوحنَّا
65	في اليومِ نفسِهِ، هل رآهُ اثنان من التَّلاميذ في طريقِهما إلى قريةِ «عِمْواس»؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم، دون ذكْرِ لاسْمِ القرية 16: 12 ـ 13	نعم، مع ذكْرِ تفاصيل 16: 13 ـ 33	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مِرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
66	بعد ذلك، هل رآهُ تلاميذُهُ الأحد عشر؟	نعم، رأوهُ في الجليلِ، وطلَبَ منهم التَّبشيرَ لجميعِ الأمم 28: 16 ـ 19	نعم، كانوا يتناولونَ الطَّعام، ومكانُ الرُّؤية غيرُ محدَّد 16: 14 ـ 16	نعم، لكن في أورشليم، وطلَبَ منهم أنْ يجُسُّوهُ، وينظروا إلى يديهِ ورجليهِ، وتناولَ سمكاً مشويّاً وشيئاً من العسَل، وأكَلَ أمامَهُم، وطلَبَ منهم الإقامةَ في أورشليم إلى أنْ يحلَّ عليهم القوَّة، أي الرُّوح القُدُس على ما يبدو 24: 33 ـ 49	نعم، ودخَلَ عليهم وكانت الأبوابُ مُغلقةً وقال: خُذُوا الرُّوحَ القُدُس، من غفرتُم له خطاياهُ تُغفَرُ له 20: 19 ـ 23 ثمَّ ظهَرَ لهم مع توما الذي تحسَّسَ أثرَ المسامير في يديهِ 20: 24 ـ 29 ثمَّ ظهرَ لسبْعةٍ من تلاميذِهِ عند شاطئِ بحيرة طبرية 21: 1 ـ 14 وبعدما أكلوا، سألَ يسوعُ بُطْرُس عمَّا إذا كان يُحبُّهُ ثلاث مرَّات، ثمَّ قالَ له ثلاث مرَّات: إرْعَ خرافي 21: 15 ـ 19	رؤيتُهُم له محتملة، ليُؤكِّدَ لهم أنَّه ما زالَ على قيدِ الحياة، بلحْمِهِ ودمِهِ، وليس بحياةٍ روحانيَّةٍ فقط، وأنه لم يكن المصْلوب أصلاً، وحتى يأمُرَهُم بالتحوُّلِ الكبير في رسالتِهِ من التَّركيزِ على اليهود، إلى تبشيرِ العالَم بأسرِهِ. أما إضافاتُ إنجيل يوحنَّا، المُتعلِّقة بقدْرةِ التَّلاميذ على غفرانِ الذُّنوب، وطلبِهِ من بُطْرُس أنْ يرْعَ خرافَهُ، فكأنَّها عباراتٌ تستهدفُ ترسيخَ اعتقاداتٍ معيَّنة ومنح الشَّرعيَّة لتأسيسِ الكنيسة من خلالِ بُطْرُس

الرقم	الموضوع	إنجيل متَّى	إنجيل مرْقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنَّا	ملاحظات
67	هل رأى التَّلاميذُ يسوعَ يرتفعُ إلى السَّماء؟	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	نعم 16: 19 ـ 20	نعم 24: 50 ـ 53	لا أثرَ لذلك في هذا الإنجيل	وفي إنجيلِ نيقاذيموس (أعمال فيلاطس) أنَّ تلاميذَهُ رأوهُ في الجليل، ثمَّ رأوهُ يُرفَعُ إلى السَّماء 14 ـ 15. أقول: بل وردَ أيضاً في بعضِ المصادر القديمة أنَّ القيصرَ الرُّوماني استدعى فيلاطُس وحقَّق معه وحكَمَ عليه بالإعدام، فكان فيلاطُس يُصلِّي بصْمتٍ: يا ربِّ لا تُدمِّرْني مع العبرانيِّين الأشرار... سامحني يا ربّ... فصدَرَ صوتٌ من السَّماء: جميعُ أجيال وأُسَر الأمميِّين سوف تدْعوكَ مباركاً! (الأناجيل: النُّصوص الكاملة، د. سهيل زكَّار). ولذا الكنيسة الأثيوبيَّة تعتبرُ فيلاطُس قدِّيساً! وآثارُ تبرئتِهِ وتحميل اليهود المسؤوليَّة كاملة، واضحةٌ للغاية.

محاولاتُ التَّقليل من مسؤوليَّة بيلاطُس:

بعد تنصُّرِ الدَّولة الرُّومانيَّة على يدِ قسْطنطين، يمكنُ تلمُّس محاولات ساذجة ومكشوفة، للتَّخفيفِ من مسؤوليَّةِ بيلاطُس الرُّوماني عن صلْبِ يسوع (30م)، بل أيضاً لتبريرِ تدمير اليهود وهيكَلِهِم (70م). فكيف تحمِلُ الدَّولةُ الرَّومانيَّةُ لواءَ المسيحيَّة، وحاكِمُها في أورشليم هو الذي أصدَرَ الأمرَ بصلْبِهِ؟

فمن ناحيةٍ، كان الصَّلْبُ معروفاً بمثابةِ شكلٍ رومانيٍّ متميِّزٍ لتطبيقِ عقوبة الإعدام. ومن ناحيةٍ أخرى، التورُّط الرُّوماني في إصدارِ الحُكْمِ وتنفيذِهِ متواترٌ ولا يمكنُ إنكارُهُ. لذا كان من المهمِّ روايةُ ما يؤكِّد على أنَّ بيلاطُس لم يكن سوى دُمْيَة في أيدي الرِّعاع اليهود. فتصويرُ الحاكم الرُّوماني - في النُّصوص الأبوغريفيَّة - كرجُلٍ ضعيفٍ، أفضَل من تصويرِهِ على أنَّه رجُلٌ قاتل.

فمثلاً تدَّعي وثيقةٌ منْسوبةٌ إليه، جاءت كرسالةٍ أرسلَها إلى هيرودُس، كتَبَ له فيها: «لم يكن شيئاً جيِّداً الذي فعلْتُهُ أنا بناءً على إقناعِكَ، عندما صلَبْتُ أنا يسوع. ولقد تأكَّدَ لي من خلالِ قائدِ المئة والجنود بأنَّه قد قامَ مُجدَّداً، وبعثْتُ إلى الجليلِ، فعلِمْتُ بأنَّه كان يعِظَ هناكَ أكثر من خمسِ مئة مؤمن.

وأخذْتُ زوجتي بروكلا لونجينيوس[1]، وقائدَ المئة المُؤمِن، وعشرةَ جنود، كانوا هم الذين حرَسُوا الضَّريح، ومضوا، فوجدوهُ جالساً في حقْلٍ مفلوحٍ، يقومُ بتعليمِ حشْدٍ. وقد رآهُم، وخاطَبَهُم، وتحدَّثَ عن انتصارِهِ على الموت، وعلى جهنَّم، وعادت بروكلا والبقيَّة وأخبرَتْني، فكُنْتُ في حالةِ انزعاجٍ عظيم، فارتديْتُ ثوبَ حِدادٍ، وذهبْتُ معها وخمسينَ جنديّاً إلى الجليلِ، فوجدْنا يسوع. وعندما اقتربْنا منه، كان هناكَ صوتٌ في السَّماءِ ورَعْدٌ، وزُلزِلت الأرضُ وأعطَت رائحةً طيِّبةً، فخرَرْنا على وجوهِنا، وجاءَ الرَّبُّ وأنهَضَنا وأوقَفَنا، وقد رأيتُ عليه ندوبُ الآلام. ووضَعَ يديهِ على كتِفي قائلاً: «جميعُ الأجيالِ والأُسَر سوفَ تدْعوكَ مباركاً، لأنَّه في أيَّامِكَ ماتَ ابنُ الإنسانِ، وقامَ ثانيةً»[2].

ووفقاً لبعضِ النُّصوص الأبوغريفيَّة، «عندما وصَلَ التَّقرير إلى روما، وتمَّت قراءَتُهُ من قِبَلِ القيْصر، من دونِ أنْ يكونَ واقفاً إلى جانبِهِ قليلٌ من الناس، والجميعُ اندهشوا، أنَّه

(1) ويُقالُ لها أيضاً: «كلوديا».

(2) **الأناجيل: النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، 2008، ص678.

بسببِ تصرُّف بيلاطُس اللَّاشرعي، حلَّ الظَّلامُ والزَّلازل على جميعِ العالَم، وامتلأَ القيْصَرُ بالغضَب، فأرْسَلَ جنوداً مع أوامِرَ لجلْبِ بيلاطُس سجيناً... وعندما تمَّ جلْبُهُ إلى مدينةِ الرُّومان... أمرَ بيلاطُس بالتقدُّمِ والوقوفِ أمامَهُ وقال له: كيف أمكنَكَ أنْ تتجرَّأَ على مثلِ هذا الشَّيء، لا بدَّ أنَّكَ رجُلٌ غيرُ تقيٍّ عندما رأيتَ مثلَ تلك الآيات العظيمة المُتعلِّقة بذلك الإنسان؟ إنَّكَ بتجرُّئِكَ على اقترافِ مثل هذا العمَلِ الشرِّير، دمَّرْتَ العالَمَ كلَّهُ.

أجابَ بيلاطُس: أيُّها الملِكُ القدير، أنا بريءٌ من هذه الأشياء، إنَّ حشْدَ اليهود هو حشْدٌ لا يعرِفُ الاستقرار، وهو مجرمٌ. فسألَ القيْصَرُ: من هم هؤلاء؟ فقال بيلاطُس: هيرودسُ الآرخيلوس، وفِيلُبُّسَ، وحنَّان وقيافا، وجمهورُ اليهودِ كلُّهُ. فقالَ القيْصَر: لماذا اتَّبَعْتَ نصيحَتَهُم؟ فقالَ بيلاطُس: هذه أمَّةٌ متمرِّدةٌ وفوضويَّة، وغيرُ خاضعةٍ لسُلْطانِكَ. فقالَ القيْصَر: كان عليكَ منذُ أنْ سلَّمُوكَ إيَّاهُ، أنْ تحتفظَ به بأمانٍ، وأنْ تُرسِلَهُ، وألَّا تُطعِمَهُم، وأنْ تطلُبَ مثل ذلك الإنسان الذي كان مستقيماً، وعمَلَ مثل هذه الآيات الرَّائعة، حسْبَما ذكرْتَ في تقريرِك، لأنَّه واضحٌ من تلك الآياتِ بأنَّ يسوعَ هو المسيحُ، ملِكُ اليهود»[1].

ثمَّ يصِلُ النَّصُّ إلى النُّقطةِ التَّالية: «وقرَّرَ القيْصَرُ مرَّةً أخرى أنْ يستجوِبَ بيلاطُس، وأمرَ ضابطاً اسْمُهُ «ألبيوس» أنْ يقطَعَ رأسَ بيلاطُس قائلاً: بما أنَّ هذا الرَّجُلَ رفَعَ يدَهُ ضدَّ الرَّجُل الصَّالح المدعو المسيح، فلذلك هو سوفَ يسْقُطُ في الطَّريقِ نفسِهِ، ولن يجِدَ خلاصاً.

وعندما وصَلَ بيلاطُس إلى موضِعِ الإعدام، صلَّى بصمْتٍ قائلاً: «يا ربِّ لا تُدمِّرْني مع العَبْرانيِّينَ الأشرار، لأنَّه لولا بسببِ شعب اليهود المُتمرِّد، لمْ أرفَع يدي ضدَّك، لأنَّهم تآمروا على الثَّورةِ ضدِّي، وأنْتَ تعلَم بأنَّني عمَلْتُ في جهل، لذلك لا تُدمِّرني بسببِ هذا الذَّنب، وسامحني يا ربِّ...»[2].

وقد تقفُ مذْهوشاً عندما تعلم أنَّ الكنيسةَ الإثيوبيَّة، ربَّما للنُّصوصِ السَّابقة، اعتبرت بيلاطُس، الذي أصدرَ الأمرَ بصلْبِ يسوع، قدِّيساً!

---

(1) **الأناجيل: النصوص الكاملة**، تحقيق د. سهيل زكار، ص674.

(2) المصدر نفسه، ص675 ـ 676.

الفصل العاشر:

البِشارةُ بماذا؟

تمهيد:

جاءَ في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

المسيحيُّونَ يُؤكِّدُونَ على أنَّ بشارةَ المسيح تتلخَّصُ في الخبرِ التالي: يسوع سيُصْلَبُ ثمَّ سيقومُ من الأموات بعد ثلاثةِ أيَّام، لِيَفْدي بذلك البشريَّةَ من خطيئَتِها الأولى. القرآنُ، في المقابلِ، يُؤكِّدُ على أنَّ البشارةَ كانت برسولٍ يأتي من بعدِهِ اسْمُهُ «أحْمَد». ويعودُ المسيحيُّونَ ليُؤكِّدُوا على أنَّ أناجيلَهُم خاليةٌ من البشارةِ التي يتحدَّثُ عنها القرآن.

هذا يدْعونا للتَّركيزِ على نقطتين يمكنُ للمسْلمينَ أنْ يُجادِلوا حولَهُما: الأولى ما ورَدَ في إنجيلِ يوحنَّا من بشارةٍ بـ «البارقليطا» «أو البارقليط»، والثانية البشارةُ المُتكرِّرةُ في الأناجيلِ حولَ قُرْبِ ملكوت السَّماوات (أو ملكوت الله).

قبلَ أنْ أبدأَ بدراسةِ هاتينِ النُّقطتين، لا بدَّ أنْ نستذكرَ ما يلي:

1. كلمةُ «إنجيل»، التي تعني الخبرَ السَّار، لم يتمّ إلصاقُها بالأناجيلِ الأربعة أو غيرِها من الأناجيلِ غير الرَّسمية، بحيث يُقال «إنجيلُ فلان»، إلا بعدَ مرور ما يزيد عن قرْنٍ من الزَّمان على كتابَتِها[2].
2. لبولُس دورٌ أساسٌ في ترسيخِ المفهوم الجديد للبشارة. ورسائِلُهُ تشيرُ إلى وجودِ تفاسيرَ

---

(1) سورة الصف، الآية 6.

(2) قلتُ فيما مضى أنَّ أوَّلَ من ذكَرَ هذه الأناجيلَ الأربعة إيرينايوس Irenaeus سنة 209م. ثمَّ جاءَ من بعدِهِ كليمِنْت الإسكندري في سنة 216م، وأظهَرَ أنَّ هذه الأناجيلَ الأربعة واجبةُ التَّسليم.

أخرى للبشارةِ آنذاك، إلا أنَّ بولُس تصدَّى لتلكَ التَّفاسير وقمْعِها بكلِّ ما أُوتيَ من قوَّةِ بيانٍ ونشاطٍ اجتماعي[1].

3. أنَّ كلمةَ «بارقليطا» «أو باراقليط» قد تكونُ مفتاحيَّةً لفهمِ هذه البشارة.

4. أنَّ مصْطلَح «ملكوت السَّماوات» أو «ملكوت الله» هو بالتأكيد مفتاحٌ لفهمِ تلك البشارة، فالمسيحُ تحدَّثَ عن جريانِ سُنَّة الاستبدال على بني إسرائيل، حيثُ جاءَ في إنجيلِ متَّى: «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ»[2].

5. يتَّخِذُ مفهومُ «الملكوت» أو «ملكوت الله» أو «ملكوت السَّماوات» مكانةً مركزيَّةً في تعاليمِ الأناجيل الإزائيَّة (متَّى، مرْقس، لوقا)، ولا أدلَّ على ذلكَ من ورودِ هذا التَّعبير نحو مئة مرَّة في الأناجيلِ الثلاثة، بينما لم يرِد إلا مرَّةً أو مرَّتينِ في إنجيلِ يوحنَّا. في المقابلِ، ورَدَ لفْظُ «المُعزِي» في إنجيلِ يوحنَّا أربع مرَّات وأُشيرَ إليه في مرَّةٍ خامسة، ولم يرِدْ هذا اللَّفظُ في أيٍّ من الأناجيلِ الثَّلاثة.

---

(1) قلتُ فيما مضى إنَّه جاءَ في رسالتِهِ الأولى إلى أهلِ كورِنْثوس: «وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيضاً تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَم بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثاً! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ. وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا. لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ، أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً لأَنْ أُدْعَى رَسُولاً، لأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ اللهِ». **رسالته إلى أهل كورنثوس** 1، 15: 1 ـ 9.

ورفَضَ بولُس أنْ يكون محتوى ومضمون بشارة المسيح أيَّ أمرٍ آخر! وأكَّدَ على نسبةِ هذه البشارة إلى المسيح، وحاولَ إقناعَ أهل غلاطيَّة بذلك، بعدما جاءَهُم من يحاولُ إقناعِهُم بأنَّ مضمونَ البشارةِ شيءٌ آخر، فقد جاءَ في رسالتِهِ إليهم: «**إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ! لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»!** (= ملعوناً آثماً) كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضاً: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»!» أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ. **وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ**». **رسالته إلى أهل غلاطية** 1: 6 ـ 12.

(2) **إنجيل متى** 21: 43.

البشارةُ بـ «الباراقليط»:

في العهدِ الجديد، وبالتَّحديدِ في إنجيلِ يوحنَّا، ورَدَ لفْظُ «المُعزِي» أربع مرَّات، وأُشيرَ إليه في مرَّةٍ خامسة. ولم يرِدْ هذا اللَّفظُ في أيٍّ من الأناجيلِ الثَّلاثة أو الرَّسائل المُلْحقة بالأناجيل. وإليكَ تلك الموارد وسياقُها.

- في إنجيلِ يوحنَّا 14: 15 ـ 16: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ».
- في إنجيلِ يوحنَّا 14: 24 ـ 26: «اَلَّذِي لَا يُحِبُّنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي. وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا **الْمُعَزِّي**، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ».
- في إنجيلِ يوحنَّا 15: 26 ـ 27: «وَمَتَى جَاءَ **الْمُعَزِّي** الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ».
- في إنجيلِ يوحنَّا 16: 7 ـ 8: «لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمُ **الْمُعَزِّي**، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ».
- في إنجيلِ يوحنَّا 16: 12 ـ 13: «إِنَّ لِي أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ».

كثيرٌ من المُحقِّقين المسلمين يرونَ أنَّ الموارِدَ السَّابقة تنطوي على إشارةٍ إلى النبيِّ محمَّدٍ (ص) ونُبوَّتِهِ الخاتمة والخالدة؛ فهو الذي يُعلِّمُ الكتابَ والحكمةَ، ويُذكِّرُ بما جاءَ به المُرْسلونَ من قبلِهِ، ويُرسِلُهُ اللهُ تعالى كحلقةٍ مكمِّلةٍ للحلقةِ السَّابقة التي مثَّلَها المسيحُ في سلْسلةِ الرُّسُل[1].

كتَبَ الشَّيخُ جعفر السُّبحاني: «وجهُ الاستدلالِ يتوقَّفُ على بيانِ نُكتةٍ؛ وهي أنَّ

(1) في مجلسِ المأمون، رُويَ أنَّ الإمامَ الرضا ﷺ استشهدَ في حوارِهِ مع الجاثليق، بهذه المقاطع، ففيها قولُهُ ﷺ له: يا نصْراني، هل تعرِفُ في الإنجيلِ قولَ عيسى ﷺ: «إِنِّي ذاهبٌ إلى ربِّكُم وربِّي،=

المسيحَ ﷺ كان يتكلَّمُ بالعبريَّةِ، وكان يعِظُ تلاميذَهُ بهذا اللِّسان، لأنَّه وُلِدَ وشبَّ بين ظهرانيهِم، وأُمُّه أيضاً كانت عَبْرانيَّة، هذا من جانبٍ.

ومن جانبٍ آخر، إنَّ المُؤرِّخينَ أجمعوا على أنَّ الأناجيلَ الثَّلاثةَ غير متَّى، كُتِبَت من أوَّلِ يومِها باللُّغةِ اليونانيَّة، وأما إنجيلُ متَّى فكان عِبْرياً من أوَّلِ إنشائِهِ.

وعلى هذا، فالمسيحُ بشَّرَ بما بشَّرَ به باللُّغةِ العِبْريَّةِ أولاً، وإنَّما نقلَهُ إلى اليونانيَّةِ كاتبُ الإنجيلِ الرَّابع يوحنَّا. وكان عليه التحفُّظُ على لفظِ المسيح في موردِ المبشَّر به، لأنَّ القاعدةَ الصَّحيحةَ تقتضي عدمَ تغيير الأعلام، والإتيان بنصِّها الأصلي، لا ترجمة معناها. ولكن يوحنَّا لم يُراعِ هذا الأصل، وترجمَهُ إلى اليونانيَّة، فضاعَ لفظُهُ الأصلي الذي تكلَّمَ به المسيح. وفي غِبِّ ذلكَ حصَلَ الاختلافُ في المرادِ منهُ.

وأما اللَّفظُ اليونانيُّ الذي وضعَهُ الكاتبُ يوحنَّا مكانَ اللَّفظ العِبْري، فهو مُردَّدٌ بين كونِهِ «باراقليطُوس»[1] الذي هو بمعنى المُعزِّي والمُسلِّي والمُعينُ والوكيل[2]، أو «بريقليطوس»[3] الذي هو بمعنى المحمودُ الذي يُرادِفُ أحمَدَ. ولأجلِ تقارُبِ الكلمتينِ في الكتابةِ والتلفُّظِ والسَّماعِ، حصَلَ التردُّدُ في المبشَّرِ به.

ومُفسِّرو ومترجمو إنجيلِ يوحنَّا، يُصِرُّونَ على الأوَّلِ. ولأجلِ ذلكَ ترجموهُ إلى العربيةِ بـ «المُعزِّي»، وإلى اللُّغاتِ الأخرى بما يُعادِلُهُ ويُرادِفُهُ. وادَّعوا أنَّ المرادَ منه هو روحُ القُدُس، وأنَّه نزَلَ على الحواريِّينَ في اليومِ الخمسين بعد فُقدانِ المسيح، كما ذُكِرَ تفصيلُهُ في كتابِ أعمال الرُّسُل[4]، وزعموا أنَّهم بذلك خلعوا المسلمينَ عن السِّلاحِ الذي كانوا يحتجُّونَ به عليهم.

= والبارقليطا جاءَ، هو الذي يشهَدُ لي بالحقِّ كما شهِدْتُ له، وهو الذي يُفسِّرُ لكم كلَّ شيءٍ، وهو الذي يبدأُ فضائحَ الأمم، وهو الذي يكسِرُ عمودَ الكُفْر»؟ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج2، باب 12، ذكر مجلس الرضا ﷺ مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون، ح1، ص145 ـ 146.

(1) في اليونانيَّة هكذا: ΠΑΡΑΚΛΗΤΟΣ وبالإفرنجيَّة هكذا: Paracletos.

(2) أيضاً: المحامي، الشَّفيع، المساعد. وبعبارةٍ واضحة: الشَّخصُ الذي يُستدعى للمساعدة. وهي ـ كما قيل ـ تُعرِّف وظيفةَ الشَّخص لا طبيعتَهُ.

(3) في اليونانيَّة هكذا: ΠΕΡΙΚΛΗΤΟΣ وبالإفرنجيَّة هكذا: Pericletos. أقول: يبدو أنَّ معناها بنحو دقيق: الطَّيِّب.

(4) **أعمال الرُّسلُ** 2: 1 ـ 4: «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفسٍ واحدة. وصار بغتة من السَّماء صوتٌ كما من هبوبِ ريحٍ عاصفة وملأ كلَّ البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنةٌ=

ومع ذلك، فهناك قرائنُ تُلقي الضَّوءَ على أنَّ المبشَّرَ به هو الرَّسولُ الأعظمُ (ص)، لا روحَ القُدُس، وإليكَ تلكَ القرائن:

1. أنَّ المسيحَ بدأَ خطابَهُ إلى تلاميذِهِ بقولِهِ: «إنْ كُنْتُم تُحِبُّوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلُبُ من الأبِ فيُعطيكُم **مُعزِّياً آخَرَ يمكُثُ معَكُم إلى الأبدِ**».

وهذا الخطابُ يُناسِبُ أنْ يكونَ المبشَّرَ به نبيّاً؛ لأنَّ المسيحَ يحتمِلُ - في هذا الكلام - أنْ يتخلَّفَ عدَّةٌ منهُم عن اقتفاءِ أثَرِهِ ودينِهِ، ولذلك أثارَ عواطِفَهُم في هذا المجال لئلا يتخلَّفوا. ولو كان المرادُ منه روحَ القُدُس، لما احتاجَ إلى تلك المقدِّمة، لأنَّ تأثيرَهُ في القلوبِ تأثيرٌ تكوينيٌّ لا يمكنُ لأحدٍ التخلُّفَ عنه، ولا يبقى في القلوبِ معه شكٌّ. هذا بخلافِ تأثيرِ النَّبي، فإنَّهُ يُؤثِّرُ ببيانِهِ وكلامِهِ في القلوبِ والأرواح، وهو يختلفُ حسبَ اختلاف طبائع المخاطَبين واستعداداتِهِم. ولأجلِ ذلكَ أصرَّ على إيمانِهِم بِهِ في بعضِ خطاباتِهِ وقال: «وقلْتُ لكمُ الآن قبلَ أنْ يكونَ، حتى متى كانَ تؤمنون»[1].

2. إنَّه وصَفَ المبشَّرَ به بلفْظِ «آخَرَ». وهذا لا يُناسِبُ كون المبشَّر به نظير روح القُدُس لعدَمِ تعدُّدِهِ، وانحصارِهِ في واحد. بخلافِ الأنبياء فإنَّهم يجيئونَ واحداً بعدَ الآخر، في فترةٍ بعد فترة.

3. إنَّه ينعَتُ ذلك المبشَّر به بقولِهِ: «ليمْكُثَ معكُم إلى الأبد». وهذا يُناسِبُ نبوَّةَ النبيِّ الخاتَم التي لا تُنسَخ.

4. إنَّه يقول: «**وأما المعزِّي الذي سيُرسِلُهُ الأبُ باسْمي فهو يُعلِّمُكُم كلَّ شيءٍ ويُذكِّركُم بكُلِّ ما قُلتُهُ لكم**».

وهذه الجملةُ تُناسِبُ أنْ يكونَ المبشَّر به نبيّاً يأتي بعد فترةٍ من رسالةِ النبيِّ السَّابق بعد أنْ تصيرَ الشَّريعةُ السَّابقةُ على وشَكِ الاضمحلالِ والاندثار. فيأتي النبيُّ اللاحق، يُذكِّرُ بالمنسيِّ، ويُزيلُ الصَّدأَ عن الدِّين. وأما لو كان المرادُ هو روحَ القُدُس، فقد نزَلَ على الحواريِّينَ بعد خمسينَ يوماً من فقدِ المسيح، حسبَ ما ينُصُّ عليه كتابُ أعمال الرُّسُل[2]،

= منقسمة كأنَّها من نارٍ واستقرَّت على كلٍّ واحدٍ منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدسِ وابتدؤوا يتكلمون بألسنةٍ أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا». وسيوافيك عند التحليل أنَه لم يتحقق في يوم الدار هذا، كل ما ذكره المسيح، ومنه قوله «يبكت العالم على خطية... إلخ».

(1) **إنجيل يوحنا** 14: 29.

(2) **أعمال الرُّسل** 2: 1 ـ 4.

أفيُظَنُّ أنَّ الحواريِّين نسوا في هذه المدَّةِ اليسيرةِ معالِمَ المسيح وتعاليمَهُ حتى يكونَ النازلُ هو الموعودُ به؟!

5. ويصِفُ المسيحُ المبشَّرَ به بقولِهِ: «فهو يشْهَدُ لي».

وهذه العبارةُ تُناسِبُ أنْ يكونَ المبشَّرَ به هو النبيُّ الخاتَم، حيثُ بُعِثَ مُصدِّقاً للشَّرائع السَّابقة والكُتُبِ السَّالفة. وقد أمرَهُ سبحانه أنْ يُخاطِبَ أهلَ الكتابِ بقولِهِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم..﴾[1]... وغير ذلك.

ومن المعلوم أنَّ الرَّسولَ الأكرمَ (ص) شَهَدَ برسالةِ المسيح، ونزَّهَ أُمَّهُ وابنَها عن كلِّ عيبٍ وشَيْن، وردَّ كلَّ ما أُلصِقَ بهما من جهلةِ اليهود من التُّهَمِ التَّافهة. وهذا بخلافِ ما إذا فُسِّرَ برُوحِ القُدُس؛ إذ لم يكن للمسيحِ يومذاك أيّ حاجة لشهادَتِهِ، ودينُهُ وشريعتُهُ بعدُ غضَّانِ طرِيَّان.

6. إنَّه يقول: «لأنَّه إنْ لم أنطلِق لا يأتيكُم المُعزِّي ولكن إنْ ذهبْتُ أُرسِلهُ إليكم».

وهذا يُناسِبُ أنْ يكونَ المبشَّرُ به نبيّاً؛ حيثُ علَّقَ مجيئَهُ بذهابِهِ، لأنَّه جاءَ بشريعةٍ عالميَّةٍ، ولا تصُحُّ سيادةُ شريعتينِ مختلفتينِ على أمَّةٍ واحدة. ولو كان المبشَّرُ به هو روحَ القُدُس، لما كان لهذا التَّعليقِ معنى؛ لأنَّ روحَ القُدُس - حسبَ تصريح إنجيلي متَّى ولُوقا - نزَلَ على الحواريِّين عندما بعثَهُم المسيحُ للتَّبشيرِ والتَّبليغ[2].

7. ويقولُ: «**ومتى جاءَ ذاكَ يُبكِّتُ العالَمَ على خطيَّةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ**».

وهذا يُؤيِّدُ أنْ يكونَ المبشَّرُ به نبيّاً؛ إذ لو كان المرادُ هو روحَ القُدُس، فهو نزَلَ في يومِ الدَّارِ على الحواريِّينَ حسبَ زعمِهِم. فما وبَّخَ اليهودَ الذين لم يؤمنوا به أصلاً لعدَمِ رؤيتِهِم له، ولم يوبِّخ الحواريِّينَ لأنَّهم كانوا مؤمنينَ به.

8. ويقولُ: «**وأما متى جاءَكُم روحُ الحقِّ فهو يُرْشِدُكُم إلى جميعِ الحقِّ لأنَّه لا يتكلَّمُ من نفسِهِ بل كلُّ ما يسْمعُ يتكلَّمُ به ويُخبِرُكُم بأمورٍ آتية**».

وهذا يتناسبُ مع كونِ المبشَّر بهِ نبيّاً خاتماً، صاحبَ شريعةٍ متكاملة، لا يتكلَّمُ إلا بما يُوحى إليه. وهذه كلُّها صفاتُ الرَّسول الأكرم محمَّد (ص).

---

(1) سورة النساء، الآية 47.

(2) لاحظ **إنجيل متى** 10: 1 وما بعدها. **وإنجيل لوقا** 10: 11.

فجميعُ هذه القرائن تشهَدُ بوضوحٍ على أنَّ المرادَ من «المُعزِّي» المبشَّر به، هو النبيُّ الأكرم، لا روحُ القُدُس. ولو أمعنْتَ النظَرَ في سائرِ القرائنِ التي ذكرَها المُحقِّقونَ المسلمونَ في تفسيرِ هذا اللَّفظ، لعالَت القرائن»[1].

تعليق: الجديرُ بالذِّكرِ أنَّ الشَّيخَ السُّبْحاني ذكَرَ أنَّ المسيحَ ﷺ كان يتكلَّمُ العِبْريَّة، وأنَّ اللَّفْظَ الأصلي لكلمةِ «الباراقليط» قد ضاع. لكن المعروفُ أنَّ المسيحَ ﷺ كان يتكلَّمُ الآراميَّة، أو قُلْ الآراميَّة/ العِبْريَّة. واللَّفْظُ الأصلي لكلمةِ «الباراقليط» هو menahhemana، الذي قيل إنَّه لفْظٌ سرْيانيٌّ، يعني المُحْيي (الذي يبُثُّ الحياةَ في الأمواتِ)، وقد ظهَرَ في فيلم «آلام المسيح» لمِلْ جيبْسون، على لسانِ المُمثِّل الذي كان يُمثِّلُ دورَ يسوع، الذي كان يتكلَّمُ بالآراميَّة، في مشهدٍ يحاوِرُ فيه حواريِّيه، حيثُ نطَقَ هذا اللَّفْظ في هذا الفيلم هكذا «مِنَ أَحْمَ..»، دون حرْف «الدَّال».

مضافاً إلى ذلك، أنَّ مونتانيوس Montanus كان قد أعلَنَ (حوالي سنة 170م)، أنَّه هو «الباراقليط» الموعود به في إنجيلِ يوحنَّا، وانتشرت دعوتُهُ إلى درجةِ أنَّ تِرْتوليانوس آمنَ بذلكَ بين سنتي 202، 205م. فلو كان معنى «الباراقليط» هو روحُ القُدُس بنحوٍ باتٍّ، كما تؤمنُ المسيحيَّةُ اليوم، لما تسنَّى لمونتانيوس أنْ يدَّعي أنَّه هو الباراقليط. فادِّعاؤهُ هذا شاهدٌ على أنَّ الباراقليط يمكنُ أنْ يكونَ بشَراً.

صعوباتٌ لا بدَّ من تذليلها:

الصُّعوبة الأولى: قد يقالُ إنَّ مشكلةَ بعض النُّصوص السَّابقة أنَّه يظهَرُ منها أنَّ المُرسِلَ هو المسيحُ، وليس اللهُ تعالى. في حين أنَّ النبيَّ محمَّد (ص) هو عند المسلمين مُرْسَلٌ من اللهِ تعالى، وليس من المسيح. ولا بدَّ من حلِّ هذه المشكلة قبلَ الاستشهاد ببعضِ هذه النُّصوص لتأييدِ نُبوَّةِ محمَّد (ص).

الجواب: قد يُقالُ إنَّ المقصودَ أنِّي أُرسِلُهُ بدُعاءِ ربِّي وطلبي منه أنْ يُرسِلَهُ؛ كما تدُلُّ على ذلكَ صراحةً عبارةُ إنجيلِ يوحنَّا 14: 16: «وأنا أطلُبُ من الأبِ فيُعطيكُم **مُعزِّياً آخَرَ يمكُثُ معكُم إلى الأبد**».

---

(1) من أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى كتاب: **أنيس الأعلام في نصرة الإسلام**، ج5، ص139 ـ 172. جعفر السبحاني، **الإلهيات**، ج3، ص449 ـ 452.

وهذا من قبيلِ دعاء إبراهيم ﷺ لمجيءِ محمَّد (ص) في قولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾[1].

الصُّعوبة الثَّانية: أنَّ تطبيقَ هذا اللَّفظ على النَّبيِّ محمَّد (ص) لا يخلو من تكلُّف، والسيَّاقُ العامُّ للكلامِ لا يُساعِدُ على ذلك.

ولا أعرِفُ سبَبَ هذا التكلُّف. هل يكمُنُ في عدمِ صحَّة التَّطبيق أصلاً؟ أم إنَّه نتيجة التَّرجمات من لُغةٍ إلى أخرى؟

الصُّعوبة الثَّالثة: أنَّ لفظَ «المُعزِّي» أو «باراقليطُوس» لم يرِد إلا في إنجيلِ يوحنَّا. وقد يُقال إنَّ هذا الإنجيلُ يُعاني من مشكلاتٍ تتجاوزُ المشكلات التي يُعاني منها الأناجيلُ الثلاثةُ الإزائيَّة (متَّى، مرْقس، لوقا). منها أنَّه آخرُ الأناجيلِ الأربعةِ تدْويناً. وقد اختلفت كلماتُهُم في السَّنةِ التي أُلِّفَ فيها هذا الإنجيل، فمن قائلٍ إنَّها سنة 96م، وقائلٍ إنَّها سنة 98م[2]، الأمرُ الذي يعني أنَّ الفجوةَ التي تفصِلُهُ عن المسيح ﷺ تتجاوزُ بقيةَ الأناجيل بعقدينِ أو ثلاثة. مضافاً إلى أنَّ هذا الإنجيلَ بالتَّحديد مُتَّهمٌ بأنَّهُ مُصمَّمٌ لإشباعِ رغبة الكنيسة التي كانت تتوقُ إلى ترسيخِ ربوبيَّة المسيح وتأليهِهِ والقولِ بأزليَّتِهِ وقِدَمِهِ. وقد أشرْتُ إلى ذلك عندما استعرضْتُ هذا الإنجيل.

وفي تقديري، هناك طريقٌ آخرَ يبدو لي أكثرَ صلابةً وعمقاً، يرتكزُ على دراسةِ مصْطلحٍ مُتكرِّرٍ في الأناجيل، وهو مصْطلَحُ «ملكوتُ السَّماوات» أو «ملكوت الله». فالمسيحُ - وفقاً للأناجيل - بشَّرَ مراراً وتكراراً بقُرْبِ مجيء ابنِ الإنسان الذي سيُحقِّقُ ملكوتَ الله على الأرض.

ولفظُ «ابن الإنسان» تكرَّرَ في الأناجيلِ الأربعة ثمانينَ مرَّة. وهذا اللَّفظ وإنْ كان يوحي في أكثرِ مواردِ استخدامِهِ أنَّ يسوعَ كان يتحدَّثُ عن نفسِهِ، إلا أنَّه في مواردَ أخرى يوحي بأنَّه كان يتحدَّثُ عن نبيٍّ جديدٍ قادم.

المُلْك والملكوت في الأناجيلِ والقرآن:

«الملكوت» أو «ملكوتُ الله» أو «ملكوتُ السَّماوات» ألفاظٌ بالغةُ الأهميَّة. فقد ورَدَت كلمةُ «ملكوت» في العهدِ القديم 11 مرَّة، وفي العهدِ الجديد 138 مرَّة: 134 منها في

---

(1) سورة البقرة، الآية 129.

(2) كتبَ رايس بروكس: «كُتِبَ إنجيل يوحنَّا مع نهاياتِ القرْن الأوَّل» (**حقيقة المسيح**، ص70).

الأناجيل (60 مرَّة في إنجيل متَّى، 15 مرَّة في إنجيل مِرْقس، 37 مرَّة في إنجيل لوقا، 2 مرَّة في إنجيل يوحنَّا)، بالإضافةِ إلى 24 مرَّة في الرَّسائلِ المُلْحقة بأناجيلِ العهد الجديد.

هذا المصْطلح يُوحي - من استقراءِ استخداماتِهِ في الكتابِ المُقدَّس - بما يُرادِفُ «الولاية» - المُسْتبطنة في النُّبوَّةِ والإمامة - في ثقافةِ مدرسةِ أهل البيت ﷺ.

كتَبَ البابا بنديكت السَّادس عشر حولَ هذا التَّعبير ومعانيه:

«إنَّ المحتوى الأساسي للإنجيل هو أنَّ ملكوتَ اللهِ في المتناول... إنَّ جوهرَ هذا الإعلان هو المحورُ الحقيقي لكلامِ يسوع وأفعالِهِ. ونظرةٌ سريعةٌ على الإحصائيات تُثبِتُ ذلك... محورُ تعاليم يسوع قبلَ القيامة هو «ملكوتُ الله»... هل يعني هذا إذاً إنْ كان هناك ابتعادٌ عن تعاليمِ يسوع الحقيقيَّة؟

هل المُفسِّر رودُلْف بولتْمان كان على حقٍّ عندما قال: إنَّ يسوعَ التَّاريخي ليس بالفعلِ جُزْءاً من لاهوتِ العهدِ الجديد، ولكن يجبُ أنْ يُنظَرَ إليه على أنَّه ما زالَ مُعلِّماً يهوديّاً، بالرَّغمِ من افتراضِ اعتبارِهِ أساسَ العهد الجديد، فلا يجبُ عدُّهُ جُزْءاً من العهدِ الجديد؟

صورةٌ أخرى لهذه الهوَّة المزْعومة بين يسوع وتعاليمِ الرُّسُل، تكمُنُ في القولِ المشهور حالياً للكاثوليكي الحداثي ألفريد لوازي والذي يَصيغُها هكذا: «يسوع كرَزَ بملكوتِ الله، والنَّتيجةُ كانت الكنيسة!» هذه الكلماتُ قد تعتبرُ ساخرة، ولكنَّها أيضاً تُعبِّرُ عن الأسى. بدلاً من الآمالِ العظمية لملكوتِ الله، لعالَمٍ جديدٍ يُغيِّرُهُ اللهُ بنفسِهِ، وجدْنا شيئاً مختلفاً، ويا له من بديلٍ مُؤسِف: الكنيسة.

هل هذا صحيح؟ هل شكْلُ المسيحيَّةِ تشكَّلَت في تعاليمِ الرُّسُلِ وفي الكنيسةِ التي بُنِيَت على هذه التعاليمِ فعلاً، مجرَّدُ اندفاعٍ متهوِّرٍ من آمالٍ لم تتحقَّق، إلى شيءٍ مختلف؟ هل تغييرُ الموضوع من «ملكوتِ الله» إلى المسيح (وبالتالي تكوين الكنيسة) فعلاً هو انهيارُ الوعد وظهورُ شيءٍ ما محلَّهُ؟

يعتمدُ الأمرُ على كيفيَّةِ فهمِنا لتعبيرِ «ملكوت الله» كما استخدَمَهُ يسوع، على نوعيَّةِ العلاقة بين محتوى البلاغ وشخصِهِ كمُبلِّغ. هل هو مجرَّدُ رسولٍ مُكلَّفٍ بإبلاغِ رسالة؟ أم إنَّ الرَّسولَ هو نفسُهُ الرِّسالة؟ مسألةُ الكنيسةِ ليست المسألة الرَّئيسيَّة. المسألةُ الرَّئيسيَّةُ هي فعليّاً عن العلاقةِ بين ملكوتِ الله والمسيح، وفهمُنا للكنيسةِ يعتمدُ على هذا.

قبلَ أنْ نتعمَّقَ أكثرَ في كلامِ يسوع لنفهَمَ رسالتَهُ ـ أفعالَهُ ومعاناتِهِ ـ قد يكونُ مفيداً أنْ نأخُذَ نظرةً سريعةً على كيف فُهِمَت كلمةُ «ملكوت» في تاريخِ الكنيسة؟

يُمكِنُنا تحديدُ ثلاثةَ أبعاد في تفسيرِ آباء الكنيسة لهذا التَّعبيرِ المهمّ.

البُعْدُ الأوَّل: هو علْمُ المسيح.... يسوع هو الملكوتُ شخصيّاً، الملكوتُ ليس شيئاً، ليس مجالاً جغرافيّاً كالممالِكِ الدُّنيويَّة...

هناك منظورٌ آخرَ إلى معنى «ملكوت الله»: والذي يمكنُ أنْ نُسمِّيهِ «التَّفسير المثالي» أو «الرُّوحي». إنَّه يرى داخلَ الإنسان على أنَّه الموضِعَ الأساسي لملكوتِ الله... الفكرةُ الأساسيَّةُ واضحة: لن نجِدَ ملكوت الله على أيِّ خريطة. هو ليس ملكوتٌ مثلُ الممالِكِ الدُّنيويَّة، إنَّه داخلُ الإنسان. إنَّه ينمو ويشُعُّ من الدَّاخلِ إلى الخارج.

البُعْدُ الثَّالثُ لتأويلِ «ملكوت الله»: هو ما يمكنُ أنْ نُسمِّيهِ «الكنَسي»، ملكوتُ اللهِ والكنيسة، مرتبطانِ بطُرُقٍ مختلفة، ويتقاربانِ معاً بدرجةٍ وأخرى. البُعدُ الأخير، كما أرى، استحوذَ تدريجيّاً على السَّاحةِ، خصوصاً في اللَّاهوتِ الكاثوليكي الحديث... اتَّجهَ لاهوتُ القرْن التَّاسع عشَر وأوائل القرْن العشرين للتحدُّثِ عن الكنيسةِ كملكوتِ اللهِ على الأرض، اعتبرَ الكنيسةَ الوجود الحقيقي للملكوتِ في التَّاريخ.

بحلُولِ ذلك الوقت، كان التَّنويرُ قد أشعلَ ثورةً تفسيريَّةً في اللَّاهوتِ البروتستانتي، وأحدُ أهمّ نتائج هذه الثَّورة كان الفهمُ الجديدُ لرسالةِ يسوع بخصوصِ ملكوت الله. وسرْعانَ ما انقسَمَ هذا التَّأويلُ الجديدُ إلى اتِّجاهاتٍ متبانيةٍ جدّاً.

أحدُ هذه الاتِّجاهات في أوائلِ القرْن العشرين، كان اللَّاهوتُ اللِّيبرالي. أهمُّ المتحدِّثينَ باسْمِهِ أدولف فون هارناك، رأى رسالةَ يسوع عن ملكوتِ اللهِ كثورةٍ مزْدوجةٍ ضدَّ اليهوديَّةِ في زمنِ يسوع. بينما ركَّزَت اليهوديَّةُ بالكاملِ على الجماعةِ، على الشَّعبِ المُختار، تمسَّكَ هارناك بأنَّ رسالةَ يسوع كانت فرديَّةً صارِمة... كان التَّناقُضُ الأساسي الثَّاني، طبقاً لهارناك هو: بينما سادَت الطُّقوسُ والشَّعائرُ (وبالتالي الكهنوت) في اليهوديَّة، تجنَّبَها يسوع وركَّزَ بالكاملِ على الأخلاق...

انتهى العصْرُ العظيمُ للاهوتِ اللِّيبرالي بالحرْبِ العالميَّةِ الأولى والتغيُّرِ الجذْري في المناخِ الثَّقافي الذي تبعَها. ولكن كان هناك بالفعل حديثٌ عن ثورةٍ قبلَ ذلك... سادَ الاقتناعُ عند ذَلكَ بأنَّ رسالةَ يسوع «أُخرويَّة»، وبصورةٍ جذريَّة: إعلانُهُ ملكوتَ اللهِ الوشيك كان

إعلاناً لنهايةِ العالَمِ الوشيكة، لبُزُوغِ عالَمٍ جديدٍ فيه يحكُمُ الله، كما يُبيِّنُ تعبير «ملكوت». إعلانُ ملكوت الله يجب أنْ يُفهَمَ أنَّه يُشيرُ فقط إلى نهايةِ العالَم...

يُقالُ لنا في النِّهايةِ هذا هو قلْبُ رسالةِ يسوع، وهي أيضاً المعادلةُ الصَّحيحةُ لتعبئةِ قوى البشريَّة الإيجابيَّة وتوجيهِها إلى بناءِ مستقبلِ العالَم. «الملكوتُ» في هذا التَّأويلِ هو ببساطة مُسمَّى لعالَمٍ يحكُمُ بالسَّلامِ والعدالةِ والحفاظِ على الخلْق، ليس أكثرَ من ذلك. هذا «الملكوتُ» يُقالُ إنَّه هدفٌ تاريخيٌّ يجبُ تحقيقُهُ. إنَّه المهمَّةُ الحقيقيَّةُ للأدْيانِ. للعملِ معاً لمجيءِ «الملكوت»...

هذا يبدو حسناً، إنَّها تبدو كطريقةٍ مكَّنَت العالَمَ بأسرِهِ، أخيراً، من استيعابِ رسالة يسوع، ولكن دونَ الحاجةِ للتَّبشيرِ بالمسيحيَّةِ بين الأدْيانِ الأخرى. يبدو الآن، وأخيراً، أنَّ كلماتَ يسوع قد اكتسبت بعضَ المحتوى العملي، لأنَّ تأسيسَ «الملكوت» أصبحَ مهمَّةً مشتركةً ويقرُبُ ميعادُها...

ولكنَّ الشَّيءَ الرَّئيسيّ الذي تسرَّبَ من هذا النِّظامِ هو أنَّ اللهَ قد اختفى، الإنسانُ هو المُمثِّلُ الوحيدُ على المسرح... إنَّ انتقادَنا الرَّئيسي للفكرةِ العَلْمانيَّةِ اليوتيوبيَّةِ عن الملكوت هي أنَّه يُبعِدُ اللهَ عن المسرح. لم تعُد هناك حاجة له، بل إنَّه بالتأكيد أصبحَ مصدرَ إزعاج. ولكن يسوع أعلنَ ملكوتَ «الله»، وليس أيَّ نوعٍ آخرَ من الملكوت. يتحدَّثُ متَّى بالفعلِ عن «ملكوتِ السَّماوات»، ولكن كلمةُ «سماوات» تُماثِلُ كلمةَ «الله»، والتي تجنَّبَ اليهودُ النُّطْقَ بها لحدٍّ كبيرٍ بسببِ الوصيَّةِ الثَّانية تقديساً لاسْمِ الله...

هناك ملحوظةٌ لغويةٌ مهمَّةٌ أخرى: الكلمةُ العِبْريةُ «ملكوت» هي اسْمُ فعل، وتعني كما تعني الكلمةُ اليونانية basileia (مملكة)، المهمَّةُ المَلَكيَّة، السِّيادةُ الفعليةُ للمُلْك... ما تعنيه الكلمةُ ليست المملكة الوشيكة، أو التي ستُؤسَّس، ولكن حُكْمُ اللهِ الفعلي على العالَم، والتي ستُصبِحُ حدثاً في التَّاريخِ بأُسلوبٍ جديد...

يُمكِنُنا أنْ نُبسِّطَها أكثرَ من ذلك: عندما يتحدَّثُ يسوع عن ملكوتِ الله، فهو ببساطةٍ يتحدَّثُ عن الله، ويُصرِّحُ بأنَّهُ اللهُ الحيُّ، القادرُ على العملِ بوضوحٍ في العالَمِ وفي التَّاريخ، وهو حتى الآن فعَّال. يقولُ لنا: «اللهُ موجودٌ» و«اللهُ هو اللهُ فعليّاً» والذي يعني أنَّه يُمسِكُ بيدِهِ خيوطَ العالَم...»[1].

(1) البابا بنديكت السادس عشر، **يسوع الناصري**، ترجمة د. أحمد الترزي، مكتبة الشروق الدولية، ط1 2010، ص53 ـ 59.

يسوع هل كان ملكاً لليهود؟

من الواضح من الأناجيلِ الأربعة، أنَّ يسوعَ واجَهَ تُهمةً خطيرةً موجَّهةً إليه من اليهود، وهي أنَّه يدَّعي أنَّه هو ملِكُ اليهود الموعود. فهل ادَّعى يسوعُ ذلك؟

لا بدَّ أنْ نستذكرَ أنَّ اليهودَ كان يترقَّبونَ مجيءَ المسيح المنتظر، الذي ينحدرُ من ذريَّةِ داود، ويبني الهيكلَ، ويعيدُ مملكةَ جدِّهِ. واتِّهامُ يسوع بأنَّه يدَّعي أنَّه ملكُ اليهود، ينطوي على جانبٍ صادقٍ، وجانبٍ كاذب.

أما الجانبُ الكاذبُ، فالادِّعاءُ يوحي بأنَّه مُلْكٌ دنيويٌّ، وإنْ كان الأمرُ كذلك، فمضافاً إلى كونِ يسوع مسْتضعفاً لم تتوفَّر له سلْطنة دنيويَّة سياسيَّة، فالادِّعاءُ بحدِّ ذاتِهِ يضَعُهُ في موقفٍ خطيرٍ أمامَ الحاكم الرُّوماني، لأنَّ الأمرَ سيُفهَمُ على أنَّ يسوع قد نصَّبَ نفسَهُ ملِكاً على اليهودِ متحدِّياً بذلك سلْطنة قيصر الدَّولة، وهي تهمةٌ سياسيةٌ بالغةُ الخطورة.

أما الجانبُ الصَّادقُ، فالادِّعاءُ بأنَّه ملِكٌ، يعني أنَّ له ولايةً على اليهود، فهو وليُّ أمرِهِم واجبُ الطَّاعة، وإنْ لم يكنِ مبسوطَ اليد فعلاً. فهو مُلْكٌ معنويٌّ، وولايةٌ روحيَّة، قد تتحوَّل إلى سياسيَّة فيما إذا سنحت الظُّروف (ولا يُقصَدُ بذلك أنَّه كان ينتظرُ الفرْصةَ بالمعنى الانتهازي، بل بمعنى أنَّه كان ينتظرُ الفراغَ إذا ما وقعَ ليملأَهُ بنحوٍ عفوي وسِلْمي، فيما لو وجدَ مقبوليَّةً بين الناس)، وقد تبقى مجرَّدَ ولايةٍ روحيَّةٍ طالما لم تسْنح الظُّروف. ومن المحتملِ أنَّ بعضَ الحواريِّين كان يُروِّجُ لذلك بين اليهود، حتى وصَلَ الأمرُ إلى مسامعِ رؤساء الكهنة.

لقد كان من مصلحةِ أعدائِهِ اليهود آنذاك الخلْطَ بين المعنيَيْنِ، لتوريطِهِ سياسيّاً، وللإيقاعِ بهِ وإفسادِ علاقتِهِ بالرُّومان، وإيجادِ مُسوِّغٍ لإدانتِهِ وفقاً لمعاييرِ الدَّولة الرُّومانيَّة. لذا تجدُ يسوع غالباً - وفقاً للأناجيل - لا يُؤكِّد ولا ينفي هذه التُّهمة[1].

ففي إنجيل متَّى: «فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلاً: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ». وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَمَا تَسْمَعُ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ وَلَا عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدّاً»[2].

---

(1) وكان هذا هو حالُ أهل البيت عليهم السلام تماماً، لذا كان ينجح الوشاةُ في كثير من الأحيان في تأليبِ الخُلفاءِ والسَّلاطينِ عليهم.

(2) **إنجيل متَّى** 27: 11 - 14. وورد ما يشبهه في **إنجيل مرقس** 15: 2 - 5. و**إنجيل لوقا** 23: 3.

بل ورَدَ في إنجيل يوحنّا: «ثُمَّ دَخَلَ بِيلاَطُسُ أَيْضاً إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَدَعَا يَسُوعَ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هذَا، أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟» أَجَابَهُ بِيلاَطُسُ: «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟ أُمَّتُكَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لَا أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذاً مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي». قَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «مَا هُوَ الْحَقُّ؟». وَلَمَّا قَالَ هذَا خَرَجَ أَيْضاً إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً. وَلَكُمْ عَادَةٌ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ وَاحِداً فِي الْفِصْحِ. أَفَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟»[1].

---

(1) إنجيل يوحنّا 18: 33 ـ 39.

أقول: حوارُ يسوع المسيح مع بيلاطُس، ومحاولات اليهود الإيقاع بيسوع عند بيلاطُس، يُذكِّرُني بقصَّةِ هشام بن الحكم مع هارون الرَّشيد. فقد روى أبوعمرو الكشِّي قال أخبرني فلان عن فلان...، عن يونس بن عبد الرَّحمن، قال كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجَدَ على هشام بن الحكم شيئاً من طعنِهِ على الفلاسفة، وأحبَّ أنْ يُغري به هارون ونصرتهُ على القتل، قال، وكان هارون لمَّا بلغه عن هشام مالَ إليه، وذلك أنَّ هشاماً تكلَّمَ يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرثِ النَّبيِّ (ص)، فنُقِلَ إلى هارون فأعجبَهُ، وقد كان قبل ذلك يحيى يشرف أمرهُ عند هارون ويردّه عن أشياء كان يعزمُ عليها من إيذائِهِ، فكان ميلُ هارون إلى هشام أحد ما غيَّرَ قلب يحيى على هشام، فسبَّه عنده، و قال له: يا أمير المؤمنين، إنِّي قد استبطنْتُ أمرَ هشام، فإذا هو يزعمُ أنَّ للهِ في أرضِهِ إماماً غيرك مفروضَ الطَّاعة، قال: سبحانَ الله، قال: نعم، ويزعمُ أنَّه لو أمرَهُ بالخروج لخرج، وإنَّما كنَّا نرى أنَّه ممَّن يرى الإلباد بالأرض، فقال هارون ليحيى: فاجمَعْ عندك المتكلِّمين وأكون أنا من وراءِ السِّتْرِ بيني وبينهم، لا يفطنونَ بي، ولا يمتنع كلُّ واحدٍ منهم أنْ يأتي بأصلهِ لهيبتي.

قال: فوجَّه يحيى فأشحنَ المجلسَ من المتكلِّمين، وكان منهم ضرار بن عمرو وسليمان بن جرير وعبد الله بن يزيد الإباضي وموبذان موبذ ورأس الجالوت، قال: فسألوا وتكافوا وتناظروا وتناهوا إلى شاذٍّ من مقالِ الكلام، كلٌّ يقولُ لصاحبِهِ لم تُجِب ويقولُ قد أجبْتُ، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام، إذ لم يعلم بذلك المجلس، واغتنمَ ذلك لعلَّةٍ كان أصابَها هشامُ بنُ الحكم.

فلمَّا أنْ تناهوا إلى هذا الموضعَ قال لهم يحيى بن خالد: ترْضونَ فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا أيُّها الوزير، وأنَّى لنا به وهو عليلٌ، قال يحيى: فأنا أوجِّه إليه فأسأله أنْ يتجشَّمَ المجيء. فوجَّه إليه فأخبرَهُ بحضورِهم، وأنَّه إنَّما منعَهُ أنْ يحضره أوَّل المجلس اتِّقاءً عليه من العلَّة، فإنَّ القومَ قد اختلفوا في المسائلِ والأجوبةِ وتراضوا بك حكماً بينهم، فإنْ رأيتَ أنْ تتفضَّلَ وتحمِل على نفسِكَ فافعل.

فلمَّا صارَ الرَّسولُ إلى هشام، قال لي: يا يونس، قلبي يُنكرُ هذا القول، ولسْتُ آمنُ أنْ يكون ها هنا أمرٌ لا أقفُ عليه، لأنَّ هذا الملعون يحيى بن خالد قد تغيَّرَ عليَّ لأمورٍ شتَّى، وقد كنْتُ عزمتُ إنْ منَّ اللهُ عليَّ الخروجَ من هذه العلَة أنْ أشخصَ إلى الكوفةِ وأحرِّمَ الكلامَ بتَّة وألزمَ المسجد، ليقطعَ عنِّي =

= مشاهدة هذا الملعون ـ يعني يحيى بن خالد ـ قال فقلتُ: جعلتُ فداك، لا يكونُ إلا خيراً، فتحرَّز ما أمكنك، فقال لي: يا يونس، أترى أتحرَّزُ من أمرٍ يريدُ اللهُ إظهارَهُ على لساني؟ أنَّى يكونُ ذلك، ولكن قمْ بنا على حولِ اللهِ وقوَّتِهِ.

فركبَ هشامُ بغلاً كان مع رسولِهِ، وركبتُ أنا حماراً كان لهشام، قال: فدخلْنا المجلسَ فإذا هو مشحونٌ بالمتكلِّمين، قال: فمضى هشامٌ نحو يحيى، فسلَّمَ عليه وسلَّمَ على القوم وجلسَ قريباً منه، وجلسْتُ أنا حيثُ انتهى بي المجلس، قال: فأقبلَ يحيى على هشام بعد ساعةٍ، فقالَ: إنَّ القومَ حضروا وكنَّا مع حضورهم نحبُّ أنْ تحضُرَ، لا لأنْ تُناظِرَ بل لأنْ نأنسَ بحضورك إذ كانت العلَّةُ تقطعُكَ عن المناظرة، وأنتَ بحمدِ اللهِ صالحٌ، ليست علَّتُكَ بقاطعةٍ عن المناظرة، وهؤلاءِ القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم، قال فقال هشام للقوم: ما الموضع الذى تناهت به المناظرةُ إليه؟ فأخبرَهُ كلُّ فريقٍ منهم بموضعَ مقطعِهِ، فكان من ذلك أنْ حكمَ لبعضٍ على بعض، فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير، فحقدَها على هشام.

قال: ثمَّ إنَّ يحيى بن خالد قال لهشام: إنا قد أعرضنا من المناظرةِ والمجادلة منذ اليوم، ولكن إنْ رأيتَ أنْ تُبيِّنَ عن فسادِ اختيارِ الناسِ لإمام، وأنَّ الإمامةَ في آلِ الرَّسول دون غيرهم، قال هشام: أيَّها الوزير، العلَّةُ تقطعني عن ذلك، ولعلَّ معترِضاً يعترضُ فيكتسبُ المناظرةَ والخصومة، فقال: إنْ اعترضَ معترضٌ قبل أنْ تبلُغ مرادَكَ وغرضَكَ فليس ذلك له، بل عليه أنْ يتحفَّظَ المواضع التي له فيها مطعنٌ فيقفها إلى فراغكَ ولا يقطع عليك كلامك.

فبدأ هشام وساق الذِّكرَ لذلك وأطال، واختصرنا منه موضع الحاجة. فلمَّا فرغَ ممَّا قد ابتدأ فيه من الكلام، في إفسادِ اختيارِ الناس للإمام، قال يحيى لسليمان بن جرير: سلْ أبا محمد عن شيءٍ من هذا الباب، فقال سليمان لهشام: أخبرني عن عليِّ بن أبي طالب، مفروض الطَّاعة؟ فقال هشام: نعم. قال: فإنْ أمركَ الذي بعدَهُ بالخروجِ بالسَّيفِ معه تفعل وتطيعُهُ؟ فقال هشام: لا يأمُرُني. قال: ولِمَ إذا كانت طاعتُهُ مفروضةً عليك وعليكَ أنْ تُطيعَهُ؟ قال هشام: عُدْ عن هذا فقد تبيَّنَ فيه الجواب. قال سليمان: فلِمَ يأمرُكَ؟ في حالٍ تُطيعُهُ وفي حالٍ لا تطيعُهُ؟ فقال هشام: ويحكَ لم أقُل لك إنِّي لا أُطيعُهُ فتقول إنَّ طاعتَهُ مفروضة، إنَّما قلتُ لكَ لا يأمُرُني. قال سليمان: ليس أسألُكَ إلا على سبيلِ سلطانِ الجدل، ليس على الواجبِ أنَّه لا يأمُرُك، فقال هشام: كمْ تحومُ حول الحِمى، هل هو إلا أنْ أقولَ لكَ إنْ أمرَني فعلْتُ، فينقطعُ أقبحَ الانقطاع ولا يكون عندك زيادة؟ وأنا أعلمُ ما تحتَ قولي وما إليه يؤولُ جوابي.

قال: فتمعَّرَ هارون، وقال هارون: قد أفصحَ.

وقامَ الناسُ واغتنمَها هشام فخرجَ على وجههِ إلى المداين، قال: فبلغنا أنَّ هارون قال ليحيى: شُدَّ يديك بهذا وأصحابِهِ، وبعثَ إلى أبي الحسن موسى ﷺ فحبسَهُ، فكان هذا سببُ حبْسِهِ مع غيرِهِ من الأسباب. وإنَّما أرادَ يحيى أنْ يهرُبَ هشام فيموتُ مختفياً ما دامَ لهارون سلطان، قال: ثمَّ صارَ هشام إلى الكوفة وهو بعقبِ علَّتِهِ، ومات في دارِ ابن شرف بالكوفةِ رحمه الله...

تعليق: على ضوءِ ذلك، يُمكِنُنا أنْ نفهَمَ ما جاءَ في رواياتِ أهلِ البيت ﷺ عن خطورةِ إذاعةِ أمرِهِم؛ فقد جاء في روايةٍ معتبرةٍ عن أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادق ﷺ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران، 112)، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ، مَا قَتَلُوهُمْ بِأَسْيَافِهِمْ، وَلكِنْ أَذَاعُوا سِرَّهُمْ، وَأَفْشَوْا عَلَيْهِمْ، فَقُتِلُوا (الكليني، **أصول الكافي**، باب الإذاعة). =

إذا عُدنا إلى إنجيلِ متَّى نجدُ فيه: «وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»[1].

ثمَّ جاءَ فيه: «وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ»[2].

وجاءَ بعد ذلك: «وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ!»[3].

كما جاء في إنجيلِ يوحنَّا: «وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ، وَنَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «هُوَذَا مَلِكُكُمْ»! فَصَرَخُوا: «خُذْهُ! خُذْهُ! اصْلِبْهُ!» قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «أَأَصْلِبُ مَلِكَكُمْ؟» أَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرَ»![4].

ثمَّ جاءَ فيه: «وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَاناً وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوباً: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ». فَقَرَأَ هذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيباً مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوباً بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاَتِينِيَّةِ. فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ: «لاَ تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلْ: إِنَّ ذَاكَ قَالَ: أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ»! أَجَابَ بِيلاَطُسُ: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ»[5].

= وجاء في روايةٍ معتبرةٍ أنَّ الإمامَ موسى الكاظم ﷺ عندما عرَّفَ إمامتَهُ لهشام بن سالم، وقد استأذنَهُ هشام بتعريفِ أصحابِهِ بذلك، قال له: مَنْ آنَسْتَ مِنْهُ رُشْداً فَأَلْقِ إِلَيْهِ، وخُذْ عَلَيْهِ الْكِتْمَانَ، فَإِنْ أَذَاعُوا فَهُوَ الذَّبْحُ. وأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى حَلْقِهِ (الكليني، **أصول الكافي**، باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل في أمر الإمامة).

في أهميَّةِ الكتمان، جاء في روايةٍ معتبرةٍ عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ﷺ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَأَبَى وَأَمْسَكَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَعْطَيْنَاكُمْ كُلَّ مَا تُرِيدُونَ كَانَ شَرّاً لَكُمْ، وَأُخِذَ بِرَقَبَةِ صَاحِبِ هذَا الْأَمْرِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ: وَلَاٰيَةُ اللهِ أَسَرَّهَا إِلى جَبْرَئِيلَ ﷺ، وَأَسَرَّهَا جَبْرَئِيلُ إِلى مُحَمَّدٍ (ص)، وَأَسَرَّهَا مُحَمَّدٌ (ص) إِلى عَلِيٍّ ﷺ، وَأَسَرَّهَا عَلِيٌّ ﷺ إِلى مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُذِيعُونَ ذلِكَ، مَنِ الَّذِي أَمْسَكَ حَرْفاً سَمِعَهُ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ: فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ : يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ مَالِكاً لِنَفْسِهِ، مُقْبِلاً عَلى شَأْنِهِ، عَارِفاً بِأَهْلِ زَمَانِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ، وَلَا تُذِيعُوا حَدِيثَنَا.... (الكليني، **أصول الكافي**، باب الكتمان).

(1) **إنجيلِ متَّى** 27: 29. وورد ما يشبهه في **إنجيل مرقس** 15: 17 ـ 18. **وإنجيل يوحنا** 19: 3.

(2) **إنجيلِ متَّى** 27: 37. وورد ما يشبهه في **إنجيل مرقس** 15: 26. وإنجيل لوقا 23: 38.

(3) **إنجيلِ متَّى** 27: 41 ـ 42. ورد ما يشبهه في **إنجيل مرقس** 15: 31 ـ 32. **وإنجيل لوقا** 23: 37.

(4) **إنجيلِ يوحنَّا** 19: 14 ـ 15.

(5) **إنجيلِ يوحنَّا** 19: 19 ـ 22.

لذا كان اليهودُ - وفقاً لما سبَق - لا يتحمَّلونَ أنْ يُقالَ عن يسوع «مِلكُ اليهود»، حتى لا تتحوَّل التُّهمةُ إلى حقيقة، بل تبقى مجرَّد تُهمة لوصْمِهِ وإدانتِهِ.

ملكوتُ اللهِ سيُنزَع منكم:

جاءَ في إنجيلِ متَّى:

«وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ، قَائِلِينَ: «بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا؟ وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ لَكُمْ أَنَا أَيْضاً بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا: مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟» فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ لَنَا: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلُ نَبِيٍّ». فَأَجَابُوا يَسُوعَ وَقَالُوا: «لَا نَعْلَمُ». فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضاً: «وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا.

مَاذَا تَظُنُّونَ؟ كَانَ لإِنْسَانٍ ابْنَانِ، فَجَاءَ إِلَى الأَوَّلِ وَقَالَ: يَا ابْنِي، اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي. فَأَجَابَ وَقَالَ: مَا أُرِيدُ. وَلكِنَّهُ نَدِمَ أَخِيراً وَمَضَى. وَجَاءَ إِلَى الثَّانِي وَقَالَ كَذلِكَ. فَأَجَابَ وَقَالَ: هَا أَنَا يَا سَيِّدُ. وَلَمْ يَمْضِ. فَأَيُّ الاثْنَيْنِ عَمِلَ إِرَادَةَ الأَبِ؟»

قَالُوا لَهُ: «الأَوَّلُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ، لأَنَّ يُوحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَّارُونَ وَالزَّوَانِي فَآمَنُوا بِهِ[1]. وَأَنْتُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ لَمْ تَنْدَمُوا أَخِيراً لِتُؤْمِنُوا بِهِ.

اِسْمَعُوا مَثَلاً آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْماً، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجاً، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضاً وَقَتَلُوا بَعْضاً وَرَجَمُوا بَعْضاً. ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضاً عَبِيداً آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ. فَأَخِيراً أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوُا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ

(1) أراد المُتظاهِرُونَ بالالتزام الدِّيني معرفةَ مصْدر السُّلْطة والولاية: سماويَّة أم أرضيَّة... لكن ما فائدةُ الالتزام في الظَّاهرِ بالطُّقوسِ والشَّعائرِ، مع ترْكِ العمل بالوصايا الأخلاقيَّة عمليّاً؟ في المقابل، من لا يتظاهر بالالتزام بالطُّقوسِ والشَّعائر، يعمل بالوصايا الأخلاقيَّة... فأيُّ مفارقةٍ هي هذه؟ من يدَّعي الالتزامَ باتِّباعِ الأنبياء، لا يلْتزم... ومن لا يدَّعي، يلْتزم!

مِيرَاثَهُ! فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ؟»

قَالُوا لَهُ: «أُولَئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكاً رَدِيّاً، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا».

قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! **لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ.** وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!».

وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. وَإِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، خَافُوا مِنَ الْجُمُوعِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ»[1].

ثمَّ جاءَ بعد ذلك مباشرةً في إنجيلِ متَّى مثالٌ آخر بالغُ الأهميَّة، يشرحُ جحود بني إسرائيل واستبدالهم بأمَّةٍ أخرى، والتَّكالُب على منْصبِ السُّلْطة والولاية:

«وَجَعَلَ يَسُوعُ يُكَلِّمُهُمْ أَيْضاً بِأَمْثَال قَائِلاً: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً مَلِكاً صَنَعَ عُرْساً لابْنِهِ، وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ، فَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا. فَأَرْسَلَ أَيْضاً عَبِيداً آخَرِينَ قَائِلاً: قُولُوا لِلْمَدْعُوِّينَ: هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ!

وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا، وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِهِ، وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِهِ، وَالْبَاقُونَ أَمْسَكُوا عَبِيدَهُ وَشَتَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولَئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ. ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِهِ: أَمَّا الْعُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ، وَأَمَّا الْمَدْعُوُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ. فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ، وَكُلَّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ.

فَخَرَجَ أُولَئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَاراً وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَاناً لَمْ يَكُنْ لاَبِساً لِبَاسَ الْعُرْسِ. فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟

---

(1) إنجيلِ متَّى 21: 23 ـ 46.

فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّام: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ»[1].

وهنا قد نفهَمُ ما يلي:

1. دعوةُ الملِك لعبيدِهِ: إشارةٌ إلى لُطْفِ اللهِ ببني إسرائيل، ودعوتِهم لحمْلِ أمانةِ التَّوراة.
2. رفضُ العبيدِ المُتكرِّر للدَّعوة: إشارةٌ إلى رفضِ بني إسرائيل المُتكرِّر لأنبياءِ اللهِ الذين جاؤوهم تترى، فقتلوهُم أو كذَّبوهُم.
3. قرارُ الملِكِ بأنْ تتمّ دعوة أُناسٍ عاديِّينَ آخرين: إشارةٌ إلى القرارِ السَّماوي باستبدالِ بني إسرائيل، وكسْرِ طوق الدَّعوة لحملِ مسؤوليَّة التَّوحيد، لكلِّ الأُمم الوثنيَّة الأخرى.
4. دخولُ شخصٍ إلى العُرْسِ دونَ استئذان وبنحوٍ لا يسْتوفي شروطَ الدَّعوة: إشارةٌ إلى عبادةِ الله بطريقةٍ تروقُ للإنسان، بنحو لا يستوفي الشُّروط ولا يُرضي الله.

الخبرُ السَّارُّ عند رايت:

سأستعينُ فيما يلي بما سطَّرَهُ العالِمُ المسيحيُّ المعاصِر إن. تي. رايت[2] في كتابِهِ الخبَرُ السَّارُّ. طبعاً هو يسوقُ الأفكارَ حتى تخدِمَ في النِّهايةِ الإيمان المسيحي المعروف ببشارةِ المسيح، بمنظورٍ جديد. سأقتبِسُ منه حرْفيّاً، لكن بنحوٍ انتقائي، ليخدِمَ فكرتي عن البشارة.

كتَبَ رايت: «لقد كان العالَمُ الذي أتى إليه يسوعُ ينتظِرُ خبراً سارّاً. كان العالَمُ اليهوديُّ في عصْرِ المسيحِ حافلاً بالأفكارِ والتكهُّنات. وكانت تقاليدُهُمُ الموروثةُ والمُقدَّسةُ تحكي قصَّةَ ذلك البَدَوي الذي كان دونَ نسْل، إبراهيم، والذي دعاهُ اللهُ لتكوينِ أُسرة سيُنقِذُ بها العالَمَ بأسرِهِ. وقد عرَفَ التاريخُ اليهوديُّ كيف يكونُ إنقاذَ شعْبٍ؛ حيثُ كان اليهودُ مُسْتعبَدينَ في مصْرَ قبلَ أنْ يُنقِذَهُم الرَّبُّ ويُخرِجَهُم من هناكَ في ما عُرِفَ بالفِصْح. وقد

(1) إنجيل متَّى 22: 1 ـ 15.

(2) الأسقُف السَّابق لدَرَهام، وأحدُ أبرز دارسي الكتاب المقدَّس في العالَم. يخدم الآن بصفةِ أستاذ كرسي العهد الجديد والمسيحية الباكرة في كليَّةِ لاهوت جامعة سانت أندروز. درَّسَ مادَّة دراسات العهد الجديد 20 سنة في جامعات كامبردج وماكجيل وأكسفورد. ألَّفَ العديدَ من الكتب المهمَّة، ويُعَدُّ من أبرزها قيامة ابنُ الله. يقالُ عنه إنَّه من أهمِّ المدافعين عن الإيمانِ بعد سي. أس. لويس.

قادَهُمُ اللهُ نفسُهُ ليعبُروا البحرَ الأحمرَ، ويمضوا سنواتٍ عدَّةٍ في الصَّحراء، حتى استطاعوا في النِّهايةِ أنْ يرثوا أرضَ الوعد.

وظلَّ هذا الحدَثُ (الخروج) هو الحدَثُ المركزيُّ في الحياةِ والفكرِ اليهودي، وقد كوَّنَ أيضاً نظْرةَ اليهود للعالَم. فهو حدَثٌ يُعبِّرُ عن شخصيَّةِ اللهِ الواحدِ الحقيقي، الذي يهزِمُ قوى الشَّرّ ويُخلِّصُ الشَّعب. ويُعبِّرُ عمَّا جاءَ لاحقاً في الكُتُبِ المُقدَّسة تحتَ عنوان «ملكوت الله» بكلماتٍ أُخرى، يُعلِنُ هذا الحدَثُ أنَّ اللهَ سيَمْلِكُ بالفعلِ على العالَمِ بطريقةٍ جديدةٍ تماماً. لقد كان الإلهُ الواحدُ الحقيقي هو الحاكِمُ الشَّرْعيُّ للعالَم، لكنَّه يحتاجُ لأنْ (يريدُ أنْ) يستعيدَ مُلْكَهُ بعد أنْ سلبَتْهُ قوى الشَّر.

لقد كان الكثيرونَ في عصْرِ المسيحِ يؤمنونَ بأنَّ الوقتَ حانَ ليصيرَ هذا الحلْمُ حقيقةً. وقد كانت هذه هي القصَّةُ التي جاءَ على خلفيَّتِها الخبَرُ السَّارُّ الذي كانوا يتوقونَ إلى سماعِهِ...

لهذا السَّبَبِ فخلال خدْمة يسوع العلَنيَّة كلّها، كان يتكلَّمُ عن الخبَرِ السَّارِّ لملكوتِ اللهِ مُعيداً تعريفَ فكرة ملكوت الله خلال كلّ هذا التَّعليم. لقد كان اللهُ عائداً ليَسْتعيدَ زِمامَ الأمور، لكن لم يبْدُ الأمرُ كما تخيَّلَ الناس. إنَّ فكرةَ أنْ يمْلِكَ الله، كانت فكرةً معروفةً في أيامِ يسوع. ولا ينْبغي أنْ يكون هناك شكّاً حول معناها، لأنَّه يوجدُ عددٌ من النُّصوصِ الكتابيَّةِ القديمةِ التي أشارت في هذا الاتِّجاه. وحركاتٌ شعبيَّةٌ كثيرةٌ في أيَّامِ يسوع نفسِهِ استخْدَمَت الشِّعار نفسه، إلا أنَّ يسوعَ قد أعطاهُ معنًى جديداً. هذه الحركاتُ الشَّعبيَّةُ التي التقطَت وعودَ الكتاب المُقدَّس نفَسها التي استخْدَمَها يسوع، كانت تنتظرُ وترجو اللَّحظةَ التي تكلَّمْنا عنها من قبل: لحظةَ استرداد الأمَّة العبرانيَّة وإنقاذها من أعدائِها ـ لحظةَ خروجٍ جديد.

أما الخروجُ الأصلي، والذي حدَثَ قبلَ ذلك بقُرُون، كان أشْبَهَ بما يمكن أنْ نُطلِقَ عليها «ثورة سياسيَّة». تقولُ القصَّةُ القديمةُ إنَّ موسى قادَ عشرات الآلاف من العبيدِ لينالوا الحُرِّية. وكان الشَّعبُ وقتَ يسوع يتوقُ إلى أمرٍ مُماثلٍ وعلى الدَّرجةِ نفسِها من الأهميَّة، مُتعلِّقٌ بأشخاصٍ حقيقيِّينَ ومجتمعاتٍ حقيقيَّة، وحُرِّيةٍ جديدةٍ حقيقيَّة.

بعضُ الناسِ اقترحوا قادةً جُدُداً. وتصوَّرَ آخرونَ أنَّ اللهَ نفسَهُ سيُتمِّمَ عمَلَ إنقاذٍ عظيمٍ دونَ تدخُّلٍ بشريّ. ووضَعَ بعضُهُم أيضاً الخَيارينِ معاً: قادةٌ بشَرٌ يُعِدُّونَ الشَّعب، ثمَّ يتدخَّلُ الله. أو ربَّما، كما ظنَّ بعضٌ منهُم أيضاً، أنَّ شعبَ اللهِ نفسَهُ ينبغي أنْ يتحرَّكَ بطريقةٍ دراميَّةٍ في ثورةٍ عنيفةٍ ضدَّ الأُممِ الوثنيَّةِ المسيطرةِ عليهم. ربَّما كانت هذه هي الطَّريقةُ التي كان يريدُ

اللهُ بها أنْ يُنقِذَ الشَّعبَ ويُنفِّذَ خُطَّتَهُ للإنقاذ. كلُّ هذا يُشيرُ إلى أنَّ عدداً كبيراً من الناسِ كانوا يريدونَ أنْ يُدبِّرَ اللهُ كلَّ شيءٍ ليُنقِذَ شعبَهُ، لكن لم يعرف أحدٌ كيف سيحدُثُ ذلك...

كان يسوعُ كمَنْ يمشي على الحَبْل، وكان الناسُ يتوقونَ لأنْ يسْمعوا عن ملكوتِ اللهِ الذي يأتي بواسطةِ ثورةٍ سياسيَّةٍ واجتماعيَّة. وقد حدَثَ هذا النَّوعُ من الأحداثِ قبلَ ذلك بمئتي سنة. كما حدَثَ في ما بعد: أوَّل مرَّة كانت في ستِّينياتِ القرْن الأوَّل، وآخر مرَّة نحوَ سنة 130م. وبينَ هذينِ الحدَثَيْنِ الكبيرينِ كانت هناك عدَّةُ ثوراتٍ صغيرة. لقد كانت هذه الأمورُ تسودُ البيئةَ في ذلك الوقت، وكان هذا هو ما يُريدُهُ الناس. لو أنَّ يسوعَ أعطاهُم كلمة، لحوَّلَ آلافُ منهم آلاتَهُم الزِّراعيَّة إلى حِرابٍ وسُيوفٍ وانضمُّوا إلى جيشِهِ.

كلُّ ما نعرِفُهُ عن يسوع يُشيرُ بكُلِّ وضوحٍ إلى أنَّه لم يُرِد السَّيْرَ في هذا الاتِّجاه، بل كان أيضاً يُحذِّرُ منه. لقد كان يحسَبُ هذه الثَّورات القوميَّة جُزْءاً من المشكلةِ وليس من الحلّ، حاسباً إيَّاها مؤشِّراتٍ على أنَّ أقرانَهُ اليهود أساؤوا فهْمَ إلهِهِم ونيَّاتِهِ بصورةٍ جذريَّة. حتى إنَّه كان يحسَبُ أنَّ تمرُّدَهُم المأمول في وجهِ روما يمكن أنْ يُعَدَّ تمرُّداً على الله، وعلى دعوتِهِم أنْ يكونوا نوراً للأمم. لذا كان من أهدافِ عظَتِهِ المشْهورة على الجبَلِ أنْ يُذكِّرَ العبْرانيِّين بدعوتِهِم ودورِهِم.

وفي إطارِ موازٍ، كان ردُّ فعلِ آخرين معاصرين ليسوع مختلِفاً تماماً. فقد أرادوا أنْ ينْسحِبُوا تماماً من السَّاحةِ العامَّةِ ويختَبِئوا في الصَّحراءِ واللهُ يفعلُ ما يشاء. كان غرَضُهُم هو أنْ يُصَلُّوا، ويدْرُسُوا الكُتُبَ المُقدَّسةَ ويحاولوا الحِفاظَ عليها قدْرَ المستطاع. لكنَّهم يفعلونَ ذلك من بابِ التَّقوى الشَّخصيَّة، وليس السِّياسة.

كلُّ هذه الخيارات معروفةٌ أيضاً في عالَمِنا المعاصر. وقد قرَّرَ يسوعُ أنْ يُواجِهَ الموقفينِ معاً. ويُؤلِّفُ هذانِ الموقِفانِ شكْلينِ للنَّصيحةِ، وليسا خبراً البتَّة. أما يسوع فقد جاءَ لينْقُلَ خبراً أنَّ اللهَ يتحرَّك، وسيَمْلِك، ويُخطِّطُ لخُروجٍ جديد. كان هذا الخبَرُ السَّارُّ الذي طالَ انتظارُهُ، والذي من شأنِهِ أنْ يُغيِّرَ كلَّ شيء. ودونَ شكّ، لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يصْمُتَ أو يهدأَ ولديه خبرٌ سارٌّ كهذا.

لذلكَ لم يهدأ يسوع، حيثُ كان يحكي باستمرار القِصَص (الأمثال) ليشْرَحَ - قدْرَ ما تستطيع القصَصُ غير المباشرة أنْ تشْرَح - أنَّ الطَّريقةَ التي سيُعلِنُ اللهُ بها مملكتَهُ طريقةٌ

مختلفة. وعلى القدْرِ ذاتِهِ من الأهمية، كان يفعلُ أموراً للإشارةِ إلى الشَّكلِ الذي سيكونُ عليه ملكوتُ اللهِ الجديد[1].

وكان من الواضحِ أيضاً أنَّ كثيرينَ سيعترِضون؛ فقد سبَّبَ كلَّ هذا الذي كان يسوع يفعَلُهُ اضْطراباً للوضْعِ الذي كان موجوداً وكان مُتوقَّعاً. وعندما قلَبَ يسوعُ موائِدَ الصَّيارِفةِ في الهيكل، كان ذلكَ تصرُّفاً رمزيّاً لما فعلَهُ مع الافتراضاتِ والأفكارِ التي احتفَظَ بها الناسُ وقدَّسُوها. لقد قلَبَها تماماً، إذْ كانت رؤيتُهُ لما ستكونُ عليه الحال عندما يملِك الله رؤيةً مختلفةً تماماً عن أغلَبِ معاصريه...

ليس الخبَرُ فقط أنَّ اللهَ ملَكَ في شخصِ يسوع المسيح، ولا هو فقط ما يفعَلهُ اللهُ بواسطةِ يسوع، بل هو أيضاً أنَّ مُلْكَ اللهِ هو مُلْكٌ مختلفٌ تماماً. هناك نوعٌ آخرَ من القوَّةِ والسُّلْطان، وهو قوَّةُ الإنجيل، أي القوَّةُ التي يُعلِنُها ويُحدِثُها الخبَرُ السَّارّ. ليست قوَّةُ سُلْطةٍ غاشمةٍ ولا منْطِقاً مُقْنِعاً، بل أمرٌ آخرَ يذهبُ إلى أعماقٍ أبعَدَ ويصِلُ إلى كلِّ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ الإنسانيَّة. وقد أسمى المؤمنونَ الأوائلَ هذا الأمرَ بقوَّةِ الأغابي Agape. أما كلمةُ الحبِّ المعاصرة التي نستخدِمُها للإشارةِ إلى تلك الطَّاقةِ العظيمة، مُتعدِّدة الأبعاد والتي تحوي كلَّ شيء، والتي كانت تقتلعُ الناسَ من أماكِنِها وتقذِفُ بهم في تيَّارِ حياةٍ جديدةٍ تماماً، سواءٌ كان ذلك في القرْنِ الأوَّل الميلادي أم في يومِنا هذا.

لم يَدُرِ الخلافُ ما بين يسوع وقوى العالَم - أي ما بين ملكوتِ اللهِ وملكوتِ البَشَر - حول كون الله يمتلِكُ قوَّةً أكبرَ من البشَر، ومن ثمَّ سيهزِمُهُم في ميدانِهِم. لم يكن الأمرُ أنَّ لدى الله دبَّابات أقوى أو قنابل أعلى انفجاراً من التي لدى البشر. هذا ما كان الناسُ ينتظرونَهُ في عصْرِ المسيح (حسَناً، لم تكن لديهِم دبَّابات أو قنابل، لكنَّكَ تعرِف ما أقصدُهُ). ويظلُّ هذا هو ما ينتظِرُهُ الناس، وأحياناً ما يُريدونَهُ هذه الأيام («لماذا لا يفعل اللهُ أمراً ليوقِفَ هؤلاءِ البشر المُتوحِّشينَ الذين يقتُلُونَ البشر؟») لهذا السَّبَب فإنَّه كثيراً ما يُساءُ فهمُ الخبَرِ السَّارّ. ولهذا السَّبَب يستمرُّ الخبَرُ السَّارُّ في تحدِّي البشر وإثارةِ حيرَتِهِم، كما كان الأمرُ دائماً. وهذا أيضاً هو السَّبَبُ الذي يجعلُ الناسَ يتراجعونَ عن التزامِ المطالبِ التي في الكتابِ المُقدَّس، ويُحوِّلُونَ الخبَرَ السَّارَّ إلى أمرٍ آخرَ يُمكِنُهُم تصديقُهُ. فتصير «علاقة شخصيَّة بالله» أو «الذَّهاب إلى السَّماء». وهي أمورٌ أقرَبُ إلى النَّصائحِ الجيِّدة منها إلى الخبَرِ السَّارّ...

---

(1) ثمَّ يشيرُ رايت هنا إلى شفاءِ الأبرص والأكمه وإحياء الموتى كإشارةٍ إلى ملكوتِ اللهِ الفاعل.

الخبرُ السَّارُّ هو خبرٌ يُبشِّرُ بانتصارِ اللهِ على كلِّ قوى العالَم ليُؤسِّسَ لمملكةِ العدْلِ والسَّلامِ على الأرضِ كما في السَّماء، وليس في السَّماءِ فيما بعد. وهذا الانتصارُ لم يحدُث بقوَّةٍ أعظمَ من نوعِ قوى العالَم، بل بنوعٍ مختلفٍ تماماً من القوى...

إنَّنا نعلَمُ جيِّداً شكلَ القوى الموجودة في العالَم، حيثُ تصلُ كلّ قوى العالَم في النِّهايةِ إلى النُّقطةِ النِّهائيَّةِ لتصيرَ عُنْفاً باستخدامِ التَّهديدِ بالألمِ والموت. من يستطيع أنْ يقتُلَ هو صاحبُ الكلمةِ العُليا في النِّهايةِ في مملكةِ الناس. أجل! إنَّها قوَّةُ الدبَّابات والقنابل، والأسلحة النَّاريَّة والأسلحة البيضاء، والسِّياط والسِّجْن والأسلاك الشَّائكة والبلْدوزرات، والأسلحة التي تُدمِّر حياةَ البشر، والمُعدَّات الثَّقيلة التي تهدِمُ البيوت. إنَّه العُنْف والقسْوة، سواءٌ في البيتِ أم في العمَل. وهي الأحقادُ والمناوراتُ حيثُما ينبغي أنْ يكونَ اللُّطْفُ والحكمة. أما قوَّةُ يسوع فهي من نوعٍ مختلفٍ تماماً، وهذا كما شرَحَ للحاكِمِ الرُّوماني قبلَ دقائِقَ من أنْ يُرْسِلَهُ ذلك الحاكمُ إلى الموت، ومن ثمَّ يُثبِّتَ وجهةَ نظرِهِ. إنَّ ما يُدير ملكوت العالَم هو العُنْف، أما ملكوتُ اللهِ الذي جاءَ يسوعُ ليُعلنَهُ فيُديرُهُ الحبّ. هذا هو الخبرُ السَّارّ»[1].

وأضافَ رايت في موضعٍ آخرَ من كتابِهِ: «عندما نستخدمُ كلمةَ «مُلْك» فنحنُ لا نُشيرُ إلى نوعٍ مُحدَّدٍ من الملَكيَّة، سواءٌ كانت قديمةً أم حديثة. لقد كان يسوع يدْفَعُ الناسَ بصورةٍ مقصودةٍ لأنْ ينظُروا من زوايا مختلفة جديدة ومختلفة تماماً إلى أمورٍ كانوا يعتقدونَ أنَّهم يعرفونَها جيداً.

لم تكن نماذَج المَلَكيَّة الموجودة في عصْرِ يسوع أمراً مُشجِّعاً بتاتاً؛ إذْ لم يكن القيصَر في روما ولا هيرودُس في الجليلِ نموذجيْنِ إيجابيَّينِ يمكنُ أنْ يتمثَّل السَّامعونَ بهما وهم يستمعونَ إلى يسوع وهو يتكلَّم عن مملكةِ الله. وفي الواقع، كثيراً ما أشارَ يسوعُ إلى الاختلافاتِ والتَّناقضاتِ ما بين مملكةِ اللهِ وممالِكِ البشَر. وقد رأينا سابقاً كيفَ أوضَحَ يسوعُ ذلك في كلامِهِ مع يعقوب ويوحنَّا عندما قالَ إنَّ حُكَّامَ البشَر يفعلونَ الأمورَ بطريقةٍ، أما نحنُ فسنفعَلُها بطريقةٍ أخرى؛ فالسُّلْطةُ تأتي عندنا من الخدْمةِ، والخدْمةُ المُضحِّيةُ أيضاً. والسَّببُ الذي جعَلَ يسوع يستمرُّ في الكلامِ عن الملكوت، رغمَ مخاطِرِ سوء الفهم، هو أنَّه أرادَ أنْ يستبدِلَ ملكوت الله بالمفهومِ السَّائدِ عن المُلْكِ والملكوت...

(1) ن. ت. رايت، **الخبر السار**، ص46 ـ 55.

النُّقطةُ المحوريَّةُ في الخبَرِ السَّارِّ الذي يُقدِّمُهُ يسوع هي أنَّ اللهَ الواحدَ الحقيقي ليس طاغية؛ فالاستبدادُ ليس هو الطَّريقةُ الوحيدةُ للمُلْك... ومن مكوِّناتِ الخبَرِ السَّارّ أنَّ الإلهَ الذي ملَكَ في العالَمِ هو الإلهُ الذي يتميَّزُ تماماً بالمحبَّةِ الباذلة والمُضحِّية. إنَّنا، نحنُ البشر، الذين شوَّهْنا مفهومَ القوَّةِ والسُّلْطان وحوَّلْناهُ إلى استبدادٍ وسيطرةٍ وتنمُّرٍ على الضُّعفاء»[1].

تلخيص ونتائج:

يمكن أنْ ننْتهي إلى النَّتائجِ التَّالية فيما يتعلَّق بمفهومِ «ملكوت الله» المتكرِّر في الأناجيل:

1. كلمةُ «إنجيل» تعني الخبَرَ السَّارّ.
2. التَّبشيرُ بمجيءِ ملكوت الله يُمثِّلُ لُبَّ وجوهَرَ الخبَرِ السَّارّ الذي جاءَ به يسوع.
3. لا يوجدُ مفهومٌ واضحٌ مُحدَّدٌ ونهائي عند المسيحيِّين لمفهومِ ملكوت الله، وإنْ تكلَّفوا في ربطِهِ بمعنى القيامةِ والفداء.
4. ملكوتُ الله قد تجري فيه سُنَّةُ الاستبدال، فقد يحِلُّ ملكوتُ اللهِ في أُمَّةٍ، ثمَّ تُستبدَلُ بأُمَّةٍ أخرى.
5. ملكوتُ اللهِ له علاقةٌ بمفهومِ الحُبّ، وخصوصاً الحُبُّ بين مُمثِّلِ ملكوتِ الله وبقيَّةِ الناس.
6. ملكوتُ اللهِ يختلفُ نوعيّاً عن ملَكِيَّات البشَر، فهو ليس سُلْطة سياسيَّة أو عسكريَّة بالمعنى المتداول القائم على سَوْقِ الناسِ بالحديدِ والنار (كما يفعل الطُّغاة المُسْتبِدُّون)، أو الخداعِ والتَّضليل (كما يفعل دُهاة السِّياسة المُخادِعون)، بل هو قوَّةٌ معنويَّةٌ لها تأثيرٌ مذهل، وسُلْطةٌ روحيَّةٌ لها نفوذٌ هائل، ترتكزُ على الثِّقةِ والحُبِّ، التي تربِطُ التَّابعَ بالمتْبوع. فهذا الملكوتُ لا يستولي على الأجسادِ، ليسُوقَها عن قهْرٍ وقسْر، بل يستولي على القُلُوبِ، ليسُوقَها عن حُبٍّ وعشْق.
7. ما قامَ به يسوع من آياتٍ وخوارِقَ، هي من إرهاصاتِ ملكوتِ الله.
8. مجيءُ ملكوتِ الله له علاقةٌ بظُهُورِ قُدْرةِ اللهِ وتجلِّيها على الأرض.

---

(1) المصدر نفسه، ص72 ـ 74.

9. مجيءُ ملكوتِ الله على الأرض له علاقةٌ ببسْطِ القسْطِ والعدْلِ عليها، وانحسارِ الظُّلْمِ والجَوْر.
10. بشارةُ المسيحِ بمجيءِ ملكوت الله يُعبِّرُ عن انعطافٍ نوعيٍّ وتحوُّلٍ أساسيٍّ في مسيرِ البشريَّةِ التاريخي.

الملكوت والولاية في القرآن:

- جاءَ في القرآنِ تعريضٌ بأولئكَ الذين يحسُدُونَ آلَ إبراهيم على ما آتاهُم اللهُ من كتابٍ وحِكمةٍ ومُلْكٍ عظيم، ولا يمكن أنْ يُفهَمَ المُلْكُ العظيمُ هنا إلا كمقامٍ معنويٍّ، كالولايةِ التي تتمثَّلُ في نبيٍّ أو إمام:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[1].

- جاءَ في القرآنِ ما يُؤكِّد الإخبارات المُسْبقة المُتعلِّقة ببسْطِ ملكوت الله على الأرضِ في نهايةِ المطاف بسْطاً تاماً، وربْط ذلك بمجيءِ محمَّد رحمةً للعالمين:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ * إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

- المفهوم اللُّغوي لـ «الولاية» بما يحمِل من معانٍ متعدِّدة، يكاد أنْ يتطابق مع مفهومِ «ملكوت الله» المُتكرِّر في الأناجيل.

- استخدَمَ القرآنُ لفْظَ «الولاية» في سياقِ ظهور وتجلِّي قدرةِ اللهِ تعالى، لحظةَ ظهور ضعْفِ الإنسان وعجزِهِ وتلاشي قدْرَتِه، في القصَّةِ التي تبدأ هكذا: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[3]، لتنتهي هكذا: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[4].

---

(1) سورة النساء، الآيات 51 ـ 54.
(2) سورة الأنبياء الآيات 105 ـ 107.
(3) سورة الكهف، الآية 32.
(4) سورة الكهف، الآية 43 ـ 44.

- كلمة «ولاية» - كما ذكَرَ الرَّاغبُ الأصفهاني في كتابِهِ المفردات في غريب القرآن) - «ولِيَ: الولاءُ والتوالي أنْ يحصُلَ شيئانِ فصاعِداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما. ويُستعارُ ذلك للقُرْبِ من حيثُ المكان، ومن حيثُ النِّسْبة، ومن حيثُ الدِّين، ومن حيثُ الصَّداقة والنُّصْرة والاعتقاد، والولاية النُّصْرةُ، والولايةُ تولِّي الامر». وقال أهلُ اللُّغة أنَّها تعني: إمارة، سُلْطانٌ، حُكْمٌ، نُصْرَةٌ، محبَّةٌ، قرابةٌ، الاجتماعُ على يدٍ واحدة. ونتنزع منها معنى مشترك: الاتِّباعُ عن اختيارٍ، والامتثالُ عن إرادةٍ، والانقيادُ عن حُبٍّ.
- جاءَ في القرآنِ ما يُؤكِّد على أنَّ محبَّةَ اللهِ لعبدِهِ مرْهونةٌ باتِّباعِ من يُمثِّلُهُ. فحلقةُ المحبَّةِ لنْ تكتمل، وحبُّ اللهِ لمُحبِّهِ لنْ يتحقَّق، إلا باتِّباعِ من يُمثِّلُهُ.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

- جاءَ في القرآنِ ما يُؤكِّد على رابطِ الحُبِّ والمودَّةِ التي سرت في قلوبِ المؤمنين، فمن خلالِ هذا الرَّابط سيشُعُّ النُّورُ على الأرض، وأنَّ هذا الرَّابطَ لا يمكن حسابُ قيمتِهِ بطريقةٍ ماديَّة:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

- جاءَ في القرآنِ الحديثُ عن علاقةِ الحبِّ المتبادلة التي تربطُ اللهَ ببعضِ عبادِهِ الصَّالحين، الذي يستبدِلُ بهم من يرتدَّ عن دينِهِ. هؤلاء سيكونوا أذلَّةً على المؤمنين، أعزَّةً على الكافرين، لا يخشونَ أحداً إلا الله، والمطلوبُ من الناسِ تولِّي هذه النَّوعية من عبادِهِ الصَّالحين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[3].

- جاءَ في القرآنِ ضرورةَ إقامة التَّوراة والإنجيل، وأنَّ إقامَتَهُما مرتبطةٌ - من خلالِ سياقِ الآيات - بتبليغِ الرَّسول ما أُنزِلَ إليهِ من ربِّهِ فيما يتعلَّق بولايةِ عليّ، فمن دونِ تلكَ الولاية

(1) سورة آل عمران، الآية 31.
(2) سورة الأنفال، الآية 63.
(3) سورة المائدة، الآيات 54 ـ 56.

لن يكونَ أهلُ التّوراةِ والإنجيلِ على شيءٍ، ولن يتحقَّقَ ملكوتُ اللهِ، أما الجاهلونَ القاصِرُونَ من أتْباعِ تلك الدِّيانات، فسيُراعي اللهُ تعالى قُصورَهُم عند الحسابِ الأخروي:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

- إذن من خلالِ مفهوم ملكوتِ الله في الأناجيل، ومفهوم المُلْك في القرآن، ومفهوم الولاية في القرآنِ والتُّراثِ الرّوائي عند مدرسةِ أهلِ البيت عليهم السلام، نستطيعُ استكشافَ الخيط الرَّفيع الذي يربطُ تلك الأدْيان بعضَها ببعض.

فمثلاً روى الكليني في الكافي في روايةٍ معتبرةٍ عن بُريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قولِ اللهِ تباركَ وتعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[2]، قال: جعَلَ منْهُم الرُّسُلَ والأنبياءَ والأئمة، فكيف يُقِرُّونَ في آلِ إبراهيمَ ويُنكرونَهُ في آلِ محمَّد (ص)؟ قال: قلْتُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾، قال: المُلْكُ العظيم أنَّ جعَلَ فيهم أئمةً، من أطاعَهُم أطاعَ الله، ومن عصاهُم عصى الله، فهو المُلْكُ العظيم.

أيضاً روى في روايةٍ معتبرةٍ عن حمران بن أعيَن قال: قلْتُ لأبي عبد الله عليه السلام قول اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟ فقال: النُّبوَّة، قلْتُ «الْحِكْمَة»؟ قال: الفهْمَ والقضاء، قلْتُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾؟ قال: الطَّاعة[3].

وجاء في روايةٍ معتبرةٍ عن مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الكاظم عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[4]، قَالَ: «نَحْنُ الْمَحْسُودُونَ»[5].

---

(1) سورة المائدة، الآيات 65 ـ 69.
(2) سورة النساء، الآية 54.
(3) محمد آصف محسني، **معجم الأحاديث المعتبرة**، ج2، ص39.
(4) سورة النساء، الآية 54.
(5) الكليني، **أصول الكافي**، ج1، باب الأئمة ولاة الأمر وهم المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل.

وفي روايةٍ معتبرةٍ عن أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ :قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّادق عليه السلام: نَحْنُ قَوْمٌ فَرَضَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ طَاعَتَنَا... وَنَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَنَحْنُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1][2].

كما جاءَ في روايةٍ معتبرةٍ عن محمَّدِ بنِ مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قولِ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ..﴾[3] قال: الولاية[4].

ولا بدَّ لي أنْ أعترِفَ بأنَّ الرَّبطَ بين مفهومِ «ملكوت الله» في الأناجيل، ومفهوم «المُلْك» و«الولاية» في القرآن، بحاجةٍ إلى دراسةٍ وتعميقٍ وتجذيرٍ لهذا الرَّبط. وإنَّما اكتفيتُ هنا بتسليطِ الضَّوء على هذا الأمر، وآملُ أنْ أُوفَّقَ في فرْصةٍ أخرى، لأدرُسَ هذه النُّقْطة بتفصيلٍ أكثر.

في النِّهاية، أختِمُ بحثي بمناقشةٍ موجزةٍ جدّاً لـ«سي. إس. لويس C.S.Lewis» الذي قال: لو لم يكن المسيحُ هو الله، فلا يمكن أنْ يكونَ نبيّاً فريداً أو مُعلِّماً أخلاقيّاً عظيماً، لأنَّه ادَّعى أنَّه الله. فإنْ لم يكن فعلاً كذلك، إذن إما أنَّه كاذبٌ أو مجنون، ولا يمكن أنْ يكونَ مُعلِّماً أخلاقيّاً عظيماً أو نبيّاً فريداً[5].

وبكُلِّ بساطة، أُجيب: ليس هو بكاذبٍ ولا مجنون، لأنَّه إما افتُرِيَ عليه كذباً، أو قال شيئاً لكن أُسِيءَ فهْمُهُ أو ترجمَتُهُ.

---

(1) سورة النساء، الآية 54.

(2) الكليني، **أصول الكافي**، ج1، باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام.

(3) سورة المائدة، الآية 66.

(4) محمد آصف محسني، **معجم الأحاديث المعتبرة**، ج2، ص74.

(5) سي. إس. لويس، **المسيحية المجردة**، أوفير للطباعة والنشر، ط2، 2010، الإردن، ص89 ـ 90.

ملحق

حرْبُ الأيقونات

تمهيد:

موضوعُ التَّصويرِ والرَّسْمِ بدأَ بشكلٍ عفوي، ولم يكن له في البدايةِ صفةٌ دينيَّة، ولكن الحماس الدِّيني أثَّرَ في اتِّجاهِ هذا الفنّ، وأصبحَ مع الأيامِ يُمثِّلُ اتِّجاهات دينيَّة خالصة، الأمر الذي أثَّرَ في العقيدةِ المسيحيَّةِ بشكلٍ كبير.

كتَبَ ديورانت: «كانت المسيحيَّةُ في باديءِ الأمر ترتابُ في الفنِّ، وتراهُ عماداً للوثنيَّةِ، وعبادةِ الأصنام، وفسادِ الأخلاق، وترى أنَّ هذه التماثيلَ العارية لا تتَّفقُ مع ما يجبُ أنْ تُحاطَ به البُكورةُ والعزوبةُ من إجلال... فلمَّا انتصرت المسيحيَّةُ على الوثنيَّةِ، واحتاجت إلى صُرُوحٍ ضخمةٍ تأوي عُبَّادَها المتزايدين، أخذَت تقاليدُ الفنِّ المحليَّة والقوميَّة تُثبِّتُ وجودَها مرَّةً أخرى، وارتفعَ فنُّ البناءِ فوقَ الأنقاض. يُضافُ إلى هذا أنَّ تلك الصُّروحَ الرَّحْبة كانت تُلِحُّ في طلَبِ الزَّخرفة والزِّينة، وكان العابدونَ في حاجةٍ إلى تماثيلَ للمسيحِ ومريم يُقوِّي بها خيالَهُم، وإلى صُورٍ تُحدِّثُ السُّذَّج الأميِّينَ عن قصَّةِ إلهِهِم المصْلوب. وهكذا وُلِدَت فنونُ النَّحتِ والفُسيفساءِ والتَّصويرِ من جديد»[1].

وهكذا عمَلَ الفنُّ الرُّوماني على نشْرِ العقائد المسيحيَّة، وإظهار مجد الدَّولة. كذلك الفنُّ القبْطي عمَلَ على نشْرِ العقائد المسيحيَّة. والمسيحيُّون الأوائل: رسموا السَّمكةَ لأنَّ حُرُوفَها الأولى باليونانيَّةِ تعني (يسوع المسيح ابن الله المُخلِّص)، ورسموا الطَّاووسَ رمزاً للخلود، ورسموا الحمامةَ رمزاً للرُّوحِ القُدُس، ورسموا الحمْلَ رمزاً للمسيحِ الفادي

---

(1) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص255 ـ 256.

للبشريَّة، ورسموا الحيَّةَ النَّحاسيَّة رمزاً للمسيحِ المصْلوب[1]، وتفشَّت هذه الرُّموز تقيَّةً قبلَ تنصُّر الدَّولة الرُّومانيَّة. واشتهرت أيضاً منذُ القِدَم صورةُ الرَّاعي الصَّالح رمزاً للمسيحِ الرَّاعي للحواريِّين أو البشريَّة[2].

كما اشتهرت صورةُ العذراء وهي تحمِلُ المسيح، والعشاءِ الأخير، وغيرها من الأيقوناتِ الكثيرة.

إلى جانبِ تلك الأيقونات، انتشرت صُوَر لبعضِ قَصَص الكتاب المُقدَّس، كلحظةِ رمي يونان (يونس) في البحرِ والتقام الحوت له، أو سفينة نوح المُحمَّلة بالحيوانات، أو لحظةِ محاولة إبراهيم ذبح ابنه، أو لحظةِ إخراجِ موسى الرَّضيع بتابوتِهِ من اليَمْ، أو لحظةِ رمي دانيال في جُبِّ الأسود... وغيرِها من الصُّور.

أما حرْبُ الأيقونات أو حرْبُ الصُّور المقدَّسة، فهي عبارةٌ عن حركةٍ دينيَّةٍ ظهرت خلال الفترة البيزنطية، وكان هدفُها تحطيمُ الصُّور والتَّماثيل والرُّسومات داخل الكنائس والأبْنية الدِّينيَّة مناهضةً لعبادةِ الصُّور، واستمرَّت هذه الحرْب نحو مائة وعشرين سنة.

وتُقسَّمُ هذه المرحلةُ الهامَّةُ من التاريخِ البيزنطي إلى قسْمين:

القسْمُ الأوَّلُ، ويمتدُّ من 726 ـ 780م، في زمنِ ليو الثَّالث، وينتهي من الناحيةِ الرَّسميَّةِ بانعقادِ المجْمع المسكوني السَّابع.

القسْمُ الثاني، ويمتدُّ من 813 ـ 842م، إلى زمنِ ميخائيل الثَّالث، حيثُ ينتهي بما يُعرَفُ بالعودةِ إلى الأرثوذكسيَّة، وتُسمَّى أيضاً بـ «الإصلاحات الأرثوذكسيَّة».

والأيقونةُ عند المدافعينَ عنها هي من العناصرِ الأساسيَّةِ في العبادة، لأنَّها تنقلُ لنا البشارة من خلالِ وسيلةِ إيضاحٍ، في زمنٍ ندرَت فيه القراءة والكتابة. لذا قيل: «الأيقونةُ كتابٌ مُقدَّسٌ مُلوَّن»، «الأيقونةُ نافذةٌ على الأبدية». وهذا ما معناهُ أنَّها تضعُنا أمامَ الشَّخصِ المرْسوم وتُدْخِلُنا في حوارٍ معه، كما ويشعُرُ النَّاظِرُ إليها أنَّه ينظُرُ إلى إلهٍ، لا إلى إنسانٍ

(1) تأويلًا لما جاء في **إنجيل يوحنا** 3: 14: «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ».

(2) لما جاء على لسانِ يسوع في **إنجيل يوحنا** 10: 11: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ».

عاديّ... ينظُرُ إلى شخصٍ لا إلى رسْم، فهي تُحرِّكُ كلَّ كيانِهِ وروحِهِ، وليس أحاسيسَهُ ومشاعرَهُ فقط[1].

في المقابلِ، استنَدَ أعداءُ الأيقونات إلى الوصيَّةِ الثَّانيةِ من الوصايا العشْر، التي جاءَت في الكتابِ المُقدَّس، حيثُ جاءَ فيها: «لا تصْنعْ لكَ تِمثالاً منْحوتاً، ولا صورةً ما ممَّا في السَّماءِ من فوق، وما في الأرضِ من تحت، وما في الماءِ من تحتِ الأرض. لا تسْجُدْ لهُنَّ ولا تعبُدْهُنَّ، لأنِّي أنا الرَّبُّ إلهَكَ إلهٌ غيورٌ، افتقِدُ (= أتعقَّبُ) ذُنوبَ الآباءِ في الأبناءِ في

(1) جاءَ في محاضرةٍ مرفوعةٍ على النِّت للبابا شنودة الثالث (بابا الأقباط المصريِّين الرَّاحل) أنَّ هناك فروقاً بين الصُّورةِ والأيقونة، وذكرَ في محاضرتِهِ النّقاط التَّالية:

- الصُّورةُ هي صورةٌ لأيِّ شيء، بخلافِ الأيقونة التي هي صورةٌ تُعلَّق في الكنيسةِ أو الدَّيرِ ولها شروطٌ طقسيَّةٌ خاصَّة.
- هناك أيضاً فرْقٌ بين الصُّورةِ التأمُّليَّة، والصُّورةِ الطَّقْسيَّة. الصُّورةُ التأمُّليَّةُ قد تكونُ للعذارِءِ وحدَها وهي تبكي، أو قد تكونُ ليوحنَّا المعْمدان وله جناحينِ كالملائكةِ ويحمِلُ رأسَهُ في يدِهِ، بخلافِ الصُّورة الطَّقْسيَّة التي يُشترطُ أنْ يكونَ المسيحُ فيها، كصورةِ العذراء وهي تحمِلُ المسيح.
- الصُّورةُ الطَّقْسية في الأرثوذكسيَّة، لا بدَّ أنْ تحمِلَ هالةً من نورٍ حولَ وجه المسيح أو القدِّيسين، لأنَّه وردَ في إنجيلِ متَّى (5: 14): «أنْتُم نورُ العالَم». فأيُّ صورةٍ للمسيحِ أو القدِّيسين تخلو من الهالةِ فهي غير أرثوذكسية، لأنَّها تخلو من التَّقديرِ والاحترام.
- الصُّورةُ الطَّقْسيَّة التي تُعلَّقُ بالكنائسِ لا بدَّ أنْ تكونَ مُدشَّنةً بالمَيْرون، ويُبخَّر الكهنةُ والأسقُف حولَها بالصَّلواتِ وينفُخُ فيها.
- يُشترَطُ في صورةِ العذراء حتى تكونَ طقسيَّة شروطٌ خمسة:

1- أنْ تكونَ مع المسيحِ باعتبارِها والدتُهُ، كلاهُما عليه هالةٌ من نور.
2- العذراءُ ملكةً على رأسِها تاجٌ وكذلك المسيح.
3- أنْ تكونَ العذراءُ عن يمينِ المسيح (لما وردَ في المزمور 45: 9).
4- على رِداءِ العذراء نجومٌ لأنَّها هي السَّماءُ الثانية لحمْلِها بالمسيحِ وحولَها سحابٌ وملائكة.
5- وبعضُ الفنَّانين يضعونَ نجمةً على جبهتِها كرمزٍ للبتوليَّة.

- لذا لا بدَّ للفنان أنْ يكونَ مؤهَّلاً من الناحيةِ اللَّاهوتيَّة والتَّاريخيَّة. فغيرُ المؤهَّلين يقعون في أخطاءٍ تاريخيَّة، كرسْمِ مرْقس وهو شيخٌ بلحيةٍ بيضاء، وهذا خطأ، لأنَّه تُوفِّيَ وهو كهل لم يصل للشَّيخوخةِ بعد. أو كرسْمِ يوسُف النجَّار وهو شابٌ، وهذا خطأ، لأنَّه كان شيخاً كبيراً. أو كرسْمِ العشاء الربَّاني مع يهوذا الإسخريوطي وأطباقِ للأكل، والصَّحيحُ هو رسْمُ خبزةٍ واحدةٍ وكأسٍ واحدٍ أمامَ كلِّ شخصٍ في الصُّورةِ مع خُلُوِّها من يهوذا.
- على أساس ما مضى، ليست أيُّ صورةٍ جديرةٌ بأنْ تُعلَّق في الكنيسة، بل فقط الأيقونات المُدشَّنة أو المُعدَّة للتَّدشين.

(أو إلى) الجيلِ الثَّالثِ والرَّابعِ من مُبْغِضيَّ، واصنَعُ احساناً إلى أُلوفٍ من مُحبِّيَّ وحافِظي وصاياي»[1].

المعادونَ للإيقوناتِ يأخُذُونَ بهذهِ الوصيَّة حرْفيّاً الصَّريحة والواضحة.

في المقابل، المؤمنونَ بالأيقوناتِ يرونَ أنَّهم يأخُذُونَ بما ورَدَ فيها من حيثُ المعنى لا الحرْف، فهذه الوصيَّةُ جاءت في عصْرٍ وثني، أما في العهدِ الجديد فهم تجاوزوا مرحلةَ الوثنيَّة، فالأيقونةُ هو مجرَّدُ تمثالٍ، وليس صنَماً يُعبد، فكلُّ صنَمٍ تمثال، وليس كلُّ تمثالٍ صنم. فالأيقونةُ تُحترَمُ ويُقدَّسُ أصحابُها، ولا تُعبَد. بالإضافةِ إلى ذلك، رغمَ وجود هذه الوصيَّة، إلا أنَّ اللهَ قد سمَحَ لبني إسرائيلَ بأنْ يكونَ في خيمةِ الاجتماع، فوقَ تابوت الشَّهادة، كارُوبَيْن[2].

الموجة الأولى من حرب الأيقونات:

ليو الثَّالث (717 ـ 741م):

يعتبرُ الصِّراعُ حولَ عبادة الأيقونات (الصُّور المُقدَّسة)، مرحلةٌ جديدةٌ من مراحلِ التاريخِ البيزنطي. وما قامَ به ليو الثَّالث من معارضةٍ لعبادةِ الأيقونات، خلَقَ هذه المشكلة التي تُعتبرُ من خصائصِ هذه الحقْبة من التَّاريخ، وجعَلَ الإمبراطورية مسْرحاً لما حدَثَ من حروبٍ داخليَّةٍ خطيرةٍ لمدَّةٍ تزيدُ على قرْنٍ من الزَّمان. على أنَّ العاصفةَ أخذت تتجمَّعُ بالتَّدريجِ وفي شيءٍ من البُطْء، فاتَّخذَت أوَّلَ الأمرِ صورةَ نزاعٍ على الصُّور، بسبَبِ ما يرتبطُ بالصُّورةِ (الأيقونة) من دلالةٍ رمزيَّةٍ خاصَّة، وفقاً لإدراكِ البيزنطيِّين وتفكيرِهم. ففي الكنيسةِ انتشرت عبادةُ الصُّور المُقدَّسة منذُ زمنٍ قريب، وأضحَت من المظاهرِ الأساسيَّةِ لما اشتهرَ به البيزنطيُّونَ من التَّقوى.

على أنَّه من جهةٍ أخرى، كثُرَ المُعارِضونَ لهذا الرَّأي، وتمسَّكوا بأنَّ المسيحيَّةَ، باعتبارِها ديانة روحيَّة خالصة، ينبغي أنْ تنبُذَ عبادت الأيقونات. ظهرت هذه المعارضةُ بوضوح في

---

(1) **الخروج** 20: 4 ـ 5.

(2) جاء في **سفر الخروج** 25: 18 ـ 20: «وَتَصْنَعُ كَرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. صَنْعَةَ خِرَاطَةٍ تَصْنَعُهُمَا عَلَى طَرَفَيِ الْغِطَاءِ. فَاصْنَعْ كَرُوباً وَاحِداً عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَا، وَكَرُوباً آخَرَ عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ الْغِطَاءِ تَصْنَعُونَ الْكَرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. وَيَكُونُ الْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ، مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا عَلَى الْغِطَاءِ، وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الآخَرِ. نَحْوَ الْغِطَاءِ يَكُونُ وَجْهَا الْكَرُوبَيْنِ».

الجهاتِ الشَّرْقيَّة من الإمبراطوريَّة، التي تُعتبرُ منذُ القِدَم مهْدَ الإثارة الدِّينيَّة، حيثُ لا زالَ باقياً بها بعض آثار المونوفيزتيَّة، وحيثُ رسخَت أقدامُ البيالصة، الذين يُعتبرونَ نِحْلةً معاديةً لكلِّ عبادةٍ كَنسية. على أنَّ الاتِّصالَ بالمسلمين والعالَمِ الإسلامي، يعتبرُ أكبرَ عاملٍ في تأجيجِ نارِ الكراهية ضدَّ الأيقونات. وما اشتهرَ به ليو الثَّالث من العداوةِ للأيقونات، أرجَعَها خصومُهُ إلى مؤثِّراتٍ يهوديَّةٍ وإسلاميَّة. فعلى الرَّغمِ من أنَّ ليو اضْطهَدَ اليهود، وحمَلَهُم على التَّنْصير، فإنَّ ذلك لم يمنع أنَّه تأثَّرَ بالدِّيانةِ الموسويَّة، التي تُحرِّمُ بتاتاً عبادةَ الصُّور المُقدَّسة. وما حدَثَ من القتالِ بين ليو الأيسوري والمسلمين، لم يمنعهُ من الأخذِ بالحضارةِ الإسلاميَّة. ومن الدَّليلِ على ما كان من المودَّةِ بين ليو والمسلمين، ما أطلقَهُ المعاصرونَ عليهِ من اسْم «ليو ذي العقليَّة الإسلاميَّة». ولم يحمِلِ العربُ معهُم في إغاراتِهِم على آسيا الصُّغرى، فكرةَ الغزو والجهاد فحسْب، بل نقلوا معهم إلى هذه الجهات، ما اشتهروا به من الحضارةِ، والكراهيةِ لتصويرِ الإنسان.

ومن ثمَّ نشأت حركةٌ مناهضةٌ عادت الصُّور المُقدَّسة في الأقاليمِ الشَّرْقية للإمبراطوريَّة من تفاعُلِ نِحْلةٍ مسيحيَّةٍ (البيالصة)، تحاولُ الرُّجوعَ إلى الرُّوحانيَّةِ الخالصة، وعقائدَ المعارضين لعبادةِ الصُّور، ونزعات النِّحَل المسيحيَّة السَّابقة، ومؤثِّرات ديانات غير مسيحيَّة مثل اليهوديَّة والإسلام. فالمعروفُ أنَّ الخليفةَ يزيدَ بنَ عبد الملك أصدَرَ في سنةِ 723م قراراً، أي قبلَ ثلاث سنوات من صدورِ قرار ليو، يقضي بإزالةِ الأيقونات من الكنائسِ المسيحيَّةِ بالدَّولةِ الإسلاميَّة. وظهر وقتذاك في بيزنطة حزْبٌ قويٌّ لمناهضةِ عبادة الصُّور القديمة...

والمعروفُ أنَّ الأباطرةَ اللاأيقونيين ينتمونَ إلى الأقاليمِ الشَّرْقيَّة من الإمبراطورية البيزنطيَّة، فوقفوا على ما سادَ في هذه الجهاتِ من الآراءِ المختلفةِ المُتعلِّقة بمقاومةِ عبادة الصُّور المُقدَّسة. فلمَّا أضحوا أباطرة، نقلوا معهُم إلى القسْطنطينيَّةِ هذه الأفكار، واتَّخذُوها أساساً لسياسَتِهِم الكنسية. ولم يكن هؤلاء الأباطرة مُلْحِدين كما يظُنُّ بعضُ المُؤرِّخين، بل يُعتبرونَ من أخلَصِ الناسِ للدِّيانةِ المسيحيَّةِ ومن أشدِّهِم تمسُّكاً بها. وكلُّ ما أرادوه، هو أنْ يُطهِّرُوا العقيدةَ من الأخطاءِ التي تسرَّبَت إليها، وجعلَتْها تنحرِفُ عن طريقِها الطَّبيعي. ومن هذه الناحية، لم تكن عبادةُ الصُّور، وتقديسُ المُخلَّفاتِ الدِّينيَّة عند هؤلاءِ الأباطرة، سوى بقايا مُتخلِّفة عن الوثنيَّة، فينبغي إزالَتُها والتخلُّصُ منها، كيما يعود للدِّينِ المسيحي ما اشتهرَ به من النَّقاءِ والصَّفاء. كتَبَ الإمبراطور ليو الثَّالث، إلى البابا جريجوري الثَّاني، بأنَّه

«إمبراطورٌ وقِسّ»، وكأنَّه بذلك رأى أنَّه من حقِّهِ الشَّرعي، أنْ يفرِضَ على رعاياهُ ما يعتنقُ من آراءٍ دينيَّة...

ويرى بعضُ المؤرِّخين أنَّ ما اتخذَهُ ليو الثَّالث من إجراءاتٍ إداريَّة، إنَّما وجَّهَها منذُ البدايةِ ضدَّ الأديرة التي صارَ لها في القرْنِ الثَّامنِ الميلادي مكانةً ممتازة، لما صارَ لها من أملاكٍ شاسعة، وترتَّبَ على ذلكَ أنَّ الرُّهبانَ رأوا أنَّ من صالِحِهم أنْ ينقلوا ما وقَعَ من النِّزاعِ بينهم وبين الإمبراطور، على ما يمتلكون من ثروةٍ وأراضي، إلى نزاعٍ دينيٍّ خالص، حتى يتمكَّنوا بذلكَ من اعتبارِ الأباطرة مُلْحِدين، فيحطُّونَ بذلك من شأنِ حركَتِهِم، ويُدمِّرونَ ما للعامَّةِ من الثِّقةِ في إمبراطورِهِم.

ولم يشْرَع الإمبراطور ليو في الدَّعوةِ إلى تدميرِ الصُّورِ المُقدَّسة إلا سنة 726م. ففي هذه السَّنةِ أصدَرَ أوَّلَ قرارٍ ضدَّ عبادة الصُّور، بناءً على طلَبِ المناهضينَ لعبادةِ هذه الصُّور، من أساقفةِ آسيا الصُّغرى، الذين أقاموا بالقسْطنطينيَّة قُبيل صدور هذا القرار، وشجَّعَهُ على ذلكَ ما حدَثَ وقتذاك من زلزالٍ شديد، اعتبرَهُ دليلاً على سخَطِ اللهِ على الذين يستخدمونَ الصُّور ويعبُدُونَها. وعندئذٍ صارَ الإمبراطور يُلْقي العِظاتَ التي يشْرَحُ فيها ما في هذه العبادةِ من الحماقة...

ولم يلْبَث ليو أنْ اتَّخَذَ خطوةً إيجابيَّة، فأمَرَ بتدميرِ تمثال المسيح المنْصوب بأعلى أفخَم مداخلِ القصْر الإمبراطوري... وكان هذا التِّمثالُ موضِعَ تبجيلٍ وتقديسٍ من قِبَلِ الجماهير. على أنَّ هذا الإجراءَ أدَّى إلى ثورةٍ عنيفة، كان أكثرُ المشتركينَ فيها من النِّساء، فاشتدَّ سخَطُ الجماهير، فاعتدوا على مندوبِ الإمبراطور الذي حطَّمَ هذا التِّمثال، فلقي حتفَهُ على أيديهم. وما لجأَ إليه الإمبراطور من الانتقامِ من هؤلاء المتظاهرين، وقتلِ عددٍ منهم، صاروا يعتبرونَ شُهداء، إنَّما يدُلُّ على شدَّةِ الكراهيَة لسياسةِ الإمبراطور.

وأكثرُ أهميَّة من ثورةِ الرِّعاع في القسْطنطينيَّة، ما حدَثَ في بلادِ اليونان من التمرُّد، الذي أثارَهُ ما ورَدَ من الأنباءِ من كراهيةِ الإمبراطور للأيقونات. وترتَّبَ على ذلكَ أنَّ عساكِرَ ثغْر هيلاس نصَّبوا من قِبَلِهم إمبراطوراً، وأرسلوا أسطولاً لمهاجمةِ القسْطنطينيَّة...

سارَ الإمبراطور في سياستِهِ بمنتهى الحذر، بعدَ أنْ تبيَّنَ شدَّةَ مقاومة الناس... ومن أخطَرِ أعداءِ الإمبراطور، بعد البطْرَيرك جرمانوس والبابا جريجوري الثَّاني، يوحنَّا الدِّمشقي، وهو يونانيُّ الأصل، شغَلَ وظيفةَ كبير في دارِ الخلافةِ الأمويَّةِ بدمشق، ثمَّ صارَ من رُهبانِ ديرِ القدِّيس سابا، قُرْب بيت المقْدِس. ويعتبرُ يوحنَّا الدِّمشقي من أشهرِ عُلماءِ عصْرِهِ في

أمورِ الدِّين. فما كتبَهُ من الرَّسائل، وهي ثلاث، دِفاعاً عن الأيقونات، تعتبرُ من أهمِّ مؤلَّفاتِهِ وأكثرِها ابتكاراً. ولتفنيدِ الاتِّهام الذي يجعل عبادة الصُّور ليس إلا إحياءً لما كان معروفاً في الوثنيَّةِ من عبادةِ الأصنام، أعلَنَ يوحنَّا الدِّمشقي آراءَهُ في الأيقونات، فأشارَ إلى أنَّ الأيقونةَ ليست إلا رمزاً أو وسيلةً، بمقتضاها يقفُ عامّةُ الناسِ على ما ينبغي أنْ يُقدِّسوهُ ويُبجِّلوهُ...

ولم يسَع ليو الثَّالث، بعد أنْ حبَطَت مساعيهِ في الوصولِ إلى اتِّفاقٍ مع رؤساءِ رجال الدِّين، إلا أنْ يلجأَ إلى القوَّةِ لتحقيقِ أغراضِهِ. فأصدَرَ قراراً يقضي بتدميرِ كلّ الأيقونات المُقدَّسة... وعلى الرَّغمِ من أنَّ الإمبراطور لم يستطِع تنفيذَ هذه السِّياسة في إيطاليا لبُعدِها عن مقرِّ الحُكمِ البيزنطي، فإنَّ النِّزاعَ على عبادةِ الأيقونات في القسْطنطينيَّة كان له أثرٌ بالغُ الخطورة، في العلاقاتِ بين بيزنطة وروما... فأوَّلُ ما ترتَّبَ على هذا الاختلافِ من النتائج السِّياسيَّة، أنْ اتَّسعَت الهوَّةُ بين القسْطنطينيَّة وروما، بما حدَثَ من انهيارِ مكانة الدَّولة البيزنطيَّة في إيطاليا...[1].

قسْطنطين الخامس (741 ـ 775م):

ما حازَهُ ليو الثَّالث من الشُّهرةِ الفائقةِ للدِّفاعِ عن القسْطنطينيَّة، لم تلْبَث أنْ تبدَّدَت بسببِ ما اتَّبعَهُ من سوءِ المعاملة مع عبادةِ الصُّور المُقدَّسة. تولَّى العرْشَ من بعدِ ليو، ابنُهُ قسْطنطين الخامس. ومنذُ أنْ كان قسْطنطين في الثَّانيةِ من عمرِهِ (سنة 720م)، جرى تتويجُهُ قسيماً لأبيهِ في الحُكْم. فلمَّا أنْ ماتَ ليو، لم يجِد قسْطنطين من يُنازِعهُ السُّلْطان. غير أنَّه لم يكد يمضي على تولِّيهِ العرش سنة، حتى ظهرَ منافسٌ قويٌّ اغتصَبَ العرشَ بضْعةَ شهور. وهذا المنافسُ لم يكن إلا ارتابا سدوس... ومن العواملِ التي كفلت له المساعدة والتأييد في تمرُّدِهِ، ما اشتهرَ به من معارضةٍ للحركةِ اللاأيقونيَّة... وأعادَ ارتابا سدوس عبادةَ الصُّور في الفترةِ التي لم تتجاوز ستَّةَ عشرَ شهراً، وحكَمَ فيها الإمبراطوريَّة، وتراءى للناسِ كأنَّ النِّضالَ حولَ منْع عبادة الصُّور قد انتهى.

وفي هذه الأثناء، هرَبَ قسْطنطين الخامس، ثمَّ سرعانَ ما استطاعَ استعادةَ عرشِهِ من جديد. وتكشَّفت ثورةُ ارتابا سدوس عن أنَّه من اليسيرِ أنْ تعودَ عبادةُ الصُّور المُقدَّسة. فلا بدَّ من اتِّخاذِ إجراءاتٍ حاسمةٍ للمحافظةِ على ما وضعَهُ ليو من سياسةِ اللاأيقونيَّة. فدعا إلى عقْدِ مجْمَعٍ في سنةِ 754م لتقريرِ اللاأيقونية، ولكي يضْمَن الإمبراطور قسْطنطين قيامَ جبهةٍ

(1) د. السيد الباز العريني، **الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربي، بيروت، 199 ـ 208.

متَّحدةٍ داخلَ المجْمَع لنُصرَتِهِ وتأييدِهِ، لجأَ إلى تعيينِ أتباعِهِ وأنصارِهِ في المراكزِ الرَّسولية، وصحَبَ هذه الإجراءات العملية نشاطٌ أدبيٌّ خصْب، ودعايةٌ قويَّة. وجرت مناظراتٌ عنيفةٌ بين الحزبينِ المتنازعين، على أنَّ الاجتماعات لم تكد تنفضّ، حتى يتمّ اعتقال أولئك الذين جرؤوا على الاحتجاج. وبذلك ضمِنَ قسْطنطين سكوتَهُم أثناءَ انعقاد المجْمع. وقامَ الإمبراطور نفسُهُ بدورٍ كبيرٍ في النَّشاطِ الأدبي، إذْ ألَّفَ ما لا يقلّ عن ثلاث عشرة رسالة دينيَّة، لم يبْقَ منها إلا رسالتان.

واختلفَ قسْطنطين عن دُعاةِ عبادةِ الصُّور في أنَّ هؤلاءِ الأيقونيِّين، يُفرِّقونَ بين الأيقونةِ (الصُّورة)، والحقيقةِ التي تُمثِّلُها، فيعتبرونَ الصُّورةَ مجرَّد رمز. أما قسْطنطين الذي تأثَّرَ بالآراءِ الشَّرقيَّة، فإنَّه أصرَّ على الاتِّحادِ الكامل، بين الصُّورةِ والحقيقةِ التي تُمثِّلُها، وبذلك أدْخَلَ في مناقشاتِهِ ما هو معروفٌ من الجدَلِ حولَ المسيح... وأنكرَ جوازَ رسْمِ المسيح على أساسِ ما لَهُ من صفةٍ إلهيَّة. على حين أنَّ أنصارَ عبادة الصُّور، أمثال البطْرَيرك جرْمانوس ويوحنَّا الدِّمشقي، أجازوا تصويرَ المسيح على أساسِ التَّجسيد، فاعتبروا المُنقِذَ (المسيح) في صورةِ إنسان تأكيداً لحقيقةِ تجسيدِهِ...

وبعد أنْ تأكَّدَ قسْطنطين من إخلاصِ الجيش، ومن رضى جانبٍ كبيرٍ من رجالِ الدِّين، ومن كراهيةِ العاصمة للرُّهبان، عقَدَ في فبراير/ شباط سنة 753م مجْمعاً للنَّظَرِ في مسألةِ عبادةِ الصُّور المُقدَّسة، في قصْرِ هيريا، على الشَّاطئِ الآسيوي للبوسفور، وشهدَهُ 338 أسقُفاً. وتوافرَ للمجْمَعِ من الأعمالِ ما أدَّى إلى أنْ يطولَ أمدُ انعقادِهِ حتى نهاية أغسطس/ آب سنة 754م... إذْ قرَّرَ المجْمَعُ أنَّه لا يجوزُ رسْمُ المسيح، وكلّ من يجرؤ مستقبلاً على أنْ يقومَ بهذا العمل، أو يقوم بتقديسِهِ، أو يتَّخِذ صورتَهُ في كنسيةٍ أو في بيتِهِ، أو اقتنى هذه الصُّورة، تقرَّرَ عزْلُهُ إذا كان أسْقُفاً أو قِسّاً أو شمَّاساً. أما إذا كان راهباً أو من العَلْمانيِّين، فإنَّه تقرَّرت محاكمتُهُ وفقاً للقوانينِ المدنيَّةِ باعتبارِه عدوّاً لله... ثمَّ جرى في نهايةِ أغسطس/ آب إذاعةُ قرارات المجْمَع في ميدانِ السِّباق بالقسْطنطينيَّة. وتقرَّرَ تحطيمُ كلّ الأيقونات التي تنطوي على مغزى ديني، وقُطِعَ الفريقُ الأرثوذكسي ومن يُشايعَهُ، أمثال البطْرَيرك جرْمانوس ويوحنَّا الدِّمشقي من الكنيسة. أما عُبَّاد الصُّور فلم يتعرَّضوا للعزْل فحسْب، بل تقرَّر طرْدُهُم من الوظائفِ المدنيَّة. ولقى كثيرٌ من عُبَّادِ الصُّور العذابَ والتَّنكيل، والتَّشريدَ والسّجْن،

وتقرَّرَ مصادرة ممتلكاتِهم، وجرى نفيُ عددٍ منهم إلى الأقاليم النائية... واعتبرت الأجيالُ التَّالية، عهْدَ قسْطنطين الخامس عهدَ إرهاب، لما طفحَ به من ألوانِ الشدَّةِ والعنف[1].

بين مدٍّ وجزر:

ما أنْ جاءَ عهدُ ليو الرَّابع (775 ـ 780م)، إلا ومالَ الإمبراطورُ الجديدُ إلى الاعتدال، فتوقَّفَ الهجومُ على عبادةِ العذراء أمّ المسيح، وتقرَّرَ إغفال ما اتَّبعَهُ قسْطنطين الخامس أواخِرَ حُكمِهِ، فأعادَ الرُّهبان إلى أسقُفياتِهم، فاستعادوا بذلك بعضَ ما فقدوهُ من النُّفوذ. غير أنَّه لم يستطِع المضيَّ في هذه السِّياسةِ طويلاً، إذْ عادَ إلى اتِّباعِ السِّياسة التقليديَّة، التي ترمي إلى مناهضةِ عبادةِ الصُّور، فعادَ حبْسُ واضْطهادُ المُصرِّين على عبادةِ الصُّور وتمجيدِها.

وبعدما تولَّى ابنُهُ قسْطنطين السَّادس الحُكمَ (780م)، تقرَّرَ عقْدُ المجْمَع المسْكوني السَّابع سنة 787م، في نيقية، لإعادةِ عبادةِ الصُّور، وإعلانِ بُطْلان المرسومات التي أصدرَها المجْمَع اللاأيقوني، الذي انعقَدَ في سنةِ 754م. وكلُّ من يُخالِف ذلك، تقرَّرَ قطْعُهُ من الكنيسة، وتقرَّرَ قطْعُ أولئكَ الذين اعتبروا الأيقونات المُقدَّسة أصناماً، وحضَرَ هذا المجْمَع 350 أسقفاً، وعددٌ كبيرٌ من الرُّهبان[2].

الموجة الثَّانية من حرب الأيقونات:

ليو الأرمني (813 ـ 820م):

ينْتمي ليو الأرمني (المعاصر لزمنِ المأمون العبَّاسي) إلى تلك الدَّوائر، بآسيا الصُّغرى، التي اشتهرَت بمن خرَجَ منها من القادةِ العسكريِّين الذين اشتهروا بالكفايةِ الحرْبيَّة، وبالتعصُّبِ ضدَّ عبادة الصُّور المُقدَّسة. وليو الأرمني يشبهُ ليو الثَّالث، في أنَّ كُلّاً منهُما ينتمي إلى أصولٍ شرْقيَّة، وأنَّ كُلّاً منهُما كان، قبلَ أنْ يتولَّى العرشَ، قائداً لثغرِ الناطليق. يضافُ إلى ذلكَ، أنَّ سياستَهُ قامت، مثلما حدَثَ زمن ليو الثَّالث، على أكتافِ كِبار القادة العسكريِّين، وخصوم عبادة الصُّور المُقدَّسة...

حاول ليو الخامس تنفيذَ خطَّتِهِ اللاأيقونيَّة، فلم يكد الموقفُ يتحسَّن بعد وفاةِ كروم، حتى عهِدَ إلى العالِمِ الدِّيني المعروف باسْمِ «حنَّا النَّحوي»، الذي يعتبرُ مثيرَ اللاأيقونيَّة في

(1) د. السيد الباز العريني، **الدولة البيزنطية**، 215 ـ 220.
(2) المصدر نفسه، 221 ـ 224.

مرحلتِها الجديدة، بأنْ يجْمَعَ الذَّخيرةَ الدِّينيَّةَ اللازمة للمجْمَع، الذي أزمَعَ عقدُهُ لمناهضةِ عبادةِ الصُّور المُقدَّسة. فجعَلَ له الإمبراطور السُّلْطةَ المطْلقة، في أنْ يتردَّدَ على ما يشاء من المكتباتِ للاطِّلاعِ على ما بها من المؤلَّفات. واستطاعَ حنَّا النَّحوي وزملاؤهُ الذين شاركوهُ هذا العمل، أنْ يجمعوا عدداً كبيراً من الكُتُب، وأنْ يقوموا بدراساتٍ مستفيضة. ومن الطَّبيعي أنْ يرميهم خصومُهُم بتُهمةِ، أنَّهم جعلوا كلَّ اهتمامِهِم موجَّهاً للحصولِ على ما يُؤيِّد سياسةَ اللاأيقونيَّة من الدِّراسات. ومن المراجعِ الهامَّةِ التي اعتمدوا عليها في هذه الناحية، أعمالُ المجْمَع الذي انعقَدَ سنة 754م.

على أنَّ سياسةَ الإمبراطور اللاأيقونيَّة، أدَّت إلى أنْ يتَّحِد سائرُ العناصر المتنافرة المتناحرة في داخلِ صفوفِ الحزْب الأرثوذكسي... وفي هذه المرحلةِ ازدادَ تشابُك الأمور الكنسية والسِّياسيَّة عمَّا كان في القرْنِ الثامن الميلادي. إذْ حرَصَ الإمبراطور على أنْ يبسُطَ سُلُطاتِهِ على الحياةِ الدِّينيَّة، غير أنَّه كان لزاماً عليه أنْ يُواجِهَ مقاومةً عنيفةً من قِبَلِ الكنيسة... وعلى الرَّغم من أنَّه توافرَ لدى ليو الخامس، من الوسائلِ ما يستطيعُ بها تحقيقَ إرادتِهِ، وقهرَ خصومِهِ، فإنَّه لم يحظَ من التَّأييد، بمثْلِ ما حظِيَ به الأباطرةُ اللاأيقونيُّون في القرْنِ الثامن، أمثال ليو الثَّالث وقسْطنطين الخامس. ولذا كان يخشى باستمرار أنْ يفقِدَ عرْشَهُ، واشتدَّ هذا الخوفُ في السَّنواتِ الأخيرةِ من حياتِهِ. وعلى الرَّغمِ من الاحتياطاتِ والتَّدابيرِ التي اتَّخذَها، فإنَّه لم يفْلِت ممَّا هو مُقدَّرٌ له. ففي يومِ عيد الميلاد سنة 820م، وبينما كان يؤدِّي ليو الطُّقوسَ الدِّينيَّة في كنيسةِ القدِّيسة صوفيا، اغتالَهُ أمامَ المذبح، أحدُ أتباعِ زميلِهِ القديم، ميخائل العموري[1].

نهاية اللاأيقونيَّة:

عندما جاءَ ميخائيل الثَّالث (842 ـ 867م) إلى الحُكْم، انعقَدَ المجْمَعُ الدِّيني سنة 843م، وتقرَّرَ فيه وجوب إعادة عبادة الصُّور المُقدَّسة، وإعادة الأيقونات الى المواضعِ التي انتُزِعَت منها بالكنائسِ في العاصمة، وجرى الاحتفالُ بذلك، وتقرَّرَ منذُ ذلك الحين أنْ يجرى الاحتفالُ في الموعد نفسِه بهذه الذِّكرى الجليلة، التي تُعتبرُ «عيد الأرثوذكسيَّة» في الكنيسةِ اليونانيَّة.

والواقعُ أنَّ القضاءَ على اللاأيقونيَّة، يعتبرُ خاتمةً لعصْرٍ بيزنطيٍّ حفَلَ بالفتَنِ الدِّينيَّة.

---

(1) د. السيد الباز العريني، **الدولة البيزنطية**، 254 ـ 259.

وكان لهزيمةِ اللاأيقونيَّة أيضاً أهميةٌ كبيرةٌ في علاقةِ الكنيسة بالدَّولة، إذ ترتَّبَ على هذه الهزيمة، فشَل المحاولة التي جرت لإخضاع الكنيسة لسُلْطةِ الدَّولة. وبفضْلِ الانتصار على اللاأيقونيَّة، ازدادت مكانةُ الكنيسةِ وارتفَعَ شأنُها[1].

لكن عادت النزْعةُ المعاديةُ للأيقونات مع ظهورِ البروتستانتيَّة في القرْنِ السَّادس عشر الميلادي، فصارت كأنَّها امتدادٌ للحركةِ اللاأيقونيَّة.

(1) د. السيد الباز العريني، **الدولة البيزنطية**، 294 ـ 295.

أهم المصادر

أولاً: الكتب المقدَّسة

- **القرآن الكريم.**
- **الكتاب المقدَّس**، دار الكتاب المقدَّس في الشَّرق الأوسط، ط30، 1993، لبنان، جمعية الكتاب المقدَّس.

ثانياً: تفاسير وشروح وقواميس الكتب المقدَّسة

- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدَّس**، ماستر ميديا، 1997، القاهرة.
- **قاموس الكتاب المقدَّس**، نخبة من اللاهوتيين.
- حسين الطَّباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، جامعة المدرسين في قم، إيران.
- ناصر مكارم الشِّيرازي، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، دار إحياء التراث العربي، 2002، بيروت.
- محمد الصَّادقي، **الفرقان في تفسير القرآن**، الأميرة للطباعة والنشر، 2013، بيروت.

ثالثاً: كتب أساسيَّة عند الدِّيانات والمذاهب

- **التلْمود البابلي**، توزيع المؤسسة الأردنيَّة للبحوث والمعلومات، عمان، ط1، 2011م.
- **الأناجيل**: النُّصوص الكاملة، تحقيق سهيل زكَّار، دار قتيبة، دمشق، 2008.
- **كتاب مورمون**، مقدمة منذر الحايك، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 017، دبي.
- **صحيح مسلم.**
- **سنن الترمذي.**
- **سنن ابن ماجة.**
- الكليني، **الكافي.**
- الصَّدوق، **علل الشَّرائع.**
- الصَّدوق، **عيون أخبار الرِّضا.**
- الصَّدوق، **من لا يحضره الفقيه.**
- علي احمدي، **مكاتيب الرَّسول**، دار صعب، بيروت.
- محمد آصف محسني، **معجم الأحاديث المعتبرة**، دار نشر الأديان، طهران.

رابعاً: كتب متفرِّقة

- ابن قرناس، **مسيحيَّة بولس وقسطنطين**، منشورات الجمل، ط1، 2009، بيروت.
- أحمد على عجيبة، **تأثّر المسيحيَّة بالأديان الوضعيَّة**، دار الآفاق العربية، ط1، 2006، القاهرة.
- إسحاق نيوتن، **وصف تاريخي لتحريف نصَّين مهمَّين من الكتاب المقدَّس: التَّثليث والتجسُّد**، ترجمة هيثم سمير، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2016، بيروت.
- إمام عبد الفتَّاح إمام، **معجم ديانات وأساطير العالَم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
- أن. ت. رايت، **الخبر السَّارّ**، أوفير للطباعة والنشر، ط1، 2015، عمان، الأردن.
- أنتوني فلو، **هناك إله**، ملْحق: الوحي الذَّاتي للإله في التاريخ البشري لـ رايت، ترجمة صلاح الفضلي، تعليق مرتضى فرج، 2018، العراق.
- إينوك باول، **تطوُّر الإنجيل**، ترجمة أحمد إيبش، دار قتيبة، ط1، 2003، دمشق.
- البابا بنديكت السَّادس عشر، **يسوع النَّاصري**، ترجمة أحمد الترزي، مكتبة الشُّروق الدُّولية، ط1 2010.
- بارت إيهرمان، **كلام من هو؟**، ترجمة سهيل زكَّار، دار قتيبة للطِّباعة والنَّشْر والتوزيع، ط1، 2012، دمشق، سوريا.
- برنابا، **إنجيل برنابا**، ترجمة خليل سعادة، طبع بإشراف محمد رشيد رضا، مكتبة مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، القاهرة.
- بييتير شيفر، **يسوع في التلْمود**، ترجمة نبيل فيَّاض، 2015، المركز الأكاديمي للأبحاث، إصدرات جامعة برنستون 2007.
- ج. ويتلر، **الهرطقة في المسيحيَّة: تاريخ البدع والفِرَق الدِّينيَّة المسيحية**، ترجمة جمال سالم، ط1، 2007، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
- جيمس د. طابور، **سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة**، ترجمة سهيل زكَّار، دار قتيبة، ط1، دمشق، 2008.
- دان بروان، **شيفرة دافنشي**،الدَّار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2007، بيروت.
- دانتي، **الكوميديا الإلهية**، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، القاهرة، 1955.
- رايس بروكس، **حقيقة المسيح**، أوفير للطباعة والنشر، ط1، 2016م، الأردن، الأردن.
- سي. إس. لويس، **المسيحيَّة المجرَّدة**، أوفير للطباعة والنشر، ط2، 2010، عمان، الإردن.
- السيد الباز العريني، **الدَّولة البيزنطيَّة**، دار النهضة العربي، بيروت.
- عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الآريوسيَّة في مصر البيزنطيَّة خلال القرْنين الرَّابع والخامس الميلاديين**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2016.
- علي الشَّيخ، **دروس في المسيحيَّة**، ترجمة كمال سلمان، مركز دراسات المصطفى الدولي، 1432 هج، قم، إيران.
- علي الشَّيخ، **لاهوت المسيح**، مركز الأبحاث العقائدية، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ط1، 2009، العراق.
- فراس السوَّاح، **الوجه الآخر للمسيح**، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط3، 2017، دمشق، سوريا.

- فراس السوَّاح، **مغامرة العقل الأولى**، دار علاء الدين، ط10، دمشق،
- كمال الصَّليبي، **البحث عن يسوع**، دار الشُّروق للنشر والتوزيع، د1، 1999، عمان، الأردن.
- ماريا دي ليكوري، **الأرطقات مع دحضها**، مترجم عن الإيطالية، 1864م. يمكن إنزال نسخة منه من شبكة الانترنت.
- متَّى المسكين، **القدِّيس بولس الرَّسول**، ط1، 1992، مطبعة الدِّير القدِّيس أنبا مقار / وادي النَّطْرون، القاهرة.
- محمد أبو زهرة، **محاضرات في النَّصرانيَّة**، دار الفكر العربي، 1966، القاهرة.
- محمود رؤوف أبو سعدة، **من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن**، دار الميمان للنشر والتوزيع، ط1، 2011، الرياض.
- موريس بوكاي، **القرآن والتوراة والإنجيل**، ترجمة عادل يوسف، الأهلية للنشر والتوزيع، 2009، عمان، الأردن.
- ول ديورانت، **قصَّة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.
- يوسف بن غريون، **تاريخ يوسيفوس**، ترجمة زكريا بن سعيد اليمني، تحقيق د. منذر الحايك، ط1، 2017.

خامساً: كتب باللُّغة الانجليزية

Holy Books & Scriptures:

- **The Bible, Authorized King James Version with Apocrypha**, Oxford World's Classics, Oxford University Press, 2008, U.K.
- **The Nag Hammadi Scriptures**, edited by Marvin Meyer, Harper One, USA, 2007.
- **The Gospel of Ebionites**, Kessinger Publishing's Rare Reprints.
- **The Protevangelium or Original Gospel of James**, by Charles F. Horne, Kessinger Publishing's Rare Reprints.
- **The Gospel of Q**, by Mark M. Mattison, 2016.

Other Books:

- Bart Ehrman, **Jesus Before the Gospels**, HarperCollins Publisher, 2016, U.S. A.
- Bart Ehrman, **Lost Christianities**, Oxford University Press, 2005.
- Bart Ehrman, **Lost Scriptures**, Oxford University Press, 2003.
- G. W. H. Lampe (Edited by), **The Cambridge History of the Bible**, Cambridge University Press, 1994.
- Jacob Neusner, **A Rabbi talks with Jesus**, McGill-Queen's University Press, 2015, Canada.

- James D. Tabor, **The Jesus Dynasty, A New Historical Investigation of Jesus, His Royal Family, and the Birth of Christianity**, Simon & Schuster, 2006.
- Jana Riess & Christopher Kimball Bigelow, **Mormonism**, Wiley Publishing, Inc, 2005, Indiana, USA.
- Jeremy Cohen, **Christ Killers**, Oxford University Press, 2007.
- Josephus, **Jewish Antiquities**, Translated by William Whiston, Wordsworth Classics of World Literature, 2006.
- Josephus, **The Jewish War**, Oxford World's Classics, Oxford University, 2017, U.K.
- Larry W. Hurtado, **One God, One Lord: Early Christian Devotion and Ancient Jewish Monotheism**, Bloomsbury T&T Clark, 2015.
- Melito of Sardis, **Collected Works**.
- Michael R. Licona, **Paul meets Muhammad**, Barker Books, 2006, U.S.A.
- Richard Elliott Friedman, **Who Wrote the Bible**? HarperCollins Publisher, 1997, U.S. A.
- Richard Swinburne, **Was Jesus God**? Oxford University Press, 2010, U.K.
- (Saint) John of Damascus, **Writings**, Translated by Frederic H. Chase, JR, Ex Fontibus Company, 2015.
- Tertullian, **Against Marcion**, Beloved Publishing, 2014, U.S.A.
- Tovia Singer, **Why Doesn't Judaism Accept the Christian Messiah?**